



مَجَلَّةُ جَامِعَةِ أُمِّ الْقُرَى
لِلْعُلُومِ الشَّرِيعَةِ وَالدراسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

العدد (٦٤)

محرم ١٤٣٦هـ / أكتوبر ٢٠١٤م

رقم الإيداع ١٤٣٣/٢٥٥ تاريخ ١٥/٩/١٤٣٣هـ / ردمد ٤٦٤٣-١٦٥٨

قواعد النشر

١- تُقبل الأعمال المقدمة للنشر في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية حسب المواصفات التالية:

- أ. يقدم صاحب البحث أربع نسخ ورقية، ونسخة واحدة على أسطوانة ممغنطة (CD).
- ب. يطبع البحث على برنامج Microsoft Word بالخط العربي التقليدي Traditional Arabic بنط ١٦ بمسافتين على وجه واحد، مقاس A4 (٢١ X ٢٩.٧ سم)، بما لا يزيد حجم البحث عن أربعين صفحة، بما فيها المراجع والملاحق والجداول.
- ج. ترقيم صفحات البحث ترقيماً متسلسلاً، بما في ذلك الجداول والأشكال وقائمة المراجع، وتطبع الجداول والصور والأشكال واللوحات على صفحات مستقلة، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن، وتكون الهوامش مكتوبة بطريقة آلية وليست يدوية.
- د. يرفق ملخصان بالعربية والإنجليزية لجميع الأبحاث، بما لا يزيد عن ٢٠٠ كلمة.
- هـ. يكتب المؤلف اسمه وجهة عمله على ورقة مستقلة، مع إرفاق نسخة موجزة من سيرته الذاتية، وتعد خطي موقع من الباحث/ الباحثين بعدم نشر البحث، أو تقديمه للنشر لدى جهات أخرى.
- و. تُرفق أصول الأشكال مرسومة باستخدام أحد برامج الحاسب الآلي ذات العلاقة على أسطوانة ممغنطة (CD).

٢- يشار إلى جميع المصادر ضمن البحث بالإشارة إلى اسم المؤلف الأخير وسنة النشر والصفحة عند الاقتباس المباشر مثلاً (أبو زيد، ١٤٢٥هـ، ص ١٧). وإذا كان هناك مؤلفان، فيذكر الاسم الأخير لهما مثلاً (القحطاني والعدناني، ١٤٢٦هـ، ص ٥٣). أما إذا كان هناك أكثر من مؤلفين للمصدر الواحد فيشار إليهم هكذا (القرشي وآخرون، ١٤٢٧هـ، ص ١١٢) وفي حالة الإشارة إلى مصدرين لمؤلفين مختلفين فيشار إليهما هكذا (المكي، ١٤١١هـ؛ المدني، ١٤٠٩هـ)، وفي حالة وجود مصدرين لكاتب واحد في سنة واحدة، فتتم الإشارة إليهما هكذا (المحمدي، ١٤٢٠هـ أ، ١٤٢٠هـ ب).

٤- تعرض المصادر والمراجع في نهاية البحث، على أن ترتب هجائياً، حسب اسم العائلة للمؤلف، ثم الأسماء الأولى أو اختصاراتها، متبوعاً باسم الكتاب أو المقال، ثم رقم الطبعة فاسم الناشر (في حالة الكتاب) أو المجلة (في حالة المقالة)، ثم مكان النشر (في حالة الكتاب) وتاريخ النشر. أما في حالة المقال فيضاف رقم المجلة، أو السنة، والعدد، وأرقام الصفحات.

٥- يمنح الباحث عشر مستلآت من بحثه، مع نسخة من العدد الذي يظهر فيه عمله. كما تمنح نسخة واحدة من العدد هدية لكاتب المراجعة العلمية، أو التقرير، أو ملخص الرسالة الجامعية.

المراسلات: ترسل جميع الأعمال والاستفسارات مباشرة إلى رئيس تحرير مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية. ص. ب ٧١٥، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

البريد الإلكتروني: E-mail: jll@uqu.edu.edu.sa

حقوق الطبع: تُعبّر المواد المقدمة للنشر عن آراء مؤلفيها، ويتحمل المؤلفون مسؤولية صحة المعلومات ودقة الاستنتاجات. وجميع حقوق الطبع محفوظة للناشر (جامعة أم القرى)، وعند قبول البحث للنشر يتم تحويل ملكية النشر من المؤلف إلى المجلة.

التبادل والإهداء: توجه الطلبات إلى رئيس تحرير المجلة، جامعة أم القرى، ص. ب: ٧١٥، مكة المكرمة.

الاشتراك السنوي: خمسة وسبعون ريالاً سعودياً أو عشرون دولاراً أمريكياً، بما في ذلك أجور البريد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هيئة الإشراف والتحرير

المشرف العام

معالي مدير الجامعة

د. بكري بن معتوق عساس

نائب المشرف العام

سعادة وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

د. ثامر بن حمدان الحريبي

رئيس هيئة التحرير

أ. د. يوسف بن علي الثقفي

هيئة التحرير

عضواً	أ. د. محمد بن عمر بازمول
عضواً	أ. د. طه عابدين طه أحمد
عضواً	أ. د. لطف الله بن ملا خوجة
عضواً	أ. د. أحمد بن قوشتي مخلوف
عضواً	أ. د. محمود بن حامد عثمان
عضواً	د. سعد بن موسى الموسى
عضواً	د. علاء الدين حسين رحال
عضواً	د. أحمد بن محمد اليماني
عضواً	د. محمد بن إبراهيم النملة

أولاً: العقيدة:

- عقيدة الصابئة المندائيين في يحيى عليه السلام عرض ونقد
د. حياة بنت سعيد بأخضر ١١ - ١٢٧

ثانياً: الفقه وأصوله:

- رفع الجناح عمّن علّق الطلاق على النكاح
د. خالد بن فالح العتيبي ١٢٩ - ١٩٩

ثالثاً: الاقتصاد الإسلامي:

- تقدير واختبار دالة إنفاق الحجاج القادمين من الخارج على خدمات
الإسكان بمكة المكرمة لموسم حج عام ١٤٢٨هـ
د. عصام بن هاشم الجفري ٢٠١ - ٢٤٩

رابعاً: التاريخ والحضارة الإسلامية:

- دعم الدولة العثمانية للمؤسسات التعليمية في بلاد الحرمين خلال عهد
السلطان عبد الحميد الثاني دراسة وثائقية
د. أماني جعفر الغازي ٢٥١ - ٢٩٧
- عناية الملك سعود بن عبد العزيز بالحسبة ١٣٧٣-١٣٨٤هـ/١٩٥٣-١٩٦٤م
"دراسة تاريخية"
د. محمد عبدالرحمن الشيحة ٢٩٩ - ٣٦٥

- مَهَنُ الْعُلَمَاءِ وَحِرْفَهُمْ فِي دِمَشْقٍ خِلَالَ الْعَصْرِ الْمَمْلُوكِيِّ (٦٤٨) -
(١٢٥٠/٥٩٢٣ - ١٥١٧م)
- د. فرج محمد السبيعي ٣٦٧ - ٤٠١
- التَّنْظِيمَاتُ الْإِدَارِيَّةُ وَالْقَانُونِيَّةُ فِي عَهْدِ الْمَنْصُورِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ وَأَثَرُهَا
عَلَى الْحُكْمِ فِي بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ
- د. عذاري الشعبي ٤٠٣ - ٤٤٠

أولاً: العقيدة

**عقيدة الصابئة المندائيين في
يحيى عليه السلام
عرض ونقد**

د. حياة بنت سعيد بأخضر

أستاذ مشارك - جامعة أم القرى

عقيدة الصابئة المندائيين في يحيى عليه السلام

عرض ونقد

د. حياة بنت سعيد بأخضر

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين

وبعد: يقوم البحث على عرض عقيدة الصابئة المعاصرين في النبي يحيى عليه السلام والذين اختاروا لهم اسم "الصابئة المندائيين" وذلك من خلال التعريف بالصابئة لغة واصطلاحاً واستعرضت الاختلاف في التعريف الاصطلاحي بين المسلمين والصابئة أنفسهم، كما تناولت أهم عقائدهم من تعميم وتقديس للماء والإيمان بعالمي النور والظلمة وأن في الإنسان نفس خاصة بالخير وروح خاصة بالشر، وذكرت مفهوم النبوة لديهم وأنه الاعتقاد بوجود وسيط وصل لمرحلة العرفان الغنوصي وهي لم تبدأ بيحيى عليه السلام وأنها مفتوحة لكل من استطاع الوصول لمرتبة العرفان، وأن هناك أنبياء قبله ويسمون النبي المرشد أحياناً، وذكرت ولادة يحيى عليه السلام ونشأته وتلقيه مع ما جاء في الوحي في أنه ولد من أبوين كبيرين فقط. لكن لديهم أن الملائكة أخذته من أمه وربته في عالم النور وأعادته إليها بعد أن صار شاباً ونبياً كما نقلت فقرات مما يزعمون أنه كتابه وما يذكرونه عن معجزاته وشريعته وعقبت ببيان عقيدتنا في يحيى عليه السلام: ولادته وصفاته ووفاته وختمت بحثي بعدة فقرات عن صحة وجود كتاب ليحيى ونفيت ذلك ورددت صحة نقلهم عن أنبيائهم ودورهم في تحريف كتبهم وخلاصة لكل ما سبق.

**A Critical Study of
The Creed of the Mandaean Sabians
Regarding Yahyaa ‘alayhi assalaam (John)**

All praise is due to Allaah, the Lord of all creation, and may His salaah and salaam be upon our prophet Muhammad, as well as upon all of his family and companions.

This research presents the creed of the modern-day Mandaean Sabians regarding Prophet Yahyaa ‘alayhi assalaam (John).

I define the term “Saabi‘ah” (Sabian), explaining its linguistic derivation, and contrasting between its theological definition according to Muslims and that of the Sabians.

I then present the main religious rituals and beliefs of Mandaeans including: baptism, reverence and sanctification of water, and dualism – believing in both a “World of Light” and a “World of Darkness”, and that each human being has two souls: a good and an evil one.

I also explain that – according to Mandaeans – Prophecy is the belief in a middle-man who has reached a high level and deep realization of Gnosis, and that it is open to anyone who is able to achieve this level of Gnosticism. Prophecy did not start with Prophet Yahyaa, ‘alayhi assalaam, and there were previous prophets in which they believe; they are sometimes referred to as “guides”.

I then mention their belief regarding the birth of Yahyaa, ‘alayhi assalaam, and clarify that the only common element between their narrative and the revelations of Islaam is that he was born to an elderly couple. According to Mandaeans, angels took Yahyaa from his mother as an infant to a “World of Light” where he was taught and raised, and reunited him with her after he had become a young man and a prophet.

I also quote excerpts from what they refer to as The Book of John (Drasa d-Yahyaa), and mention some of their beliefs regarding his miracles and teachings.

In contrast, I present the teachings of Islaam regarding Yahyaa, ‘alayhi assalaam: his birth, description, characteristics, and death.

Thereafter, I disprove the legitimacy of what they claim to be The Book of John, as well as other scriptures or sayings attributed to their prophets, and outline their role in the alteration and distortion of their scriptures.

The research is concluded with a summary of the aforementioned topics.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام وإتباع حبيبنا محمد ﷺ الذي تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، والحمد لله الذي أكرمنا بنعمة الإيمان بجميع رسله - عليهم السلام - وتعظيمهم ﴿أَمَّا الرَّسُولُ فَمَا نُزِّلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَّاتِ بِهِ وَكُتِبَ لَهُمْ وَرُسُلِهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَكَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِمْ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^١، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والرسل محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه اجمعين .

وبعد فإن يحيى -عليه السلام - من رسل الله تعالى الذين بعثهم إلى بني إسرائيل، وذكر الله تعالى قصة مولده بعد دعاء أبيه زكريا عليه السلام، كما ذكر سبحانه الكثير من صفاته وسجاياه في القرآن الكريم و ذكرت لنا السنة الصحيحة بعضاً من وصاياه إلى قومه، ولكن هذا النبي الكريم ابن الكريم تناولته كتب من يسمون أنفسهم (الصابئة المندائيون) كني من أنبيائهم الذين يسمونهم "المعلمون"، وجعلوا له تاريخاً خاصاً بهم، وكتاباً مقدساً مختلطاً جمعوه من عند أنفسهم، فاستخرت الله في الكتابة عنهم من خلال عقيدتهم فيه ومقارنته بما عند المسلمين، وذكرت هذه الفرقة بالذات لأنها هي الموجودة الآن فقط^٢ وتزعم اتصالها بالصابئة - والله أعلم - وهم يفضلون اسم "الصابئة المندائية" على اسم الصابئة " فقط مع ملاحظة اختلافهم حول حقيقة نسبتهم للصابئة فيما بينهم ويعتبرون أنفسهم فرقة من فرق الصابئة المتعددة^٣

وبفضل الله ومنتته بدأت الكتابة عن الصابئة المندائية في عدة أبحاث، وهذا البحث هو الأول عنهم؛ لذا ربما ترد عبارات أو مباحث مشتركة تقتضيها طبيعة الأبحاث - والله أعلم -

أهمية البحث:

١ - المندائيون موجودون الآن في العراق وجنوب إيران عند مصب الأنهار هناك وكانوا في السابق يستخفون ممن حولهم ولا يبرزون إعلاميا لكن نتيجة ما يحدث في العراق - حفظها الله من كل شر - خرجوا للعالم من خلال مواقعهم وجمعياتهم ومجلاتهم ومؤتمراتهم خاصة التي في المهجر مما استدعى الكتابة عنهم^٤.

٢ - قلة الكتابة عن هذه الطائفة باللغة العربية فغالب ما كتب عنهم عن طريق المستشرقين بلغاتهم الأم.^٥

٣ - الخلط الواضح في عقائدهم التي أخذت من كل ديانة مجاورة لهم، ومحاولاتهم المستميتة لإبراز صحتها وأنها دين سماوي توحيدى بمصلحين من عند الله تعالى. وهم كاذبون في ذلك لاحالة.

منهجي في البحث:

منهجي في البحث جمعت فيه بين: المنهج التاريخي و المنهج التحليلي من خلال ما يلي:

١ - الاعتماد على مصادر دينهم من خلال كتبهم التي يسر الله لي الحصول عليها، ومواقعهم الخاصة المتوفرة على الشبكة العنكبوتية.

٢ - عرض عقيدتهم في يحيى عليه السلام من خلال المصادر والمراجع.

٣ - تحليل عقيدتهم عبر التعقيب عليها من خلال القرآن والسنة الصحيحة.

- ٤- الاعتماد على المصادر ثم المراجع.
- ٥- الاختصار غير المخل؛ نظرا لطبيعة أبحاث الترقية العلمية.
- ٦- التخريج للأحاديث وعزوها لمصادرها.

ومن أهم الصعوبات التي واجهتني:

- ١- قلة المراجع المتوفرة عنهم في الواقع، وفي بلادي الغالية؛ مما استدعى طلبي لها من الخارج (العراق، اليمن، مصر، الإمارات العربية المتحدة، بريطانيا) وهذا استغرق وقتا لا يستهان به .
 - ٢- غموضهم في تاريخهم وعقائدهم باعترافهم أنفسهم، مع تناقض معلوماتهم عن حقيقتهم نظرا لباطنية وغموض دينهم مما يشكل صعوبة بالغة في الكتابة عنهم وهذا أخذ مني وقتا طويلا في قراءة كتبهم ومواقعهم.
 - ٣- إغلاقهم لبعض مواقعهم المهمة التي اعتمدت عليها في نقل عقائدهم وأقوال أتباعهم، وهذا لدى الباحث يشكل عبئا جديدا في البحث وقد يصل وقد لا يصل المطلوبه.
- ونتيجة لما سبق قد تكون هناك ثغرات في البحث مع اعترافي بقصوري البشري. ولكن يعلم الله وحده مدى المعاناة التي مررت بها أثناء كتابتي في موضوع جديد كهذا.

خطة البحث:

- لقد قسمته إلى مقدمة ومباحث تحتها مطالب:
- المقدمة وتتضمن أهمية البحث والمنهج المتبع وأهم الصعوبات وخطة البحث.
- المبحث الأول: مفهوم الصابئة.
- المطلب الأول: المفهوم اللغوي.

- المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي.
- المبحث الثاني: أهم عقائد الصابئة المندائيين.
- المبحث الثالث: النبوة عند الصابئة المندائيين.
- المطلب الأول: مفهوم النبوة.
- المطلب الثاني: أنبياءهم وكتبهم.
- المبحث الرابع: يحيى عليه السلام في الدين الصابئي المندائي.
- المطلب الأول: نبذة عن زمن ظهوره.
- المطلب الثاني: ولادة يحيى عليه السلام ونشأته.
- المطلب الثالث: معجزات يحيى عليه السلام وشريعته.
- المطلب الرابع: وفاة يحيى عليه السلام.
- المطلب الخامس: كتاب يحيى عليه السلام.
- المطلب السادس: أهم ما يعتقد الصابئة المندائيون في يحيى عليه السلام.
- المبحث الخامس: يحيى عليه السلام في الدين الإسلامي.
- المطلب الأول: ولادة يحيى عليه السلام.
- المطلب الثاني: صفات يحيى عليه السلام
- المطلب الثالث: ما جاء عن يحيى عليه السلام في السنة الصحيحة.
- المطلب الرابع: وفاة يحيى عليه السلام.
- التعقيب.
- الخاتمة.

أسأل الله تعالى أن يجعله بحثاً مقبولاً لديه - سبحانه - بمنه وكرمه وفضله، وأن يجعله في ميزان حسناتي وذريتي والتقصير وارد والخطأ صادر فنحن بشر من فطرتنا الخطأ والنسيان ومن شيمنا التوبة وطلب الغفران ولست في ذلك بدعا بين البشر ولا شذوذا بين الباحثين.

المبحث الأول: مفهوم الصابئة

المطلب الأول: المفهوم اللغوي

إن كلمة الصابئة مأخوذة من الفعل الثلاثي (صَبَّأً يَصْبُأُ صَبَّأً وَصُبُوءٌ أَوْ صَبُوءٌ يَصْبُوءُ صَبَّأً وَصُبُوءًا). كلاهما: خرج من دين إلى آخر كما تصبأ النجوم أي تخرج من مطالعها ويقال أصبأت القوم إذا هجمت عليهم وأنت لا تشعر بمكانهم وصبأت على القوم أي تدل عليهم غيرهم، وتنطق مهموزة وغير مهموزة^٦

(فالصابئة في اللغة إذن: هم أولئك الخارجون على عبادة قومهم، المخالفون لهم في ديانتهم، شأنهم في ذلك شأن من نسميهم في أيامنا بالملحدن أو الهدامين، أو أي مصطلح آخر يرمي به من يخرج على ديانة المجتمع وقيمه و تقاليده. . ازدراء لهم و تنفيراً للناس منهم)^٧، إذن نقول إن (الصبوة في مقابلة الحنيفية فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزينهم عن نهج الأنبياء قيل لهم الصابئة)^٨؛ لذا نجد (المسلمين لم يرتاحوا لهذه التسمية، بل كانوا يكذبون كل من يطلق عليهم هذه التسمية من المشركين، فلما نادى - جميل بن معمر الجمحي - في قريش قائلاً: ألا إن عمر بن الخطاب قد صبأ. . وذلك حين دخل في الإسلام - فنادى عمر - رضي الله عنه وأرضاه - من خلفه قائلاً: لقد كذب. . إني أسلمت. . فتكذيب عمر - رضي الله عنه - وغيره للوثنيين من أهل مكة، يشعر بأن أهل مكة إنما أطلقوا على المسلمين هذه التسمية إهانة لهم، وازدراء بهم لأنها كانت سبة عندهم، وإلا لما انزعج المسلمون منها)^٩.

ولكن هذا المعنى اللغوي يرفضه الصابئة الحاليون ويرون: أن معنى اسمهم لغوياً مأخوذ من الفعل الثلاثي "صَبَّ" ومنه صب الماء ونحوه: أراقه وسكبه^{١٠} (وأصل الكلمة مندائي آرامي حيث جاءت الكلمة من الجذر (صبا) أي ارتمس أو غطس وكذلك جاء هذا الجذر في اللغة العربية مماثلاً كما في اللغة المندائية وجاء تفسيره في

المعاجم العربية هو صب الماء من الرأس إلى أخمص القدم أو الارتماس في الماء وجاءت تسمية الصبة أو الصابئة من خلال المحيط لهم وهم يغطسون ويرتمسون بالماء)^{١٢}. وعملية التعميد تعني "مصبتا" وهو يتفق مع طقسهم الرئيس في شريعتهم وهو الاغتسال في المياه الجارية.

وفي المقابل نجد باحثة مندائية تحاول الجمع بين أصل الكلمة عربيا وصابئيا من خلال الفعلين صبا وصبغ لتثبت - في زعمها - صدق دينها فتقول: (نحن إن عدنا إلى المصادر الصابئية لوجدنا فيها كلمة "صبا" الغير مهموزة ومشتقاتها وهي من المفردات المندائية الآرامية وتعني التعميد أو التطهير بالماء كشعيرة دينية أساسية من شعائر الصابئة المندائيين وهم يطلقون على هذه الشعيرة "صباغة" فيكون تفسيرها إلى اللغة العربية: صبا: صبغ والكلمة بهذا المعنى واردة في اللغة الآكدية "صبيو" صبيو توم، ثم ذكرت عدة مشتقات للكلمة في اللغة الآرامية تعود إلى معنى التعميد بالغطس في الماء: صبا، صببت، مصبوتا، مصطبا، وحاولت ربط ماسبق بالفعل الثلاثي العربي "صبغ" وقالت: إن هذه الكلمة تحمل المعنى المادي وهو الارتماس أو الغمس في الماء كما أنها تحمل في الوقت ذاته معنى دينيا هو التحول أو الدخول في دين جديد وذكرت معنى الفعل في اللغة العربية واختارت المعنى الآتي: الصبغ الغمس والتغيير وسمت النصراري غمسهم أولادهم في الماء صبغا لغمسهم إياهم فيه، تطهيرا له وصبغة الله: دينه والصبغة الشريعة والخلفة وقيل كل ماتقرب به وتخلص إلى وجود تناظر واضح بين الكلمة الآرامية "صبا" والكلمتين العربيتين: "صبا" و"صبغ" إذ أن الكلمات الثلاث تحوي مدلولاً دينيا واحدا هو التغيير أو التحول من دين إلى دين آخر والغمس للتطهير فتكون الخلاصة: أن الصابئي هو الشخص الذي صبا - عربية - أي دخل في دين الصابئة بعد أن صبا - آرامية - أي اصطبغ أو تعمد بالماء)^{١٣}.

وقيل أيضا أن أصل الكلمة (عبرية ثم نقلت إلى الجزيرة العربية وصارت بمعنى خرج ومال وإلا فهي في معناها بالعبري تطلق على ما يتصل بالحروب والجهاد وقيل من الفعل العبري صبغ أي غطس وقيل إن كلمة "صبأوث" التي تعني جند السماء^{١٤} وهذا القول يحتاج إلى تحرير يربط صحة هذه الأقوال بصحة مفهوم الكلمة في اللغة العبرية.

إذن نخلص مما سبق إلى: أن الصابئة يرفضون المعنى اللغوي العربي لكلمة صابئة؛ لأنه يعني المارق من دينه مما يعد وسما مخزيا، وحاولوا ربط المعنى اللغوي بعقيدتهم في الاغتسال بأنه يعني التحول إلى ديانة الصابئة بالاغتسال في الماء.

وهذا المخرج لهم غير مقبول؛ لأنهم يرفضون البتة دخول أي شخص إلى دينهم، الذي يعد ديانة مغلقة، وأتباعهم يغتسلون في الماء ليس في كل وقت تبعا لعقائدهم المتنوعة وتقديسهم للماء.

المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي

لقد اختلف الصابئة المعاصرون في تحديد مصطلح واحد خاص بهم بناء على عقائدهم التي يقدسونها، كما يتضح مما نقلته عنهم من مصادرهم الخاصة بهم:

يقول أحدهم: الصابئة هي: مندائي وهذه تعني شيئين:

فسرها بعض علماء اللغات بأنها تعني "العارف" ومن كلمة العارف أو المعرفة اشتقت كلمة المعرفيين أي (Gnostic). وكلمة المعرفة تعني معرفة الله من جراء تأمل أو تنسك أو تصوف وتفكير عميق في أن هذا الكون يحتاج إلى خالق مدبر، أو إلى موجد مكوّن. وهذا التفكير العميق لا يحتاج إلى أنبياء ورسول ليوصلوه إلى الناس ويفرضوا عليهم طاعته وعبادته، وعلى هذا فقد فرض من جراء هذا الاعتقاد أن

الصابئة لا يؤمنون برسالة الأنبياء، وهذا عكس ما هو موجود في كتبهم أي إيمانهم بآدم وشيت وسام ويحيى ومنهم اشتقوا منابع ديانتهم.

اما القول الثاني والذي أفسره أنا كما يفسره بعض العلماء غيري - هذه العبارة نقلا عن الكاتب الصابئي غضبان الرومي - أن كلمة مندائي مشتقة من مندا وتعني الموحد ومنها أخذت مندي وتعني محل العبادة أو التوحيد، وكلمة مندد هي وتعني توحيد الله وعبادته.

إذن فكلمة مندائي تعني وتشمل الموحدين أكثر مما يقصدها بعض العلماء من المستشرقين. وعلى كلا الشكلين فالدين الصابئي سواء كان من المعرفة أو من المندائية فهو يعني توحيد خالق لهذا الكون، خالق علوي يعجز الإنسان أن يصفه أو أن يعرف تكوينه أو أن يعرف كنهه؛ لأن أي وصف تطلقه عليه تجده أعلى منه وأكثر دقة وشمولا من ذلك الوصف).

ومنهم من يرى أنه اشتقت كلمة الصابئة من (صبا Sba) الآرامية وتعني من صبغ أو تعمد وتعني بالعربية: الصابئي كل من خرج من دين إلى دين آخر. وكلا الكلمتين يعنيان شيئا واحدا وهو التغيير العبادي. فالتعميد في العقيدة الصابئية يجعل الشخص يتبع بعد التعميد العقيدة الصابئية وقد جاء في كتاب "الكنز الرباني أو صحف آدم وهو الكتاب الذي شرح ووضح عبادة الصابئة وفلسفة عقيدتهم مامعناه: أن عمادك يخرجك من اليهودية إلى المندائية. وعلى هذا فالتعميد يعني إعطاء الفرد الصابئي صفته الصابئية أو اسم الصابئية)^{١٥}

ومنهم من يقول إن تسميتهم بالصابئة تعود إلى حفيد إدريس عليه السلام "صابئ بن قشلوح بن إدريس" وهذا الكلام غير دقيق؛ لأنه لا تولد الأسماء قبل المسميات^{١٦}.

وعند القراءة في كتبهم المقدسة نجدهم يعنون بالتوحيد تعطيل إلههم عن كل الصفات وليس المقصود به التوحيد الحقيقي الذي نعرفه كمسلمين.

ولكن المفهوم الحقيقي للصابئة^{١٧} هو (التي تعتبر يحيى عليه السلام نبيا لها، يقدس أصحابها الكواكب والنجوم ويعظمونها، ويعتبر الاتجاه نحو نجم القطب الشمالي والتعميد في المياه الجارية من أهم معالمهم)^{١٨}.

(واختلف فيهم على عدة أقوال فمنهم من يرى أنهم من النصارى ومنهم من يقول إنهم من اليهود ومنهم من يقول إنهم من المجوس ومنهم من يقول إنهم من لا دين لهم: من كانوا على الفطرة ولا يتدينون بدين)^{١٩}.

ولكن صابئة العراق المعاصرين يفضلون تسمية أنفسهم بالمندائيين؛ والسبب كما يذكرونه: (اسم الصابئين "كاسم لهذه الطائفة غير معروف عندنا لا دينياً ولا تاريخياً؛ لاننا نعرف أنفسنا (مندائي) فلا بد إذن من أن تكون تسميتنا بالصابئين قد جاءت من الأقوام التي حولنا، فإذا علمنا أن الشعار الديني الرئيسي لدينا هو الارتماس في الماء الجاري وأن طهارتنا اليومية تمارس كذلك عن طريق الاغتسال في الماء، وأن هذه الممارسة تسمى عندنا (مصبته) أي التعميد ترجح لدينا أن التسمية (صابئي) مأخوذة من فعل (صبا) الأرامي ومعناه يرتمس ويتعمد ونحن نقول في صيغة الأذان عندنا (انش صابئ مصبته شلمي) أي كل من يتعمد بالمعمودية يسلم. كما نقول في التعميد (صبينا بمصبته اد بهرام ربه) أي تعمدت بعماد إبراهيم الكبير، ولا بد هنا من الإشارة إلى أن اللغة المندائية تخلو من التنقيط ومن بعض الحروف الموجودة في اللغة العربية ومنها حروف ع غ ض ظ ويستعاض عنها في بعض الأحيان بحرف الهاء لأنه أسهل في اللفظ علماً أن حرف العين موجود إلا أنه مهملاً عملياً ومن هنا بدأت أول مشكلات النطق فتحول الفعل (اصطيغ) إلى (اصطبا) وبمرور الوقت تحول

اللفظ إلى (صبأ) ومنه بدأت أول المشاكل مع إخواننا المسلمين حيث نتذكر جميعاً أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان يلقب بالصابئ؛ لأنه خرج عن دين آبائه. لكنها تعني في اللغة المندائية تعمد، وارتمس في الماء. ولدينا الكثير من العبارات التي تذكر كلمة (المصبته) كثيراً في طقوسنا. فمن المعقول أن يكون الأقسام المجاورون لنا، وكثير منهم آراميون ويعرفون اللغة الآرامية، قد أطلقوا علينا اسم (الصائبين) أي المغتسلة بالآرامية، وقد أيد هذا الرأي كثير من الباحثين منهم نولدكه و الأب الكرملي والليدي دراور والبرفسور اوليري وكثيرون غيرهم)^{٢١}، لكن باحثة مندائية ترى أن (الصابئة والمندائيون تسميتان لمسمى واحد)^{٢١}.

ونقرأ قولاً جدياً أيضاً لصابئى معاصر: (إن المندائي هو اسم مكان أما الصابئى فهم الاسم الديني) وبما أنه من إيران ويكتب عن هذه الطائفة المستقرة في إيران فهو يعيد اسم المندائي إلى دولة "ماد" أو "مادي" التي هي الآن إيران واتخذوا بالتالي - على حسب رأيه - اسماً جديداً لهم من هذه الحضارة من المادائي أو الماندائي وبقوا محافظين على هذا الاسم الجديد على مدى ١٨٠٠ عام)^{٢٢} . .

وتتعدد أسماؤهم الدالة على معنى واحد: (الصابئة. المندائيون. المغتسلة، أسماء مختلفة لمعنى واحد، يشير إلى أكثر الجماعات الاثنية - في التاريخ - ارتباطاً وتقديساً للماء)^{٢٣}، وفي سؤال في مجلة مندائية: لماذا تعددت تسميات المندائيين؟ فكان جواب أحد كهنتهم: (اختلفت تسميات الصابئة بسبب بعد تاريخهم وتقلبات العصور فهم يرجعون بجذور عقيدتهم إلى النبي آدم عليه السلام ولذلك فهم من أقدم الأقسام المؤمنة ولذلك فإن تعاقب الأطوار والحقب التاريخية وتغيير مكان وجودهم وسكنهم باستمرار هو السبب الرئيسي لاختلاف التسميات التي أطلقت عليهم)^{٢٤}.

وفي المقابل نقرأ تعريف الصابئة عند علماء المسلمين لورود اسمهم في ثلاثة مواضع في القرآن^{٢٥}. ونظرا لغموضهم وباطنيتهم فقد اختلف حول تعريفهم علماء المسلمين: ونبدأ بأول تفسير وصل إلينا فنقرأ تعريف الإمام الطبري - رحمه الله -: (الصابئون جمع صابئ وهو المستحدث سوى دينه دينا وأختلف أهل التأويل في من يلزمه هذا الاسم من أهل الملل فقال بعضهم: يلزم ذلك كل خارج من دين إلى غير دين، وقالوا: الذين عنى الله بهذا الاسم قوم لادين لهم، وقال مجاهد: الصابئون ليسوا بيهود ولا نصارى ولا دين لهم وعنه: الصابئون بين المجوس واليهود لا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم. وقال ابن زيد الصابئون: دين من الأديان كانوا يجزيه الموصول يقولون لإله إلا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي إلا قول لا إله إلا الله ولم يؤمنوا برسول الله، وقال آخرون هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون للقبلة وزاد قتادة ويقرأون الزبور وقيل بل هم طائفة من أهل الكتاب)^{٢٦}، وذكر الحافظ ابن كثير - رحمه الله - هذه الأقوال وزاد عليها (وقال بعض العلماء: الصابئون الذين لم تبلغهم دعوة نبي ثم اختار هذا القول: إنهم قوم ليسوا على دين اليهود والنصارى ولا المجوس ولا المشركين وإنما هم قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه، ولهذا كان المشركون ينزون من اسلم بالصابئ أي أنه خرج عن سائر أديان أهل الأرض إذ ذاك)^{٢٧}، ومنهم من يقول: (إنهم من النصارى وصبوا إلى المجوسية ومنهم من قال إن كتابهم الزبور الذي أنزل على داود عليه السلام وهو مواعظ بلا أحكام وقيل إنه أحكام نزل بها جبريل عليه السلام على داود كالأحكام التي نزل بها على النبي ﷺ من غير القرآن)^{٢٨} ونقرأ مجموعة من الأقوال تنقل لنا الاختلاف حولهم منها: إنهم على دين نوح - عليه السلام - وهذا مستبعد حين القراءة في تاريخهم الذي يذكره عن أنفسهم ثم لا دليل موثوق عليه: وقد ذكر ذلك الماوردي - رحمه الله - (إن الصابئ الخارج من شيء إلى شيء فسمي الصابئون بهذا الاسم لخروجهم من اليهودية إلى

النصرانية وقيل إنهم يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام)^{٢٩}، ويرى الزرخشري - رحمه الله - أنهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة^{٣٠}، والآمدي - رحمه الله - يرى أنه: (الأشبه تسمية هذه الطائفة صابئة لميلهم وانحرافهم عن سنن الحق في نبوة الأنبياء؛ لاتخاذهم آلهة غير الله تعالى أخذوا من قول العرب صبأ الرجل إذا مال وانحرف)^{٣١} والرازي يميل إلى أنهم الذين بعث فيهم إبراهيم - عليه السلام - وهم عباد النجوم وسماهم الصابئة فقال: (قوم يقولون: إن مدبر هذا العالم وخالقه هذه الكواكب السبعة والنجوم فهم عبدة الكواكب ولما بعث الله تعالى إبراهيم عليه السلام كان الناس على دين الصابئة)^{٣٢} ويقول الرازي قال ابن حزم (وقد يضاف إلى جملة من قال إن مدبر العالم أكثر من واحد الصابئون وهم يقولون بقدوم الأصليين على نحو قول الجوس إلا أنهم يقولون بتعظيم الكواكب السبعة والبروج الأثنى عشر.... وكان الذي ينتحله الصابئون لأقدم الأديان على وجه الدهر والغالب على أهل الدنيا إلى أن أحدثوا فيه الحوادث وبدلوا شرائعه بما ذكرنا فبعث الله عز وجل إليهم إبراهيم خليله عليه السلام بدين الإسلام الذي نحن عليه الآن وتصحيح ما أفسدوه بالحنيفية السمحة التي أتى الله بها محمد ﷺ من عند الله تعالى)^{٣٣} وكذا يرى كل من ابن تيمية وابن قيم الجوزية رحمهما الله - في أنهم من بعث إليهم إبراهيم - عليه السلام - فنقرأ للإمام ابن قيم الجوزية وصفا للصابئة بأنهم: (أمة كبيرة من الأمم الكبار) وذكر أن الاختلاف حولهم حقيقة وبين سبب ذلك فقال رحمه الله: (وقد اختلف الناس فيهم اختلافا كثيرا بحسب ما وصل إليهم من معرفة دينهم وهم منقسمون إلى مؤمن وكافر وهؤلاء هم قوم إبراهيم عليه السلام وأهل دعوته وكانوا قسمين حنفاء ومشركون، وأصل دين هؤلاء - كما يزعمون - أنهم يأخذون بمحاسن ديانات العالم ومذاهبهم، ويخرجون من قبيح ما هم عليه قولاً وعملاً؛ ولهذا سموا صابئة: أي خارجين، فقد خرجوا عن تقيدهم بجملة كل دين وتفصيله إلا مارأوا فيه

من الحق، والمقصود أن هذه الأمة قد شاركت جميع الأمم وفارقتهم فالحنفاء منهم شاركوا أهل الإسلام في الحنيفية والمشركون منهم شاركوا عباد الأصنام ورأوا أنهم على صواب، وأكثر هذه الأمة فلاسفة والفلاسفة يأخذون من كل دين - بزعمهم - محاسن ما دلت عليه العقول، وعقلاؤهم يوجبون إتباع الأنبياء وشرائعهم. ثم ذكر خلاصة قوله بأن قال: إنهم فرق: فصابئة حنفاء وصابئة مشركون وصابئة فلاسفة وصابئة يأخذون بمحاسن ما عليه أهل الملل والنحل من غير تقييد بجملة أو نحلة^{٣٤}، بينما فصل شيخه ابن تيمية - رحمه الله - ما سبق فهو: بداية يرى أن الصابئة في أصلهم مؤمنون موحدون فيقول: (ولهذا قيل إن أرسطو بدل طريقة الصابئة الذين كانوا قبله والذين كانوا مؤمنين بالله واليوم الآخر الذين أثنى عليهم القرآن)^{٣٥} وذكر عنهم عدة تعريفات فقال رحمه الله: إن الصابئة ينقسمون إلى قسمين:

القسم الأول الصابئة الحنفاء: هم من كان متبعا لشريعة التوراة والإنجيل قبل النسخ والتبديل من اليهود والنصارى، وهؤلاء ممن حمدهم الله وأثنى عليهم، وروي أيضا بإسناد ثابت^{٣٦} أنهم: الذي يعرف الله وحده فهم قد يقولون لا إله إلا الله فقط وليست له شريعة يعمل بها ولم يحدث كفرا، وقيل هم قوم من المجوس واليهود والنصارى ليس لهم دين وليس لهم شريعة مأخوذة عن نبي وهم ليسوا كفارا فإن الله قد أثنى على بعضهم فهم مستمسكون بالإسلام المشترك وهو عبادة الله وحده وإيجاب الصدق والعدل وتحريم الفواحش والظلم ونحو ذلك مما اتفقت الرسل على إيجابه وتحريمه.

القسم الثاني الصابئة المشركون: وهم الذين يعبدون الملائكة والذين يسمونهم الروحانيات العلوية - كما يزعمون - ويزعمون أنهم يقرأون الزبور^{٣٧}.

ولكن المعنى الغريب للصابئة والذي يحتاج للرد مذكره صاحب " في ظلال القرآن " وهو: (الصابئون الأرجح أنهم تلك الطائفة من مشركي العرب قبل البعثة الذين ساورهم الشك فيما كان قومهم عليه من عبادة الأصنام، فبحثوا لأنفسهم عن عقيدة يرتضونها فاهتدوا إلى التوحيد وقالوا: إنهم يتعبدون على الحنيفية الأولى ملة إبراهيم عليه السلام واعتزلوا عبادة قومهم دون أن تكون لهم دعوة فيهم فقال عنهم المشركون إنهم صباؤا أي مالوا عن دين آبائهم كما كانوا يقولون عن المسلمين بعد ذلك ومن ثم سموا الصابئة وهذا القول أرجح من القول بأنهم عبدة النجوم كما جاء في بعض التفاسير)^{٣٨} وقوله إنما هو نقل للمعنى اللغوي ويصادم مانقله عنهم السابقون وهم أعلم بهم منه.

ويرى بعض الصابئة المعاصرين انه(قد جاء منهم إبراهيم الخليل عليه السلام والملقب بأبي الأنبياء. ولدى الصابئة كثير من الأساطير عن إبراهيم الخليل وانتسابه إليهم لولا حدوث بعض العوارض الدينية له في حياته وهجرته من بابل إلى حران. ولم يكن إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا؛ لأنه ولد وبشر بالتوحيد قبل موسى بحوالي ألف سنة)^{٣٩}. والغريب أن ينكر الاسم ويسمي به مقاله.

ولكن صلة الصابئة اليوم وهم من يسمون أنفسهم الصابئة المندائيون بإبراهيم -عليه السلام - محل نظر عند باحث عراقي معاصر فقد توصل إلى أن اسم بهرام الكبير " الذي يرددونه هو اسم لأحد الملائك المقربين وليس اسما لإبراهيم عليه السلام "،^{٤٠} كما ثبت تنقصهم لإبراهيم عليه السلام وأنه نجس لقيامه بجنتان نفسه وهو بهذا قد خرج من ملتهم - كما يزعمون - وأبعد من أعمال الكهانة^{٤١}.

ونخلص مما سبق:

١- أن الصابئة المعاصرين اختلفوا في تحديد مصطلح لهم تبعاً لرضاهم بمصطلح صابئة فقط أو وجوب تلازمه بمصطلح المندائي، واختلفوا في أصل التسمية هل هي تعني الموحدون لخالق الكون، أو هم المرتسبون في الماء الجاري، أو فقط لإعطاء الصابئي صفة الصابئية، بينما يرى كهانهم أن السبب في تعدد تسمياتهم هو تعاقب الحقب التاريخية عليهم مع تغيير مقر سكنهم باستمرار.

٢- أن علماء المسلمين كذلك اختلفوا في الاتفاق على مصطلح موحد للصابئة وإن كان منهم عدد اتفق على علاقتهم بإبراهيم - عليه السلام - وأنه هو رسولهم. مع تنقص الصابئة المعاصرين لإبراهيم عليه السلام جراء اختتانه وهو محرم عندهم.

٣- قسمهم ابن تيمية إلى قسمين هما: عبدة الملائكة والثاني: الصابئة الخنفاء الذين امتدحهم الله تعالى في القرآن لكن اختلف في مصدر توحيدهم. وأميل إلى هذا التقسيم للجمع بين ثناء الله عليهم وبين ما ذكر عن شركهم بالله تعالى. والله أعلم.

المبحث الثاني: أهم عقائد الصابئة المندائيين

إن للصابئة المندائية عقائدهم الخاصة بهم والتي منها:

العقيدة الأولى: تقديس الماء الجاري الذي يمثل لهم حياة جديدة وميلادا جديدا للكبار والصغار، ومن صور هذا التقديس نرى شعيرة التعميد عبر الاغتسال في الماء الجاري ويسمونه "اليردنا" والذي بدونه لا تصح حياتهم ولا جميع شعائرهم؛ لذا نجدهم يحرصون على الاستقرار في المناطق التي تجري فيها الأنهار؛ لأن الماء الطبيعي هو الأصل وهو المطلوب^٢، وتسمى في عقيدتهم "المصبتا". وروحياً يفسر هذا

الطقس على انه العمود الفقري للديانة المندائية؛ لأنه ومن خلاله يصطبغ الإنسان بصبغة جديدة يبدل بها صبغته القديمة، أي بمعنى أنه يترك الظلام ويهتدي إلى النور، وأنه يغسل أخطائه وآثامه بالماء الجاري الحي الذي هو أصل كل شيء، والمصبتا هي البوابة التي يدخل من خلالها الإنسان في الديانة المندائية عندما يكون عمر الشخص ثلاثون يوماً وتشمل الأم والطفل المولود.

وفي اعتقادهم أن الشخص المصطبغ في الماء الجاري يأخذ خلال الصباغة مايلي:

❏ خمسة عهود (كشطا) وذلك بتصافح الأيدي بين المصطبغ ورجل الدين

❏ الخبز المقدس والماء المقدس. حيث يمثل الخبز جسد الإنسان والماء هو النبض (الحياة) الذي ينبض به ذلك الجسد. ^{٤٣} (وعلى الإنسان أن يعتمد كل ما سنحت له الفرصة؛ لأن في التعميد راحة نفسية للمتعمد وخلاص الإنسان من بعض الخطايا البسيطة التي يرتكبها الفرد في حياته اليومية. ^{٤٤} وهذا التقديس للماء يجعله سببا لمحو كل نجاسة سواء في ثيابهم أو أوانيهم أو ابدانهم.

العقيدة الثانية: الاعتقاد أن في الإنسان نفسا أرسلها الله وهي جزء منه وأسكنها في جسم بني آدم، وهناك روح قد تدفع الإنسان إلى عمل الشر، فإن تغلبت النفس تغلب الخير وإن تغلبت الروح تغلب الشر. ومع كل ذلك فخلال حياة الإنسان نجد الخير أو الشر يأتي من النفس، وعلى ذلك فهي مسئولة في آخرتها عن أعمال الإنسان، وهي التي تحاسب عليه في آخرتها فالنفس هبة من الله والروح هبة الشيطان. وهذه الفلسفة قد تكون أقرب إلى (الثنوية) أي أن كل شيء مخلوق هناك ضده.

العقيدة الثالثة: يزعم الصابئة المندائيون أنهم من أهل التوحيد الصحيح وفي نفس الوقت يقولون عن دينهم بأنه غنوصي ويفسرون ذلك بأن (المندائية هي الغنوصية وهي العرفانية بأدق وأكمل إشكالها. وهي بذلك تؤسس طريقة لأدراك المعرفة العليا وكنه الأسرار الربانية. وهذا ما يقابله (الكشف) عند الصوفية لذا فإن رجال الدين المندائيين لا يقرون علنية الدين لأن ذلك يتعارض وباطنيته)^{٤٥}.

العقيدة الرابعة: وجود عدد لا يحصى من الملائكة، يقطنون العوالم النورانية ويحيطون بالإله السامي، ولهذا للكائنات النورانية شأن كبير ومنزلة عالية لدى المندائيين تأتي من خلال المكانة السامية التي منحهم إياها الحي العظيم - كما يزعمون - والتي تجسدت بالواجبات والمهام الجسام التي يكلفهم بها في الخلق وإدارة شؤون الكون)^{٤٦} وقد صنعوا لها هياكل وأصنام وعبدوها^{٤٧}.

العقيدة الخامسة: (وجود عالمين: عالم مادي وهو الحياة التي نعيشها، وعالم آخر وهو المأوى الأخير والأبدي للروح أو النفس البشرية بعد الممات، فأما تكون نفس زكية طاهرة فيكون مأواها عالم تستوطنه النفوس الطيبة المطمئنة ويسمى عالم الأنوار، أو أنها تذهب إلى الجحيم حيث مسكن النفوس الشريرة مرتكبة الذنوب والآثام ويسمى عالم الظلام) فهم يؤمنون ببعث الأرواح دون الأجساد.

العقيدة السادسة: (إن عالم الأنوار الذي تعرج إليه النفوس الصالحة في النهاية لتتعم بالخلود إلى جوار ربها" الجنة في زعمهم"، يقع في جهة الشمال فهو مكان مقدس لديهم، ويستدل على الشمال بالنجم القطبي جغرافيا. واستحدثوا رمزا يدل على عالم النور لديهم وهو درفش يحيى وهو: عبارة عن قطعتين متقاطعتين من الخشب يغطيها وشاح من القماش الأبيض.)^{٤٨}

وهذه العقائد نجدهم يعترفون بأنها ليست كلها أتى بها يحيى عليه السلام فهو لم يأت في معتقدهم إلا بالتعميد ولكنها تتعدد ربما؛ لأن دينهم مر بعدة أنبياء، ولأحقية رجال دينهم في إضافة عقائد وشرائع جديدة - والله أعلم -

المبحث الثالث: النبوة عند الصابئة المندائيين

المطلب الأول: مفهوم النبوة

يعتقد الصابئة بمفهوم خاص للنبوة يختلف عن ما يعتقده أهل الأديان السماوية فإن (النبوة بمعنى أن الله يزود إنسانا بالدين والمعرفة وينزل عليه صحفا أو كتابا، أو يوحى إليه بشرح ويبعثه ليعلم الناس ويهديهم ويرشدهم إلى الشرع والدين، مرفوضة تماما عند المندائيين؛ لأن الله لا يكلم أحدا من البشر؛ ولأن المبعوث مشارك للمبعوث إليه في المادة والصورة فمن أين تأتي طاعته؟ وهم في الوقت الذي ينفون نبوة أحد من البشر يقولون: إنه لا بد من مخلوق متوسط بين الروحانية والمادية يهدي الناس إلى الحق، يستمد المعرفة من الحضرة القدسية ويفيض الفيض على الموجودات السفلية، فكلام الله لا يصل إلى الناس إلا بواسطة مخلوق بين النور والتراب، ويذهبون إلى أن الإنسان الذي يطهر نفسه ويهذب أخلاقه ويروض نفسه على الطاعة والعبادة يحصل لنفسه استعداد واستمداد من غير واسطة ويكون حكمه وحكم من يدعي الوحي " النبي " على وتيرة واحدة، ومن هذا القبيل في نظرهم آدم وشيث وإدريس ويحيى فهم ليسوا أنبياء بالمفهوم المعروف للنبوة عند أهل الأديان المنزلة، وإنما هم أناس طهروا أنفسهم عن دنس الشهوات وراضوها على الطاعات حتى توصلوا بنوع من الكشف إلى المعارف العليا، وتذوقوا تلك المعارف تذوقا مباشرا، ولذلك يصفونهم في كتبهم المقدسة بأنهم معلمون معرفيون وإذا ما وصفوهم بالأنبياء فإنما يقصدون بذلك: أنهم معلمون يستمدون معارفهم بطريق الكشف والتذوق المباشر، لا بطريق الوحي ولا بواسطة الاستنتاج والاستدلال، والكتب والتشريعات التي ينسبها المندائيون إلى هؤلاء

المعرفيين لم يدعوا أنها منزلة عليهم من الله وإنما هي من معارفهم بواسطة الكشف والفيض الإلهي ليس غير..... ولكن للانصاف نقول إن كتب المندائيين لم تخل من كلمتي النبوة والرسالة والحق أنهم لم يقصدوا معناهما المعروف وإنما أرادوا المعنى الذي أشرنا إليه وهو أن الموصوف بهما: معلم، ضليع، ملهم، وأنه أدى مهمته على أكمل وجه)^{٤٩} لذلك نجد الصابئة المندائيين (أنكروا النبوات البشرية على الإطلاق وهم في الوقت الذي ينفون فيه الوساطة البشرية بين الله وعباده فإنهم يقولون بوجود متوسط روحاني للهداية والإرشاد ويتوجهون إلى الفيض الإلهي كمصدر للدين والعبادة)^{٥٠}.

ويقدم لنا ابن النديم - رحمه الله - في كتابه "الفهرست" تلخيصاً لعقيدتهم في النبي تتضمن إيمانهم بأنه الإنسان الكامل الذي بيده صلاح البلاد والعباد ويعلم الغيب وما تخفيه النفوس وله تأثيراته العلوية والسفلية (ويقولون إن النبي هو البرئ من المذمومات في النفس، والآفات في الجسم والكامل في كل محمود، وأن لا يقصر عن الإجابة بصواب كل مسألة، ويخبر بما في الأوهام ن ويحاج في دعوته في إنزال الغيث، ودفع الآفات عن النبات والحيوان، ويكون مذهبه ما يصلح به العالم ويكثر به عامره)^{٥١} ويزيده وضوحاً الشهرستاني - رحمه الله - بذكره لمناظرة طويلة بين الحنفاء والصابئة حول معتقدتهم في النبوة وقصرها على الروحانيين - بزعمهم - فقال عنهم: (ومذهب هؤلاء: أن للعالم صناعاً فاطراً حكيماً مقدساً عن سمات الحدثان والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربين إليه وهم الروحانيون المقدسون جوهرًا وفعالاً وحالة. . وإنما أرشدنا إليهم معلمنا الأول عاذيموس^{٥٢} "شيث" وهرمس^{٥٢} "إدريس"..... فالواجب علينا أن نطهر نفوسنا من دنس الشهوات الطبيعية ونهذب أخلاقنا حتى نحصل مناسبة ما بيننا وبين الروحانيات. . .

فيحصل لنفوسنا استعداد واستمداد من غير واسطة بل يكون حكمنا وحكم من يدعي الوحي على وتيرة واحدة)^{٥٣}.

وصرح مترجما كتاب الصابئة المندائيون وهما من هذه الطائفة: بما سبق فذكرنا أن (النبي هو مخلوق متوسط بين الروحانية والمادية يهدي الناس إلى الحق فالروحانيات مخلوقة من كلام الله تعالى دعاها بأسمائها فوجدت وإن كلام الله لا يصل إلا بوساطة مخلوق بين النور والتراب)^{٥٤} والرسول لديهم هو من (جاء إلى الدنيا بأمر من الرب وبمهمة خاصة، لا بمعنى الرسول الذي يأتي بدين جديد)^{٥٥} وجاء هذا التعليق من المترجمين على قول المستشرقة دراوران: (الصابئون لا يدعون بأن دينهم أو شعائرهم التعميدية قد جاء بها يوحنا، بل إن كل ما ينسب إليه هو أنه كان ملهما عظيما وأنه كان يمارس وظيفة التعميد ككاهن وأن تغييرات دينية معينة تنسب إليه)^{٥٦} ويؤيد ما سبق قول أحد كهنتهم: (حتى الصابئة المندائيون والذين يعتبرون يحيى أحد آبائهم الأربعة المقدسين وآخرهم، وحلقة مهمة من حلقات تاريخهم الديني والحياتي، يعترفون بأن ديانتهم لم ينشئها هذا النبي، وإنما كانت قبله وهو الذي أعاد الحيوية في فكرها وطقوسها الدينية، فهو النبي والرسول الذي أنقذهم من ظلم اليهود، وأرجع إليهم روحية المفاهيم التي يؤمنون بها. وإن كلمة الرسول لا تعني هنا من يأتي بدين جديد أو مؤسس لفكر خاص، وإنما جاءت كلمة بالمندائية بمعنى المنقذ ورسول من أجل إعادة بناء العقيدة والدين. فلذلك يؤمن المندائيون بأن هذا النبي جاء ليرجع الناس إلى الشريعة الأولى شريعة الإنسان الأول (آدم وحواء). ؛ لأن المندائيين يؤمنون بأن شريعتهم ما هي إلا شرعة الحياة الفطرية التي عرفها والتزم بها آدم أبو البشر (أول إنسان عاقل). (وتتلخص هذه الشرعة بمعرفة وعبادة خالقا وسيدا لهذا الكون والذي يسمونه ب هيبأي الحي أو الحياة)^{٥٧}.

إذن خلاصة معتقدتهم في النبوة كما قدمه أحد أتباعهم المعاصرين: (يعتقد المندائيون أن دينهم لم يبدأ بيحيى بل هم يرجعونه إلى أقدم الأزمان، إن الدين المندائي على خلاف أديان أخرى لم يرتبط ظهوره بشخصية تاريخية ولا يعرف له مؤسس لقد ظهر نتيجة تفاعلات روحية وفكرية كثيرة وانعكست عليه تغييرات اجتماعية في مناطق عديدة استوطنها المندائيون المندائيون ذاتهم لم يزعموا في كتبهم ولا في تراثهم الشفوي أن يحيى هو الذي أسس دينهم ولا تجعل معتقداتهم منه الشخصية المركزية إنهم يعتبرونه مجرد حلقة مهمة في تطور دينهم يجدونه ويعظمونه ولكنه يظل إنسانا يقدسونه كما يقدسون عديدا من الأجداد وهم في هذا مخلصون لتراثه وهوذاته لم يشأ أن يصف نفسه مسيحا أو نبيا على النحو الذي كانت تفهم هذه النعوت أقوام ذلك العهد إذ فهموه على أنه مصلح اجتماعي فريد ضحى بحياته لإنقاذ المجتمع ومن فيه من بشر مما لحقهم من اضهاد)^{٥٨}.

وفكرة الوحي عند المندائيين تتلخص في: (إن هبوط النفس^{٥٩} بصورة آدم الخفي تتفق مع التصورات المعرفية حول خلق الإنسان، فالمعرفة أصل سماوي مثل النفس، ومن خلالها يحصل الإنسان على الخلاص ويعتبر "هيبيل زيو"^{٦٠} المرشد الأول أو الوحي الأول أو معلم القوانين الأول أو ملاك القوانين الأول)^{٦١} إن عملية الوحي عند المندائيين هي عبارة عن تواصل النفس مع عالم النور وهم غامضون في توضيح ذلك مما أدى إلى صعوبة في فك رموز آلهتهم المتعددة المتمثلة في الملائكة^{٦٢} (إن إيقاظ جسد آدم بواسطة "نشمثا" أو آدم الخفي أو "مانا" يعني ذلك حضور "عالم النور" عملية الوحي)^{٦٣}، إذن فحصول آدم على المعرفة أي معرفة أسرار الحياة والوصول إلى عالم النور، هي في الوقت نفسه "الخلاص عن الدنيا"^{٦٤}، ويمثل مندادهي^{٦٥} بصورة واضحة شخصية المعرفة المخلصة، ويطلق عليه أيضا الرجل الكامل الإيمان، أو الصالح المصطفى، أو ذو الصدقة الباهرة، وهذا اللقب يطلق أيضا على المؤمنين المندائيين،

وهذا برهان للعلاقة بين المخلصين والمؤمنين الواجب تخليصهم^{٦٦} إذن يعتقد الصابئة: (أن الله لا يخاطب أحدا من البشر وإنما خلق الله الروحانيات أي الملائكة ثم تلبست هذه الروحانيات بالكواكب النورانية)^{٦٧} لذا نجد بعضهم يسمون يحيى ---- عليه السلام - المرشد.

ويعتبر المندائيون أنفسهم من أتباع الفكر الغنوصي وهم يطلقون على مرتبة العرفاني أو الغنوصي: "الناصوري" وهي المرتبة التي وصل إليها يحيى عليه السلام فمعتقدهم أن النبي يحيى - عليه السلام - كان ناصورياً وكذلك والديه، والسيد المسيح، ورجال دينهم أيضاً من هذه الطبقة فتعتبر بشرية السلالة الأولى للنبي آدم من أولى السلالات الناصورية، ونواة الديانة المندائية من بذرة حكماء أنقياء اجتمعت فيهم كل عناصر علوم الناصروثا؛ مما جعلتهم يمتازون بالمقدرة الروحانية الفائقة في البصيرة والتعمق الروحي والتبحر في الدين إضافةً للمقدرة الجسمانية والصحية؛ وكُشِفَت لديهم الكثير من أسرار النفس والذات، وأسرار علوم السماء والأرض؛ وممارستهم لهذه العلوم السامية في حياتهم الروحية والعملية فتحت لهم أبواب اتصال روحانية بين عالمهم المادي والعالم الفوق المادي "النوراني"^{٦٨}.

مما سبق نقول: إن الصابئة المندائيين يعتقدون أن النبوة هي فيض من عالم النور على واسطة بين العالم العلوي والعالم السفلي ليقوم بتخليص النفوس وتطهيرها في رؤية باطنية غنوصية عرفانية يختص بها كهنتهم.

المطلب الثاني: أنبيأؤهم وكتبهم

بناء على ما قدمته عن مفهوم النبوة عند الصابئة، فإن معتقدهم أن دينهم ليس له مؤسس بشري؛ لأن: (الديانة المندائية تختلف عن باقي الديانات، بكونها ليس لديها مؤسس بشري. . أن المندائية ببساطة هي شرعة الحياة الفطرية التي عرفها والتزم بها

آدم أبو البشر (أول إنسان عاقل). . فقد ورد عندهم أنه عندما أمر الخالق العظيم، رسول الحياة والنور (هيلل زيوا) أمره بما يلي: ((اذهب، ناد بصوتك آدم وامرأته حواء وجميع ذريتهم. بصوت عال ناديمهم واجمعهم وخذ على نفسك أن تعلمهم كل شيء. أعطهم دروسا عن ملك النور السامي ذو القوة الواسعة العظيمة دوغما حد أو عدد وعرفهم بعوالم النور الأبدية)) وأيضاً ورد ((لكن آدم وزوجته العلم والمعرفة)). . فهذه المعرفة هي المندائية التي هي امتداد لشريعة عوالم النور، يقصد بها معرفة وجود الرب الحي العظيم. (عوالم الله) وتوحيده، وتنظيم الصلة بين رب الأكوان والإنسان، وهذا هو أهم شيء وجوهر الدين المندائي. . وأول من عرف، وكان مندائي بسبب معرفته، هو آدم الذي يعتبر أولاً لأنبياء أو المعلمين، وبعد عصر آدم وإثناء مسيرة المعرفة الأولية للخالق الأزلي ومرورها بالأنبياء والمعلمين والآباء المندائيين الأوائل، تكونت من خلال الزمن، الشريعة المندائية، مثلما تتدأولها اليوم. أما الطقوس والمراسيم والقضايا المعقدة الأخرى التي تختص بها جميع الديانات فهي وليدة العصور اللاحقة التي صاحبت تطور الإنسان ونضوجه العلمي والفكري والحضاري فقد ورد في الكنز ربا مايلي: ((طوبى للكاملين الذين عرفوك بقلب طاهر)).

الخلاصة أنهم (يقولون بنفي النبوات)^{٦٩} كما نعتقد بها نحن فيكون ترتيب

الأنبياء عندهم:

- النبي والأب والرجل الأول آدم (أبو البشر) والذي يحتفظ المندائيون بصحفه السماوية.
- النبي شيتل^{٧٠} شيت "بن آدم الرجل الأول (الغرس الطيب) والذي أفتدى والده، فكانت روحه الأقدس من بين البشر.

- النبي سام بن نوح (المتعبد الخاشع) والذي تزخر الكتب الدينية المندائية المقدسة بصحفه وقصصه وتراثيله.
- النبي يهيا يوهنا _ يحيى بن زكريا _ يوحنا المعمدان (الحبيب المرتفع) ويحتفظ المندائيون بكتابه الذي خطت قسم منه أنامله المقدسة وزاد عليه تلاميذه من بعده. وهو النبي الأخير الذي يؤمن به الصابئة المندائيون.^{٧٠}

وأما كتبهم المقدسة:

إن الطقوس الصابئية مقدسة عندهم أكثر من كتبهم إن (الحالة مع المندائيين هي حالة ما يدعو الطبيب ب "توقف التطور" لقد تمسك الصابئون بتشبث بطقوسهم التي يعتبرونها أكثر قداسة من كتبهم وأقدم، كما اعتنى بحفظ تراثهم كهنوت يعتبر أن أية زلة في الإجراءات والشعائر خطيرة مميتة)^{٧١} وأما كتبهم المقدسة^{٧٢} فقد دونت كلها باللغة المندائية^{٧٣} وبالحرف المندائي.

وهي: (تنقسم إلى ست مجاميع:

المجموعة الأولى: نصوص سرية خاصة بالكهنة وحدهم وهي تدون في شكل لفائف، والواحدة منها تدعى ديوان وهذه اللفائف مزودة برسوم إيضاحية ترسم وفق طريقة بدائية خاصة. وتحتوي على العقائد السرية والخاصة التي لا تكشف إلا لرجال الدين. وبعضها لا يكشف إلا لمن هو في الدرجات الأعلى من السلك الكهنوتي وهذه النصوص تقرأ عند تكريس رجل الدين أو عندما يعمد وفق شعائر خاصة حين يرتكب أو يتعرض لخطيئة ومن هذه اللفائف:

- ١- ألف توسر شياله أي ألف وأثنى عشر سؤال ويستفاد منه في حل العضلات الدينية ويرجع الصابئة خاصة رجال الدين إليه للحصول على إجابة أسئلتهم

- ٢- كنزاربا وتعني " الكنز العظيم" ويسمى أيضا: " سيدر ربا" وتعني " الكتاب العظيم" وهو من أقدس الكتب عندهم و يشتمل على فقرات كثيرة حول أحكام دينهم وعالم الحساب والآخرة وكذلك تعاليم آدم عليه السلام. وشيث بن آدم، وسام بن نوح، ويحيى -عليهم السلام جميعا-، وقد ترجم إلى اللغة العربية والإلمانية
 - ٣- كتاب دراشا أد يهيا وهو كتاب تعاليم يحيى عليه السلام وقد ترجم إلى العربية والإنجليزية
 - ٤- كتاب سيدرا ادنشماثا: يبحث هذا الكتاب في المسائل الدينية اليومية وكيفية إقامة الشعائر وعلى كل رجل دين يصل إلى درجة ترميدة^{٤٧} أن يلم بهذا الكتاب إماما كاملا وأن يحفظه عن غيب وقد ترجم إلى اللغة الانجليزية
 - ٥- كتاب قلستا " كتاب العقد" أي كتاب الزواج ويحتوي على جميع طقوس الزواج والنكاح وعلى كيفية شعائرها
 - ٦- كتاب أينايني وهو كتاب العبادات ويحتوي على كيفية إقامة الصلاة والعبادات الأخرى
 - ٧- سفر ملواشه: وهو مخطوط لأغراض التنجيم والفلك ويستفاد منه بطريقة خاصة في الكشف عن الطوالع والتنبؤ بالغيب.
 - ٨- قماها ويعني باللغة المندائية " يقسط" وهو عبارة عن مجموعة أدعية وآيات وتعاويد لتفادي الحسد ودفع الشر والبلاء وكل ما سبق ترجم إلى اللغة الإنجليزية
- المجموعة الثانية:** وهي كراريس تشرح كيفية أداء الطقوس الدينية وبعضها مزود برسوم وتتألف من:
- ١- شرح كيفية تكريس الكاهن " شرح تنويج شيشلام العظيم"
 - ٢- كراس يصف مراسم الزواج والنصوص التي ينبغي أن تقرأ في مجلس العرس " شرح زواج شيشلام العظيم."

٣- شرح مراسم الأيام الخمسة المقدسة "عيد البنجه"

٤- شرح ذكرى الأوحى بعدله.

٥- ديوان تميم الملاك هبيل زيوا بعد هبوطه إلى الأرض ليقمع تمرد قوى الظلام.

المجموعة الثالثة: وتضم مجموعة الأناشيد والتراتيل والصلوات التي تتلى في طقوس التعميد وعلى أرواح الموتى "القلستا"

المجموعة الرابعة: وتضم النصوص التي تتحدث عن الأساطير المندائية التي تدور حول خلق الكون والإنسان والصراع بين قوى النور والظلام ويوم الحساب وتضم:

١- كنزا ربا أو سيدره ربا وتعنيان الكنز العظيم أو الكتاب العظيم

٢- دراشه يهيا وتعني كتاب يحيى ويضم مجموعة التراتيل. والنصوص التي تتحدث عن يحيى ونشأته والهجرة من فلسطين إلى الفرات.

٣- ديوان أبائر وهو كتاب يصف رحلة النفس في صعودها إلى السماء بعد الوفاة ومرورها في نقاط الحساب.

٤- ديوان نهرايه ويضم محاولة جغرافية أولية طبقاً لتصورات الأساطير المندائية.

٥- ديوان حران كويته وهو عرض لتاريخ الطائفة المندائية منذ أيام يحيى وقد دون الكتاب في بداية العهد الإسلامي الأول.

المجموعة الخامسة: تختص بالفلك كما فهموه وتضم:

١- سفر ملواشه "سفر البروج" والكتاب يضم نصوصاً متنوعة عن الفلك وهو مكرس لقراءة الطالع ونصوصاً سحرية مقتبسة من مصادر يونانية وفارسية ساسانية وعربية

٢- شباني شاييء "ساعات النهار" والنص يعالج تصورهم عن قيمة كل ساعة من ساعات النهار وفقاً لحسابات فلكية

المجموعة السادسة: تتألف من طلاس وأدعية ونصوص سحرية لطرد الأرواح الخبيثة وأدعية لاستجلاب عطف القوى الروحانية وما شابه ذلك.

وهناك ديوان: الصلاة الكبرى، وديوان الصدق والإخلاص^{٧٥}.

(ويخضع الصابئة لرؤسائهم الذين يقومون بحل قضاياهم فهم يعمدون الأطفال ويعقدون القران ويطلقون النساء ويكفنون الموتى ويترحمون على الميت خلال اعتمادهم على هذه الكتب المقدسة)^{٧٦}

وكما نلاحظ من الكتب مقدسة لدى أتباع هذه الطائفة أنهم نتيجة اعتقادهم بعدد من الأنبياء واعتقادهم بأحقية كهنتهم في التشريع آمنوا بكتب عديدة متنوعة المشارب والأعمال بدعوى شمولها لكافة شؤون حياتهم الظاهرة والباطنة. مع اعترافهم أن هذه الكتب دونت بأدي كهنتهم وأنها ممنوعة على عامة الطائفة مطالعتها مباشرة بل يكتفون بما ينقله لهم هؤلاء الكهنة. وعملهم هذا يشكل فوضى عقديّة وتشريعية متناثرة بين عدة مصادر. بينما الوحي الصادق من الله نعيش فيه وحدة المصدر ووحدة الرسول الملكي والبشري ووحدة المعتقد والتشريع.

المبحث الرابع: يحيى عليه السلام في الدين الصابئي المندائي

المطلب الأول: نبذة عن زمن ظهوره

يعترف المندائيون بأن المصادر المادية عن تاريخهم في فلسطين وظهور نبيهم يحيى عليه السلام قليلة ولا تنفي بالعرض المنشود، إلا إشارات مقتضبة في كتبهم المقدسة، تلقي ضوء باهتا على هذه الفترة المهمة من تاريخهم، ورغم ذلك القصور يتشبثون بهذه الإشارات وينشرونها على أنها حق لامية فيه. كيف لا وقد وردت في كتبهم المقدسة التي هي باعترافهم مكتوبة بأيديهم؟! فيقول أحد أتباع دينهم: (بالرغم من قلة

المصادر المادية المندائييه عن وضع المندائيين في فلسطين وظهور الدعوة التي بشر بها المرشد يهيا يوهنا يحيى " وأهدافها الاجتماعية، إلا أن هناك إشارات مقتضبة وردت في كتاب الكنزا ربا " كتاب آدم " ودراسة أديهيا " كتاب يحيى " عن وضعهم، والاضطهاد الديني الذي كانوا يلاقونه من قبل اليهود و التدمير و حرق أورشليم، وإذا ربطنا هذه الإشارات بما كتبه المؤرخون عن الحالة الاجتماعية والسياسية التي كانت سائدة آنذاك، فإننا سوف نرى في فترة ظهور (يهيا يوهنا) الفترة التي سبقت تبشير المسيح بدعوته، بأن فلسطين كانت تخضع للاحتلال الأجنبي الروماني، وكان المجتمع يشهد تمايزا طبقيا حادا بين جمهور الفقراء المعدمين وهم الأغلبية الساحقة والطبقة الحاكمة المسنودة من قبل الاحتلال الروماني، إضافة إلى ذلك كان المجتمع الفلسطيني ينقسم إلى أربع مجاميع هي: جماعة الصدوقيين^{٧٧} والفريسيين^{٧٨} والغيارى^{٧٩} والاسنيين^{٨٠}، وكانت هذه الفئات تتقاتل فيما بينها وقد تعاون قسم منا مع الرومان المحتل واستغل بقية أبناء الشعب أبشع استغلال، ما عدا فئة الأسنيين الذين رفضوا جميع الفرق المتواجدة في فلسطين وانسحبوا إلى البرية وأطلقوا على أنفسهم أبناء النور، وعارضوا الطقوس التي يمارسها الآخرون ونظروا إليها بأنها فاسدة، وكانوا بعيدين عن كنز الأموال ويعيشون مشتركين في المأكل والملبس والمسكن ويدعون إلى مساعدة الجميع ويشير الباحثون بأن يوهنا ظهر ونشط وسط هذه الجماعة رافضا الحالة السائدة متهما لجميع بما فيهم الطبقة الحاكمة والأرستقراطيين بالفساد والخطيئة بدعوة شعبية عامة^{٨١}.

المطلب الثاني: ولادة يحيى عليه السلام ونشأته

أولا: مصادر ولادته ونشأته عند المندائية:

عندما نقرأ عن ميلاد يحيى عليه السلام ونشأته في المصادر المندائية، نجد أنهم يعترفون أيضا بعدم وجود تاريخ صادق وموثق عنه إلا من خلال كتبهم المقدسة التي

- كما أسلفت - كتبوها بأنفسهم باعترافهم وهذا تناقض صارخ. يقول أحد رجال دينهم: (إن الحديث عن النبي يحيى (يوحنا) ذي الشخصية التاريخية والدينية المؤثرة والمهمة جدا على الصعيدين الروحي والتاريخي، ليس بالحديث اليسير، وذلك لعدة أسباب منها:

❖ عدم وجود دراسات حقيقية خاصة بحياة هذا النبي في المكتبات العربية. اختلاف القصص حوله، الدينية والتاريخية، على الرغم من كونه أحد الأشخاص المهمين في الحركة الدينية التي انتشرت قبل وبعد الميلاد بسنوات في حوض الأردن وأورشليم.

❖ والسبب الرئيسي هذا الغموض هو أنه لم يكن مؤسساً لجماعة دينية معينة خاصة به، ولم يطرح أفكاراً خاصاً، ولم يأت بدين جديد.)).^{٨٢}

❖ (في كتابين من الكتب المندائية الدينية يعالج موضوع يحيى ولكن من زاويتين مختلفتين: في كتاب دراشهدهيا أو كما يدعى سيدرا ديهيا أي كتاب يحيى وهو موضوع في القرن الأول الهجري، خضعت الصورة المقدمة عن يحيى إلى احتياجات عرض الأفكار الغنوصية التي لايعنيها في الأساس أن تتابع الأحداث التاريخية وتسلسلها وإنما يهتمها أن تطرح هذه الأفكار في إطار متخيل، بينما في كتاب "حران كويتا" وهو أيضاً وضع في العهد الإسلامي في العهد العباسي في الغالب نجده دار جدل كبير حوله كونه ينطوي على تشوش كبير ناجم عن الأسلوب الأسطوري الذي كتب به والتناقضات التي يحتويها وقد زاد من تعقيد الموقف كثرة الفجوات التي ترد فيه وفقدان بدايته)^{٨٣}. ؛ لذا نستطيع القول بأن قصة يحيى - عليه السلام - في الكتب المقدسة المندائية مضطربة).^{٨٤}

ثانياً: ولادته:

أهم ملامح قصة ولادة يحيى عليه السلام في الدين المندائي:

- ١- ولد لأبوين كبيرين حددت أعمارهما تماماً.
- ٢- الإقرار بأن أصول والديه وديانتهم تعود للديانة اليهودية.
- ٣- الإقرار باسم أم يحيى عليه السلام.
- ٤- أن الحمل به كان نتيجة عدة عوامل: الشرب من الماء المقدس، معجزة إلهية، دعاء زوجة زكريا عليه السلام وليس دعاء زكريا نفسه) وليس نتيجة للقاء زوجي معهود بين البشر فزكريا صرح - حسب زعمهم - بأنه لم يقرب زوجته منذ ٢٢ عاماً.
- ٥- لم تر أم يحيى عليه السلام ابنها بعد ولادته حتى بلغ ٢٢ عاماً.
- ٦- تربي على أيدي الملائكة طوال هذه السنين.
- ٧- عرفته أمه بفطرة الأمومة رغم أنها لم تره منذ ولادته.
- ٨- سمته أمه يحيى بناء على تسمية من وهبه الحياة.

وأما تفصيل ولادته: فقد ولد يحيى يوحنا حوالي سنة ٣٤ - ٣٦ قبل الميلاد (حسب التراث المندائي)، وأن التقويم الصابئي المندائي المستعمل حالياً والذي يسمى أيضاً بالتقويم اليحيوي (نسبة إلى يحيى) يبدأ من مولد هذا النبي. مع العلم أن المندائيين يحتفلون بعيد ميلاده (٢٣ آيار) في عيد يسمى (دهقة اد دايم)، ولو أن هنالك رأي لبعض رجال الدين المندائيين يقول بأن هذا اليوم ليس عيد مولده وإنما هو يوم تقبله للصبغة الأولى (التعميد)، فلذلك يسمى هذا اليوم شعبياً عند المندائيين (عيد التعميد الذهبي) والذي يتقبل خاصة الأطفال الصغار التعميد المندائي في هذا اليوم.

ولد النبي من أبوين كبيرين طاعنين في السن، فالأب اسمه (زكريا) ويلقب أو كنيته (آبا سابا) أي الأب الشيخ، لأنه ذو مرتبة دينية واجتماعية عالية، عند اليهود والمجتمع آنذاك. ومعنى اسمه ممكن أن يأتي من كلمة (زكايّا) في اللسان المندائي الآرامي وتعني (القديس، النزيه، المنتصر). وكان عمره ٩٩ سنة عندما ولد النبي. ولقد بارك الأب زكريا ولده النبي واعترف بنبوته. أما والدته هذا النبي فاسمها في المندائية (أينشي) أو يلفظ لفظا شائعا ب(أينشوي)، وبالعربية (اليسابات) وبالإنكليزية (اليزايث)، وكانت عمرها ٨٨ سنة، وقد ابتدأت قصة ولادته برؤية عجيبة رآها أحد كهنة اليهود في أورشليم، أختلت فيها موازين الطبيعة - كما يزعمون - إذ رأى كوكبا هبط على أنشي ثم ارتفعت نار تتوهج في باب بيت زكريا. وحصل اضطراب في الأجرام السماوية، والأرض انخرقت عن مكانها، ونيزك أنحدر نحو اليهود وآخر نحو أورشليم، وارتفعت سحب الدخان في بيت المقدس. وعندما تليت هذه الرؤية على كهنة اليهود، أوعز رئيس الكهنة (اليزار - اليعازر) بأن يستعان بتفسير تلك الرؤية بالكاهن (ليولخ) وهو كاهن ذو علم بتفسير الأحلام. فكتبوا رسالة يشرحون فيها الرؤية، وجاء تفسير الرؤية من قبله بالاتي: (سوف تلد أنشي ولدا ويدعى نبيا في أورشليم وأنه سيقوم بتعميد الناس في الماء الجاري "يردنا" ويسقيهم ماء الحياة "مبوها"، فالويل لكم يا كهنة اليهود، إذا ما ولدت أنشي مولودا، ويل لك يا معلم الصغار، وويل للتوراة، إذا ما ولد يحيى في أورشليم إن يحيى يجيء ويصبغ في يردنا وسيكون نبيا في أورشليم).

وعلى أثرها ثار كهنة اليهود على الأب الشيخ زكريا، وقال (اليزار) له (ابتعد عن أورشليم ولا تلقى الفتنة في اليهود)، ورد الأب الشيخ زكريا بصفع الكاهن اليزار على خده، قائلا له: (هل هناك من مات ثم عاش ثانية، حتى تلد أنشي مولودا؟ هل هناك من أصيب بالعمى ثم أبصر، أو كان كسيحا ثم قام، حتى تلد أنشي مولودا؟

هل الأخرس يستطيع أن يكون معلما كي تلد أنشي مولودا؟ منذ اثنتين وعشرين سنة لم أقرب من زوجتي، فأني مصير ينتظرها وينتظركم، إذا ولدت انشي مولودا؟!!!).

فاعتمل الغضب والكراهة في قلوب كهنة اليهود الكبار، وخططوا شرا للتخلص من الوليد وأمه. . وعلى أثره غضب الأب الشيخ زكريا وهم بالخروج من المعبد، فتبعه اليزار فرأى ثلاثة أسرجة ضوئية تسير معه. فسأله مستفهما عنها، فقال له زكريا: (يا اليزار يا رئيس جميع الكهنة، المشاعل التي عبرت أمامي لا أعرف من تحرس؟!!! والنار التي أنت من خلفي، لا أدري من ستلتهم؟!!! ولكن اسمعوا: أي مصير ينتظرها، وينتظركم، اذا ما ولدت أنشي مولودا؟!!!). وتذكر مصادر الأدب المندائي بأن (أنشي) العاقر شربت من الماء السماوي (يردنا ماء الحياة) بقدرة الرب العظيم وبمعجزة إلهية، وتلبية لدعائها، فحبلت بالني الموعود (يهيا يوهنا).^{٥٥} وهي لم ترابنها النبي بعد ولادته، إلا عندما صار عمره ٢٢ عاما، وجاء لها فعرفته من خلال غريزة الأمومة، وصاحت بوجه اليهود عندما أرادوا تسميته بأسماء يهودية مثل (بنيامين، شوموئيل. . الخ). . ورفضت وأبت إلا أن تسميه ب(يهيا يوهنا) ممن وهبه الحياة. وقد وهبه الله الحكمة وعلمه الكتاب في حال صباه فقد كان عمره ٢٢ سنة عندما دعي كني في أورشليم. فبعد ولادته مباشرة، وقبل أن تقع عينا والدته عليه، أخذه الملاك أنش أثرا إلى (جبل بروان الأبيض)^{٥٦} وتم تعميده بعد بلوغه سن الثلاثين يوما. واخذ ينهل الحكمة وتعاليم الرب العظيم من قبل ملائكته الأبرار إلى أن بلغ سن الثانية والعشرين، بعدها أعطي التاج والصولجان وأصبح من الناصورائين^{٥٧} العظام، وعاد بصحبة الملاك إلى مدينة أورشليم ليجهز بدعوته وإصلاحه الناس. إن الأدب المندائي المدون يتحدث عن زواج هذا النبي وتكوين عائلة كبيرة من بنين وبنات. فيذكر أنه تزوج من فتاة اسمها (أنهر) والذي يعني اسمها في اللسان الآرامي المندائي (الأحسن، الأشرق، الأضوء)، ورزق أيضا بخمسة ذكور وثلاث إناث،

وأسماءهم هي كالأتي: الذكور: هندام، بهرام (إبراهيم)، أنصاب (الثابت)، سام، شار. والإناث: شارت، رهيماتهيي (رحمة الحياة)، أنهر زيوا (أنهر الضياء).

ثالثا: ملخص نبوته:

وعرف عن هذا النبي بأنه قوي وذو تأثير كبير على محيطه، ولقد جاء في الأدب المندائي، وعلى لسان يحيى - كما يزعمون - بأن مصدر قوته كانت من خلال تسيحاته لخالفه وعبادته له، والتي صار بها كبيرا في الدنيا. فهو لم يقيم عرشا بين اليهود، ولا كانت نيته تبوء المناصب وكراسي الحكم؛ لأنه صاحب دعوة تصحيحية كان قد بدأها في فلسطين، فقد كان زاهدا في الدنيا ولم يجب أكاليل الورود، ولم تغره النساء، ولم يكن من شاربي الخمر ولا آكلي اللحوم، ولم ينس أبدا محبته وعبادته لأبيه السماوي (الحي العظيم)، ولم يترك صباغته (تعميده) ولا رسمه الطاهر، ولم ينس يوم الأحد المقدس. فلقد كانت مجمل أحاديثه وتعاليمه تدور حول حيازة نعيم ملكوت الحياة بعد الموت. فهو يذكر الغفاة والجهلة والنبلاء والذين يتدثرون بنعيم هذه الدنيا الفانية، ويقول لهم: (ماذا ستفعلون من أجل أن ترحل نفوسكم نقية من أجسادكم إلى عالم النور بعد الحساب؟).

رابعا: صفاته الخلقية والخلقية:

كان النبي المعلم يحيى حسن المظهر والوجه والصورة، وهو على أكمل أوصاف الصلاح والتقوى، وهو شديد الشبه بوالديه، فتذكر المصادر المندائية بأن فمه وعينه وأنفه تشبهان فم وعين وأنف والدته أنشي، وشفته وجبهته وطوله، تشبهان شفة وجبهة وطول والده زكريا، ويقال إن النبي عند ولادته كان يضيء البيت لنوره وحسن وجهه وجماله. فكان لباسه البياض دائما، ماسكا عصا السلام (مركنا)، وكان حكيم وحليم وذو نفاذ بصيرة وطبعه هادئ وودود ومتواضع ومتصدق وجميل

الصورة وله جاذبية قوية، وحديثه ممتع وكلامه رصين ومبني على تعاليم ربه، وكان محبا ومكرما ومجلا لأبيه وأمه وزوجته. وينقل أن النبي يحيى عندما يصلي تغرورق عيناه بالدموع من كثرة خشوعه. . ويقال أيضا إنه عندما يبدأ بالصلاة في الصباح الباكر، حتى طيور السماء تركز إلى أعشاشها وتنصت لصوته وتراتيله النورانية الخاشعة. فكان يحب ويقدم يوم الأحد، وكان يسهر ولا يغمض له جفن في ليلة السبت لاستقبال يوم الأحد ونهاره ليبدأ بالصلاة. فتلك الصورة الشخصية لهذا النبي رسمها لنا الأدب المندائي بكل وضوح. على الرغم من أن هنالك أسئلة كثيرة تدور حول حياته من مختلف الجوانب، تبقى مبهمة ويلفها الغموض لحد الآن. إن هذا النبي كان ينهمك في تعميم الجموع الغفيرة التي تطلب الرحمة والغفران من الرب وعلى يديه من خلال تعميده المشهور، فقد كان تعميده موجه لليهود وغير اليهود وبدون استثناء. ويجري ذلك كله في النهار، حيث ينصرف في الليل إلى تلقين تلاميذه ومن يبغى المعرفة الحية، تعاليمه ووصاياه وأفكاره الدينية.^{٨٨} وقد امتدت رسالته الدينية إلى ٤٢ عاماً، أي إن عمره كان ٦٤ (٢٢ ٤٢) عاماً^{٨٩}.

خامسا: معنى اسم يحيى:

(إن الاسم الآرامي المندائي لهذا النبي هو (يهيا يوهنا) أو (يهيا يهانا) - أي يحيى يوحنا (وهو اسم مركب) ويلقب أيضا باللسان المندائي الآرامي ب (يوهنا مصبانا) أي يوحنا الصابغ، لان الصباغة هي المعمودية المندائية التي كان يمارسها وذلك لتمسكه بتعميد الجموع الغفيرة التي كانت تقصده لتنال غفران الخطايا والدخول إلى ملكوت الأنوار. أما معنى الكلمتين التي تؤلفان اسمه المركب فتدوران حول معنى الحياة).^{٩٠} وقد سمي من عند الله بالنبي الصادق^{٩١}.

المطلب الثالث: معجزات يحيى عليه السلام وشريعته

يعتقد الصابئة المندائيون أنه لما أخذ يهيا يهانا بتعميد الناس في نهر الأردن مستعملاً الماء الجاري، لمغفرة الخطايا ولعاجتهم. بدأ العميان بالنظر من جديد وقام الكسيحون بالمشي والمرضى باستعادة صحتهم من جديد^{٩٢}.

ومما ينسبونه إلى يحيى عليه السلام قوله: (من قوة أحاديثي وتراثيلي، توقف الماء بالجداول والقنوات، من فيض احاديثي وتراثيلي سجدت طيور السماء والأسماك، وقالت: طوبى لك يا يحيى، وطوبى للخالق الذي سجدت له، ابتعدت نقيا ممتلئا بمعرفة الحياة. يا يحيى لم تستطع النساء أن يسقطنك في كيدهن ولم يغضبنك بكلامهن، وما استطاعت عطورهن ورياحينهن أن تنسيك ربك، يا يحيى إنك لم تعافر الخمر، ولم ترتكب فاحشة الضلالة وجعلت عرشك طاهرا في بيت الكمال).^{٩٣}

وأما شريعته المزعومة:

فأولاً: نجد أن الرسول لديهم هو من (جاء إلى الدنيا بأمر من الرب وبمهمة خاصة، لا بمعنى الرسول الذي يأتي بدين جديد) ٩٤ وجاء هذا التعليق من المترجمين على قول المستشرق دراويران: (الصابئون لا يدعون بأن دينهم أو شعائرهم التعميدية قد جاء بها يوحنا، بل إن كل ما ينسب إليه هو أنه كان ملهما عظيما وأنه كان يمارس وظيفة التعميد ككاهن وأن تغييرات دينية معينة تنسب إليه)^{٩٥}

ثانياً: هذا ما وجدته من شعائر تعبدية نسبوها إلى يحيى عليه السلام من

مصادرهم:

يعتقدون أن الصلاة كانت أولاً على آدم عليه السلام سبعة فروض إلا أن يحيى -عليه السلام - خفف عنهم الصلاة إلى ثلاث فقط: في ثلاثة أوقات وهي: صلاة الفجر وصلاة الظهر وصلاة المساء.

تقتصر فيها الصلاة على الوقوف والركوع والجلوس على الأرض من دون سجود، وهناك نصوص بعينها لكل صلاة قد تختلط بنص من صلاة أخرى بالذات صلاة الفجر^{٩٦} (الصلاة ثلاث مرات يوميا. والصلاة خشوع للخالق وطاعته، التضرع اليه بأبعاد الانسان عن الكفر، وطلب الرحمة والغفران لما قد صدر من ذلك الفرد من خطايا)^{٩٧}، ثم خفت إلى فرضين لأنها تأخذ وقتا طويلا.

والتوجه أثناء الصلاة يكون لجهة الشمال لاعتقادهم أن هناك يكون عالم الأنوار الذي تعرج إليه النفوس الصالحة في النهاية لتنعم بالخلود إلى جوار ربها.

كان بيت عبادتهم (المندا) قبل يحيى عليه السلام يبنى من البلور (ولكن حين طرد الصابئون من اورشليم كان عليهم أن يتخذوا له شكلا من أشكال البناء مما يمكن أقامته بسهولة)^{٩٨}

المطلب الرابع: وفاة يحيى عليه السلام

يعتقد الصابئة المندائيون أن يحيى عليه السلام قد رفعت روحه بفلسطين وبقي جسده على الأرض ودفن بعد ذلك في دمشق في جزء من الجامع الأموي على أيدي تلاميذه ٣٦٠ وأصبح مزارا لهم ويحددون تاريخ ذلك (توفي النبي يهيا يوهنا في فلسطين حوالي عام ٢٨ / ٣٠ للميلاد، وأن تلاميذه ٣٦٠ قاموا بدفن جسده بعد ارتقاؤه إلى عوالم النور، في دمشق سوريا وأصبحت مرجعا للمندائيين وبعد ذلك صارت كنيسة إلى أن جاء الوليد بن عبد الملك الأموي وزينها بالفسيفساء وجدد بناءها وأصبحت تعرف بالجامع الأموي. وان هنالك أماكن أخرى يدعي الناس بأنها ترجع لهذا النبي وخاصة في الأردن وفلسطين).^{٩٩}

وأما تفصيل طريقة وفاته: فإن الصابئة يسهبون في كيفية وفاة يحيى عليه السلام في قصة طويلة مكتوبة في كتابهم المقدس "كنزا ربا" وملخصها أن الملك الكلف بقبض

روحه جاءه على هيئة طفل عمره ثلاث سنوات وطلب منه تعميده لكن النور الذي شع من الملك كشف حقيقته فعرفه يحيى عليه السلام وفرح بمقدمه فقبض روحه ورفعها إلى السماء وترك جسده ملقى على الأرض وهذا هو اعتقاد الصابئة المندائيين أن الموت هو انتقال الروح إلى العالم العلوي لتجازى حسب صلاحها أو فسادها.

وأما تفصيل القصة كما يذكرونها: (بينما كان يحيى عليه السلام مشغولاً بمراسم التعميد جاءه وبوحي من الله "منداهي" وهو الملك المقرب للعرش الإلهي على هيئة طفل ابن ثلاث سنوات وبعد أن سلم عليه طلب منه أن يعمده وبعد أن رد يحيى عليه السلام نظر إلى السماء وقال للطفل: لقد تأخرنا اليوم؛ لأنه لم يبق إلا فترة وجيزة على غروب الشمس وانتهاء النهار وإنني واستناداً لتقاليد الصابئة لا أستطيع أن أعمدك ليلاً إلا أنك تستطيع أن تأتي غداً إلى هنا لكي أعمدك فودع الملك "منداهي" سيدنا يحيى وابتعد عنه وجلس في زاوية وأخذ يناجي ربه ويطلبه أن يبدل في لحظة الليل إلى نهار وأن يعمل عملاً يترأى لسيدنا يحيى أن الليل قد حل وأنه قد نام واستراح وبهذه الصراحة زال التعب منه حتى ينفذ الملك واجبه على الفور، وهو قبض روح يحيى والعروج بها إلى السماء، وقد استجاب الله لطلب الملك وفي لحظة تبدل الليل إلى نهار وأوحى إلى سيدنا يحيى أن الليل قد انتهى وأنه قد استراح، وكعادته في الأيام الأخرى نهض سيدنا يحيى من النوم باكراً وفرك عينيه ثم نهض من مكانه بعد أن ذكر اسم الله وذهب إلى النهر، فوجد إلى جانب النهر ذلك الطفل ابن الثلاث سنوات الذي رآه بالأمس وكان واقفاً إلى جانب النهر ينتظر التعميد، فسلم عليه وبدأ الوضوء وعندما انحنى سيدنا يحيى على الماء لكي يغسل وجهه ويديه ومن شدة الكبر والتعب لم يستطع أن يرفع ظهره وفي هذه الأثناء كان الطفل ابن الثلاث سنوات يشاهد المنظر فركض ليساعد سيدنا يحيى إلا أنه عندما وصل إلى جوار النهر سطع منه نور قوي انعكس على الماء وما أن وصل هذا النور إلى الماء حتى هاج الماء

وماج فجأة ورجع إلى الخلف عندها كان الطفل قد وصل إلى جوار سيدنا يحيى ليأخذ بيده ويساعده على النهوض فاختمى الماء من أمام سيدنا يحيى وظهرت اليابسة تحت قدميه، وعندما رأى سيدنا يحيى هذا الحادث اتتبه العجب وقال له: أنت من تكون لماذا هاج وماج الماء من وجودك؟ قال الطفل: أريد أن أتعمد عمدني لكي أذهب إلى بيتي. فأجابه سيدنا يحيى: كيف أعمدك وبمجيئك لم يبق ماء. فقاطع الطفل حديث سيدنا يحيى وقال في الطرف الآخر يوجد ماء كثير لنذهب إلى هناك فوافق يحيى عليه السلام إلا أنه لم يكد يصل إلى الماء حتى ظهر ذلك النور في الطفل وسطع على الماء فرجع إلى الوراثة ثانية، لم يعد يحتمل يحيى عليه السلام وأراد أن يلحف الطفل بالله الأوحى من يكون ولماذا يحدث كل هذا؟ في تلك اللحظة تعالت أصوات الأسماك قائلة: - ليكن وجودك مبارك ياملكمنداد هي، مبارك المكان الذي جئت منه، مقدس ومبارك المكان الذي تذهب إليه ثم تلتها أصوات طيور اليابسة وهي تحلق حول رأس الطفل وأخذت تكرر نفس الكلمات، وعندما سمع سيدنا يحيى أصوات الأسماك والطيور ورأى حالها أدرك أن ذلك الطفل المقدس هو "منداد هي" الملك المقرب من العرش الإلهي، وقال الطفل أيضا لسيدنا يحيى عليه السلام: عمدني أريد أن أتعمد على يديك فأجابه سيدنا يحيى: من أكون حتى أعمدك أنا الذي يجب أن أتعمد على يديك إني كلما عمدت أحدا ألفظ اسمك بعد اسم الله المبارك وأنت صاحب كل مراسم التعميد. عندما أدرك الملك أن سيدنا يحيى أدرك الأمر أفصح عن نفسه وقال: إني قد كلفت من قبل الله كي أعرج بروحك إلى السموات إذ لو لمست يدك يدي فإن روحك سوف تعرج وعندما سمع يحيى هذا الحديث فرح جدا؛ لأن مهامه على الأرض قد انتهت وأنه سوف يسلك طريق السموات ودنيا الخلود ثم خاطب الملك قائلاً: لا تحرمني من هذا الفيض العظيم وهو عروج روحي إلى السماء، إني مستعد وتائب لكي أذهب معك على عجل إلى عالم الخلود، وعندما رأى الملك إلحاح سيدنا

يحيى المتزايد وضع يده بيده وحرر روحه من سجن الجسد، وأثناء عروج روح سيدنا يحيى برفقة منداد هي إلى السماء ألقى روحه نظرة على جسدها وهو ملقى إلى جوار الماء، وهي حزينة وعندما شاهد منداد هي روح سيدنا يحيى حزينة قال لها لماذا أنت قلقة؟ على الدم واللحم والعظم التي حررتك منها؟ إذا رغبت سأعيدك لها. وأجابت روح سيدنا يحيى بتواضع: له المجد والعظمة من حررتني من سجن الجسد، وألبسني اللباس النوراني والقدسية، إنني لست مستاءة على جسدي الملقى إلى جانب النهر، إلا أنني قلقة على أسرتي، فقد بقيت من دوني. وأجاب منداد هي سيدنا يحيى قائلاً: إنني قبل أن تقولي كنت أعرف على ماذا كنت قلقة، فإنني بإذن الله أعلم ما تخفيه أسرار قلبك، إلا أنني أطمئنك أن لا تقلقي بعد اليوم فالذي ساعدك هو الذي يجرس أولادك ويحافظ عليهم وسوف يبعث في قلوبهم إيمانا قويا وثابتا، حتى يكونوا من أتباعك الصادقين، هو عون المظلومين والمحرومين والمستضعفين، وهنا يجب سيدنا يحيى: أنت عالم بأسرار قلبي، إنك بأمر من الله تعلم الخفايا وما يدور في الصدور، في كيانك لا يوجد إلا الصدق والطهارة، وهنا أخذ منداد هي من التراب والرمال الموجود إلى جانب النهر كمية وغطى فيها جسد سيدنا يحيى، ثم عرج كلاهما ملك منداد هي وروح سيدنا يحيى الطاهرة المقدسة إلى السموات، وبقي جسد سيدنا يحيى بين التراب إلى جانب النهر وكان عمر سيدنا يحيى عند عروج روحه أربعة وستين سنة^{١٠٠}

ولكن وجدت مؤلفين اثنين من الصابئة المعاصرين يذكران أقوالا في قتل يحيى عليه السلام ليس فيها تأكيد بل ذكر لموقف اليهود ضدهم يقول أحدهما: (يتذكر المندائي كيف دفع يحيى حياته ثمنا وصار رأسه منفردا على طبق من ذهب وما حدث له كان ثمن الحكمة التي يملكها كما في قوله تعالى " وآتينا الحكم صبيا" . . . يحيى بن زكريا نزيل الجامع الأموي في دمشق قبره الأخضر يعطي بهجة شتاء ترقد فيه أماسي

الثقافة. التقطت صورة قرب القبر. كانت تلك خواطر المدينة التي تسعفها نبؤات زائري المسجد الدمشقي حيث قال يحيى "لأعمد هذه الأرض بالصلوات إلى الواحد ولأرفض كل اقتران لا يطيع السماء وليكن رأسي ثمنا"^{١٠١}.

وأما الآخر فيذكر قول مستشرق يهودي عن قتل يحيى عليه السلام رابطا إياه بانتقام الله تعالى من اليهود على إيدائهم للصابئة: (إن هذا الانتقام يذكر بما أُلح إليه المؤرخ اليهودي جوزيفوس من أن الناس يعتقدون أن تدمير أورشليم وتشتيت اليهود على أيدي الرومان إثر ثورة اليهود الأولى ٦٦ م جاء انتقاما من الله على قتلهم يحيى الإنسان الطيب الورع)^{١٠٢}

كما لفت نظري أن أحد الصابئة المعاصرين وصف يحيى بالشهيد.^{١٠٣}

لذا أقف متسائلة هل يعتقد الصابئة بمقتل يحيى عليه السلام كما ثبت من كتبهم المقدسة؟ أم أنهم يخفون حقيقة مقتله ولكنها تبرز في ثنايا كتب أتباعهم المعاصرين تحت رداء بغضهم الشديد لليهود؟ الجواب الصريح عند كهنتهم الذين كتبوا كل كتبهم المقدسة وماتوا منذ القدم ومانقراه الآن هو صورة باهتة مشوهة من أفلامهم.

المطلب الخامس: كتاب يحيى عليه السلام

كتاب يحيى عليه السلام عند الصابئة مطبوع لكنني لم أتمكن من الحصول عليه من العراق - رغم حرصي على ذلك - فقامت إتماما للبحث بجمع ما وقع تحت يدي من مقتطفات وضعها الصابئة المندائيين في مواقعهم أو كتب كتبت عنهم.

سلاحظ القارئ لهذه الفقرات كما صرح الصابئة المندائيين بأنه صورة لتربية الروح وأن يحيى عليه السلام - بزعمهم - خط بعضه والباقي خطه تلاميذه اسمه تعاليم يحيى ويسمى أيضا: ("سدره يهيا" أي كتاب يحيى وإرشاداته الدينية)^{١٠٤}

عقيدتهم فيه: يعتقد الصابئة المندائيين:

أنه (أعظم رسالة جاءت بعد آدم وأولاده)^{١٠٥}.

وأنه (صورة من صور حكمة الروح وتهذيبها، وكان الكهنة المندائيون الكبار ولم يزالوا يرون فيه مرجعا بعد كتاب الكنزا ربا؛ لأن المندائية كغيرها من الديانات الشرقية ترى في الرسول لهذه الديانة المبشر والمرجع والكلمة الواصلة بين العبد وخالقه).^{١٠٦}

وأن يحيى - عليه السلام - قد قام بتجميع كتب الصابئة المتفرقة وأبقى لهم من بعده كتابه^{١٠٧}.

وأن يحيى - عليه السلام - خط بأنامله جزءا منه والباقي كتبه تلاميذه وهذا اعتراف خطير ومهم منهم يبين أن ما يسمونه كتابا مقدسا هو من وضع النبي أو من تلاميذه وليس من عند إلههم المقدس ومما يثبت ذلك (أنه مما جاء في كتاب كنزا ربه أنه كان قبل ظهور يحيى ملك يسمى "أردوان"، ولما مات تشتت الصابئة وتبعثرت كتبهم بفعل الحروب التي دارت بينهم وبين اليهود، فلما ظهر يحيى جمع ما تبقى من هذه الكتب وصنف كتابا أخرى ووزعها على أتباعه)^{١٠٨}

(يحتوي الكتاب على فقرات موضوعها: يحيى بن زكريا، ميلاده، نشأته، تربيته الدينية، تعاليمه، وإرشاداته، تعميده للمسيح، وفاته، وكيفيتها، صعوده للسماء وأيضا كتاب "حران كويثا: فيه قصة ميلاد يحيى)^{١٠٩}.

نصوص من كتاب يحيى عليه السلام:

وقفت على مجموعة من الوصايا الأخلاقية متناثرة بين كتابهم المقدس "كنزا ربا" وبين مواقعهم الخاصة بهم يزعمون نسبتها إلى يحيى عليه السلام فجمعتها في هذا

المبحث وقد حاولت الحصول على كتاب تعاليم يحيى ولم يتسن لي ذلك. ومن نصوص كتابه فقرات باسم الرأسيات لأنها تبدأ بكلمة رأس.

في كتابهم المقدس "كنزا ربا" يوجد الكتاب التاسع بهذا العنوان "تعاليم يحيى" وفيه:

باسم الحي العظيم

إنه كلام مبین بوحي من رب العالمين، مواعظ يحيى بن زكريا للناصريين،

الصادقين المؤمنين

أيها المندائي:

إذا كنت قويا فكن باهر الصدق كالملك الذي يضع التاج على رأسه ويشهر

سيفه في وجه الشر فإن لم تكن بهذه القوة فكن ناصوريا صادقا مثل فلاح مثمر

يستخرج غلا الأرض فمنها عون للكاملين ومنها قوة لباهري الصدق

إذا أصبحت ناصوريا فكل فضيلة من فضائلك سلاح يعين باهري الصدق

إنك تعينهم بالإيمان والاستقامة والمعرفة والحكمة والتعليم والرجاء والصلاة

والتسبيح والصدقة والكلمة الطيبة والتواضع والإتقان والنقاء والرأفة والحنان

والتبصر ومحبة الحق

رأس الصدق ألا تحرف الكلام

رأس الإيمان أن تؤمن بأن الله مقيم في الفضائل جميعا

رأس الاستقامة أن تدين بنفسك

رأس المعرفة ألا تتسلط عليك أهواؤك

رأس العلم ألا تلقي بنفسك في التهلكة

رأس الحكمة ألا تكون هازلا

- رأس الرجاء أن تتعلم كلام الله وتعلمه
رأس التعليم ألا تنقطع عن وصايا المعلمين الصالحين وفضائلهم
رأس ثباتك ألا تغير كلمتك
رأس الصلاة والتسبيح ألا تحب النوم
رأس الصدقة أن تطعم الجائع وتسقي العطشان
رأس حلمك ألا تكون ماردا
رأس تواضعك ألا يقع اسم ربك من فمك
رأس صلاحك أن تصلح نفسك وتتقبل نصائح الحكماء
رأس الاعتدال ألا تقول ما لا تعرف
رأس سعادتك أن يحترمك الناس
رأس الحذر أن تعلم قبل أن تتكلم
رأس مروءتك ألا تأخذ ماليس لك حتى لو اشتهيته
رأس نقائك أن تنزه نفسك
رأس فضائلك أن تنتصر على نفسك
رأس الكمال ألا تتكبر
رأس الحنان أن تحن إلى الفقراء والمضطهدين
رأس التسبيح أن تسبح البلد الذي منه أتيت
رأس التذكر ألا تنسى الموت
رأس المحبة إن تشارك أخوتك في محبة ربك
العادل قاض صادق

المؤمن فلاح مثمر

العارف بناء منظم

المتبصر رسام متيقن

الثابت جبل

من يضاعف صلواته وتسيبجه يضاعف أرباحه عند الله

المتصدق مائدة مبسوطة للجياح والمحتاجين

المتواضع ماء منتشر

النقي عين ماء صافية

الزكي مرآة صقيلة تتميز بها الوجوه

الحنان شمس للصالحين والطلحين

الرافة ريح طيبة تهب على جميع الأبواب

المتلى بمحبة الصدق كالأب الصالح يجلب الرزق لأبنائه وأغراسه

أيها الأصفياء الكاملون صونوا أنفسكم من الغش والإثم والزور والكذب والزيف

والشرور واتقوا الدجل والإفك والضلالة والفتنة والقسوة والجهالة ولا تكفروا ولا

تقربوا الزنا واجتنبوا الحسد والبغضاء والحقد والكراهة وعدم الحياء

أيها الأصفياء:

إياكم وتصعير الوجوه والسكر لاتقربوه والظلم المر تجنبوه إنها من رجس الشيطان

الغش حفرة مغطاة بالقش

الإثم رمانة عفنة

الكذاب عدو في ثياب صديق
الدجل بحر تتيه فيه السفن
الشر شجرة مرة الثمار
القسوة حصاة
الغضب نار تتقاذفها الريح
الحكيم المتكبر مرآة لم تصقل
حكمة بلا نظام فرس بلا سرج
الحكمة من دون فطنة سفينة من دون ملاح
خفض الصوت واتزان الكلمة من أوليات الحكمة
لا تخش من الحكيم حتى لو اختلفت معه
الجاهل بجهله يوصل عنقه إلى السيف
يرقص الجاهل والطوق في عنقه
الحكمة للجاهل كالمرآة للعمى
كم من جاهل صامت يوهم بأنه من الحكماء
ويل لمن يقولون ولا يعملون ولمن يعملون عكس ما يقولون ولمن يظنون عكس ما
يظهرون
هذا ما أوحى به للحكيم الأمين يحيى بن زكريا في أورشليم^{١١٠}
ولكن قرأت أيضا عبارات ليحيى عليه السلام يزعمون أنها من كتابهم "كنزه ربا" لم
أجدها فيه وهي:
(إن سر عبادتك أن لا يزول اسم الله من فمك
إن سر استقامتك أن لا تقول ما لا تعرفه

إن سر شخصيتك أن توقر الناس
إن سر سلامتك أن لا تتكبر على من هو أكبر منك
كن بعملك كالفلح الطيب الذي يغرس الأشجار الطيبة
تمثل بالجيل الكبير الذي لا ترحزه الريح
تشبه بالثمرة الطيبة المذاق التي نضجت من شجرة طاهرة
تمثل بالشجرة الجميلة ذات الروائح الزكية
كن كالجيل المغطي بالورود والرياحين والأزهار
تشبه بالنسيم العطر الذي يهب في كل مكان^{١١١}
كما قرأت هذه الوصايا المنسوبة إليه
رأس الحقيقة.. لا تفسد كلمتك، ولا تحب الفساد والكذب.
رأس إيمانك.. الأيمان بملك الأنوار المقيم والثابت في كل الفضائل.
رأس ثباتك.. أن تقاضي نفسك.
كن كالجيل التي تنو فوقه الأزهار والأشجار ذو الرائحة العطرة.
رأس علمك.. لا ترمي نفسك بالتهلكة.
رأس معرفتك.. لا تقول ما لا تعرف.
رأس طهارتك.. لا ترمي نفسك بالرجس.
رأس إيمانك.. اعطف على الأنفس العانية والمضطهدة.
تشبه بمائدة الطعام التي تقدم للجياع وهي مبتهجة.
الحكيم من لا يبني بيتا بدون سقف.^{١١٢}

(أيها المختارون لا تقربوا الملوك والسلاطين وذوي النفوذ في هذا العالم ولا تثقوا بهم وبالأسلحة والمتاريس التي يجمعونها والأسرى التي يحشدونها حشدا ولا تعتمدوا على الذهب والفضة سوف تنكسر شوكتهم وقوتهم ولن تفيدهم أموالهم الطائلة. إن الذهب والفضة والمال لا تأتي لهم بالخلاص بل سوف تزول سيطرتهم وتفني ويصدر الحكم عليهم.

أعطوا الفقراء من الناس والمضطهدين الملاحقين خبزا وماء ومأوى لا تسلموا العبيد الصالحين إلى أسيادهم الأشرار ولا الضعفاء إلى الظالمين الفجار. أيها المؤمنون الكاملون تدرعوا بأسلحة غير مصنوعة من حديد، لتكن أسلحتكم الناصورية والإيمان بالكشطا.

أيها الصادقون سلحوا أنفسكم بأمضى من الحديد: سلاح ناصورائنا: وكلمات ربكم الصادقة، وليكن سلاح الناصورائي التعميد بالماء الجاري: اجر أيها الماء الحي وامتزج مع الماء العكر ومن خلال عبير الماء الحي يؤرق العالم برمته وينمو ويزدهر^{١١٣}

(إذا امتلكت القدرة أيها الناصورائي فكن المختار الصالح الذي اختير لكل الأعمال كالمملك الذي وضع التاج على رأسه وأشعل حربا في عالم الشرور ودحر الشر ومريديه)^{١١٤}

(ملعون وموصوم بالعار كل من لا يعرف، وكل من لا يعرف، وكل من لا يعلم إن ربنا هو ملك النور العظيم، ملك السموات والأرض الواحد الأحد. ماذا ستفعلون في هذا العالم المحير المليء بالفحش والزنا والآمال الكاذبة كل من يجري خلف السحرة والمنجمين الدجالين يعذب في مستودع البرد و الزمهير أبنائي، احذروا مزاولة السحر ولا تختموا الأجساد لأن الدجالين والسحرة يلقي بهم في فراجل تغلي؛ ذلك هو جزاؤهم فلا تتخطوا الحدود.

من اتبع السحرة والمنجمين الدجالين وآمن بهم يعذب في أحواضٍ من
الزمهير

لا تزن فيثبت عليك العقاب

إلى النار يذهب الزناة

كلّ من زنى يذهب إلى بيت العار.

احذروا الكمائن التي تضعها النساء فإنها باقية

إخواني، أبعادوا أنفسكم عن شرك النساء ومكائدهن؛ فجميع الحفر زائلة إلا الحفر

التي تحتفرها النساء فإنها تظلّ فاغرة كما كانت منذ آلاف السنين

بماذا يقضي القاضي على كلّ من زنى بامرأة.

من يزن بامرأة يعذب بالنار حتى تزهق روحه

المرأة التي تفسق تلقى في فرنٍ مستعرٍ و لا تمتلئ عيناها بنور

من يزن يكن جزاؤه النار.

لكم نوجه كلامنا، كونوا كالمختارين الصالحين الذين يشهدون للحياة، فلا تعملوا
منكراً، ولا تنحدروا حيث الظلام، رددوا معي: ياإلهي لا تحرمنا من رحمتك^{١١٥}

(ياأبنائي أنا لا أستطيع أن أصف لكم مدى الجور والظلم الذي سيلحق

أحبائي في المستقبل وسيأتي اليوم الذي إذا نظر العالم إلى رجل معمم ويشد الهيمنانا في

خصره تعترهم الرهبة ويحثون الخطى خلفه ليسألونه ما ربك وما نبيك وما كتابك.

بلداء سائرون في الظلام لا يفقهون ملعونون وخزيان من لا يعرف أن ربنا هو ملك

النور الله الواحد الأحد)^{١١٦}

(لا تتزوجوا ولا تزوجوا من غير دينكم أبناءكم يصبحوا عبيدا وأنتم تكونون

وقودا للنار الحامية، نحن ديانة غير تبشيرية)^{١١٧}

(إذا أصبحت ناصورائياً، فكلّ فضيلة من فضائلك سلاحٌ يُعينُ باهري الصدق أنك تُعينهم بالإيمان والاستقامة والمعرفة والحكمة، والتعليم، والرجاء، والصلاة والتسبيح، والصدقة، والطيبة، والتواضع، والإتقان والرافة، والحنان، والتبصر، ومحبة الحق)^{١١٨}

المطلب السادس: أهم ما يعتقده الصابئة المندائيون في يحيى عليه السلام

خلاصة عقيدتهم في يحيى عليه السلام:

أنه ليس رسولا بالمعنى المفهوم لدينا بل هو مجدد لدينهم. يوم مولده أو تعميده هو المعتمد في تقويمهم المسمى التقويم اليحياوي. جعلوا من ولادته عليه السلام تاريخاً من تواريخهم الثلاثة^{١١٩} ويتفقون فيه مع النصارى^{١٢٠}.

يضعونه في مرتبة أعلى من المسيح بل يرون أن المسيح عليه السلام كان من أتباعه ثم خرج عن دينه وغيّره.

(لا يذكر يوحنا المعمدان في الدواوين الطلسمية)^{١٢١}

أنه طريق للمعرفة الخاصة "النصورية" لوصول للكشف والاتحاد مع عالم النور والخلاص من العالم الأرضي وعالم الظلام وهذا أقصى مطلب لهم وهمهم الدائم ولو عن طريق الكهانة التي يزعمون هداية الأنبياء لهم إليها.

يقول أحدهم: (في الأصول المندائية يتدفق ماء البئر ليصل إلى المدى المطلق حيث يجرر فينا طقوس الرغبة وإيصال المكشوف إلى الكاشف وتحقق النجوم ضوء مجد الكلمة والتبريك للسماء المرفوعة بلا نهاية فوق رأس كاهن المعبد أو ذلك الذي

يضرب الأرقام بحساب قوافي الشعر ليشف أن سلام البشر يبدأ برغبة الرب أو لا بأن تصلي له الرعية. إن زكريا قائم الساعة مع انبثاق فجر العام الجديد يشده هذا الدعاء فيقيم وزن عاطفة مع شوق امرأة تنتظر ولدها المهاجر أو مع قداس الصلوات المتلاثة في أجنحة الليل يقاسمها رغبة ثلاثة أبراج وثلاثة أنبياء وثلاثة فقراء: يحيى وزكريا وعيسى يسوع. قداسهم يضبط حركة العالم نحو سلام مطلق^{١٢٢}

(ان النبي يحيى بن زكريا ليس كما يعتقد الكثيرون بأنه مؤسس ديانتهم بل هو آخر أنبيائهم أو مصلحيهم و يؤكدون أنه عرج إلى السماء وليس كما هو شائع أنه يرودس قطع رأسه ووضع على طبق وقدمه إليه يروديا، ويستشهدون بالقرآن الكريم على عروجه إلى السماء وتكذيب رواية قتله «وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا». وهو نبي ورسول ومعلم بل هو أهم نبي في الديانة المندائية

ويقولون عنه إن الملائكة احتضنته وعلمته كل أسرار الكون والخليقة وظل يعمد الناس لاثنين و أربعين عاما حتى صعوده إلى السماء)^{١٢٣}.

وجوب القراءة في كتاب تعاليم يحيى" دراشا اد يهيا" ففيه التعاليم التي يجب أن يتبعها الصابئي والمؤدي به إلى الخلاص الأبدي.^{١٢٤}

يحيى عليه السلام يمثل عقيدة المخلص عند الصابئة وهي عقيدة ترتبط بالقول أن الإنسان يتألف من ثلاثة مكونات يتم بعضها بعضا: النفس وهي شرارة مقدسة هبطت من العالم العلوي واستقرت في جسد الإنسان الذي هو الركن الثاني المادي والروح وهي مجموعة الرغبات، والجسد والروح من العالم الدنيوي والنفس سجينة الجسد الإنساني المادي، وستظل سجينة مالم يبادر الله إلى إرسال من يعين هذه النفس على الخلاص من عبوديتها والصعود إلى السماء ومن هنا نشأت فكرة المخلص)^{١٢٥}

(بعد موت يحيى عليه السلام ترك بعده ثلاثمائة وسبعين تلميذا جميعهم إما كنزفرا وهي مرتبة دينية عليا أو ترميدي وهي مرتبة دينية أولية ثم حصل لهم اضطهاد من اليهود نتيجة دخول ابنة كبيرهم في دين الصابئة وفروا إلى مدينة ششتر وهي تقع في جنوب غرب إيران حاليا قريبة من مدينة الأهواز وظلوا يتقبلون بين قوة وضعف وبين وجود رجال دين أو عدمهم وبلا زواج لفترة تصل إلى عشر سنوات حتى استتب لهم الأمر وتكاثروا وبقوا في قوة بين عزلة واختلاط محدود إلى وقتنا الحالي) ١٢٦

المبحث الخامس: يحيى عليه السلام في الدين الإسلامي

المطلب الأول: ولادة يحيى عليه السلام

نقرأ في القرآن الكريم عن يحيى عليه السلام في المواضع التالية:

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُؤُا أَنَّى لَئِي هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذٰلِكَ أَلٰهٌ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيٰتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَأَذْكُرُ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحُ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٤١﴾ آل عمران:

﴿ ذَكَرُحَمَّتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَّا ۚ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۗ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۗ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۗ يَرْتَفِعُ بِرِثٍ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۗ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۗ يَنْزَكِرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ۗ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۗ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۗ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۗ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۗ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۗ يَبْحَثُ خِذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ۗ وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً ۗ وَكَانَ تَقِيًّا ۗ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ۗ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۗ ﴾ مريم: ٢-١٥

﴿ وَزَكْرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ۗ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ۗ ﴾ الأنبياء: ٨٩ - ٩٠

وقصة زكريا عليه السلام لم تأت مفصلة في القرآن فكل ما عرف عنه من خلال آيات القرآن والأحاديث الصحيحة أنه عليه السلام نبيا عظيما من أنبياء بني إسرائيل وقد كان من آخرهم فقد أخرج الحاكم في مستدركه: (حدثنا محمد بن إسحاق السلمي، أنبا أحمد بن نصر، ثنا عمرو بن حماد بن طلحة القناد، ثنا أسباط بن نصر، عن السدي، عن مرة، وأبي مالك عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وعن السدي، عن مرة، عن عبد الله، قالوا: كان آخر أنبياء بني إسرائيل زكريا بن آدن بن مسلم)^{١٢٧} وكان يعيش في بيت المقدس بدلالة رعايته وكفالتة لمريم أم عيسى عليه

السلام وكلمانعرفه عنه مع كونه نبيا أنه كان يعمل نجارا كما روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (كان زكريا نجارا) ^{١٢٨} (وفيه فضيلة لزكريا أنه كان صانعا يأكل من كسب يده) ^{١٢٩}

وأنه كان متزوجا من أخت مريم الكبرى وكانت زوجته لا تنجب.

وأما قصة يحيى مع أبيه وأمه عليهم السلام (فلقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم زكريا ويحيى - عليهما السلام - بعد سنين قليلة من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم حيث صدر بهما سورة مريم وقد نزلت قبل هجرة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه إلى الحبشة كما أوردها الله تعالى في سورتي الأنبياء والأنعام وهما مكيتان كما ذكرهما في سورة آل عمران وهي مدنية، وقد ذكرهما الله تعالى لإظهار قدرته سبحانه على كل شيء وأن نواميس الكون تجري بإرادته لا بطبائعها إذ هو رب كل شيء ومليكه وهو الذي يؤيد أوليائه ويجعل العاقبة الحسنى لهم ليثبت بذلك فؤاد رسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين. وسياق القرآن يشعر أن زكريا عليه السلام كان منشغل القلب بصلاح بني إسرائيل، وأنه كان يرى تعنتهم كشأنهم مع الأنبياء والمرسلين، وكان يخشى أن يشتد انحرافهم عن الصراط المستقيم بعد وفاته، ولم يرفي قومه من هو أهل لحمل الرسالة بعده وقد وهن عظمه) ^{١٣٠}

وخلاصة القصة: أن زكريا عليه السلام كان قد كبر في السن وامرأته عاقر في شبابها وأيضا صارت عجوزا فجمعت سببين منافيين للحمل عادة ورأى تعنت بني إسرائيل كشأنهم مع الأنبياء عليهم السلام فخشي أن يشتد انحرافهم بعد موته ثم رزقه الله تعالى كفالة مريم عليها السلام وهي أخت زوجته ورأى كرامات الله لها وهي في معتكفها في بيت المقدس فألح على الله تعالى في الدعاء - كعادته - مع يقينه بإجابة الله الكريم له أن يزرقه الله وليا طيبا رضيا يرث النبوة والحكم من بعده ليحفظ

قومه من الانحراف (واجعل يارب الولي الذي تهبه لي مرضيا ترضاه أنت ويرضاه عبادك دينا وخلقاً وخلقاً)^{٣١}، فاستجاب الله له وأخبرته الملائكة بصفات ابنه النبي القادم بل وباسمه أيضا حيث سماه الله تعالى قبل ولادته وأخبره تعالى ببينة يعرف بها أن الولد قريب الحصول فأخبره تعالى أنه سيعجز عن النطق ثلاثة أيام مع أنه صحيح سوي ومنح الله تعالى يحيى بصفات عظيمة وآتاه الحكم صبيا كما سيرد تفصيله لاحقا.

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله (إن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يقص على الناس خبر زكريا عليه السلام وما كان من أمره حين وهبه الله ولدا على الكبر وكانت امرأته عاقرا في حال شيبته وقد أسنت أيضا حتى لا يئس أحد من فضل الله ورحمته ولا يقنط)^{٣٢} وسأفصل البشارة بولادة يحيى عليه السلام؛ لأن الصابئة يذكرونها في معتقدتهم:

كانت ام مريم عليها السلام قد نذرت ما في بطنها ليكون في خدمة بيت المقدس وخالصا مفرغا للعبادة لكنها أنجبت بنتا وقالت ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾ آل عمران: ٣٦ في القوة والجلد والخدمة ولما يعترى المرأة من الحيض والنفاس ولا ينبغي لامرأة أن تكون مع الرجال. وقد ولدت مريم يتيمة واقترع بنو إسرائيل فيمن يكفلها فوقع الاقتراع على زكريا زوج أختها وهذا من قضاء الله لزكريا على خصومه بأنه أولاهم بها وكان هذا لسعادتها لتقتبس منه علما جما نافعا وعملا صالحا فأدخلها المحراب وهو مصلاها فكان زكريا كلما دخل عليها وجد عندها رزقا، وقيل من معانيه أنه يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فسألها من أين لك هذا فأجابته بأنه من عند الله معترفة بفضل سبحانه عليها، فلما رأى زكريا مارأى عند مريم من رزق الله الذي رزقها وفضله الذي آتاها من غير تسبب أحد من الآدميين في

ذلك لها، طمع في الولد مع كبر سنه فقد وهن العظم منه واشتعل رأسه شيبا من المرأة العاقر فرجا الله أن يرزقه منها الولد مع الحال التي بهما كما رزق مريم على تخليها من الناس مارزقها من ثمرة الصيف في الشتاء وثمره الشتاء في الصيف. وإن لم يكن مثله مما جرت بوجوده - في مثل ذلك الحين - العادات في الأرض بل المعروف في الناس غير ذلك. فدعا زكريا ربه سرا وأثنى على ربه أنه سمع الدعاء بأن يرزقه ذرية طيبة طاهرة الأخلاق طيبة الآداب؛ لتكتمل النعمة الدينية والدينية ترثه في ميراث النبوة فاستجاب الله دعاءه وخاطبته الملائكة وهو قائم يصلي في محراب عبادته ومحل خلوته بأن الله يبشره بولد سماه الله يحيى ذو صفات عظيمة مع بشارة ثانية بأنه سيكون نبيا من الصالحين فلما تحقق من البشارة أخذ يتعجب من وجود الولد منه بعد الكبر وامرأته عاقر، وكأنه وقت دعائه لم يستحضر هذا المانع لقوة الوارد في قلبه، وشدة الحرص العظيم على الولد وفي هذه الحال حين قبلت دعوته تعجب من ذلك فقال له الملك: (كذلك الله يفعل ما يشاء) فلا يعجزه شيء سبحانه وذلك هين عليه وقد خلقنا ولم نكن شيئا.

فطلب زكريا علامة يستدل بها على وجود الولد فأخبرته الملائكة بأن العلامة ستكون بأنه لا يستطيع النطق مع أن سوي صحيح بل سيستخدم أسلوب الإشارة، وهذه آية عظيمة أن لا تقدر على الكلام، وفيه مناسبة عجيبة وهي: أنه كما يمنع نفوذ الأسباب مع وجودها، فإنه يوجد بدون أسبابها ليدل ذلك أن الأسباب كلها مندرجة في قضائه وقدره، وأمر بكثرة الذكر والتسبيح والشكر فامتنع عن الكلام ثلاثة أيام وبلغه الإشارة أشار إشارة خفية سريعة قيل أوما إليهم أو أشار بيده أن يسبحوا الله بكرة وعشيا.

والوحي لم يخبرنا أن ولادة يحيى عليه السلام كانت مخالفة للعادة بين البشر بل كانت طبيعية ولو كانت ولادته معجزة لذكر الله ذلك كما ذكر الحمل به ومنع أبيه عن الكلام ثلاثة ليال من غير آفة

ولكنه لما صار صبيا علمه الله التوراة وقد كان سنه إذ ذاك صغيرا فلهذا نوه بذكره وبما أنعم به عليه وعلى والديه وآتاه الله أيضا الحكم أي الفهم والعلم والجد والعزم والإقبال على الخير والإنكباب عليه والاجتهاد فيه وهو صغير حدث لم يبلغ أسنان الرجال^{١٣٣} ولم يرد دليل صحيح على اسم أم يحيى عليه السلام.

ويخبرنا الله تعالى أنه هو من سماه باسم يحيى (ياذكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) وهذا يدل على أن الله لم يكل تسميته إلى أبيه وفي هذا منقبة عظيمة ليحيى عليه السلام، وقول من قال: إن معناه لم نجعل له سميا أي نظيرا في السمو والرفعة غير صواب لأنه ليس بأفضل من إبراهيم وموسى ونوح فالقول الأول هو الصواب^{١٣٤}

ومعنى اسم يحيى (إنما سماه الله يحيى لإحيائه إياه بالإيمان والنبوة وقيل: ؛ لأن الله أحيا به الناس بالهدى وقال مقاتل: أشق اسمه من اسم الله تعالى "حي" فسماه يحيى وقيل: لأنه أحيا به رحم أمه)^{١٣٥} وأيضا (يحيى حياة حسية فتتم به المنة، ويحيى حياة معنوية وهي حياة القلب والروح بالوحي والعلم والدين، ولم نجعل له من قبل سميا: أي لم يسم هذا الاسم قبله أحد ويحتمل أن المعنى: لم نجعل من قبل مثيلا ومساميا فيكون ذلك بشارة بكماله واتصافه بالصفات الحميدة وأنه من فاق من قبله لكن على هذا الاحتمال هذا العموم لا بد أن يكون مخصوصا بإبراهيم وموسى ونوح عليهم السلام ونحوهم ممن هو أفضل من يحيى عليه السلام قطعاً)^{١٣٦}

المطلب الثاني: صفات يحيى عليه السلام

نجد من خلال الوحي المحفوظ بحفظ الله تعالى تفصيل صفات النبي يحيى - عليه السلام - وهي:

١- لم نجعل له من قبل سميا:

أي (لم تلد مثله عاقر قط، ولم نجعل له من قبله مثلا وشبها، وقيل لم يسم باسمه أحد قبله)^{١٣٧} وبهذا قال الحافظ ابن كثير وزاد أيضا: (إنما سمي يحيى لأن الله تعالى أحياه بالإيمان)^{١٣٨}. وقد (منّ الله عليه بأن لم يكل تسميته إلى الأبوين)^{١٣٩}. (وقالوا لم يكن له مثل في أنه لم يعص ولم يههم بمعصية قط وأنه ولد بين شيخ فان وامرأة عجوز)^{١٤٠}

وقيل: (لم نجعل له من قبل مثيلا ومساميا فيكون ذلك بشارة بكماله واتصافه بالصفات الحميدة وأنه من فاق من قبله لكن على هذا الاحتمال هذا العموم لا بد أن يكون مخصوصا بإبراهيم وموسى ونوح عليهم السلام ونحوهم ممن هو أفضل من يحيى عليه السلام قطعا)^{١٤١}

وورد اعتراض على هذا المعنى وهو: (وقول من قال: إن معناه لم نجعل له سميا: أي نظيرا في السمو والرفعة غير صواب لأنه ليس بأفضل من إبراهيم وموسى ونوح والصواب لم نجعل من قبله أحدا يتسمى باسمه فهو أول من كان اسمه يحيى فالقول الأول هو الصواب)^{١٤٢}

٢- مصدقا بكلمة من الله: (يعني بعيسى بن مريم على سنته ومنهاجه وعيسى هو الكلمة من الله إذن لقد كان يحيى عليه السلام معاصرا لعيسى عليه السلام)^{١٤٣} (ويحيى أول من آمن بعيسى -عليهما السلام - وصدقه فشهد له أنه كلمة الله وكان يحيى أكبر من عيسى وكانا ابني خالة)^{١٤٤} وذكر الماوردي في تفسيره: (وفيه

قولان: أحدهما: بكتاب من الله وهذا قول أبي عبيدة وأهل البصرة والثاني: يعني المسيح وهذا قول ابن عباس وقتادة والربيع والضحاك والسدي^{١٤٥} وذكر القول الأول الإمام الشوكاني في تفسيره^{١٤٦}.

٣- سيدا: (سيدا أي شريفا في العلم والعبادة والحلم والورع والسيد أيضا: الكريم على الله والتقي والفقير والذي لا يغلبه الغضب)^{١٤٧}. (ويحصل له من الصفات الجميلة ما يكون به سيذا يرجع إليه في الأمور)^{١٤٨} (وقال الزجاج: السيد الذي يفوق أقرانه في كل شيء من الخير)^{١٤٩}

٤- حصورا: (أي ممنوعا من إتيان النساء، فليس في قلبه لهن شهوة؛ اشتغالا بخدمة ربه وطاعته)^{١٥٠} ويرى المفسر القرطبي - رحمه الله - أن الصحيح هو: (هو الذي يكف عن النساء ولا يقربهن مع القدرة وهذا أصح الأقوال لوجهين: أحدهما: أنه مدح وثناء عليه، والثناء إنما يكون من الفعل المكتسب دون الجبلة في الغالب، الثاني: أن فعولا في اللغة من صيغ الفاعلين فالمعنى أنه يحصر نفسه عن الشهوات ولعل هذا كان شرعه فأما شرعنا فالنكاح)^{١٥١} ويقول مؤلف كتاب "قصص الأنبياء القصص الحق" (وما ذكر عن يحيى بأنه كان لا قدرة له على المباشرة أخذا من قوله تعالى (وحصورا) فهو قول لا دليل عليه ولم يثبت عن الرسول ﷺ من طريق صحيح، وهو نقص في الرجولة ينزه الله أنبياءه عنه، مع أن الحصور يطلق على معان كثيرة: إذ يستعمل في الذي لا يقوى على الاقتراب من النساء، وعلى الضيق الصدر، وعلى الذي يصون نفسه من الخطايا والدنس، وهذا الأخير هو اللائق بيحيى عليه السلام)^{١٥٢} ويقول ابن كثير - رحمه الله - (والمقصود أن مدح يحيى بأنه حصور ليس لأنه لا يأتي النساء بل معناه أنه معصوم عن الفواحش والقاذورات ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء الحلال وغشيانهن وإيلادهن بل قد

يفهم وجود النسل له من دعاء زكريا "هب لي من لدنك ذرية طيبة" كأنه قال ولدا له ذرية ونيل وعقب) ^{١٥٣}

٥- نبيا من الصالحين: يعني (أنه رسول لربه إلى قومه ينبئهم عنه بأمره ونهيه وحلاله وحرامه ويبلغهم ما أرسله به إليهم) ^{١٥٤} (والصالح هو الذي يؤدي لله ما فرض عليه وإلى الناس حقوقهم). ^{١٥٥}

٦- أخذ الكتاب بقوة: من قوله تعالى: "يا يحيى خذ الكتاب بقوة - ولم يكن جبارا عصيا" يعني (كتاب الله الذي أنزله على موسى وهو التوراة وبقوة يعني بجد بأن يعمل بما أمره الله به ويجانب فيه مانهاه عنه) ^{١٥٦} وكان ذلك (لما وصل يحيى عليه السلام إلى حال يفهم فيه الخطاب أمره الله تعالى أن يأخذ الكتاب بقوة أي بجد واجتهاد وذلك بالاجتهاد في حفظ ألفاظه، وفهم معانيه، والعمل بأوامره ونواهي، هذا من تمام أخذ الكتاب بقوة فامثل أمر ربه، وأقبل على الكتاب فحفظه وفهمه) ^{١٥٧} والمراد بالكتاب (هو التوراة التي كانوا يتدارسونها بينهم ويحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار وقد كان سنه إذ ذاك صغيرا فلهذا نوه بذكره وبما أنعم عليه ووالديه) ^{١٥٨} ولكن الماوردي في تفسيره ذكر أن هناك قولان لكلمة الكتاب وهما: (صحف إبراهيم والتوراة) ^{١٥٩} (وقيل هو كتاب أنزل على يحيى والأظهر قول الجمهور إنه التوراة). ^{١٦٠} ونلاحظ في هذه الصفة أن الله ناداه باسمه يا يحيى فمشهد النداء (يدل على مكانة يحيى عند الله تعالى وبدل على استجابة الله تعالى لزكريا عليهما السلام) ^{١٦١}

٦- آتيناه الحكم صبيا: (أي أعطيناه الفهم بكتاب الله في حال صباه قبل بلوغه أسنان الرجال) ^{١٦٢} (وهو الظاهر وقيل صبيا أي شابا لم يبلغ سن الكهولة وقيل ابن سبع

- سنين أو ثلاث سنسن أو ابن سنتين والظاهر الأول)^{١٦٣} (وجعل الله فيه من الذكاء والفطنة ما لا يوجد في غيره)^{١٦٤}
- ٧- وحنانا من لدنا: (وآتيناه أيضا رحمة ورافة تيسرت بها أموره وصلحت بها أحواله واستقامت بها أفعاله)
- ٨- وزكاة: أي طهارة من الآفات والذنوب، فطهر قلبه وتزكى عقله، وذلك يتضمن زوال الأوصاف المذمومة والأخلاق الرديئة، وزيادة الأخلاق الحسنة، والأوصاف المحمودة ولهذا قال (وكان تقيا)
- ٩- تقيا: أي فاعلا للمأمور، تاركا للمحظور، ومن كان مؤمنا تقيا، كان لله وليا، وكان من أهل الجنة التي أعدت للمتقين، وحصل له من الثواب الدنيوي والأخروي مرتبه الله تعالى على التقوى)^{١٦٥}
- ١٠- وحنانا من لدنا أي (ورحمة منا به ومحبة له آتيناه الحكم صبيا والحنان: رحمة من عندنا لا يملك عطاها أحد غيرنا ومحبة من عندنا)^{١٦٦} وقيل (ما أعطيه من رحمة الناس حتى يخلصهم من الشرك والكفر)^{١٦٧} (فالحنان هو ما جبل عليه من الرحمة والشفقة والعطف)^{١٦٨}
- ١١- بارا بوالديه) كان برا بوالديه مسارعا في طاعتها ومحبتهما غير عاق بهما) (ولا مسيئا إلى أبويه، بل كان محسنا إليهما بالقول والفعل)
- ١٢- ولم يكن جبارا عصيا: أي (لم يكن مستكبرا عن طاعة ربه وطاعة والديه، ولكنه كان لله ولوالديه متواضعا متذللا يأتمر بأمره، ويتتهي عما نهاه عنه، ولا يعصي ربه ووالديه) (فجمع بين القيام بحق الله وحق خلقه، ولهذا حصلت له السلامة من الله في جميع أحواله: مبادئها وعواقبها)^{١٦٩} (وهذا وصف ليحيى عليه السلام بلين الجانب وخفض الجناح)^{١٧٠}

١١٣ - سلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا: (وسلام عليه أي أمان من الله يوم ولد من أن يناله الشيطان من السوء بما ينال به بني آدم ويوم يموت: وأمان من الله تعالى له من فتاني القبر ومن هول المطلع ويوم يبعث حيا: وأمان له من عذاب الله يوم القيامة يوم الفزع الأكبر من أن يروعه شيء أو أن يفزعه ما يفزع الخلق)^{١٧١} (وذلك يقتضي سلامته من الشيطان، والشر، والعقاب في هذه الأحوال الثلاثة وما بينها، وأنه سالم من النار والأهواء، ومن أهل دار السلام)^{١٧٢}.

(السلام عليه: إنها التحية المتعارفة فهي أشرف وأنبه من الأمان لأن الأمان متحصل له بنفي العصيان عنه وهي أقل درجاته وإنما الشرف في أن سلم الله عليه وحياه في المواطن التي الإنسان فيها في غاية الضعف والحاجة وقلة الحيلة والفقير إلى الله تعالى وعظيم الهول)^{١٧٣}

المطلب الثالث: ما جاء في السنة الصحيحة عن يحيى عليه السلام

لقد أشترك يحيى مع عيسى - عليهما السلام - في الدعوة إلى الله وفي نصح وتذكير بني إسرائيل وورد ذلك في حديث صحيح عن الحارث الأشعري أن النبي ﷺ قال: (إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بها بني إسرائيل أن يعملوا بها وإنه كاد أن يبطئ بها فقال عيسى: إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها فإما أن تأمرهم وإما أن آمرهم. فقال يحيى: أخشى إن سبقتني بها أن يُخسف بي أو أن أعذب فجمع الناس في بيت المقدس فامتلاً المسجد وتعدوا على الشرف فقال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وأمركم أن تعملوا بهن: أولهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق فقال: هذه داري وهذا

عملي فاعمل وأد إلي فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده فأياكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله أمركم بالصلاة فإذا صليتم فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت، وأمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك فكلهم يعجب أو يعجبه ريحها وإن ربح الصائم أطيب عند الله من ربح المسك، وأمركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال: أنا أفديه منكم بالقليل والكثير ففدى نفسه عنهم، وأمركم أن تذكروا الله فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله.^{١٧٤}

وأنه رآه النبي ﷺ في ليلة الإسراء في السماء الثانية كما جاء في الحديث الصحيح المتفق عليه (ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا؟ قال جبريل قيل: ومن معك؟ قال محمد قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. فلما خلصت فإذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح).^{١٧٥}

المطلب الرابع: وفاة يحيى عليه السلام

هناك تردد بين العلماء السابقين في إثبات مقتل يحيى عليه السلام ومكان قبره. لكنهم مجمعون على أنه توفي كباقي الأنبياء فضلاً عن البشر من غير روايات الصابئة المندائيين المتعددة والمتناقضة أحياناً.

فقد أورد الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في "قصص الأنبياء" رواية مطولة حول مقتله على يد ملك زمانه التي وردت في حديث رواه إسحاق بن بشر في كتابه المبتدأ حيث قال أنبأنا يعقوب الكوفي عن عمرو بن ميمون عن أبيه عن ابن عباس أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أُسريَ به رأى زكريا في السماء فسلم عليه وقال له يا أبا يحيى خبرني عن قتلِكَ كيف كان ولم قتلِكَ بنو إسرائيل قال يا محمد أُخبركَ أنَّ يحيى كان خيرَ أهلِ زمانه وكان أجملهم وأصبحهم وجهًا وكان كما قال الله تعالى { سَيِّدًا وَحَصُورًا } وكان لا يحتاجُ إلى النساءِ فهوثةُ امرأةُ ملكِ بني إسرائيلَ وكانت بغيَّةً فأرسلتُ إليه وعصمه الله وامتنع يحيى وأبى عليها فأجمعتُ على قتلِ يحيى ولهم عيدٌ يجتمعون فيه كلَّ عامٍ وكانت سنةُ الملكِ أن يوعِدَ ولا يُخلفَ ولا يكذبَ قال فخرج الملكُ إلى العيدِ فقامتِ امرأتهُ فشيعتهُ وكان بها مُعجبًا ولم تكنُ تفعله فيما مضى فلما أن شيعتهُ قال الملكُ سليني فما سألتني شيئًا إلا أعطيتُك قالت أريدُ دمَ يحيى بنِ زكريا قال لها سليني غيره قالت هو ذاك قال هو لك قال فبعثتُ جلاوزتها إلى يحيى وهو في محرابه يُصلي وأنا إلى جانبه أصلي قال فدُبحَ في طشتٍ وحُمِلَ رأسه ودمه إليها قال فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فما بلغ من صبرِكَ قال ما انفقتُ من صلاتي قال فلما حُمِلَ رأسه إليها فوضعَ بين يديها فلما أمسوا خسفَ الله بالملكِ وأهلِ بيته وحشمه فلما أصبحوا قالت بنو إسرائيلَ قد غضبَ إلهُ زكريا لزكريا فتعالوا حتَّى نغضبَ للملكِ فنقتلَ زكريا قال فخرجوا في طلبي ليقتلوني وجاءني التذيرُ فهربتُ منهم وإبليسُ أمامهم يدلُّهم عليَّ فلما تخوفتُ أن لا أعجزهم عرضتُ لي شجرةٌ فنادتني وقالت إليَّ إليَّ وانصدعتُ لي ودخلتُ فيها قال وجاء إبليسُ حتَّى أخذ طرفَ رِدائي والتأمتِ الشجرةُ وبقيَ طرفُ رِدائي خارجًا من الشجرةِ وجاءت بنو إسرائيلَ فقال إبليسُ أما رأيتموه دخل هذه الشجرةَ هذا طرفُ رِدائه دخلها بسحره فقالوا نحرِقْ هذه الشجرةَ فقال إبليسُ شقوه بالمنشار شقًا قال فشُققتُ مع الشجرةِ بالمنشارِ قال له النبيُّ صلى الله عليه وسلم هل وجدتُ له مسًا أو وجعًا قال لا إنما وجدتُ ذلكَ الشجرةَ التي جعلَ اللهُ رُوحِي فيها

ثم قال ابن كثير معقبا على الرواية: (هذا سياق غريب جدا وحديث عجيب ورفعه منكر وفيه ما ينكر على كل حال ولم يرو في شيء من أحاديث الإسراء ذكر زكريا عليه السلام إلا في هذا الحديث وإنما المحفوظ في بعض ألفاظ الصحيح في حديث الإسراء: فمررت بابني الخالة يحيى وعيسى وهما ابنا خالة فجاء على قول الجمهور كما هو ظاهر الحديث)^{١٧٦} وكذا في موسوعته "البداية والنهاية" أكد خبر مقتله وفسر الآية بأن الله تعالى سلم على يحيى عليه السلام فقال - رحمه الله - معقبا على قوله تعالى (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا): (هذه الأوقات الثلاثة أشد ماتكون على الإنسان فإنه ينتقل في كل منها من عالم إلى عالم آخر فيفقد الأول بعدما كان ألفه وعرفه ويصير إلى الآخر ولا يدري ما بين يديه ولهذا يستهل صارخا إذا خرج من بين الأحشاء وفارق لينها وضمها وينتقل إلى هذه الدار ليكابد همومها وغمها وكذلك إذا فارق هذه الدار وانتقل إلى عالم البرزخ بينها وبين دار القرار وصار بعد الدور إلى عرصة القبور تكون على الإنسان. سلم الله يحيى في كل موطن منها وانتظر نفخة الصور..... فلما كانت هذه المواضع الثلاثة أشق ماتكون على ابن آدم سلم الله على يحيى في كل موطن منها)، ولكنه في نفس الوقت قال (ثم اختلف في مقتل يحيى بن زكريا هل كان بالمسجد الأقصى أم بغيره على قولين) واختار الحافظ بن كثير أن مقتله بدمشق وليس في المسجد الأقصى وقال عن الرواية التي ذكرت ذلك عن سعيد بن المسيب بعد ذكر سلسلة سندها (عن سعيد بن المسيب قال قدم بخت نصر دمشق فإذا هو بدم يحيى بن زكريا يغلي فسأل عنه فأخبروه فقتل على دمه سبعين ألفا فسكن وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن المسيب وهو يقتضي أنه قتل بدمشق وأن قصة بخت نصر كانت بعد المسيح كما قال عطاء والحسن البصري فإله أعلم) وكذا قال عن مقتل أبيه زكريا (وقد اختلفت الرواية عن وهب بن منبه هل مات زكريا موتا أو قتل قتلا على روايتين فروى عبد المنعم بن إدريس بن سنان عن أبيه عن وهب بن

منبه أنه قال: هرب من قومه فدخل شجرة فجاءوا فوضعوا المنشار عليه فلما وصل المنشار إلى أضلاعه أن فأوحى الله إليه لئن لم يسكن أنينك لأقلبن الأرض ومن عليها فسكن أنينه حتى قطع باثنتين. وقد روي هذا في حديث مرفوع وروى إسحاق بن بشر أن الذي انصدعت له الشجرة هو أشعيا فأما زكريا فمات موتا فالله أعلم).

وخلاصة رأي ابن كثير: أنه يقول بقتل يحيى عليه السلام وأن قتله في دمشق ولكنه يتوقف في قصة قتله.

وأيد مقتله المفسر ابن عاشور في تفسيره (ويوم يموت: جيء بالفعل المضارع لاستحضار الحالة التي مات فيها ولم تذكر قصة قتله في القرآن إلا إجمالا)^{١٧٧}

وأتساءل أين ذكرت قصة مقتله إجمالا في القرآن؟ إنها لم ترد في القرآن. والله أعلم.

وقال مدلا لقوله (واتفق العلماء على أن يحيى أعطي النبوة قبل بلوغ الأربعين سنة بكثير ولعل الله لما أراد أن يكون شهيدا في مقتبل عمره باكره بالنبوة)^{١٧٨}.

ومن أيد قتله عدد من العلماء القدامى^{١٧٩} منهم: الإمام ابن حزم حيث قال عنه (وعاش إلى أن قتل)^{١٨٠}

وأيد قتله مؤلف كتاب "صحيح الأنباء المسند من أحاديث الأنبياء" حيث ذكر أثرا واحدا عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا ورجح صحته وهو: (بعث عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا في اثني عشر ألفا من الحواريين يعلمون الناس، وكان فيما ينهونهم عنه نكاح ابنة الأخ. قال: وكانت لملكهم ابنة أخ تعجبه يريد أن يتزوجها فكانت لها كل يوم حاجة يقضيها فلما بلغ ذلك أمها قالت لها: إذا دخلت على الملك فسألك عن حاجتك فقولي: حاجتي إن تذب لي يحيى بن زكريا، فلما دخلت عليه

سألها حاجتها فقالت: حاجني أن تذبح يحيى بن زكريا فقال: سليني غير هذا فقالت: ما اسألك إلا هذا. فقال: فلما أبت عليه دعا يحيى بن زكريا ودعا بطشت فذبحه فدرت قطرة من دمه على الأرض فلم تزل تغلي حتى بعث الله نجران نصر عليهم فجاءته عجوز من بني إسرائيل فدلته على ذلك الدم، فألقى الله في قلبه أن يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن، فقتل سبعين ألفا منهم من سن واحدة حتى سكن) قال المؤلف: حديث حسن أخرجه ابن أبي الدنيا في من عاش بعد الموت ومن طريقه ابن عساکر في تاريخ دمشق والحاكم في مستدرکه من طريق معاوية عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس و قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقہ الذهبي.

قلت - يعني مؤلف كتاب صحيح الأنباء - بل هو حسن على شرط البخاري فإن مسلما لم يرو للمنهال بن عمرو وفيه كلام يسير لا ينزله عن درجة الحسن وقد ثبت عن سعيد بن المسيب بإسناد صححه الإمام ابن كثير في قصص الأنبياء أنه قتل بدمشق^{١٨١}

وأيد ذلك ابن الاثير في موسوعته "الكامل في التاريخ" إلا أنه رفض القول بأن مقتله كان في زمن نبوخذ نصر فقال - رحمه الله -: (وهذا القول وما لم نذكره من الروايات من أن بختنصر هو الذي خرب بيت المقدس وقتل بني إسرائيل عند قتلهم يحيى عليه السلام باطل عند أهل السير والتاريخ، وأهل العلم بأمور الماضين وذلك أنهم أجمعون مجمعون على أن بختنصر غزا إسرائيل عند قتلهم نبيهم أشعيا في عهد أرميا بن حلقيا وبين عهد أرميا وقتل يحيى أربعمئة سنة وإحدى وستون سنة عند اليهود والنصارى ويذكرون أن ذلك في كتبهم وأسفارهم مبين، وتوافقهم المجوس في مدة غزو بختنصر لبني إسرائيل إلى موت الإسكندر..... وزعم بعض أهل العلم أن

قتل يحيى كان أيام أردشير بن بابك وقيل كان قتله قبل رفع المسيح بسنة ونصف والله أعلم^{١٨٢}

ويؤيد ما سبق: ما ذكره مؤلف كتاب: عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين: (إن الرسل مقطوع بنصرهم من الله _ سبحانه _ وعصمتهم من القتل بخلاف الأنبياء ومن تتبع تعبير القرآن رأى عجباً فإن القرآن إذا قطع بالنصر عبر بلفظ الرسل كقوله ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾^{١٨٣} ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كِمْنَاتُنَا لِعِبَادِنَا الْمرْسَلِينَ ﴾^{١٨٤} ﴿ ٣١ ﴾ وإذا جاء ذكر القتل عبر بلفظ النبيين ﴿ ويقتلون الأنبياء ﴾ وقاتلهم الأنبياء والسبب - وعند الله العلم - أن رسول الأمة الأول لا يقتل أبداً ولا بد من تمكينه ونصره في الدنيا فعلاً، ودليل ذلك قوله _ تعالى _ في سورة غافر: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾^{١٨٥}، وقوله _ جل ذكره _ في سورة إبراهيم _ عليه السلام ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾^{١٨٦} ﴿ ١٣ ﴾ وَلَنُصَبِّحَنَّكُمْ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾^{١٨٧} ﴿ ١٤ ﴾، وقوله في سورة الأنبياء ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴾^{١٨٨} ﴿ ٩ ﴾ . أما الأنبياء الذين أرسلوا برسالة تجديدية لرسالة رسول الأمة الأول فإنهم قد يقتلون كرسول بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام، وهذا ما يحمل عليه قوله _ تعالى _ ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾^{١٨٩} وإذا كان الأمر كذلك فإن من قدر الله أن تكتمل عوامل النصر والتمكين في دعوة رسول الأمة أكثر من النبي المجدد^{١٨٩}

لكن يوجد من يخالف هذا القول:

فوجد المؤرخ ابن خلدون - رحمه الله - يقول: (وكذلك اختلف في دفنه فقيل بيت المقدس وهو الصحيح وقال أبو عبيد بسنده إلى سعيد بن المسيب أن يختصر لما قدم دمشق وجد دم يحيى بن زكريا يغلي فقتل على دمه سبعين ألفا فسكن دمه ويشكل أن يحيى كان مع المسيح في عصر واحد باتفاق، وأن ذلك كان بعد يختصر بأحقاب متطاولة وفي هذا مافيه من الإسرائيليات من تأليف يعقوب بن يوسف النجار)^{١٩٠}.

وورد في كتاب "القصص القرآني": (لم يرد في القرآن الكريم ولا في الحديث الصحيح كلام عن كيفية وفاة يحيى عليه السلام فوفاته من مبهمات القرآن التي لا تتعرض لها بتفصيل أو بيان وقد فصلت الإسرائيليات كثيرا في وفاة يحيى عليه السلام وأنه مات مقتولا على يد الملك اليهودي الذي أراد الزواج من ابنة أخيه المحرم في شريعتهم وقام يحيى بالإنكار عليه وعلى ابنة أخيه فغضبا عليه وطلبت الفتاة رأس يحيى عليه السلام فأمر الملك جنوده أن يقدموا لها رأسه على طبق من ذهب فغضب الله عليهم وأوقع المذحجة بهم) ثم يقرر (ونحن نتوقف فيها، ولا نقبلها؛ لأنها لم ترد في القرآن ولا في الحديث الصحيح ونعتبر وفاته من مبهمات القرآن وليس هذا دفاعا عن اليهود أو تبرئة لهم فهم كفار مجرمون قتلة أنبياء بدون تحديد لأسماء وأعداد وكيفيات الأنبياء الذين قتلوهم، ثم ألا يتعارض القول بقتل ملك اليهود ليحيى عليه السلام مع قول الله عنه (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا)؟! فقد قرر الله تعالى أنه منح يحيى - عليه السلام - السلام في حياته وركز على تحقيقه في ثلاثة مواطن: عند ميلاده وعند وفاته وعند بعثه حيا يوم القيامة وهذا معناه أنه نال السلام والأمن والأمان من الله في هذه المواطن وأن الله عصمه فيها من الأخطار والآفات فإذا كان اليهود يريدون قتله فإن الله سيحميه منهم وهذا ما حصل مع عيسى عليه

السلام فالله قد منحه السلام في نفس المواطن الثلاثة (والسلام علي يوم ولدت ويم أموت ويوم أبعث حيا) إنا نفهم من قوله تعالى (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويم يبعث حيا) أنه مات موتا عاديا ولم يمكن الله تعالى أعدائه من قتله؛ لأن هذا يتعارض مع السلام الذي منحه الله له يوم موته^{١٩١}

ونجد المفسر ابن عاشور يذكر كلاما يبدو على ظاهره التناقض فلما أيد مقتله قال في معرض تفسيره لقوله تعالى "وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا" (وهذه الأحوال الثلاثة المذكورة هنا أحوال ابتداء أطوار: طور الورود على الدنيا وطور الارتحال عنها وطور الورود على الآخرة. وهذا كناية على أنه بمحل العناية الإلهية في هذه الأحوال)^{١٩٢} فكيف يقول بالعناية الإلهية ليحيى عليه السلام ثم يقول بمقتله واستشهاده؟!!!!

وأجدني أميل إلى الأخذ بقول من ينفي مقتله خاصة أن قصص مقتله عليها مآخذ ولم ترد بروايات صحيحة متفق عليها ومنافية لما ثبت له من السلامة من الله تعالى. والله أعلم.

ويؤيد ذلك (ليس هناك مستند صحيح يدل على أن يحيى عليه السلام مدفون في الجامع الأموي، فضلا عن القول بأن الصحابة رأوا قبره وتركوه في المسجد، كما يدعيه البعض).

قال الشيخ الألباني رحمه الله: "ونحن نقطع ببطلان قولهم، وأن أحدا من الصحابة والتابعين لم ير قبراً ظاهراً في مسجد بني أمية أو غيره، بل غاية ما جاء فيه بعض الروايات عن زيد بن أرقم بن واقد: أنهم في أثناء العمليات وجدوا مغارة فيها صندوق فيه سفظ (وعاء كامل) وفي السفظ رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام مكتوب عليه: هذا رأس يحيى عليه السلام فأمر به الوليد فرد إلى المكان وقال: اجعلوا

العمود الذي فوقه مغيرا من الأعمدة، فجعل عليه عمود مسبك بسفط الرأس. رواه أبو الحسن الربيعي في فضائل الشام (٣٣) ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه (ج ٢ ق ٩ / ١٠) وإسناده ضعيف جدا، فيه إبراهيم بن هشام الغساني كذبه أبو حاتم وأبو زرعة وقال الذهبي "متروك".

ومع هذا فإننا نقطع أنه لم يكن في المسجد صورة قبر، حتى أواخر القرن الثاني؛ لما أخرجه الربيعي وابن عساكر، عن الوليد بن مسلم أنه سئل: أين بلغك رأس يحيى بن زكريا؟ قال: بلغني أنه ثم؛ وأشار بيده إلى العمود المسفط الرابع من الركن الشرقي، فهذا يدل على أنه لم يكن هناك قبر في عهد الوليد بن مسلم، وقد توفي سنة أربع وتسعين ومائة.

وأما كون ذلك الرأس هو رأس يحيى عليه السلام فلا يمكن إثباته، ولذلك اختلف المؤرخون اختلافا كثيرا، وجمهورهم على أن رأس يحيى عليه السلام مدفون في مسجد حلب ليس في مسجد دمشق، كما حققه شيخنا في الإجازة العلامة محمد راغب الطباخ في بحث له نشره في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (ج ١ ص ٤١-٤٢) تحت عنوان "رأس يحيى ورأس زكريا" فليراجعه من شاء. ونحن لا يهمنا من الوجهة الشرعية ثبوت هذا أو ذلك، سواء عندنا أكان الرأس الكريم في هذا المسجد أو ذلك، بل لو تيقنا عدم وجوده في كل من المسجدين، فوجود صورة القبر فيهما كاف في المخالفة؛ لأن أحكام الشريعة المطهرة إنما تبنى على الظاهر لا الباطن كما هو معروف^{١٩٣}

(وأما ما ورد في حديث الإسراء من قوله -صلى الله عليه وسلم-: "... ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل: من أنت؟ قال جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا

بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما فرحبا ودعوا لي بخير ثم عرج بي إلى السماء الثالثة... الحديث، فإن هذا ليس فيه دليل على أن يحيى عليه السلام كان قد رفع؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد التقى تلك الليلة بكثير من الأنبياء، ولم يقل أحد بأنهم رفعوا كما رفع عيسى عليه السلام).^{١٩٤}

وهناك وقفة عند حادثة مقتل يحيى عليه السلام وهي:

إن الصابئة أنفسهم متحIRON في ذلك خاصة المعاصرين منهم فنجد في مؤلفاتهم إشارات نحو ذلك فيقول أحدهم مبررا انتقام الرب من اليهود وتدمير أورشليم بما جاء عند أحد مؤرخي اليهود بأنه كان بسبب قتلهم يحيى الإنسان الطيب الورع وأن قتله أدى إلى خروج المندائيين من أورشليم

ثم يذكر أن كتاب المندائيين المقدس "حران كويتا" لا يعرض هذا الأمر بهذا الوضوح؛ (لوجود انقطاعات وفجوات كثيرة لا تسمح بتكوين صورة متكاملة وإنما يفهم وبأقصى العمومية أن اضطهادا حصل للناصرانيين في أورشليم بعد مقتل يحيى)^{١٩٥}

التعقيب

سأتناول في هذا التعقيب عدة وقفات وتساؤلات

أولا: نفي نسبة كتاب يحيى المزعوم إليه من الصابئة أنفسهم:

هناك غموض حول ذلك لدى الصابئة أنفسهم فنجد اعترافا منهم بذلك وأن (السبب الرئيس في هذا الغموض هو أنه لم يكن مؤسسا لجماعة دينية معينة خاصة به، ولم يطرح فكرا خاصا، ولم يأت بدين جديد).^{١٩٦} إذن هم يعترفون بأنه لم يأت بدين جديد.

كما أن الصابئة المندائيين باعترافهم - ناهيك عن أقوال المستشرقين المعاصرين لهم والناقلين لكتبهم - أن دينهم خليط من أديان سابقة عاصروها في العراق فكيف نثق بهذا الكتاب؟

يقول أحد الصابئة المعاصرين: (كنت أجلس دائما أرسم مع الرجل المندائي تهاليل الوقت في صياغة الفلسفة التي بنى عليها المندائي الأول راؤه تلك التي ملكت أصولها السومرية وأدرجت حاجاتها في صياغة مذهبية اقتربت من الوحدانية بشيء من تحليل عاطفة الروح بمسميات كثيرة تبني طروحاتها على عناصر الطبيعة كالأفلاك والماء والرب الواحد.....) وكفكر يرتبط العقل المندائي بالجدلية الأزلية للفكر الشرقي وتشابه أساطيرهم معتقداتهم وعقائد المنطقية) ويقول في ذات المرجع (ولذلك نقرأ في طوبغرافية المدينة بكل شكلها الحضاري إشارات عديدة تلتقي مع طقوس وممارسات المندائيين منذ زمن سومر وحتى عهدنا هذا.... لقد امتزجت الأساطير بوقائع الألواح ومنها تلك التي أبقاها المندائيون الأوائل والتي كانت تأخذ من رؤى الكهنوتية السومرية بعض ملامح الحياة.....)^{١٩٧} ويضيف (إن التفكير بدأ من هنا وجدلية إلههم الوجودي لدى الكائن البشري ولدت هنا وعلى بسطة هذا الجنوب المحني بقطرات عرق الجهد الأول تكونت لدى جماعة فكرة الانتماء إلى ذاتها، أما كيف ولدت هذه الذات فإن الأمر مرهون بأحدتهم، من يكن؟ لانعرف لكنه حتما كان نبيا من الأنبياء أو قديسا من القديسين وله الفضل في صناعة المذهب الذي احتفى به الكثير كي يعلنوا انعتاقهم من شرك أو تداخل رؤى، وله الفضل أيضا في تطوير مشهد التخيل لدى الكائن الأول فكان التدوين والشعر والرسم والنحت والموسيقى، وأيضا كانت سذاجة البدء لهذه الأفعال فالأمر في تأريختهو علميته كان طفرة حضارية وانتقال من عصر إلى عصر. المندائيون واكبوا هذه الأزلية وكتبهم تعود بالأمر إلى زمن سقوط حبة القمح صدفة من كف الإنسان الأول لتصير سنبله ليؤسسوا لبدئهم كيانا

سكانيا بسيطا وأن أحدهم وليكن رئيس القبيلة ملك الخيال والتفكير إزاء الوجود ومتغيراته بعد أن خلف نزاع قابيل وهابيل مشاعر العداء الأول بين ذرية آدم، فكانت حرب القرى ثم المدن ثم السلالات منذ تلك اللحظات المشحونة بحب التملك والسيطرة ونشوء شوكة الملوكية وسط زهرة الإنسان. قرر حكيم هذه الجماعة أن يجعل النأي ملاذا وأن يبحث عن ديباجة معينة من الفكر تصلح ملاذا لروح الاستكانة التي حلت بفطرة عجيبة في جسد المندائي فكانت تعاليم يحيى عليه السلام، أما قبل يحيى عليه السلام هل كانت هناك مندائية؟ نقول: نعم فهم يقولون نحن من صلب إبراهيم. والأديان والأساطير وحتى أحلام القديسين لا تتكئ على شيء في الأرض إنها تتكئ على السماء دائما، والمندائية هي من الأحلام القديمة التي قبل أن تربط رؤاها بنبي كان لها تصور في شكل الوجود وهذا التصور كما يدعي المندائيون ليس وليد مزاج حكيم من حكمائهم ولا هو معادلة عالم من علمائهم، بل إن الأمر ارتبط بتنزيل ما وهو يرتبط بمجدلية الموروث السومري وتفكيره ثم بعد ذلك ارتقى في خيال الفكرة البابلية وظهرت الألواح المندائية بشكلها النهائي بعدما أرسى اليقين مع النبي الذي عند عيسى ويحيى بن زكريا عليهما السلام ومنذ ذلك الحين حاول الصابئة في عصور ما أن يظهروا للعالم أزلية الشيء الذي يملكونه.... إن الارتباط السماوي للمندائية يأتي من أزلية الفكرة التي ولدت بين شفطي نبي أو اسطورة^{١٩٨} مؤكدا العلاقة بين المندائية وبقية الأديان خاصة حضارة سومر التي استوطنت العراق عند مصب الأنهار مما يجعلنا نتساءل عن حقيقة كتب أنبياءهم - كما يزعمون - فهم قد استوطنوا العراق بعد مقتل يحيى عليه السلام فهل رحلتهم الطويلة التي تصفها كتبهم أبقّت كتبهم المزعومة كما هي؟ وكيف بقيت تعاليم يحيى عليه السلام مختلطة بهذه الأديان؟

إذن كتبهم المقدسة باعترافهم واعتراف المستشرقين^{١٩٩} التي يثقون في كتابتها عنهم أنها ليست إلهية بل من وضع رجال دينهم. تقول هذه المستشرقون في كتابها عنهم: (وليس للدين الصابئي مؤسس.... الكتب المندائية ليست مطبوعة وقد قام بنسخها باليد الكتاب الكهنوتيون طيلة قرون عديدة..... فحتى كتاب الكنز ربه لا يمكن اعتباره كتابا متجانسا فهو مجموعة فقرات غالبا ما تتناقض فتعود إلى مراتب مختلفة من التعاليم الصلبة.... وتتنوع الفقرات في كتابي "كزه ربا" و "دراشا يهيا" لدرجة أن الدليل على زمن فقرة ما لا يمكن أن يتخذ دليلا على زمن فقرة أخرى. . . ومهما كان زمن الفقرات المختلفة فإن النساخ قد قاموا باستمرار بحذف أو إضافة العبارات التي رأوها ضارة أو مارقة والأثر الذي تركه قراءة كتب الصابئيين المقدسة أنه قد كان حتى في الزمن الذي جمعت فيه فقرات أولية دينا مرنا كان قد بلغ مرحلة أصبحت فيها التعاليم الأولى غامضة وغير مفهومة تقريبا وقد أدخلت شروح وتعليقات على النص)^{٢٠٠}

بل اعتبرت دينهم توفيقيا أو بعبارة أصح تلفيقي لأديان شرقية متعددة تجمع البابلية والهندية والمزدكية والمانوية حيث تقول (إن السهول الغرينية العظمية ما بين النهرين تقع في الشرق الأقصى والشرق الأدنى وهي على اتصال مستمر بكليهما..... فليس هناك بقعة أكثر خصبا منها لنمو الأفكار التوفيقية)^{٢٠١}. بل حتى مثقفهم المعتمدين عندهم يقرون بتغير دينهم فيقول مترجما كتاب الليدي دراور (إن تشابه بعض شعائرتهم مع بعض شعائر المسيحية واليهودية أو المجوسية أو بعض الشعائر الإسلامية أمر طبيعي لتجاورهم وتعايشهم مع هذه الأديان فمن المحتمل أن يكونوا قد تأثروا بها)^{٢٠٢} كما أقروا تأثرهم بعقيدة صابئة حران التي أنكروها في البداية^{٢٠٣}

فكيف يثقون بتعاليم يحيى ورجال دينهم ومثقفوهم وكبار مستشرقهم يعلنونها صراحة بأنه دين تلفيقي وضعي؟ بل حتى من كتب عنهم من السابقين كالبيروني رحمه الله كما ذكرت سابقا

ثانيا: نحن نؤمن أن يحيى من أنبياء اليهود هو وأبوه -عليهما السلام- وأنه على دينهم وكذا أبوه وأمه.

ثالثا: هل جاء يحيى عليه السلام بكتاب جديد؟

من المعلوم أن يحيى عليه السلام من أنبياء بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام الذي نزلت عليه التوراة ثم آخروهم عيسى عليه السلام وهو رسول ونزل عليه الإنجيل وكان معاصرا ليحيى عليه السلام والمحفوظ عن يحيى عليه السلام ما ورد بنقل صحيح عن أمر الله تعالى له بإخبار قومه بجمس كلمات وكان متبعا للتوراة بأمر من الله (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) كما ذكر ذلك أكثر المفسرين. وذكرته سابقا.

ويرى محمد بن حزم ت ٤٥٦ - رحمه الله - أن يحيى عليه السلام لم يوح إليه^{٢٠٤} وأكد ذلك أيضا الشيخ ابن عاشور في تفسيره فقال: (والكتاب هو التوراة لا محالة "يا يحيى خذ الكتاب بقوة" إذ لم يكن ليحيى كتاب منزل عليه)^{٢٠٥}.

يقول الحافظ بن كثير - رحمه الله - لكن بعده - يقصد موسى عليه السلام - زكريا ويحيى وعيسى وكلهم كانوا متمسكين بالتوراة فلو لم تكن صحيحة معمولا بها لما اعتمدوا عليها وهم أنبياء معصومون^{٢٠٦}

ومر بنا أن هناك من قال هو كتاب أنزل على يحيى (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) وذكر هذا القول بصيغة التضعيف وعلق عليه الشيخ الشنقيطي بأن الأظهر هو

الجمهور وهو التوراة مما ينفي وجود كتاب خاص بيحيى عليه السلام وأوافق هذا القول في أن يحيى عليه السلام لم ينزل عليه كتاب فكيف يكون هناك كتابان منزلان عليه وعلى عيسى في وقت واحد؟!

كما أن من المستشرقين الباحثين في دين الصابئة من يرى انه حديث عهد فقد كتب بعد الإسلام (إن قصص الصابئة المتعلقة ب " يحيى المعدادن كزعيم لهذا الدين، جمعت في كتاب يحمل عنوان " دراشي د يحيى والتي تعني دراسات يحيى بيد أن هذا الكتاب حديث تماما وقد تم جمعه بعد الإسلام بالإضافة إلى ذلك فإن اسم يحيى بالآرامية هو يوحنا أي أن الاسم الأول كلمة معربة وهذه شهادة على حداثة هذه الدراسات)^{٢٠٧}

لكن مؤلف كتاب الديانات والعقائد يرى أنهم أهل كتاب غير معروف الآن لأن الله تعالى عدّهم مع أهل الكتاب^{٢٠٨} وهو قول فيه نظر والله أعلم

رابعا: صحة نقلهم عن أنبيائهم:

يرى ابن حزم أن نقلهم عن أنبياءهم لا يقبل ولا تقوم به حجة لقلتهم وانقطاعهم: (وهكذا يقال لمن أقر بنبوة بعض الأنبياء - عليهم السلام - من فرق الصابئين كأدريس وغيره ممن لا يوقن بصحة قولهم فيه. فقط. أخبرونا بأي شيء صحت نبوة من تدعون له النبوة؟ فليس هاهنا إلا صحة ما أتوا به من المعجزات فيقال لهم: فإن النقل إلى محمد ﷺ في معجزاته أقرب عهدا وأظهر صحة وأكثر عدد ناقلين وأدخل في الضرورة ولا فرق ولا مخلص لهم من هذا أصلا لأنه نقل ونقل إلا أن نقلنا أفشى وأظهر وأقوى انتشارا ومبدأ هذا مع ذهاب الصابئين وانقطاعهم ورجوع نقلهم لا يقوم به حجة لقلتهم)^{٢٠٩}

وأيضاً يقول اثنين من الصابئة لهما مكاتهما بينهم عن أحد كهانهم (كونه مرجعاً من مراجع الدين الصابئي الذي عدا عليه الزمن فنتسي أصوله حتى أقرب المقرين إليه)^{٢١٠}

خامساً: دور الصابئة في تحريف كتبهم:

إن الصابئة يعترفون بأن كتبهم المقدسة ليست وحيًا بل من وضع أتباع دينهم فندهم يقررون بأن: (كثيرون هم الكتاب والباحثون المندائيون الجدد والملاحظ على إنتاجهم: تمكنهم من اللغة العربية مع معرفتهم بعلوم الدين الإسلامي وشرائعه وطقوسه ويستخدمون مصطلحات إسلامية كثيرة جداً يمزجون بينها وبين المندائية فنجد عبارات كثيرة في كتابهم مشتركة مثل الحي العظيم)^{٢١١}

وأيضاً شاعر مندائي قام بترجمة كتابهم المقدس كنزر ربا إلى اللغة العربية (وقد تعمد في هذه الترجمة أن يجعل العبارات المندائية مشابهة لآيات القرآن الكريم)^{٢١٢} وبناء على ذلك لانستبعد حدوث ذلك في بقية كتبهم ومنها الكتاب المنسوب ليحيى عليه السلام فمن المستشرقين الباحثين في دين الصابئة من يرى انه حديث عهد فقد كتب بعد الإسلام (إن قصص الصابئة المتعلقة بـ "يحيى المعدادان" كزعيم لهذا الدين، جمعت في كتاب يحمل عنوان "دراشي د يحيى" والتي تعني دراسات يحيى بيد أن ها الكتاب حديث تماماً وقد تم جمعه بعد الإسلام بالإضافة إلى ذلك فإن اسم يحيى بالأرامية هو يوحنا أي أن الاسم الأول كلمة معربة وهذه شهادة على حداثة هذه الدراسات)^{٢١٣}

ونجد من الصابئة المعاصرين من يسمي كتبهم الدينية "الأدب المندائي" ويؤكد أن رجال دينهم لم يحصلوا على كل كتبهم المقدسة فكيف نقبل منهم الإدعاء بوجود كتاب مقدس ليحيى عليه السلام وأنه خاص بهم فقال أحد هؤلاء: (يتميز الأدب

المندائي بتنوعه وكثرة نصوصه حتى يصعب على رجال الدين المندائيين ذاتهم ناهيك عن عامة المندائيين أن يحصوا هذا الأدب ومن الشكوك فيه ان يكون رجال الدين في الماضي والحاضر قد تملكوا كل ما هو مدون في هذا الأدب. إن سعة هذا الأدب وتنوعه يوحيان بأنه ربما لم يوضع كله للأغراض الدينية)

بل يبرر للكهننة تغيير دينهم مجارة لواقع الشباب المندائي الذي انصرف عن الدين بقوله: (وقد دفع ببعضهم إلى التفكير بتكييف طقوسهم ومفاهيمهم الدينية لتساير الحياة العصرية الراهنة)^{٢١٤}، أيضا أحد معاصريهم من العراقيين يقرر أن ما يعتقدونه ليس ديناً منزلاً وإنما هو مذهب غنوصي روحي جمع من أديان متعددة^{٢١٥}

وهذا يعني أن ما يدعونه من اعتقادات وأنبياء وكتب مقدسة قد دخلها الكثير

من التغيير

سادسا: هل للصابئة أنبياء كما يزعمون:

نقرأ للإمام ابن قيم الجوزية تفصيل لذلك فيقول - رحمه الله -: (وأكثر هذه الأمة فلاسفة والفلاسفة يأخذون من كل دين بزعمهم محاسن ما دلت عليه العقول وعقلاؤهم يوجبون اتباع الأنبياء وشرائعهم وبعضهم لا يوجب ذلك ولا يجرمه وسفهاؤهم وسفلتهم يمنعون ذلك كما سيأتي ذكر تلاعب الشيطان بهم بعد هذا؛ ولهذا لم يكن هؤلاء الفلاسفة ولا الصابئة من الأمم المستقلة التي لها كتاب ونبي وإن كانوا من أهل دعوة الرسل فما من أمة إلا وقد أقام الله سبحانه عليها حجته وقطع عنها حجتها لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وتكون حجته عليهم. والمقصود: أن الصابئة فرق فصابتة حنفاء وصابئة مشركون وصابئة فلاسفة وصابئة يأخذون بمحاسن ما عليه أهل الملل والنحل من غير تقييد بجملة ولا لئحة ثم منهم من

يقر بالنبوات جملة ويتوقف في التفصيل ومنهم من يقر بها جملة وتفصيلا ومنهم من ينكرها جملة وتفصيلا^{٢١٦}

ومما يؤكد أن صابئة اليوم ليسوا هم صابئة القرآن ولا حقيقة لعلاقتهم بيحيى عليه السلام ما أكده البيروني عنهم: (وأما الصابئون فقد قدمنا أن هذا الاسم يقع على من هم بالحقيقة أصحاب هذا الاسم وهم المتخلفون من أسرى بابل الذين نقلهم بختنصر من بيت المقدس إلى بابل، ولم يكونوا من دينهم بمكان معتمد فسمعوا أقاويل الجوس وصبوا إلى بعضها فامتزجت مذاهبهم من المجوسية واليهودية. . . . ويوجد أكثر هذه الطائفة بسواد العراق وهم غير متفقين على حال واحدة كأنهم لايسندونها إلى ركن ثابت في الدين من وحي أو إلهام أو ما يشبههما)^{٢١٧} والبيروني توفي عام ٤٤٠ هـ فهو قديم جدا وهو شاهد على تحريف دينهم وعدم استناده على وحي صحيح

بل أثبت من كتب عنهم أخذهم عن كثير من الحضارات والأديان كالبابلية والسومرية والزرادشتية وغيرها.

ويلاحظ القارئ للكتب المكتوبة عنهم من أبناء هذه الطائفة أنهم يطلقون على كتبهم المقدسة عبارة "الأدب المندائي" ويشككون فيها^{٢١٨} ويوقنون بتحريفها: (إن المندائيين لا يقدمون عرضا واحدا متجانسا للميثولوجيا^{٢١٩} التي يعتقدون بها وإنما هم يقدمون عروضاً عديدة قد تتباين فيما بينها إلى حد التعارض أحيانا، وعلى الباحث أن يتوقع اختلافا في الأسماء والأدوار وسير الأحداث حتى لتصل إلى حد التناقض أحيانا ليس بين كتاب وآخر فحسب وإنما في المؤلف الواحد ذاته، ونحن نرجع هذا أولا إلى تأثير الرواية الشفوية الطويلة، وإلى أن الأدب المندائي في صورته التي وصلتنا لم يوضع ويدون مرة واحدة، وإنما كانت تضاف إليه مع الأيام مزيدا من التراتيل

والرسائل والأدعية. إن كثيرا من النصوص التي نقرأها اليوم وضعها في صورة تراويل شعرية بعض رجالهم في أزمان مختلفة عكسوا فيها فهمهم وتصوراتهم الخاصة)^{٢٢٠}

ويقول أيضا هذا المؤلف الصابئي المعاصر مؤكدا وجود أكثر من مؤلف لكتبهم المقدسة: (وفي كتاب دراشه يهيا يرد في فصل الصياد وقصة الأنفس من الرموز والمصطلحات ما يدل على أن المؤلف أو المؤلفين ابن بيئة الصيادين في الاحواز)^{٢٢١}

الخلاصة:

بعد قراءة طويلة لمصادر ومراجع الصابئة: وجدت اجماعا حتى من الصابئة أنفسهم في قضية السرية والغموض والغنوصية والباطنية والعزلة والستر لمعتقداتهم الحقيقية عامة ولكتبهم الدينية خاصة، وهذا يقود كل قارئ ليصل للنتيجة والمحصلة النهائية: أن ما يعلمه المشاهد عيانا غير مطابق لحقيقة دينهم الأصلي، وان كتبهم المقدسة المزعومة أيضا مشكوك فيها ومشكوك في محتواها فهي قد لا تمثل إلا نورا يسيرا منها لحرصهم على باطنية دينهم بزعم المحافظة عليه من تدخل الغرباء، وفيما يخص بحثي: أتساءل: هل تعاليم يحيى عليه السلام وقصته المنشورة في الكتب المطبوعة هي كل عقيدة الصابئة فيه؟ أشك في ذلك فلديهم الكثير الذي لم نطلع عليه ونحن لسنا مسئولين عن ذلك فهذا دينهم ولهم طريقتهم الخاصة في حفظه ولكن فقط أردت وضع ضوء عظيم أمام كل من يبحث عنهم أنكم لن تصلوا لحقيقتهم وأن وصلتم لشيء فهو في الحقيقة قد يكون لاشيء بجانب المخفي عنهم فهم (طائفة لا تندمج في أي مجتمع)^{٢٢٢} (وهكذا تباينت الآراء وتناقضت في ماهية الدين الصابئي وهي - جميعا - آراء يعوزها التحقيق العلمي الدقيق؛ ذلك لأن صعوبات كثيرة تعترض سبيل البحث في هذا الموضوع، لعل من أبرزها أن رجال الدين الصابئي يتكتمون على معتقدات دينهم حتى على معتنقي هذا الدين أنفسهم، ولا يقرون علنيها بأي حال

من الأحوال وإن المثقفين من أبناء الطائفة يتهبون البحث في أمور الدين لعدم إحاطتهم بها من جهة، ولعدم معرفتهم الكافية باللغة التي دوت بها كتبهم الدينية من جهة أخرى فضلا عن أن الصابئين عموما يصطنعون التقية ويؤثون العزلة والانزواء عن غيرهم من أهل الأديان الأخرى المجاورين لهم فلا يخالطونهم ولا يؤاكلونهم ما استطاعوا)^{٢٢٣}

وينقل نيقولا سيوفي الذي اعتمد في كتابه على رواية صابئي ارتد عن دينه إلى النصرانية وكان - كما زعم الصابئي - يهياً ليكون كاهنا خليفة لأبيه فقال عن تاريخ قومه أنهم في فترة تاريخية بعد موت النبي يحيى عليه السلام ونتيجة لحروب وقعت عليهم ظلوا بلا رجال دين فاختروا من بينهم بعض الأشخاص الأفاضل من بينهم ليقوموا بدور الكهنة دون أن يكونوا بالضرورة قد حصلوا تعليماً دينياً، وأنهم وقعوا في أخطاء كبيرة بسبب جهلهم بالدين؛ لذا أرسل إليهم في ذلك الوقت رجل فاضل ثم حدث معركة جديدة مات فيها وظل الصابئة لفترات طويلة بلا كهنة يعلمونهم دينهم الحق إلى وقت قريب تقريبا ١٨٧٥ ظهر شيخان يقومان بتعليمهم دينهم)^{٢٢٤}

وقرأنا إقرار سدننتهم وأتباعهم أنهم لا يملكون مصادر موثقة ومقبولة تثبت دينهم من ناحية تاريخه وتاريخه أحد أنبياءهم المقدسين وهو يحيى عليه السلام.

بينما نحن في ديننا نعتمد على وحي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه، ومن خلاله نقف على قصص الأنبياء بما يغنيننا وعلمنا أن الغيب كله بيد الله تعالى فلا نطلبه من غير مظانه؛ لأننا نؤمن بأن ما وصلنا من الوحي يكفيننا وأنه حق لا مرية فيه فنعظم كل أنبياء الله ورسله. عليهم السلام.

الخاتمة

الحمد لله الذي يسر لي إتمام البحث الذي تناول نبي الله يحيى بن زكريا عليهما السلام من خلال معتقد الصابئة المندائيين بالقراءة في كتبهم ومواقعهم الخاصة، ثم من كتب عنهم والتعقيب على ذلك ببيان عقيدة المسلمين في يحيى عليه السلام والتعليق على ما سبق بفقرات تجلي ما يعتقدونه

وأهم النتائج:

- ١- أن كلمة الصابئة في اصطلاح أتباعها تعني العارفين والموحدين ولكن علماء المسلمين اختلفوا حولهم اختلافا كبيرا في معنى اسمهم وفي صحة نسبتهم إلى إبراهيم عليه السلام
- ٢- الصابئة المندائيون هم المعاصرون حاليا وهم لا يريدون لهم إلا هذا الاسم المركب
- ٣- الصابئة المندائيون يعتبرون النبوة مرحلة عرفانية غنوصية وهي مشرعة الأبواب من ناحية التشريع المتجدد لكهنتهم الذين يضيفون لدينهم ما شاءوا أيضا
- ٤- يعتقدون أن النبي هو مصلح لهم.
- ٥- يعترفون بان كتبهم المقدسة لديهم ليست وحيا لأنبيائهم وأن كهنتهم أضافوا إليها.
- ٦- يطلق بعض الصابئة على كتبهم المقدسة الأدب المندائي.
- ٧- يعتقدون أن يحيى عليه السلام آخر أنبياءهم - إن صح تعبير النبي-وله كتابه الخاص وشريعته.
- ٨- الصابئة المندائيون يخالفون المعتقد الإسلامي في الحمل بيحيى عليه السلام وولادته ووفاته.

أهم التوصيات:

- ١- نشر الأبحاث العلمية المحققة حول معتقد الصابئة؛ لأنهم يعيشون في دولة عربية هي العراق.
 - ٢- الصابئة دين لا ينشره أتباعه ولا يرحبون بدخول أحد فيه لذا فمعرفة حقيقة معتقدتهم ستكون للعلم به ولنشر التوحيد الحق بينهم بدلا من تركهم للتصير.
 - ٣- توفير المراجع للباحثين في هذا الدين. فقد عانيت كثيرا في سبيل الوصول إلى مراجع ومواقع عنهم.
 - ٤- إنشاء قواعد معلومات خاصة بالأديان في الجامعات خاصة الأديان التي لا ترحب بدخول أحد فيها.
 - ٥- انتشار الصابئة حاليا في الدول الأوروبية يوجب الاهتمام بدعوتهم للإسلام. خاصة بين الجيل الجديد منهم.
- وختاما أسأل الله تعالى أن يتقبل مني هذه الصفحات الافتتاحية لبحث أرجو الله أن يسخر له من يوفيه حقه في رسائل علمية قوية. اللهم آمين.

الهوامش والتعليقات:

١/ سورة البقرة. ٢٨٥

٢/ عدد الصابئة المندائيين اليوم) يقارب ٦٠٠ الف نسمة وعددهم في العراق ٦٠ الف مندائي لكنهم بسب الهجرة لم يتبق منهم سوى ٦ إلى ٧ آلاف. انظر: / صباح الخفاجي. الصابئة المندائيون أقلية تحشى الإنقراض في العراق. موقع all4syria. info. كلنا شركاء في الوطن

٣/ نعيم بدوي. مقدمة كتاب د. رشدي عليان. الصابئون حرانيون ومندائيون. ص/ ١٣. بغداد.

٤ / يذكر الصابئة المعاصرون عن وضعهم المعاصر أنه مخالف لما كانوا عليه في السابق من عزلة وانغلاق عمن يعاشونهم فيقول أحدهم: (الصابئة في أيامنا هذه أكثر انفتاحا على المجتمعات الأخرى، فقد قام مثقفوهم بإحداث ثورة ثقافية متحدين بعملهم هذا ظروف الانغلاق التي سادت المجتمع المندائي ولقرون عديدة، فأصدروا العديد من الكتب والمجلات، وعربوا الكتب الدينية وعقدوا الندوات والمحاضرات، وشاركوا في العديد من المؤتمرات والتجمعات في المحافل الدينية العالمية. أما بالنسبة إلى أماكن تواجدهم فلم تعد حصرا في العراق وإيران، ولو أن الأغلبية لا يزالون في بغداد، فقد أوجدت الظروف القاسية في هذه البلدان مناخا خصبا لهجرة العديد من أفراد الطائفة إلى بلدان المهجر، فتجدهم الآن في كندا وأمريكا والسويد وهولندا وبريطانيا وأستراليا ودول أخرى) انظر: . الصابئة المندائيين أقدم الديانات السماوية على وجه الأرض • بقلم صباح السعدي • موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر • www.mandaeanunion.org

٥ / ورغم ظهور مؤلفات علمية عنهم من كتاب عرب إلا أنهم لا يشكرون لهم صنيعهم مع إقرارهم بعجزهم هم أنفسهم عن تقديم أبحاث علمية عن طائفتهم لقلّة مصادرهم وجهلهم بلغتهم الأصلية التي دونت بها كتبهم المقدسة - كما يزعمون - ويؤكدون أن ما كتبه عن طائفتهم لا يقطع بعلميته فنقرأ معاصريهم وهو يعمل مهندسا: "ظهرت كتب ودراسات عن المندائية باللغة العربية، ولكن أغلب تلك الكتابات كانت تفتقر للأسلوب العلمي الجاد. ولا يمكن الركون إلى أغلبها..... ثم يقول: بعد هذه المقدمة السريعة والمختصرة جدا أحاول وأنا مهندس مندائي في العقد السادس من العمر أن أنقل لكم بصورة فكرة مبسطة عن المندائية

وسوف لن أقطع بعلمية ما سأسرده لكم. ولكن هذا ما وصلنا من المعرفة عن طريق الإيمان والممارسة الشخصية وما توارثناه عن أهلنا وما أطلعنا عليه في معظم ما نشر عنهم. (الصابئة المندائيون / عبد الإله السباهي موقع: معكم. <http://maakom.com> / وموقع اتحاد الجمعيات المندائية. www.mandaeenunion.org)

٦ / وهذه الصعوبة شكا منها حتى الأقدمون فافراً ما كتبه عنهم الإمام ابن قيم الجوزية: (وقد اختلف الناس فيهم اختلافاً كثيراً وأشكل أمرهم على الأئمة لعدم الإحاطة بمذهبهم ودينهم) انظر: أحكام أهل الذمة. القسم الأول. ص / ٩٢. تحقيق: د. صبحي الصالح. دمشق. مطبعة جامعة دمشق. الطبعة الأولى. ١٣٨١ - ١٩٦١. وقال عنهم المستشرق زويمر في مقالة عنهم: (ولا يعلم إلى الآن أصلهم بالتحقيق) انظر مقالة: الصابئة والصابئون. مجلة المقتطف. الجزء الثاني م ص / ٨٦. السنة الثالثة والعشرون. ١٨٩٩ - ١٣١٦ ويقول د. جواد علي: (ويظهر أن معارف أهل الأخبار عنهم نزره فليس لديهم شيء مهم مفيد يفيدنا من عقائد أولئك الصابئة وآرائهم) انظر: الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. ج / ٦. ص / ٧٠١. بيروت. دار العلم للملايين، بغداد. مكتبة النهضة. الطبعة الأولى. ١٩٧٠. ويقول أحد الصابئة المعاصرين: (البحث في نشأة المعتقدات الدينية للصابئة المندائيين وتطورها وتاريخ هذه المجموعة وتفاعلها مع البيئات التاريخية التي وجدت فيها أمر في غاية الصعوبة والتعقيد وليس أمام الباحث فرصة القطع في أي منها دون أن يغامر بموضوعيته. إن الغموض الذي يلف هذه الطائفة ومعتقداتها لا يدع مجالاً للباحث في التقيد بطريقة واحدة يختارها للمعالجة فهو ما إن يشرع في تناول الأمر استناداً إلى المعطيات التاريخية - وهي بحد ذاتها نزر يسير جداً وتنطوي على تعقيدات وإشكالات كثيرة - حتى يجد نفسه بعد لأي أمام أبواب موصدة. فيضطر للعودة من أجل تناول الموضوع من زاوية أخرى أملاً في دفع التقصي خطوة أخرى نحو الأمام لقد لعبت عوامل عديدة في هذا التشويش والتعقيد منها ما تسببوا هم في إيجاده) انظر: عزيز سباهي. أصول الصابئة المندائية. معتقداتهم المندائية. ص / ١٧. دمشق. دار مدى. الطبعة الرابعة. ٢٠٠٨ ولكني أحمد الله على فضله علي بتوفر مجموعة لا بأس بها من المصادر التي تتكلم عنهم إلا أنها رغم ذلك تظل أسيرة باطنيتهم.

- ٧/ جمال الدين محمد بن منظور. لسان العرب. ج/١. ص/ ١٠٨. بيروت. دار صادر.
- ٨/ د. جواد علي. المرجع السابق. ص/٧٠٤.
- ٩/ محمد عبدالكريم الشهرستاني. الملل والنحل. ج/ ٢ ص/ ٣٠٧. تحقيق: عبدالأمير المهنا، علي فاعور. بيروت دار المعرفة. الطبعة الأولى. ١٤١٠ - ١٩٩٠
- ١٠/ د. جواد علي. المرجع السابق. ص/ ٧٠٣ - ٧٠٤.
- ١١/ جمال الدين بن منظور. المرجع السابق ص/ ٥١٥
- ١٢/ موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر www.mandaeenunion.org. وانظر: * عزيز سباهي * المرجع السابق. ص/ ٣٢
- ١٣/ انظر: ناجية مراني. مفاهيم صابئية مندائية. ص/ ٥٢ - ٥٤. بغداد. الطبعة الثانية. ١٩٨١، وانظر: ابن منظور المرجع السابق. ج/ ٦. ص/ ٤٣٧ - ٤٣٨.
- ١٤/ انظر. د. عبدالعزيز المرشدي. الصابئون بين الماضي والحاضر. ص/ ٣٠ - ٣١ القاهرة. ١٩٩٦
- ١٥/ غضبان الرومي. سيرتي الذاتية. موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر www.mandaeenunion.org
- ١٦/ انظر: د. عقيد خالد، د. يحيى أحمد الصابئة المندائيون وعقائدهم. ص/ ١٥. بيروت. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى. ١٤٢٨ - ٢٠٠٧
- ١٧/ الصابئة المندائية هي طائفة الصابئة الوحيدة الباقية اليوم
- ١٨/ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. ج/ ٢. ص/ ٧٢٤. الرياض. الندوة العالمية للشباب الإسلامي. الطبعة الثالثة. ١٤١٨
- ١٩/ محمد بن صالح العثيمين. تفسير القرآن العظيم. تفسير الفاتحة وسورة البقرة. م/ ١. ص. ٢٢٢. الرياض. دار ابن الجوزي. الطبعة الأولى. ١٤٢٣. وانظر في تفاصيل الاختلاف فيهم. د. رشدي عليان. الصابئون. حرانيون ومندائيون. ص/ ١٦ - ١٧. بغداد.
- ٢٠/ د. غازي الأميري. الصابئة المندائيون. . مصير مجهول يلفه الضياع والتشرد والتشردم والاندثار GMT 10: 30: 00 2007 الجمعة ٣٠ مارس. موقع مندائية نت. www.mandaeenunion.org.

com. والكاتب صابئي عراقي قدم ورقته هذه في مؤتمر زيورخ الأول الخاص بأقليات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا والمرأة

٢١/ ناجية المراني. المرجع السابق. ص/ ٥١.

٢٢/ سليم برنجي * الصابئة المندائيون دراسة في تاريخ ومعتقدات القوم المسيون. ص / ٥-٦ مقدمة محمد محيط طباطبائي بعنوان نظرة على الكتاب * بيروت. دار الكنوز. الطبعة الأولى. ١٩٩٧. ولكن المؤلف وهو صابئي يعيش في إيران لا يقبل هذا الاختيار ويقول معقبا عليه: لقد انفرد السيد محمد طباطبائي دون غيره من الباحثين بإطلاق هذا الاسم الجديد للصابئة في حين أن كثيرا من المستشرقين وعلماء اللغة يرون أن كلمة مندائي صفة قد اشتقت من لفظ مندا وتعني العلم أو المعرفة ولا علاقة للكلمة باسم ماداي الذي هو اسم دولة ماد الآرية.

٢٣/ علي أبو عراق. . مقالة: شح عليهم النهر في بلد كله نهر. موقع. اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر. وتسميتهم بالمغتسلة ورد أيضا في كتابات المستشرقين مثل جيو وايد نغرين في كتابه " الزندقة. ماني والمناوية وأطلق عليهم أيضا اسم " المندعية" انظر ص/ ٤١-٤٢. ترجمة: أ. د. سهيل زكار. دمشق. دار التكوين. ٢٠٠٥

٢٤/ مجلة آفاق مندائية. العدد ٢٧ السنة الثامنة. ٢٠٠٣. أنت تسأل وهيئة التحرير تجيب.

٢٥/ سورة البقرة / ٦٢، المائدة / ٦٩، الحج / ١٧.

٢٦/ محمد بن جرير الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ج/ ٢. ص/ ٣٥-٣٧. تحقيق: د. عبدالله التركي. الجيزة. دار هجر. الطبعة الأولى. ١٤٢٢- ٢٠٠١.

٢٧/ ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. ج/ ١. ص ١٤٦ وانظر من ص ١٤٨- ٤٩. تحقيق: عبد العزيز غنيم، محمد عاشور، محمد البنا. القاهرة. دار الشعب

٢٨/ العلامة: عباس السكسكي الحنبلي. البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان. ص / ٩٣. تحقيق: د. بسام العموش. الأردن. مكتبة المنار. الطبعة الثانية. ١٤١٧- ١٩٩٦.

٢٩/ الماوردي. تفسير النكت والعيون م/ ١ ص/ ١٣٢ راجعه وعلق عليه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. بيروت. دار الكتب العلمية

- وتابعه العز بن عبد السلام. تفسير القرآن. تحقيق: د. عبدالله الوهبي. الطبعة الأولى. ١٤١٦-
١٩٩٦ م / ١ ص / ١٣٠-١٣١.
- ٣٠ / الزمخشري. تفسير الكشاف. ج / ١ ص / ٢٨٥. بيروت. دار المعرفة.
- ٣١ / علي سيف الدين الأمدي. أبحاث الأفكار في أصول الدين. ج / ١ ص / ٦٩٠. تحقيق: أحمد
المزيدي. بيروت. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى. ٢٠٠٢-١٤٢٤
- ٣٢ / فخر الدين الرازي. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين. ص / ١٢٥-١٢٦. ضبط وتعليق:
محمد المعتصم بالله البغدادي. بيروت. دار الكتاب العربي. الطبعة الأولى. ١٤٠٧-١٩٨٦
- ٣٣ / علي ابن حزم الظاهري. الفصل في الملل والأهواء والنحل ج / ١ ص / ٨٨-٨٩ / تحقيق:
د. محمد نصر، د. عبدالرحمن عميرة. جدة. عكاظ للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى. ١٤٠٢ -
١٩٨٢.
- ٣٤ / الإمام ابن قيم الجوزية. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان. ج / ٢ ص / ١٤٦-١٥٢.
بيروت. دار المعرفة.
- ٣٥ / شيخ الإسلام ابن تيمية. بيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية. ص / ٣٧٣. تصحيح
وتعليق: محمد عبد الرحمن قاسم. مكة. مطبعة الحكومة. الطبعة الأولى. ١٣٩١
- ٣٦ / هذا الإسناد رواه ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه وقد وصف ابن تيمية وهب بن منبه
الصنعاني التابعي _ رحمهم الله جميعا - بأنه من أعلم الناس بأخبار الأمم المتقدمة. انظر الرد
على المنطقيين. ج / ٢ ص / ١٨٣. تحقيق: د. رفيق العجم. بيروت. دار المصدر اللبناني.
الطبعة الأولى. ١٩٩٣.
- ٣٧ / انظر: شيخ الإسلام ابن تيمية. المرجع السابق. ص / ١٨٢ - ١٨٤. بتصرف. وانظر هذه
الأقوال المختلفة في كتب التفسير التالية: ، ، عبد الرحمن بن الجوزي. تفسير زاد المسير في علم
التفسير. ج / ١ ص / ٩٢. بيروت. المكتب الإسلامي. الطبعة الخامسة. ١٤٠٧ - ١٩٨٧،
محمد القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. ج / ٢ ص / ١٦١. تحقيق: د. عبدالله التركي ، محمد
رضوان عرقسوسي. بيروت. دار الرسالة. الطبعة الأولى. ١٤٢٧ - ٢٠٠٦ ، محمد الشوكاني.

- فتح القدير الجامع بين دفتي الرواية والدراية من علم التفسير. ج/ ١. ص / ١٤٨. علق عليه ووثق نصوصه: سعيد اللحام. مكة. المكتبة التجارية. ١٤١٣.
- ٣٨ / سيد قطب. في ظلال القرآن. ج/ ١. ص / ٧٥ جده، . دار الشروق. الطبعة الثامنة. ١٣٩٩ - ١٩٧٩.
- ٣٩ / غضبان الرومي. سيرتي الذاتية. موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر. www.mandaeanunion.org
- ٤٠ / انظر. د. رشدي عليان. الصابئة. المرجع السابق. ص / ٧٨ - ٨٠، وانظر: د. عقيد خالد، د. يحيى أحمد. المرجع السابق ص. / ٣٢ - ٣٣.
- ٤١ / عقيد خالد، د. يحيى أحمد. المرجع السابق. ص. / ٣٣
- ٤٢ / لكن نظرا لهجرتهم في دول العالم وصعوبة توفر ذلك، استعاض المعاصرون بمياه الصنبور للقيام بهذه الشعيرة المقدسة.
- ٤٣ / سلوان شاكر. شعائر ومفردات دينية ومعانيها موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر. www.mandaeanunion.org وانظر في الموقع: المصبتا. . التعميد. . تعريف لغوي. يوهانا النشمي. ومن خلال قراءتي في كتبهم لاحظت بجلاء أن الاغتسال هو طريق غفران جميع ذنوبهم مهما عظمت وهذا أمر خطير إذ عندهم بمقتضى هذه العقيدة المجال متاح لاقتراف الذنوب مقابل وسيلة هيئة لغفرانها.
- ٤٤ / سميع داود. التوحيد الصابئي المندائي وعلاقته بالديانات الموحدة. موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر www.mandaeanunion.org
- ٤٥ / سميع داود. المرجع السابق.
- ٤٦ / صباح السعدي. أقدم الديانات السماوية على وجه الارض. موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر www.mandaeanunion.org
- ٤٧ / انظر. الليدي دراور. أساطير وحكايات شعبية صابئية. ترجمة: نعيم بدوي، غضبان الرومي. بغداد. مطبعة الأديب البغدادية. فقد جمعت فيه أساطير يعتقدونها الصابئة المعاصرون سمعتها من أحدهم - كما ذكرت - وهي في مجملها تتعلق باعتقادهم الجازم في إلهية غير الله تعالى.

٤٨ / صباح السعدي. المرجع السابق. وانظر: / يحيى غازي الأميري أحد أبناء الصابئة المندائيين. مقالة: الصابئة المندائيون. . مصير مجهول يلفه الضياع والتشرد والتشردم والانذار. موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر.

٤٩ / د. رشدي عليان. الصابئون. المرجع السابق. ص / ١٠٣ - ١٠٦ وانظر ص / ٢٠ وانظر أيضا: شيء عن الديانة المندائية. عبد الرزاق عبدالواحد www.abdulrazzak.com حيث يقول: (فهم ليسوا أنبياء بالمفهوم المعروف للنبوة عند أهل الأديان المنزلة، وإنما هم أناس طهروا أنفسهم حتى توصلوا بنوع من الكشف إلى المعارف العليا. . هؤلاء هم المعلمون. . فذا ما وصفوهم بالأنبياء فهم إنما يقصدون ذلك أنهم معلمون يستمدون معارفهم بطريق الكشف لا بطريق الوحي).

٥٠ / د. رشدي عليان. المرجع السابق. ص / ٢٠

٥١ / محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بابن النديم. الفهرست. ص / ٤٩٧. بيروت. دار الكتب العلمية.

٥٢ / وأتساءل لماذا لم يذكر العلامة الشهرستاني بقية أنبياء الصابئة. هل لم يطلع على بقية كتبهم؟ أم لم يظهر قولهم بنبوّة آدم ونوح وسام ويحيى في عهده؟ أم أن هذه فرقة من فرق الصابئة تختلف مع غيرها في الأسماء وتتفق في المعتقد؟ لكن السبب في ذلك يعود لقلّة المصادر عن هذه الطائفة وسريتها وهو ما برره أيضا مؤلف كتاب "منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل" انظر محمد السحبياني. ص / ٥٧٤. الرياض. دار الوطن. الطبعة الأولى. ١٤١٧.

٥٣ / الشهرستاني. المرجع السابق. ج / ٢ ص / ٣٠٨ - ٣٠٩

وقد ضعف شيخ الإسلام ابن تيمية هذه المناظرة فقال - رحمه الله -: (ولهذا كانت مناظرة كثير من أهل الكلام لهم مناظرة قاصرة حيث لم يعرف أولئك حقيقة ما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه وما ذمه من الشرك ثم يكشفون بنور النبوة ما عند هؤلاء من الضلال كما ناظرهم الشهرستاني في كتاب الملل والنحل لما ذكر فصلا في المناظرة بين الحنفاء وبين الصابئة المشركين فإن الحنفاء يقولون بتوسط البشر وأولئك بتوسط العلويات فأخذ يبين أن القول بتوسط البشر أولى من القول بتوسط العلويات ومعلوم أنه اخذ التوسط على ما يعتقدونه في العلويات كان

قولهم أظهر فكان رده ضعيفا لضعف العلم بمحقيقة دين الإسلام فإن الخنفاء ليس فيهم من يقول بإثبات توسط البشر وسائط في الخلق والتدبير والرزق والإحياء والإماتة. . بل الرسل كلهم وأتباعهم متفقون على أنه لا يعبد إلا الله وحده وليس عندهم أن أحدا غير الله مستقل بفعل شيء بل غايته أن يكون سببا والأثر لا يحصل إلا به وبغيره من الأسباب وبصرف المواع (الرد على المنطقيين. ج/٢. ص/ ٢٥٥-٢٥٦)

٥٤/ الليدي دراور. الصابئة المندائيون. ص/ ٢١. بيروت • الدار العربية للموسوعات • الطبعة الثانية ١٤٢٦ - ٢٠٠٥ من مقدمة المترجمين المندائيين: نعيم بدوي وغضبان رومي

٥٥/ المرجع السابق. ص/ ٤١. تعليق المترجمين في الحاشية

٥٦/ المرجع السابق. ص/ ٤١-٤٢

٥٧/ علاء الشمي. يوحنا المعمدان نبي الصابئة المندائيين. موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر

٥٨/ عزيز سباهي. المرجع السابق. ص. ١٢٨ - ١٢٩

٥٩/ ويسمونها نشمئا: وجمعها نشمئا، وهي جوهر الحياة ومصدرها عالم النور وتختصر بمصطلح أدكاس: هو كائن نوراني وهو آدم الخفي البهي كتاب: كنزا ربا. اليمين. مصطلحات كنزا ربا. فعندهم شخصيتان لآدم عليه السلام أحدهما ظاهرة والأخرى مخفية في عالم النور

٦٠/ هيبيل زيوا: ملاك نوراني وهو رسول الحي ويسمى المخلص وكذلك يسمى جبرائيل وهو المسلح؟؟ يراجع الذي سلحته الحياة العظمى بالشجاعة والإقدام والعلم والمعرفة كتاب: كنزا ربا. اليمين. مصطلحات كنزا ربا

٦١/ كورت رودولف. النشوء والخلق في النصوص المندائية. ترجمة: د. صبيح السهيري. ص/ ٢٠٠. بغداد. ١٩٩٤. بتصرف

٦٢/ كما ورد في كتاب النشوء والخلق في النصوص المندائية فالوحي هنا في الوقت نفسه هو الخلاص وتعني في المندائية ارتقاء "نشمئا" مسقتا فكلهما مرتبطان ويأتیان معا فالوحي كاشف المعرفة أو وسيط الخلاص أو الملقن وهو المخلص نفسه لنشمئا أيضا وإن كانت كل عملية منهما تبدو غير متزامنة مع الأخرى ص / ٢٠٦

- ٦٣/ المرجع السابق ص/ ١٧٨
- ٦٤/ المرجع السابق. ص / ١٩١
- ٦٥/ مندادهيي: ملاك نوراني ويعني عارف الحياة.
- ٦٦/ المرجع السابق. ص/ ١٨٦
- ٦٧/ عباس العقاد. إبراهيم أبو الأنبياء. ص/ ١٤٣. بيروت. دار الكتاب العربي. ١٣٨٦. ١٩٦٧
- ٦٨/ رمزية عبدالله فندي. الناصروثا علوم الفلسفة المندائية. موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر. بتصرف يسير.
- ٦٩/ القاضي أبو الحسن عبد الجبار الأسد آبادي. ج/ ٥. ص / ١٥٣. الفرق غير الإسلامية. تحقيق: د. محمود قاسم. مراجعة د. إبراهيم مذكور. إشراف: د. طه حسين.
- ٧٠/ انظر أسئلة وأجوبة عن الديانة المندائية. منتديات واحة النور. أجاب عن الأسئلة الترميذا علماء النشومي. موقع [thayer.goo-boys.com](http://www.thayer.goo-boys.com) وموقع التنظيم الآرامي الديمقراطي. http://www.aramaic-dem.org/Arabic/Tarikh_Skafe/2.htm ونلاحظ اختلافا في أسماء الأنبياء لديهم بذكر نوح وإدريس عليهما السلام بينهم عند بعض أتباع الصابئة المندائين وهذا يؤدي بالباحث إلى الجزم بباطنيتهم وغنوصهم وأنهم يتبعون الباحث في دينهم بسبب ذلك؛ لذا أرجو من قارئ بحثي تقدير ذلك مشكورا مأجورا.
- ٧١/ الليدي دراور. المرجع السابق ص/ ٢٤
- ٧٢/ يلاحظ الباحث في تاريخ الصابئة أن ترجمة معظم كتبهم ونشرها ونشر طقوس دينهم وتفاصيل معتقدتهم تم على يد المستشرق: دراور التي أتقنت اللغة المندائية وتحدثت بها وعاشت معهم أكثر من ربع قرن بل صرحت برغبتها في الدخول لدينهم ورفض كهنة الصابئة لذلك.
- ٧٣/ اللغة المندائية لغة آرامية مستقلة لها أجديتها الخاصة والمكونة من ٢٤ حرفا وهي قريبة من العربية والعبرية والسريانية. وكانت اللغة المندائية منتشرة في بلدان عديدة في الشرق الأوسط في تلك الحقبة. إلا أنها تراجعت وأصبحت الآن من اللغات المندثرة. وقلة من الناس فقط تتقن المندائية اليوم حتى أنهم يعدون على الأصابع. ومما زاد في تعقيد فهم الكتب المندائية. إن

- المندائيين القدامى اضطروا إلى اللجوء للرمزية عند كتابة الكتب الدينية للحفاظ على المقدسات التي تحتويها. انظر: عبد الإله السباهي. الصابئة المندائية. ص / ١٨
- ٧٤ / ترميدة: درجة دينية وتعني أيضا التلميذ. انظر كتاب "كنز ربا"
- ٧٥ / سليم برنجي. المرجع السابق ص/ ١٨٠ - ١٨٢، وانظر * عزيز سباهي. المرجع السابق. ص / ١٣ - ١٦
- ٧٦ / محمد الحمد. صابئة حران وإخوان الصفا. ص / ٣٦. دمشق. دار الأهالي. الطبعة الأولى. ١٩٩٨.
- ٧٧ / الصدوقيون: وهي تسمية من الأضداد؛ لأنهم مشهورون بالإنكار فهم ينكرون البعث والحساب والجنة والنار وينكرون التلمود، كما ينكرون الملائكة والمسيح المنتظر.
- ٧٨ / الفريسيون: أي المتشددون. يسمون بالأحبار أو الربانيين، هم متصوفة رهبانيون لا يتزوجون، لكنهم يحافظون على مذهبهم عن طريق التنبؤ، يعتقدون بالبعث والملائكة وبالعلم الآخر. انظر في الفرقتين: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. ج/ ١ ص/ ٥٠٠
- ٧٩ / الغياري أو الغيرون فرقة دينية يهودية، ويقال إنه جناح متطرف من الفريسيين وحزب سياسي وتنظيم عسكري. وقد قاموا تحت زعامة يهودا الجليلي في العام السادس قبل الميلاد، بحث اليهود على رفض الخضوع لسلطان روما ويتسم فكر الغيورين بأنه فكر شعبي مفعم بالأساطير الشعبية. انظر د. عبد الوهاب المسيري. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. ج/ ٢. ص / ١٢٢ - ١٢٣ القاهرة. دار الشروق. الطبعة الثانية. ٢٠٠٥
- ٨٠ / الأسينيون: جناح متطرف من الفريسيين. عاشوا جماعة مترابطة حياة النساك ويطبقون شريعة موسى تطبيقا حرفيا ولا يأكلون من الطعام إلا ما أعدوه بأنفسهم ومن أهم كتبهم كتاب "الحرب بين أبناء النور وأبناء الظلام". انظر: د. عبد الوهاب المسيري. المرجع السابق. ص/ ١٢٣ - ١٢٤
- ٨١ / حكمت سليم. النبي الثائر يهيا يوهنا - مرشد المندائيين. موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر.

٨٢/ علاء النشمي. يوحنا المعمدان نبي الصابئة المندائيين. موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر.

٨٣/ عزيز سباهي المرجع السابق. ص ١٣٠ - ١٣٣. بتصرف.

٨٤/ د. عبد العزيز المرشدي. المرجع السابق. ص/ ١٧٣.

٨٥/ أرسل الرب الملاك الأعظم لعالم النور مندادهي " الذي طلب ماء ثم عزم عليه ببعض الكلمات

الغامضة فصار ماء إلهيا وأعطاه لأحد الملائكة نقله إلى إنشوى وأن يحاول أن يجعلها تشربه دون

أن تعرف ماهو ومن أين جاء فشرته دون أن تشتهه في شيء ومن هذه اللحظة حملت بيحيى

الذي هو ابن لها وهو ابن مندادهي أيضا. انظر: نيقولا سيوفي. الصابئة عقائدهم وتقاليدهم.

ص ٢٢-٢٣. بتصرف. ترجمة: عارف أبو يوسف. دمشق. دار التكوين. الطبعة الأولى. ٢٠١٠

٨٦/ جبل بروان الأبيض

٨٧/ الناصورائي هو المتبحر بالعلوم الربانية

٨٨/ انظر نصوص عن ولادة يحيى عليه السلام من كتابهم المقدس عندهم كتاب تعاليم يحيى عليه

السلام". سليم البرنجي. المرجع السابق. ص/ ٧٢-٧٦.

٨٩/ عصام. تاريخ ولادة نبينا يهيا يهانا اتحاد الجمعيات المندائية وانظر الترميذا علاء النشمي. www.mriraq.com/vb/archive/index.php/t-558814.html.

وانظر: أسئلة

موجهة أجاب عنها الشيخ الترميذا علاء النشمي منتديات واحة النور. thayer.goo-boys.com.

مجلة آفاق مندائية العدد ٤٥. ٢٠٠٩.

٩٠/ علاء النشمي. يوحنا المعمدان نبي الصابئة المندائيين. موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر

٩١/ تاريخ ولادة نبينا يهيا يهانا الترميذا عصام/ الدنمارك اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر

٩٢/ تاريخ ولادة نبينا يهيا يهانا. الترميذا عصام/. اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر وانظر الصابئة

المندائيون ص / ٢ .

٩٣/ مجلة آفاق مندائية العدد ٤٥٢٠٠٩

٩٤/ المرجع السابق. ص/ ٤١. تعليق المترجمين في الحاشية

٩٥/ المرجع السابق. ص/ ٤١-٤٢

- ٩٦ / انظر في تفصيل ذلك: الليدي دراور. المرجع السابق. ص / ٣٥١ - ٣٥٤، د. أسعد السحمراني. الصابئة الزرادشتية، اليزيدية. ص / ٣٠ - ٣٤. بيروت. دار النفائس. الطبعة الأولى. ١٤١٧ - ١٩٩٧
- ٩٧ / غضبان الرومي. سيرتي الذاتية.
- ٩٨ / الليدي دراور. المرجع السابق. ص / ١٩٩
- ٩٩ / الترميزاعلاء النشمي. www.mriraq.com/vb/archive/index.php/t-558814.html . . . وانظر: أسئلة موجهة أجاب عنها الشيخ الترميزا علاء النشمي منتديات واحدة النور thayer.goo-boys.com / مجلة آفاق مندائية العدد ٤٥ ٢٠٠٩ وانظر ص / ٤٤ كتاب الصابئة المندائيون وعقائدهم د. عقيد خالد
- ١٠٠ / سليم برنجي. الصابئة المندائيون. ص / ٧٧-٧٩، وانظر: نيقولا سيوفي ص / ٢٨-٣٣.
- ١٠١ / نعيم مهلهل. المندائية من آدم عليه السلام إلى قراءة السيد الخاميني. ص / ٢٤-٢٦. دمشق. دار نينوى. ١٤٢٧-
- ١٠٢ / عزيز سباهي. المرجع السابق. ص / ١٣٧.
- ١٠٣ / نعيم عبد مهلهل. مقالة لقد حان اجلي والتمس الذهاب. موقع الجمعية الخيرية المندائية في الدنمرك. <http://mandaeen.dk/node/23820>
- ١٠٤ / د. رشدي عليان. المرجع السابق. ص / ١٢٤
- ١٠٥ / محمد الجزائري. المندائيون الصابئة. ص. ١٢٣
- ١٠٦ / نعيم عبد مهلهل. الأهوار من طوفان نوح عليه السلام إلى قهوة المضائف. ص / ٥٤. سوريا ز دار نينوى. ٢٠٠٩ / ١٤٣٠
- ١٠٧ / سليم برنجي. المرجع السابق. ص / ١٨٠
- ١٠٨ / المرجع السابق. ص / ١٠٥
- ١٠٩ / د. رشدي عليان. المرجع السابق. ص / ١٢٢

- ١١٠ / كنزا ربًا. الكنز العظيم الكتاب المقدس للصابئة المندائيين. اليمين. الكتاب التاسع. تعاليم يحيى. بغداد. مطبعة جعفر العصامي. الطبعة الرابعة. ٢٠٠٨.
- ١١١ / د. رشدي عليان. المرجع السابق ص / ١٣٨.
- ١١٢ / يحيى بن زكريا يوحنا المعمدان الصابئة المندائيين. الترميزا علاء النشمي جريدة عربية تصدر في استراليا، الأربعاء ٢٣ حزيران ٢٠٠٤ العدد ٤١٩١. موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر
- ١١٣ / المرجع لسابق ويقولون إنه من كتاب كنزا ربا ولكني لم أجده وانظر أيضا حكمت سليم. النبي الثائر يهيا يوهنا - مرشد المندائيين * موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر
- ١١٤ / مفهوم الصدق وإخلاص في العقيدة المندائية. مجلة آفاق مندائية. العدد ١٧. السنة السادسة. ٢٠٠١. ص / ٥
- ١١٥ / السحر والسحرة في نصوص مواعظ وتعاليم يحيى بن زكريا (ع). فاروق عبد الجبار عبد الإمام. www.mandae.com
- ١١٦ / أمين فصيل خطاب. مقالة التوحيد والإنسان في الدين الصابئي المندائي. مجلة آفاق مندائية العدد ٢٦ / عام ٢٠٠٤ ص / ٥
- ١١٧ / لقاء تلفزيوني مع فضيلة الكنزبرا الشيخ ستار جبار حلو. موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر
- ١١٨ / رمزية عبدالله فندي الناص. روثا علوم الفلسفة المندائية. موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر
- ١١٩ / بدء التاريخ عندهم ينقسم إلى ثلاثة أقسام:
الأول: بدء الخليقة وهبوط آدم وهو أول تاريخ تضبط به السنون
الثاني: عام طوفان نوح عليه السلام وهو الأمد الثاني لتحديد السنين
الثالث: ولادة يحيى عليه السلام. انظر د. رشدي عليان. ص / ١١٨
- ١٢٠ / د. رشدي عليان. المرجع السابق. ص / ١١٨

- ١٢١ / المرجع السابق / ص / ٧٣
- ١٢٢ / نعيم عبد مهلهل. مقالة. تبريكات زكريا للعام الجديد. مجلة آفاق مندائية. العدد. ١٩. عام ٢٠٠١. ص / ٢٣.
- ١٢٣ / علي أبو عراق. شح عليهم النهر في بلد كله نهر. إتحاد الجمعيات المندائية. بينما يذكر نيقولا سيوفي في كتابه "الصابئة عقائدهم وتقاليدهم والذي هو في الأصل نقل عن صابئة تنصر وكان يعد لدرجة دينية عند الصابئة فنقل عنه: (المشرع الوحيد في عرف الصابئة هو يهيا يوهنا) ص ٢١
- ١٢٤ / نيقولا سيوفي. الصابئة. عقائدهم وتقاليدهم ص / ٢١. ترجمة: عارف أبو سيف. دمشق. دار التكوين. الطبعة الأولى.
- ١٢٥ / عزيز سباهي. المرجع السابق. ص / ١٢٩
- ١٢٦ / نيقولا سيوفي. المرجع السابق. ص / ٣٤ - ٤٧. بتصرف.
- ١٢٧ / محمد بن عبدالله المعروف بالحاكم. المستدرك على الصحيحين في الحديث. ج / ٢. ص / ٥٩٠. بيروت. دار الكتب العلمية.
- ١٢٨ / مسلم بن الحجاج النيسابوري. صحيح مسلم كتاب الفضائل * باب فضائل زكريا عليه السلام ج / ٧ ص / ١٠٣. بيروت. دار المعرفة. ومسند الإمام أحمد بن حنبل ج / ٢. ص / ٢٩٦، ٤٠٥. دار عالم الكتب وصحيح سنن ابن ماجه * كتاب التجارات * باب الصناعات * ج / ٢. ص / ٧.
- ١٢٩ / صحيح الأنباء المسند من أحاديث الأنبياء ج / ٢. ص. ٦٨١
- ١٣٠ / الشيخ * عبد القادر شيبية الحمد. قصص الأنبياء القصص الحق. ص / ٣١٧ - ٣١٨. الرياض. دار المعارف. الطبعة الأولى. ١٤٢٠ - ١٩٩٩
- ١٣١ / محمد بن جرير الطبري. تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ج / ١٥. ص / ٤٦١. تحقيق د. عبدالله اتركي. الجيزة. دار هجر. الطبعة الأولى. ١٤٢٢ - ٢٠٠١ وانظر ج / ٥ / ص / ٣٧٠

- ١٣٢ / الحافظ إسماعيل بن كثير • البداية والنهاية م / ١ ج / ٢ ص / ٤٤ •
- ١٣٣ / انظر: محمد الطبري. المرجع السابق. ج / ٥. ص / ٣٦٠، وج / ١٥. ص / ٤٧١ - ٤٧٢، ص / ٤٧٤، ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. ج / ١. ص / ٣٦٨ - ٣٧٠، ج / ٢. ص / ٤٩٩ - ٣٠٠ تحقيق: د. محمد البناء، محمد عاشور، عبدالعزيز غنيم. القاهرة • مكتبة الشعب، عبدالرحمن السعدي. تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ص. ٤٩٠. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي بيروت. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى. ١٤٢٣ - / ٢٠٠٢ بتصرف.
- ١٣٤ / محمد الأمين الشنقيطي. تفسير أضواء البيان. ص / ٦٢٠. إعداد: أ. د. سيد الشنقيطي. الرياض، دارالفضيلة. القاهرة. دار الهدي النبوي. ١٤٣١ - ٢٠١٠
- ١٣٥ / محمد بن جرير الطبري. المرجع السابق. ج / ١٥. ص / ٤٦١، محمد القرطبي. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان. ج / ٥. ص / ١١٥. تحقيق: د. عبد المحسن التركي، محمد عرسوس. بيروت. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى. ١٤٢٧ - ٢٠٠٦. وكذا قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ج / ٢ ص / ٣٠ •
- ١٣٦ / الشيخ. عبدالرحمن السعدي. المرجع السابق. ص. ٤٩٠.
- ١٣٧ / محمد بن جرير الطبري. المرجع السابق. ج / ١٥ / ص / ٤٦١ - ٤٦٣
- ١٣٨ / الحافظ ابن كثير • المرجع السابق م / ٢. ص / ٣٠ م / ٥ ص / ٢٠٨.
- ١٣٩ / الحافظ القرطبي. المرجع السابق. ج / ١٣ / ص / ٤١٧.
- ١٤٠ / الزمخشري. تفسير الكشاف. ج / ٢ ص / ٥٠٣٠. بيروت • دار المعرفة •
- ١٤١ / عبدالرحمن السعدي. المرجع السابق. ص. ٤٩٠.
- ١٤٢ / محمد الأمين الشنقيطي. المرجع السابق. ص / ٦٢٠
- ١٤٣ / محمد بن جرير الطبري. المرجع السابق. ج / ٥ / ص / ٣٧٠ - ٣٧٣، وانظر تفسير السعدي. ص / ١٣٠
- ١٤٤ / محمد القرطبي. المرجع السابق. ص / ١١٦.

- ١٤٥ / علي الماوردي * * تفسير النكت والعيون م / ١ / ص / ٣٩٠ * تحقيق: السيد بن عبد المقصود * بيروت * دار الكتب العلمية *
- ١٤٦ / انظر تفسير فتح القدير * ج / ١ / ص / ٥٠٩ * تحقيق: سعيد اللحام * بيروت * الطبعة الثانية ١٤١٣ *
- ١٤٧ / محمد بن جرير الطبري. المرجع السابق. ج / ٥. ص / ٣٧٤ - ٣٧٦
- ١٤٨ / عبد الرحمن السعدي. المرجع السابق. ص / ١٣٠
- ١٤٩ / محمد القرطبي. المرجع السابق. ج / ٥. ص / ١١٧
- ١٥٠ / المرجع السابق. ص / ١٣٠. وتفسير الطبري ج / ٥ / ص / ٣٧٧ - ٣٨١
- ١٥١ / الإمام القرطبي. المرجع السابق. ص / ١١٩
- ١٥٢ / عبدالقادر شيبه الحمد. المرجع السابق. ص / ٣٢١
- ١٥٣ / الحافظ ابن كثير. المرجع السابق. ج / ٢ / ص / ٣٠
- ١٥٤ / الإمام الطبري. المرجع السابق. ج / ٥. ص / ٣٨١
- ١٥٥ / الإمام القرطبي. المرجع السابق. ص / ١٢٠
- ١٥٦ / الإمام الطبري. المرجع السابق. ج / ١٥ / ص / ٤٧٣ - ٤٧٤
- ١٥٧ / السعدي. المرجع السابق. ص / ٤٩٠
- ١٥٨ / الإمام ابن كثير. المرجع السابق. م ٥ ص ٢١٠
- ١٥٩ / تفسير الماوردي. م / ٣ / ص / ٣٥٩ ونقله عنه العز بن عبد السلام في تفسيره. سلطان العلماء * عزالدين بن عبد السلام * تفسير القرآن * ج / ٢ / ص / ٢٧٢ * تحقيق: د. عبدالله الوهبي * الطبعة الأولى ١٤١٦ - ١٩٩٦ الإحساء
- ١٦٠ / محمد الأمين الشنقيطي. المرجع السابق. ص / ٦٢٥ والزخشري في تفسير الكشاف قال إن الكتاب هو التوراة. انظر: م / ٢ / ص / ٥٠٤
- ١٦١ / سيد قطب. المرجع السابق. ص / ٢٣٠٤.
- ١٦٢ / محمد بن جرير الطبري. المرجع السابق. ج / ١٥. ص / ٤٧٤.

- ١٦٣ / انظر: محمد الأمين الشنقيطي. المرجع السابق. ص / ٦٢٦.
- ١٦٤ / عبد الرحمن السعدي. المرجع السابق. ص / ٤٩٠.
- ١٦٥ / انظر: محمد بن جرير الطبري. المرجع السابق. ج / ١٥ ص / ٤٧٥ - ٤٧٨. ، القرطبي ج / ١٣ ص / ٤٢٦ / تفسير السعدي / ٤٩٠
- ١٦٦ / محمد بن جرير الطبري. المرجع السابق. ص / ٤٧٩ - ٤٨٠
- ١٦٧ / محمد القرطبي. المرجع السابق. ص / ٤٢٤
- ١٦٨ / محمد الشنقيطي. المرجع السابق. ص / ٦٢٦
- ١٦٩ / انظر: الطبري. المرجع السابق. ص / ٤٨٠ - ٤٨١، عبد الرحمن السعدي. المرجع السابق. ص / ٤٩١
- ١٧٠ / القرطبي. المرجع السابق. ج / ١٣ ص / ٤٢٦
- ١٧١ / الطبري. المرجع السابق. ص / ٤٨١
- ١٧٢ / السعدي. المرجع السابق. ص / ٤٩١.
- ١٧٣ / القرطبي. المرجع السابق. ص / ٤٢٦
- ١٧٤ / صحيح سنن الترمذي. ج / ٣. ص / ١٤٤. تحقيق: الشيخ ناصر الدين الألباني. الرياض. مكتبة المعارف. الطبعة الأولى. ١٤٢٠ - ٢٠٠٠
- ١٧٥ / محمد البخاري. صحيح البخاري. ج / ٥. ص / ٦٧. باب الإسراء. بيروت. دار إحياء التراث العربي. مسلم بن الحجاج النيسابوري. صحيح. كتاب الإيمان. باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات. ج / ١. ص / ٩٩ - ١٠٠. بيروت. دار المعرفة.
- ١٧٦ / إسماعيل ابن كثير. قصص الأنبياء. ص / ٦٧٥ - ٦٧٦. تحقيق: د. عبد الحفي الفرماعي. المنصورة. دار اليقين. الطبعة الثانية. ١٤١٧ - ١٩٩٦ وانظر: البداية والنهاية م / ١. ج / ٢ ص / ٤٧ - ٤٨. تحقيق: د. حمد أبو ملحوم، د. علي عطوي، أ. فؤاد السيد، أ. مهدي ناصر الدين، أ. علي عبد الساتر بيروت. دار الكتب العلمية.

١٧٧ / محمد الطاهر ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. م / ٧. ص / ٧٨. تونس. دار سحنون للنشر والتوزيع.

١٧٨ / المرجع السابق. ص / ٧٦

١٧٩ / محمد الطبري. ت ٣١٠٠ تاريخ الطبري ج / ١ ص / ٥٩١ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، روائع التراث العربي، علي المسعودي، ت ٣٤٦، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ١ ص / ٦٣ تحقيق: محمد محي عبد الحميد، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٣ - ١٩٨٢ وذكر أن أم يحيى عليه السلام هربت به من بعض الملوك إلى مصر فلما صار رجلا بعثه الله عز وجل إلى بني إسرائيل فقام فيهم بأمر الله ونهيه فقتلوه، عبدالرحمن بن خلدون، ت ٨٠٨ تاريخ ابن خلدون، ج / ٢ ص / ١٤٤٠ بيروت، مؤسس جمال للطباعة والنشر.

١٨٠ / علي ابن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج / ٢ ص / ٦٧، ص / ١٧٩، تحقيق: د محمد نصر، د عبدالرحمن عميرة، جدة، شركة مكاتب عكاظ للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠٢ - ١٩٨٢.

١٨١ / سليم الهلالي. المرجع السابق. ج / ٢ ص / ٧١٤.

١٨٢ / علي الشيباني المعروف بابن الاثير. الكامل في التاريخ. ج / ١ ص / ١٧٢ - ١٧٤. بيروت. دار الكتاب العربي. الطبعة الثالثة. ١٤٠٠ - ١٩٨٠.

(١٨٣) المجادلة (٢١).

(١٨٤) الصافات (١٧١)

(١٨٥) سورة غافر (٥).

(١٨٦) سورة إبراهيم (١٣-١٤).

(١٨٧) سورة الأنبياء (٩).

(١٨٨) البقرة (٨٧).

- ١٨٩ / أحمد بن حمدان الشهري. عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين. ص/٣-٤. كتاب الإلكتروني من إصدار موقع المسلم.
- ١٩٠ / ابن خلدون. المرجع السابق. ص/ ١٤٤-١٤٥
- ١٩١ / د. صلاح الخالدي. القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث. ص/ ١٥٧-١٥٩. بتصرف يسير. دمشق. دار القلم. الطبعة الثانية. ١٤٢٨- ٢٠٠٧
- ١٩٢ / ابن عاشور المرجع السابق. ص/ ٧٨
- ١٩٣ / موقع الإسلام سؤال وجواب. سؤال: هل قبر يحيى عليه السلام في الجامع الأموي. <http://islamqa.info/ar/119178>
- ١٩٤ / موقع إسلام ويب. مركز الفتوى. <http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&Id=100489>
- ١٩٥ / عزيز سباهي. المرجع السابق. بتصرف / ص/ ١٣٧
- ١٩٦ / علاء النشمي. يوحنا المعمدان نبي الصابئة المندائيين. موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر.
- ١٩٧ / نعيم مهلهل. المندائية من آدم عليه السلام إلى قراءة السيد الخاميني. ص/ ١٠، ١٢، ٣٠-٣١ دمشق. دار نينوى. ١٤٢٧
- ١٩٨ / المرجع السابق. ص/ ٥٩-٦٠
- ١٩٩ / الليدي دراوير
- ٢٠٠ / الليدي دراوير. المرجع السابق. ص/ ٦٥-٦٦
- ٢٠١ / المرجع السابق. ص/ ٢٩
- ٢٠٢ / المرجع السابق. ص/ ٢٠
- ٢٠٣ / المرجع السابق. ص/ ١٥.
- ٢٠٤ / محمد بن حزم. الفصل في الملل والأهواء والنحل. ج/٢. ص/ ٦٧. تحقيق: د. محمد نصر، د. عبدالرحمن عميرة. جده. دار عكاظ. الطبعة الأولى. ١٤٠٢- ١٩٨٢

- ٢٠٥ / ابن عاشور. المرجع السابق. ص / ٧٥.
- ٢٠٦ / الحافظ بن كثير. البداية والنهاية. الجزء السابق. ص / ١٣٦
- ٢٠٧ / محمد نمر المدني. المرجع السابق. ص / ١٨٧ والمستشرق هو الدكتور ماتسوخ
- ٢٠٨ / أحمد عبد الغفور عطار. الديانات والعقائد. ج / ١. ص / ٢٩٨. مكة المكرمة. الطبعة الأولى. ١٤٠١ - ١٩٨١.
- ٢٠٩ / ابن حزم . المرجع السابق . ج / ١ . ص / ١٩٩
- ٢١٠ / الليدي دراور. أساطير وحكايات شعبية صابئية. مقدمة المترجمين: نعيم بدوي وغضبان رومي. ص / ٥ / العراق. مطبعة الأديب البغدادية.
- ٢١١ / محمد نمر المدني. الصابئة المندائيون العقيدة والتاريخ منذ ظهور آدم عليه السلام حتى اليوم. ص / ٣٥٣-٣٥٤. بتصرف. دمشق. الطبعة الأولى. ٢٠٠٩
- ٢١٢ / المرجع السابق. ص / ٣٥٧ والشاعر هو: عبد الرزاق عبد الواحد.
- ٢١٣ / محمد نمر المدني. المرجع السابق. ص / ١٨٧ والمستشرق هو الدكتور ماتسوخ
- ٢١٤ / عزيز سباهي. المرجع السابق. ص / ٩
- ٢١٥ / د. رشدي عليان. المرجع السابق. ص / ٨١
- ٢١٦ / محمد ابن قيم الجوزيه. إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان. ج / ٢. ص / ١٥١ - ١٥٢. تحقيق: محمد حامد الفقي. . بيروت. دار المعرفة.
- ٢١٧ / محمد البيروني . الآثار الباقية عن القرون الخالية . ص / ٢٨٣ . وضع حواشيه . خليل المنصور . بيروت . دار الكتب العلمية . الطبعة الثانية ١٤٢٠ - ٢٠٠٠
- ٢١٨ / انظر. عزيز سباهي. المرجع السابق. ص / ١٣
- ٢١٩ / الميثولوجيا: تشير إلى مجموعة من الفلكلور/الأساطير الخاصة بالثقافات التي يعتقد أنها صحيحة وخارقة، تستخدم لتفسير الأحداث الطبيعية وشرح الطبيعة والإنسانية. الميثولوجيا تشير أيضا إلى فرع من العلوم التي تتناول جمع ودراسة وتفسير الأساطير. انظر: موقع ويكيبيديا. ar.wikipedia.org

٢٢٠ / عزيز سباهي. المرجع السابق. ص / ٧١-٧٢

٢٢١ / المرجع السابق. ص / ٧٩

٢٢٢ / نيقولا سيوفي. المرجع السابق. ص / ٧.

٢٢٣ / د. رشدي عليان. المرجع السابق. ص / ١٩.

٢٢٤ / انظر. نيقولا سيوفي. المرجع السابق. ص / ٣٤-٤٧

المراجع

الكتب:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- أحمد بن حنبل. المسند. دار عالم الكتب. بيروت المكتب الإسلامي. الطبعة الخامسة. ١٤٠٥ - ١٩٨٥
- ٣- أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة. بیان تلبیس الجهمیة فی تأسیس بدعهم الكلامیة. تصحیح وتعلیق. محمد عبد الرحمن قاسم. مكة. مطبعة الحكومة. الطبعة الأولى. ١٣٩١
- ٤- أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة. الرد على المنطقیین. تحقیق: د. رفیق العجم. بیروت. دار المصدر اللبناني. الطبعة الأولى. ١٩٩٣
- ٥- أحمد غراب. رؤية إسلامیة للاستشراق. لندن. المنتدى الإسلامی.
- ٦- أحمد عبد الغفور عطار. الديانات والعقائد. مكة المكرمة. الطبعة الأولى. ١٤٠١ - ١٩٨١
- ٧- أحمد بن حمدان الشهري. عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلین. كتاب الكتروني من إصدار موقع المسلم
- ٨- إسماعیل بن كثير. تفسير القرآن العظيم. تحقیق: عبد العزيز غنیم، محمد عاشور، محمد البنا. القاهرة. دار الشعب
- ٩- إسماعیل ابن كثير. قصص الأنبياء. تحقیق: د. عبد الحی الفرماوي. المنصورة. دار اليقين. الطبعة الثانية. ١٤١٧ - ١٩٩٦
- ١٠- إسماعیل بن كثير. البداية والنهاية. تحقیق: د. حمد أبو ملحم، د. علي عطوي، أ. فؤاد السيد، أ. مهدي ناصر الدين، أ. علي عبد الساتر بيروت. دار الكتب العلمیة.
- ١١- د. أسعد السحمراني. الصابئة الزرادشتیة، الیزیدیة. بیروت. دار النفائس. الطبعة الأولى. ١٤١٧ - ١٩٩٧
- ١٢- د. جواد علي. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. بیروت. دار العلم للملايين، بغداد. مكتبة النهضة. الطبعة الأولى. ١٩٧٠.

- ١٣- جمال الدين محمد بن منظور. لسان العرب. بيروت. دار صادر.
- ١٤- جيو وايد نغرين الزندقة. ماني والمناوية. ترجمة: أ. د. سهيل زكار. دمشق. دار التكوين. ٢٠٠٥.
- ١٥- جار الله محمود الخوارزمي الزمخشري. تفسير الكشاف. بيروت. دار المعرفة.
- ١٦- الليدي دراور. أساطير وحكايات شعبية صابئية. العراق. مطبعة الأديب البغدادية
- ١٧- د. رشدي عليان. الصابئية. حرانيون ومندائيون. بغداد.
- ١٨- سليم الهلالي. صحيح الأنباء المسند من أحاديث الأنبياء. بيروت. دار ابن حزم. ١٤٢٩- ٢٠٠٨
- ١٩- سليم برنجي. الصابئية المندائيون دراسة في تاريخ ومعتقدات القوم المنسيون. بيروت. دار الكنوز. الطبعة الأولى. ١٩٩٧
- ٢٠- سيد قطب. في ظلال القرآن. جده. دار الشروق. الطبعة الثامنة. ١٣٩٩- ١٩٧٩.
- ٢١- د. صلاح الخالدي. القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث. دمشق. دار القلم. الطبعة الثانية. ١٤٢٨- ٢٠٠٧
- ٢٢- عبدالرحمن السعدي. تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي بيروت. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى. ١٤٢٣ - / ٢٠٠٢
- ٢٣- د. عبد الوهاب المسيري. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. القاهرة. دار الشروق. الطبعة الثانية. ٢٠٠٥
- ٢٤- علي الماوردي • تفسير النكت والعيون • تحقيق: السيد بن عبد المقصود • بيروت • دار الكتب العلمية
- ٢٥- د. عبدالعزيز المرشدي. الصابئون بين الماضي والحاضر. القاهرة. ١٩٩٦
- ٢٦- عزالدين بن عبد السلام • تفسير القرآن • تحقيق: د. عبدالله الوهبي • الطبعة الأولى • ١٤١٦- ١٩٩٦.

- ٢٧- عبد القادر شيبه الحمد. قصص الأنبياء القصص الحق. الرياض. دار المعارف. الطبعة الأولى. ١٤٢٠- ١٩٩٩
- ٣٠- علي المسعودي • مروج الذهب ومعادن الجوهر • تحقيق: محمد محي عبد الحميد • بيروت دار المعرفة • ١٤٠٣- ١٩٨٢
- ٣١- عباس السكسكي الحنبلي. البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان. تحقيق: د. بسام العموش. الأردن. مكتبة المنار. الطبعة الثانية. ١٤١٧- ١٩٩٦.
- ٣٢- علي الشيباني المعروف بابن الأثير. الكامل في التاريخ. بيروت. دار الكتاب العربي. الطبعة الثالثة. ١٤٠٠- ١٩٨٠
- ٣٣- عبدالرحمن بن خلدون. ت ٨٠٨. تاريخ ابن خلدون • بيروت • مؤسس جمال للطباعة والنشر.
- ٣٤- علي سيف الدين الأمدي. أبقار الأفكار في أصول الدين. تحقيق: أحمد المزيدي. بيروت. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى. ٢٠٠٢ - ١٤٢٤
- ٣٥- علي ابن حزم الظاهري. الفصل في الملل والأهواء والنحل • تحقيق: د. محمد نصر، د. عبدالرحمن عميرة . جدة . شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع . الطبعة الأولى • ١٤٠٢ - ١٩٨٢
- ٣٦- علي سيف الدين الأمدي. أبقار الأفكار في أصول الدين. تحقيق: أحمد المزيدي. بيروت. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى. ٢٠٠٢ - ١٤٢٤
- ٣٧- عبد الرحمن ابن الجوزي. تفسير زاد المسير في علم التفسير. بيروت. المكتب الإسلامي. الطبعة الخامسة. ١٤٠٧ - ١٩٨٧.
- ٣٧- د. عقيد خالد، د. يحيى أحمد. الصابئة المندائيون وعقائدهم. بيروت. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى. ١٤٢٨- ٢٠٠٧
- ٣٨- عزيز سباهي • أصول الصابئة ومعتقداتهم الدينية • دمشق • دار المدى • الطبعة الرابعة ٢٠٠٨

- ٣٩- القاضي عبدالجبار. المني في أبواب التوحيد والعدل. تحقيق: د. . محمود قاسم. مراجعة: د. إبراهيم مذكور. إشراف: د. طه حسين.
- ٤٠- عقيلة حسين. المرأة المسلمة والاستشراق. دار ابن حزم. الطبعة الأولى. ١٤٢٥ - ٢٠٠٤
- ٤١- د. علي النملة. ظاهرة الاستشراق مناقشات في المفهوم والإرتباطات. الرياض. مكتبة التوبة. الطبعة الثانية. ١٤٢٤ - ٢٠٠٣
- ٤٢- علي بن محمد الماوردي. تفسير النكت والعيون. راجعه وعلق عليه. السيد يت عبد المقصود. بيروت. دار الكتب العلمية.
- ٤٣- غضبان الرومي. مذكرات مندائية. دمشق. دار مدى للثقافة والنشر. الطبعة الأولى. ٢٠٠٧
- ٤٤- فخر الدين الرازي. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين. ضبط وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي. بيروت. دار الكتاب العربي. الطبعة الأولى. ١٤٠٧ - ١٩٨٦
- ٤٥- د. قاسم السامرائي. . الاستشراق بين الموضوعية والانفعالية. الرياض. دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع. الطبعة الأولى. عام: ١٤٠٣-١٩٨٣
- ٤٦- كورت رودولف. النشوء والخلق في النصوص المندائية. ترجمة: د. صبيح السهيري. ص/ ٢٠٠. بغداد. ١٩٩٤
- ٤٧- كنزاً رباً. الكنز العظيم الكتاب المقدس للصابئة المندائيين. اليمين. الكتاب التاسع. تعاليم يحيى. بغداد. مطبعة جعفر العصامي. الطبعة الرابعة. ٢٠٠٨
- ٤٨- محمد الأمين الشنقيطي. تفسير أضواء البيان. إعداد: أ. د. سيد الشنقيطي. الرياض، دار الفضيلة. القاهرة. دار الهدى النبوي. ١٤٣١ - ٢٠١٠
- ٤٩- محمد الشوكاني. تفسير فتح القدير . تحقيق: سعيد اللحام. بيروت. الطبعة الثانية. ١٤١٣.
- ٥٠- محمد القرطبي. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان. تحقيق: د. عبد المحسن التركي، محمد عرقسوس. بيروت. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى. ١٤٢٧ - ٢٠٠٦ .
- ٥١- محمد بن عبدالله المعروف بالحاكم. المستدرك على الصحيحين في الحديث. بيروت. دار الكتب العلمية.

- ٥٢- مسلم بن الحجاج النيسابوري. صحيح مسلم كتاب الفضائل ٠ باب فضائل زكريا عليه السلام. بيروت. دار المعرفة.
- ٥٣- محمد الأمين الشنقيطي. تفسير أضواء البيان. إعداد. أ. د. سيد الشنقيطي. الرياض، دار الفضيلة. القاهرة. دار الهدى النبوي. ١٤٣١- ٢٠١٠
- ٥٤- محمد بن ماجه القزويني. صحيح سنن ابن ماجه. تحقيق: ناصر الدين الألباني. الرياض. مكتب التربية العربية لدول الخليج. بيروت. المكتب الإسلامي. ١٤٠٧- ١٩٨٦.
- ٥٥- محمد بن جرير الطبري. تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق د. عبدالله التركي. الجيزة. دار هجر. الطبعة الأولى. ١٤٢٢- ٢٠٠١
- ٥٦- محمد الطاهر بن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. تونس. دار سحنون للنشر والتوزيع.
- ٥٧- محمد الطبري. ٠ تاريخ الطبري. محمد أبو الفضل إبراهيم ٠ بيروت ٠ روائع التراث العربي.
- ٥٨- محمد بن حزم. الفصل في الملل والأهواء والنحل. تحقيق: د. محمد نصر، د. عبدالرحمن عميرة. جده. دار عكاظ. الطبعة الأولى. ١٤٠٢- ١٩٨٢
- ٥٩- محمد بن قيم الجوزية. إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان. تحقيق: محمد حامد الفقي. . بيروت. دار المعرفة.
- محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بابن النديم. الفهرست. . بيروت. دار الكتب العلمية.
- ٦٠- محمد نمر المدني. الصابئة المندائيون العقيدة والتاريخ منذ ظهور آدم عليه السلام حتى اليوم. دمشق. الطبعة الأولى. ٢٠٠٩
- ٦١- محمد البيروني. الآثار الباقية عن القرون الخالية. وضع حواشيه. خليل المنصور. بيروت . دار الكتب العلمية الطبعة الثانية ١٤٢٠-٢٠٠٠.
- ٦٢- محمد عبدالكريم الشهرستاني. الملل والنحل. تحقيق: عبدالأمير المهنا، علي فاعور. بيروت دار المعرفة. الطبعة الأولى. ١٤١٠- ١٩٩٠
- ٦٣- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. الرياض. الندوة العالمية للشباب الإسلامي. الطبعة الثالثة. ١٤١٨

- ٦٤- محمد بن صالح العثيمين. تفسير القرآن العظيم. الرياض. دار ابن الجوزي. الطبعة الأولى. ١٤٢٣.
- ٦٥- محمد البشير مغلي. مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب. الرياض. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. الطبعة الأولى. ١٤٢٢-٢٠٠٢
- ٦٦- محمد الجزائري. المندائيون الصابئة. الأردن. المعهد الملكي للدراسات الدينية ٦٧- ناجية مراني. مفاهيم صابئية مندائية. بغداد. الطبعة الثانية. ١٩٨١.
- ٦٨- نعيم مهلهل. المندائية من آدم عليه السلام إلى قراءة السيد الخاميني. دمشق. دار نينوى. ١٤٢٧
- ٦٩- نعيم عبد مهلهل. الأهورار من طوفان نوح عليه السلام إلى قهوة المضائف. سوريا ز دار نينوى. ١٤٣٠ / ٢٠٠٩
- ٧٠- نادية أنجيليسكو. الاستشراق والحوار الحضاري. الشارقة. دائرة الثقافة والإعلام. الطبعة الأولى عام: ١٩٩٩
- ٧١- نيقولاسيوفي. الصابئة. عقائدهم وتقاليدهم. ترجمة: عارف أبو سيف. دمشق. دار التكوين. الطبعة الأولى.

الصحف:

صحيفة الشرق الأوسط

الدوريات:

- ١- مجلة آفاق مندائية. العدد ١٧. السنة السادسة. ٢٠٠١
- ٢- مجلة آفاق مندائية العدد ٢٦ / عام ٢٠٠٤
- ٣- مجلة آفاق مندائية. العدد. ١٩. عام ٢٠٠١.
- ٤- مجلة حوليات التراث. العدد. ٨ / عام ٢٠٠٨

المواقع:

- ١- الجمعية الخيرية المندائية في الدنمرك <http://www.mandaeen.dk/node/171>
- ٢- اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر www.mandaeenunion.org

- ٣- مؤسسة الحوار المتمدن <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=14861>
- ٤- موقع معكم [/http://maakom.com](http://maakom.com)
- ٥- موقع مندائية نت. www.mandae.com
- ٦- موقع عبد الرزاق عبد الواحد www.abdulrazzak.com
- ٧- موقع واحة النور [/http://thayer.goo-boys.com](http://thayer.goo-boys.com)
- ٨- موقع التنظيم الآرامي الديمقراطي. http://www.aramaic-dem.org/Arabic/Tarikh_Skafe/2.htm
- ٩- موقع مندائيين. www.mriraq.com/vb/archive/index.php/t-558814.html
- ١٠- موقع عنكاوا [/http://www.ankawa.com](http://www.ankawa.com)
- ١١- موقع إسلام ويب. مركز الفتوى [?http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php](http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php)
- ١٠- موقع الإسلام سؤال وجواب [/http://islamqa.info](http://islamqa.info)

ثانياً: الفقه وأصوله

رفعُ الجُنَاحِ عَمَّنْ عَلَّقَ الطَّلَاقَ عَلَى النِّكَاحِ

تأليفُ

جلالِ الدِّينِ عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ عمرِ البُلُقِينِيِّ

دراسةُ وتحقيقُ

د. خالد بن فالح العتيبي

رئيس قسم الفقه وأصوله

كلية الشريعة - جامعة الكويت

رفعُ الجُنَّاحِ عَمَّنْ عَلَّقَ الطَّلَاقَ عَلَى النُّكَاحِ د. خالد بن فالح العتيبي

الملخص

تتضمن الدراسة والتحقيق مخطوطا لطيفا، في مسألة فقهية دقيقة، لإمام من أئمة الشافعية الكبار، والعلماء المحققين، صاحب التصانيف البديعة، والعبارات الجميلة، الإمام جلال الدين عبدالرحمن البلقيني، في رسالته المعنونة بـ«رفع الجناح عمَّنْ عَلَّقَ الطَّلَاقَ عَلَى النُّكَاحِ»، وقد جاء موضوع المخطوط في مسألة من المسائل التي شاعت في زمانهم في باب النكاح والطلاق وهي تعليق الطلاق على نكاح غير قائم، ردا على من ادعى أنه ليس للإمام الشافعي فيها قول. فبيِّن مذهب الشافعي في عدم اعتبار الطلاق المعلق على النكاح، وأنه لا يقع، وهو قول علي وابن عباس رضي الله عنهم، وهو مروي عن شريح وابن المسيب وعطاء وطاوس وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة، ثم ذكر قول الحنفية بإيقاعه وهو مروي عن ابن مسعود وبه قال الزهري، ثم التفصيل عند الإمام مالك والأوزاعي وابن أبي ليلى إن كان عين امرأة بعينها أو قبيلة بعينها فيقع، وإن عمَّم فليس بشيء، وقول الإمام أحمد: إن كان تزوج لم يؤمر بالتطليق، وإن لم يتزوج لم يؤمر بالزواج. فذكر حجة كل مذهب مفندا ومناقشا لها، وانتصر لمذهب الشافعي بعدم وقوع الطلاق المعلق على النكاح، معضدا ما ذهب إليه بالأدلة العقلية والعقلية، كل ذلك عرضه بأسلوب علمي رصين.

Abstract

The study includes the investigation of important manuscript, in precise doctrinal issue, of great Shaafa'is imam, and investigator scholar who own magnificent classifications, and beautiful phrases, Imam Jalal Addin Abdul Rahman Alblgeyni, in his letter entitled: lifting the Critical who rest divorce on marriage. The subject of the manuscript came to deal with the issue that were common in their time: the chapter of the marriage and divorce, which rest the divorce to non-existent marriage, in response to the claims that Imam Shafei had no opinion in it.

Showed the Shafei school rejecting the divorce suspended on the marriage, and that does not count, which the view of Ali and Ibn Abbas, may Allah be pleased with them, which is narrated from Shurayh, Ibn al-Musayyib, atta, Tawoos, Saeed bin Jubair, 'Ikrimah and Qatada, then he mentioned the Hanafi opinion who allowed it which is narrated from Ibn Masood and Zuhry, and then mention the detail opinion of Imam Malik, Awzaa'I, Ibn Abi Layla who said: if a woman was appointed a specific or particular tribe then its count, and if generalize then it is not count, and saying of Imam Ahmad: if married then will not ordered divorce, but did not marry will not ordered to marry. Mention the evidence of every school, discussing them, and prevail

to the opinion of Shafei school who consider the divorce is not count, support his chosen opinion with evidence, all presented in a scientific manner discreet.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،،،

فإن تحقيق المخطوطات الفقهية النادرة التي لم تر النور عمل جليل يسعى إليه الباحثون المعاصرون؛ لما في إخراج هذه المخطوطات من غناء للمكتبة الفقهية، وإظهار لدقة الفقه الإسلامي، وتوسع الفقهاء في طرق المسائل الفقهية.

وإن المخطوط الذي بين أيدينا، مخطوط مهم في بابه، ويزيد من أهميته جلاله قدر مؤلفه الإمام جلال الدين البلقيني، وفي موضوع من الموضوعات المتعلقة بالنكاح والطلاق، وهو تعليق الطلاق على النكاح، وهي مسألة وقع فيها النزاع بين الفقهاء في زمان المؤلف، وجمال الدين البلقيني شافعي المذهب فأراد أن ينتصر لرأي الإمام الشافعي، ويناقش رأي من خالفه من المذاهب الفقهية الأخرى، فكتب رسالة لطيفة سماها: «رفع الجناح عمن علَّق الطلاق على النكاح»، ليرجح ما يراه راجحاً بدليله.

أهمية المخطوط موضوع البحث:

تتجلى أهمية المخطوط موضوع الدراسة في النقاط الآتية:

- ١- أنه لإمام من أئمة المذهب الشافعي، ومؤلفاته غزيرة وعميقة، ولديه تمكن في المذهب الشافعي، ولديه اطلاع واسع على المذاهب الأخرى.
- ٢- أن الموضوع الذي طرقة المخطوط موضوع مهم في زمانهم، وهو تعليق الطلاق على النكاح، مما يدل على استجابة الفقهاء في زمانهم لمتطلبات تغير الزمان والمكان، والإجابة عن الحوادث من المسائل.

٣- أن الرسالة لها نسخة خطية واحدة، وهذا يعني كونها نادرة، وتستحق الإخراج لهذا السبب مع جلالة قدر مؤلفها.

٤- تشجيع الباحثين على إخراج المخطوطات في المسائل الفقهية مما ينشط الحركة العلمية في تحقيق المخطوطات، وبيان أهمية المنهجية العلمية المتوازنة في التعامل مع المخطوط.

٥- المخطوط يعطينا بعداً فقهياً في قياس ما يستجد من المسائل في باب النكاح والطلاق على الأصول التي اعتمدها الإمام البلقيني في المسألة.

خطة البحث:

قام الباحث بخدمة المخطوط في قسمين:

القسم الأول: القسم الدراسي، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالمصنّف

المبحث الثاني: التعريف بالكتاب

القسم الثاني: النص المحقق، وهو نص الرسالة كاملة مع القيام بتحقيقها وفق المنهج العلمي المعتبر في تحقيق المخطوطات مراعيًا الجوانب الفنية في التحقيق الفقهي للنصوص.

وختاماً فإنني أسأل الله العليّ القدير أن أكون قد وفقت في تحقيق هذا المخطوط وخدمته على النحو الذي يجعله قريباً مما أراه مؤلفه، والله الأمر من قبل ومن بعد.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل لإدارة الأبحاث في جامعة الكويت على دعم هذا البحث بمشروع رقم (HJ 01/12) فالله أسأل أن يجزيهم خير الجزاء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

القسم الأول: الدراسة

المبحث الأول / التعريف بالمصنف

وفيه أحد عشر مطلباً:

المطلب الأول: نبذة عن الحالة السياسية والعلمية في عصر جلال الدين البلقيني

لا جدال أن نظام الحكم له الأثر الفعال في حياة الفرد وسلوكه؛ لأن ما يسود المجتمع من رخاء وعسر، ومن ازدهار العلوم وأفولها له تأثيره الفعال في حياة المرء وسلوكه؛ لأن الإنسان مدني بطبعه يتفاعل مع محيطه مؤثراً ومتأثراً.

ومما لا ريب فيه أن العصر الذي يعيش فيه الإنسان له أكبر الأثر عليه في باكورة حياته، وعلى اتجاهه الفكري في مستقبل أيامه.

وقد عاش المؤلف في مصر في زمن دولة المماليك الذي اتسم في أوله بالاضطرابات السياسية والتصارع على الحكم وسلطة مصر، لكن هذا الصراع الداخلي على السلطة لم يشغلهم عند عدوهم الألد، وأخذ أهمية الاستعداد لملاقاته، حتى حققوا أعظم الانتصارات الإسلامية وأهمها في العصور الوسطى، لقد كان المبرر الوحيد لقيام دولة سلاطين المماليك واستمرارها هو قيامها بدور القوة المدافعة عن دار الإسلام، ولقد ولدت هذه الدولة من رحم الصراع ضد الفرنج الصليبيين الذين كانوا يحتلون بعض أجزاء من الأراضي الإسلامية في بلاد الشام وتؤكد وجودها من خلال ذلك النصر المدوي الذي أحرزته ضد الفيالق المغولية في عين جالوت^(١).

هذا وقد عاشت مصر طوال حكم المماليك عزيزة الجانب، موفورة الحرية بفضل شجاعتهم، وقوة بأسهم، وصارت قلب العالم الإسلامي النابض، توجه إليها المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها، وصارت القاهرة محط التجار والعلماء

والرحالة من كل حذب وصوب، وظلت مركز الخلافة الإسلامية إلى أن سقطت على يد سليم الأول العثماني عند غزوه مصر سنة (١٥١٧م)^(٢).

وأما الجانب العلمي فقد ترك لنا العصر المملوكي ثروة طائلة ومجموعة هائلة من المصنفات والمخطوطات النادرة، ومن تأمل هذا العصر، يعلم أنه العصر الذهبي لمصر وأهلها في ميدان العلم.

ولعل من أهم الأسباب والعوامل التي أدت إلى نهضة علمية شاملة في مصر، يرجع إلى سقوط بغداد وقتل الخليفة المعتصم على يد هولاكو المغولي، وسقوط حلب بعد بغداد والشام؛ إذ نزح العلماء من بغداد وحلب والشام إلى مصر، وكان لهؤلاء العلماء في مختلف ميادين الحياة العلمية الأثر الكبير في إثراء الحياة العلمية في مصر، حيث قامت نهضة علمية شاملة، واتسم هذا العصر بظهور العلماء الموسوعيين وظهور المؤلفات الموسوعية^(٣).

وقد كان للعلماء في الدولة المملوكية المكانة السامية والمنزلة العالية والدرجة الرفيعة التي نالوها من المجتمع قاطبة حكماً ومحكومين، ولا يخفى أن العلماء حين يلقون مثل هذا الاحترام والإعجاب والتقدير والتوقير سيحفزهم، ويشحذ همتهم، ويقوي عزيمتهم، لإحداث نهضة علمية تنهض بالأمة الإسلامية وتتبوأ المكانة اللائقة بها وتكون أمة قائدة ورائدة وأمة غنية وقوية^(٤).

أثر الحياة العلمية على جلال الدين البلقيني:

لا شك أن هذا الوضع المشرف للعلم وأهله لا بد أن يتأثر به ويؤثر فيه أهل العلم ممن عاشوا في هذه الفترة الزمنية الباهرة، ومنهم العلامة جلال الدين البلقيني رحمه الله؛ فقد تأثر بهذا الجو المفعم من حوله بالعلم وأهله، وبالمكانة المشرفة للعلماء بين طبقات المجتمع جميعاً، خاصة وأنه من بيت علم ومن أسرة فقهية ذائعة الصيت كانت محط رحال العلماء والمتعلمين من أرجاء العالم الإسلامي.

المطلب الثاني: اسمه ولقبه وكنيته ونسبته

اسمه: عبد الرحمن بن عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن عبد الخالق بن عبد الحق بن مسافر الكنانى العسقلانى المصرى البلقينى الشافعى^(٥).
لقبه: جلال الدين ولقب أيضاً بقاضى القضاة، وكان ينادى عليه به، وكان لقباً محبباً إليه حتى إن الحافظ ابن حجر ليقول: ودعى بقاضى القضاء لكونه قاضى العسكر فصار يمقت من يخاطبه بغيرها^(٦). وأطلق عليه لقب شيخ الإسلام^(٧) ويقتصر أحياناً على لقبه بالجلال البلقينى.
كنيته: أكثر من ترجم له ذكر تكنيته بأبي الفضل، وزاد السخاوي تكنيته بأبي اليمن، ولم أره عند غيره^(٨).

نسبته: العلامة جلال الدين البلقينى أصله من عسقلان، وأول من سكن بلقينة من أجداده صالح، فولد أبوه سراج الدين ببلقينة وإليها يُنسب فيقال: البلقينى؛ نسبةً إلى بلقينة بالضم وسكون اللام وكسر القاف وياء ساكنة ونون، قرية من قرى مصر قرب المحلة الكبرى^(٩).

المطلب الثالث: مولده ونشأته

مولده: اتفقت المصادر التي ترجمت للعلامة جلال الدين البلقينى أن ولادته كانت بالقاهرة بقاعة العفيف من باب سر الصالحية حيث ترعرع ونشأ بها، ثم اختلفوا في تحديد الشهر والسنة اختلافاً يسيراً، فالذي عليه الأكثر أنه ولد في الخامس عشر من رمضان سنة ثلاث وستين وسبعمائة، وقال الحافظ ابن حجر في جمادى ولم يحددها^(١٠).

وقيل: أنه ولد في جمادى الأولى سنة اثنتين وستين وسبعمائة وسمع ذلك من لفظه غير مرة^(١١).

ورجح السخاوي التاريخ الأول بقوله: "والأول عندي أصح؛ فهو الذي أثبتته أخوه وشيخنا وآخرون"^(١٢).

نشأته: نشأ الإمام البلقيني نشأة مباركة من اللحظة الأولى التي خرج بها على هذه الحياة، حيث نشأ في بيت علم وتدرج في حياته العلمية كغيره من أبناء عصره آنذاك، غير أنه نبغ بسرعة شديدة، وتفوق ومهر في مدة يسيرة، ونشأ في كنف أبيه فحفظ القرآن وصلّى به في الصغر، والعمدة وما كتبه أبوه لأجله من التدريب ومختصر ابن الحاجب الأصلي وألفية ابن مالك وغيرها^(١٣).

قال الحافظ: نشأ مترفاً متعزراً لكنه كان مفرط الذكاء فحفظ القرآن وصلّى به التراويح وهو صغير، ثم حفظ عدة كتب ومهر في مدة يسيرة^(١٤).

وبرع في الفقه والأصول والعربية والتفسير وعلمي المعاني والبيان وأفتى ودرّس في حياة والده^(١٥).

هذا وإن دل على شيء فإنما يدل على أن جلال الدين البلقيني حاز قصب السبق وأبعد الغاية في الرمي، وقوي ساعده وتفتح عقله حتى صار كما وصفوه بالأعجوبة في الحفظ وجودة الفهم وكان من محاسن القاهرة^(١٦).

المطلب الرابع: أسرته

ولد العلامة جلال الدين عبد الرحمن البلقيني في بيت علم وأسرة مشغلة بالعلوم الشرعية، ومن كان هذا شأنه فلا غرو أن يكون محباً لطلب العلم بارعاً فيه.

(١) والده:

الإمام العلامة عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن عبد الخالق سراج الدين أبو حفص الكنانى العسقلانى البلقينى الشافعى^(١٧).
وسياتى الحديث عنه عند ذكر شيوخه.

(٢) والدته:

وأما والدته فابنة البهاء بن عقيل - شارح ألفية ابن مالك فى النحو المشهور باسمه - فجلال الدين البلقينى سبطه؛ ابن ابنته، وقد تزوجها أبوه الإمام سراج الدين سنة (٧٥٢ هـ) بعد أن صحب أباهما قاضى القضاة ابن عقيل وانتفع به وتلمذ عليه هو وغيره من شيوخ عصره، ماتت سنة (٧٧٨ هـ)^(١٨).

(٣) إخوته:

- العلامة علم الدين صالح بن عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكنانى العسقلانى البلقينى، توفى سنة (٨٦٨ هـ). وتلمذ عليه السيوطى والسخاوى وغيرهما من الأعلام^(١٩).

له من الكتب: التجرد والاهتمام تجميع فتاوى الوالد شيخ الإسلام، وتحفة الثمين فىمن يقبل قوله بلا يمين، والتذكرة ترجمة الجلال البلقينى أخيه^(٢٠).

- العلامة بدر الدين محمد بن عمر بن رسلان بن نصير بن صالح البلقينى الشافعى، توفى سنة (٧٩١ هـ).

من مؤلفاته: حاشية على البقايا شرح خبايا الزوايا فى الفروع، وحاشية على شرح الإسنوي على منهاج الأصول للبيضاوى^(٢١)

- عبد الخالق بن عمر بن رسلان بن نصير بن صالح البلقيني، ولد بالقاهرة سنة (٧٩٣هـ) ونشأ بها وقرأ على والده، ومات بعد توعكه مدة سنة (٨٦٩هـ) ^(٢٢).

ومن الجدير بالذكر أن جلال الدين البلقيني وإخوته قد ولوا القضاء مثل أبيهم.

زوجته:

تزوج جلال الدين البلقيني هاجر بنت تغري بردي أخت أبي المحاسن بن تغري بردي قال عنه: «وهو صهري زوج كريمي والذي تولى تربيتي»، توفيت سنة (٨٤٦هـ) ^(٢٣).

أبناؤه:

رزق جلال الدين البلقيني ولدين (محمد وقاسم) وثلاث بنات (فاطمة، وزينب، وعزيزة)، وقد تولى أبناؤه القضاء مثل أبيهم.

- ولد محمد بالقاهرة سنة (٧٨٧هـ)، ونشأ بها وقرأ على أبيه وجده، والزين العراقي وغيرهم، مات سنة (٨٥٥هـ) ^(٢٤).

أما القاسم فقد ولد سنة (٧٩٥هـ) بالقاهرة ونشأ بها واشتغل بالفقه على أبيه والبيجوري، والمجد البرماوي وغيرهم، مات سنة (٨٦١هـ) ^(٢٥).

المطلب الخامس: شيوخه

رغم التفوق والنبوغ العلمي الذي حظي به الإمام جلال الدين البلقيني إلا أن المرء يعجب حين يعلم أنه كان قليل الشيوخ جداً، ولكن هذا العجب يزول حين يعلم أن شيوخه الأول هو والده حافظ عصره شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني الشافعي، وقد كان أمة من العلماء وحده، وكفاه به شيخاً ومعلماً، ومثل هذا

الوالد الذي تتلمذ علي يديه الأعلام كالبدري الزركشي، والحافظ ابن حجر، والولي العراقي، وغيرهم كثير.

ولم يكن - رحمه الله - مع سعة علمه يكمل مصنفاته إلا القليل؛ لأنه كان يشرع في الشيء فيطول عليه الأمر، حتى كتب في شرح البخاري على نحو من عشرين حديثاً في مجلدين، مات سنة (٨٠٥هـ)^(٢٦).

كما سمع البلقيني من غير أبيه من علماء عصره، مثل:

- أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن عمر الأيوبي الأصبهاني، نزيل القاهرة والمتوفى سنة (٧٧٦هـ)، سمع عليه اتفاقاً شيئاً نازلاً من السنن الكبرى للبيهقي^(٢٧).

- الحافظ بهاء الدين بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن خليل العثماني المكي الشافعي، نزيل القاهرة، ولد سنة (٦٩٤ هـ) وتوفي سنة (٧٧٧ هـ)^(٢٨)

المطلب السادس: تلاميذه

لقد بلغ الإمام جلال الدين مكانة علمية رفيعة، فذاع صيته وانتشر أمره، مما جعل الكثير من أهل العلم يقبلون عليه لينهلوا من معين علمه، فتتلمذ عليه جماعة من العلماء من أشهرهم:

١- شهاب الدين: أحمد بن علي بن محمد بن حجر الكناني العسقلاني المصري الشافعي، ولد سنة (٧٧٣ هـ) وتوفي سنة (٨٥٢ هـ)^(٢٩).

٢- شمس الدين: محمد بن أبي بكر بن عبد الله الدمشقي الشافعي المعروف بابن ناصر الدين ولد سنة (٧٧٧ هـ) وتوفي سنة (٨٤٢ هـ)^(٣٠).

- ٣- أخوه: علم الدين: صالح بن عمر بن رسلان بن نصير بن صالح البلقيني توفي سنة (٨٦٨ هـ)^(٣١).
- ٤- محمد بن احمد بن يوسف بن حجاج السفطي القاهري الشافعي ولد سنة (٧٩٦ هـ)، أخذ الفقه عن الجلال، توفي سنة (٨٥٤ هـ)^(٣٢).
- ٥- محمد بن موسى بن علي بن عبد الصمد المراكشي الأصل المكي الشافعي ولد سنة (٧٨٩ هـ)، توفي سنة (٨٢٣ هـ)^(٣٣).
- ٦- موفق الدين: علي بن إبراهيم بن علي بن راشد اليماني الأبني ثم المكي الشافعي ولد سنة (٧٩٠ هـ)، توفي سنة (٨٢٩ هـ)^(٣٤).
- ٧- برهان الدين: إبراهيم بن أحمد بن عثمان الصعيدي القصورى ولد سنة (٧٩٤ هـ)، وتوفي سنة (٨٥٢ هـ)^(٣٥).
- ٨- رضي الدين: محمد بن أحمد بن عبد الله الغزي العامري الدمشقي الشافعي أبو البركات. توفي سنة (٨٦٤ هـ)^(٣٦).
- ٩- محب الدين: أحمد بن محمد بن عبد الله بن ظهيرة المكي الشافعي أبو العباس قاضي مكة وفتيها ولد سنة (٧٨٩ هـ) وتوفي سنة (٨٢٧ هـ)^(٣٧).

المطلب السابع: منزلته العلمية وثناء العلماء عليه

كان للإمام جلال الدين البلقيني مكانة علمية عالية، ومعرفة بالعلوم واسعة، أثنى عليه كل من ترحم له من العلماء، ووصفوه بأحسن الأوصاف، فقد قال الحافظ بن حجر: «كان له بالقاهرة صيت لذكائه، وكان من عجائب الدنيا في سرعة الفهم وجودة الحفظ، وكان من محاسن القاهرة، وكان يكتب على الفتاوى كتابه مليحة بسرعة، وكان سليم الباطن لا يعرف الخبث ولا المكر»^(٣٨).

وقال المقرئزي عنه: «كان ذكياً قويا الحافظة، وقد اشتهر اسمه وطار ذكره بعد موت أبيه، وانتهت إليه رئاسة الفتوى، ولم يخلف بعده مثله في الاستحضار وسرعة الكتابة الكثيرة في فضائه، دخل دمشق سنة (٧٩٣هـ)، والمشايخ إذ ذاك كثيرون، فظهر فضله وعلا صيته»^(٣٩).

المطلب الثامن: تصانيفه

صنف الإمام جلال الدين البلقيني التصانيف الكثيرة في أنواع مختلفة من العلوم؛ في التفسير، وعلوم القرآن، والحديث وعلومه، والفقه والسيرة، والوعظ والإرشاد، والتراجم، وهو أكبر دليل على سعة علمه وملكته الراسخة وتبحره في شتى الفنون، وهذه أسماء ما وقفت عليه من مصنفاته المنسوبة إليه سواء المطبوع منها أم المخطوط، مع بيان من أوردها في كتب التراجم، وأمكتتها في المكتبات العامة:

- ١- مواقع العلوم في مواقع النجوم^(٤٠).
- ٢- نهر الحياة: وهو تفسير للقرآن، مخطوط المتحف البريطاني ١٥٥٣ / ٧، والسليمانية ٩١^(٤١).
- ٣- الإفهام بما وقع في البخاري من الإبهام^(٤٢).
- ٤- فصل من القصد المتعلق بالعلل من فتح الباري، كتبه بخطه^(٤٣).
- ٥- مناسبات أبواب تراجم البخاري^(٤٤).
- ٦- الخصائص النبوية^(٤٥).
- ٧- جواب الأسئلة المغربية^(٤٦).
- ٨- جواب الأسئلة المكية^(٤٧).

- ٩- جواب الأسئلة اليمينية^(٤٨).
- ١٠- حواشي على الروضة^(٤٩).
- ١١- رفع الجناح عن علق الطلاق على النكاح (وهي موضوع بحثنا).
- ١٢- نظم مختصر ابن الحاجب في الأصول^(٥٠).
- ١٣- نكت على الحاوي الصغير للقزويني^(٥١).
- ١٤- نكت على منهج الطالبين للنووي في مجلدين^(٥٢).
- ١٥- خطبٌ جمعيات^(٥٣).
- ١٦- بذل النصيحة في دفع الفضيحة. مخطوط في مكتبة برلين تحت رقم (٥٦١٥)^(٥٤).
- ١٧- رسالة في بيان الكبائر والصغائر مخطوط بخط المصنف في مكتبة ميونخ تحت رقم (٢١١)^(٥٥).
- ١٨- مجالس الوعظ^(٥٦).
- ١٩- أربعين عُشاريات^(٥٧).
- ٢٠- الأواخر^(٥٨).
- ٢١- ترجمة أبيه الحافظ سراج الدين "التذكرة"^(٥٩).
- ٢٢- فهرسة للكتب المشهورة^(٦٠).
- ٢٣- قرض سيرة المؤيد لابن ناهض^(٦١).
- ٢٤- نظم البكائين^(٦٢).
- ٢٥- نظم الذين يؤتون أجرهم مرتين^(٦٣).

المطلب التاسع: مناصبه

تولى الإمام جلال الدين البلقيني العديد من الوظائف في الدولة المملوكية، ومن أهم هذه الوظائف التي تولهاها:

١- توقيع الدست:

وقد اتفق على هذا الكثير ممن ترجموا له أنه أول من تولى توقيع الدست مع كاتب السر لمجلس السلطان بدار العدل، سموا بذلك لجلوسهم للكتابة بين يديه فيما يتعلق بشئون الرعية في حاجاتهم وترجمان عن شكائهم وبيان مظالمهم إلى السلطان، تولى هذه الوظيفة سنة (٧٧٩ هـ).^(٦٤)

٢- قاضي العسكر:

وموضوعها: أن صاحبها يحضر بدار العدل مع القضاة الأربعة، ويسافر مع السلطان إذا سافر، وهي وظيفة تختص بشئون الجند وليس لهم ولاية على غيرهم^(٦٥). ولم يقف عند هذه الوظيفة التي تعتبر من وظائف الطبقة الأولى في عصر المماليك بل صعد إلى وظيفة أعلى وهي:

٣- قاضي القضاة:

وموضوعها: هو التحدث في الأحكام الشرعية، وتنفيذ قضاياها، والقيام بالأوامر الشرعية، والفصل بين الخصوم، ونصب النواب للتحدث فيما عُسر عليه مباشرته بنفسه، وهي أرفع الوظائف الدينية وأعلاها قدراً وأجلها رتبة^(٦٦).

وقد اشتهر بلقبها عند كثير ممن ترجموا له، وقد تولى وظيفة قاضي القضاة للديار المصرية في سنة (٨٠٤ هـ) في حياة والده، وعزل ثم وليها غير مرة^(٦٧).

المطلب العاشر: صفاته ومناقبه

كان رحمه الله جهوري الصوت، مليح الشكل، للطول أقرب، أبيض مشرباً بجمرة، صغير اللحية مدورها، منور الشيبة، جميلاً وسيماً، ديناً عفيفاً مهاباً جليلاً معظماً عند الملوك والسلاطين، حلو المحاضرة رقيق القلب سريع الدمعة، وكان محبياً للرعية متجملاً في ملبسه ومركبه^(٦٨).

قال الحافظ ابن حجر عنه: «استمر وياشر المنصب بجرمة وافرة مع لين الجانب والتواضع وبذل المال والجاه، كل ذلك تجدد له من شدة ما قاساه»^(٦٩)، وكان رحمه الله لا يترك قيام الليل صيفاً ولا شتاءً، وكان ينام بعد الوتر لحظة ثم يقوم وينزل إلى الجامع العمري، فيتوضأ ويصلي الباقي للفجر، نحو سبعين ركعة، ثم يصعد الكرسي ويتلو القرآن سراً، فإذا أذن الصبح قرأ جهراً قراءة تأخذ بجوامع القلوب، ومر نصراني من مباشري القلعة يوماً في السحر، فسمع قراءته، فرق قلبه وأسلم على يديه، وكان يأتيه الناس للصلاة خلفه من الأماكن البعيدة، لحسن صوته، وخشوعه، وكثرة بكائه، حتى يبكي غالب الناس خلفه، وكان يقري ويضيف كل وارد، ويخدم بنفسه، ومع هذا فله هيبة عظيمة، يكاد من لا يعرفه يرعد من هيئته»^(٧٠).

المطلب الحادي عشر: وفاته:

اتفقت كل المصادر التي ترجمت له على أنه توفي ليلة الخميس حادي عشر من شوال بعد صلاة العشاء الآخرة سنة (٨٢٤ هـ) بعد مرض طويل تمادى به في دمشق لما كان مسافراً بصحبة السلطان، وصلي عليه في الغد في جامع الحاكم ضحى يوم الخميس، ودفن عند والده وأخيه القاضي بدر الدين في المدرسة المنسوبة إليهم في حارة بهاء الدين مقابل بيتهم.

ولما وضعوه على المغتسل سمعوا شخصا يقول:

يا دهرُ بع رُئِبَ العُلا مِن بعده بيع الهوانِ رِجَتَ أم لم تريح
قدّم وأخّر من أردت من الورى مات الذي قد كنت منه تستحي

وكانت جنازته مشهودة إلى الغاية، وحمل نعشه على رؤوس الأصابع^(٧١).

المبحث الثاني التعريف بالكتاب

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه

أولاً: اسم المخطوط:

هو «رفع الجناح عمَّن علَّق الطلاق على النكاح» كما جاء على طرة النسخة الخطية التي بين أيدينا، وكذلك أشار مصنفه رحمه الله إلى موضوع الكتاب في المقدمة حيث يقول: «فقد وقع الآن في هذا الآوان... البحث عن تعليق الطلاق على نكاح ليس بوجوده، فأردت أن أعلّق في ذلك ما هو مخرّج ومردود...».

ثانياً: نسبته إلى مؤلفه:

لم يقع خلاف في نسبة هذه الرسالة إلى مؤلفها العلامة البلقيني، وقد ثبتت نسبته إليه، ويدل على ذلك ما يلي:

١- أنه كتب اسم المصنف على طرة النسخة الخطية التي وقفت عليها.

٢- التصريح باسم جلال الدين أبي الفضل البلقيني في مقدمة الرسالة إذ جاء فيها: «قال سيدنا ومولانا، شيخ الإسلام، علم الأئمة الأعلام، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن شيخ الإسلام، مجدد معالم الشرائع والأحكام سراج الدين أبي حفص عمر، البلقيني الشافعي، تغمده الله تعالى برحمته، وأسكنه فسيح جنّته»، مما يدل على نسبتها للمصنف بيقين.

٣- ما جاء في آخر المخطوط من اختيار المصنف في نظمه لمختصر ابن الحاجب من أن للمقتضى عموماً، وقد ذكر هذا النظم ضمن مؤلفاته الأصولية.

مما يقطع بكون هذه الرسالة من تصنيف المؤلف إذ لم ينازع أحد في ذلك.

المطلب الثاني: موضوع الرسالة

من خلال النظر في عنوان هذه الرسالة «رفع الجناح عمَّن عَلَّقَ الطلاق على النكاح»، يتبين أن موضوعها يتناول مسألة تعليق الطلاق على نكاح غير قائم، ويظهر ذلك أيضاً من مقدمة المصنف من بيان اختلاف الناس فيها؛ مما استدعى همة المصنف للكتابة فيها، وبيان اختلاف الأئمة والتعليق على أقوالهم، وكذا الرد على من زعم أنه ليس للشافعي فيها قول.

فبيِّن أن مذهب الشافعي هو عدم اعتبار المعلق على النكاح، وأنه لا يقع، وهو قول علي وابن عباس وعائشة رضي الله عنهم، ومروي عن شريح وابن المسيب، وعطاء وطاوس وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة، ثم ذكر قول الحنفية بإيقاعه، وهو مروي عن ابن مسعود، وبه قال الزهري، ثم ذكر التفصيل عند الإمام مالك والأوزاعي وابن أبي ليلى إن كان عين امرأة بعينها أو قبيلة بعينها فيقع، وإن عمم فليس بشيء، وبين قول الإمام أحمد: إن كان تزوج لم يؤمر بالتطبيق، وإن لم يتزوج لم يؤمر بالزواج.

فذكر حجة كل مذهب مفنداً ومناقشاً لها، وانتصر لمذهب الشافعي بعدم وقوع الطلاق المعلق على النكاح، معضداً ما ذهب إليه بالأدلة العقلية والعقلية.

المطلب الثالث: مصادر المؤلف

رجع المؤلف في رسالته إلى عدة مصادر صرح بأسمائها تارة، وبأسماء مؤلفيها

تارة أخرى، ومنها ما يلي:

١ - الأم، للإمام الشافعي رحمه الله.

- ٢- المختصر المنبه، لابن بشري.
- ٣- مختصر المزني، لإسماعيل بن يحيى المزني.
- ٤- الحاوي الكبير، لعلي بن محمد بن حبيب الماوردي.
- ٥- السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين البيهقي.
- ٦- معالم السنن، لحمد بن محمد الخطابي.
- ٧- شرح صحيح البخاري، لابن بطال.
- ٨- الانتصاف في مسائل الخلاف، لمحمد بن يحيى بن منصور النيسابوري.
- ٩- الهداية في شرح بداية المبتدي، لبرهان الدين المرغيناني الحنفي.
- ١٠- سنن ابن ماجه.

وأستطيع القول من خلال دراسة المخطوطة: إن البلقيني رحمه الله كان غالب اعتماده في هذه الرسالة على كتاب الأم، للشافعي، ومختصر المزني، والحاوي للماوردي، والسنن الكبرى للبيهقي؛ حيث أراد الانتصار لمذهب الشافعي رحمه الله في عدم الاعتماد بالطلاق قبل النكاح.

المطلب الرابع: وصف النسخة الخطية المعتمدة في التحقيق

اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على نسخة وحيدة، وهذه النسخة محفوظة لدى مكتبة دمياط بجمهورية مصر العربية، رقم الحفظ (١٣٣٣٤٦)، الرقم الخاص ٥٠٠٣ فقه شافعي، ضمن مجموع، وعدد أوراقها (٨) أوراق في الورقات من ٣٤ حتى ٤١، وهي مكتوبة بخط نسخي جيد، جاء على صفحة الغلاف فيها: «كتاب رفع الجناح عن علق الطلاق على النكاح، تصنيف الشيخ الإمام العالم شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن ابن بقية المجتهدين ابن عمدة المحققين شيخ الإسلام سراج الدين

عمر البلقيني، تغمدهما الله تعالى برحمته، آمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، آمين».

المطلب الخامس: منهج التحقيق

حرصت على إخراج الرسالة في صورة أقرب ما تكون إلى النص الذي وضعه المصنف فاتبعت الخطوات التالية:

- ١- نسخت الرسالة المخطوطة وفق قواعد الإملاء المشهورة.
- ٢- قابلت ما جاء بهذه النسخة على المصادر التي نقل عنها المصنف، وأثبت الفروق الجوهرية بينها في الهامش، وقد اعتمدت نص المخطوط ما لم يكن خطأً، فأثبت صوابه من المصدر، مع الإشارة إليه في الحاشية.
- ٣- عزوت الآيات القرآنية إلى موضعها في كتاب الله تعالى، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية.
- ٤- قمت بتخريج الأحاديث النبوية من مصادرها التي أشار إليها المصنف بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث والجزء والصفحة ما أمكن ذلك.
- ٥- ترجمت للأعلام ممن ورد ذكرهم في النص المحقق بترجمة موجزة، عدا المشاهير كالأئمة الأربعة.
- ٦- وثقت النصوص التي نقلها المصنف عن غيره إلى مؤلفاتهم أو غيرها من المصادر المعتمدة.
- ٧- التعليق على المسائل بذكر ما يستدعيه المقام من مزيد بيان أو إضافة مناسبة.
- ٨- الإشارة إلى بعض الكتب التي تناولت المسائل التي تعرض لها المؤلف، مع الحرص في ذلك على المصادر الأصيلة في بابها.
- ٩- ضبطت الألفاظ التي قد تشكل على القارئ.
- ١٠- وضعت قائمة بأهم المصادر والمراجع التي عزوت إليها.

صور من المخطوط:



اللوحه الأولى من المخطوط

صورة غلاف المخطوط



اللوحه الأخيرة من المخطوط

القسم الثاني

النص المحقق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

قال سيدنا ومولانا، شيخ الإسلام، علم الأئمة الأعلام، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن شيخ الإسلام، مجدد معالم الشرائع والأحكام سراج الدين أبي حفص عمر، البلقيني الشافعي، تغمده الله تعالى برحمته، وأسكنه فسيح جنته:

الحمد لله واجب الوجود، مالك كل موجود، المتفضل على عباده بالكرم والجلود، المنجز لكل موعود من خيره وبره المشهود، أحمدته على نعم سابغة البرود، سائغة الورود، وأشكره على منن جالبة للسعود، مظهرة للصعود، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في الوجود، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المؤيد المسعود، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أولي الفضل المعهود، وعلى أتباعهم في حبل الشريعة الممدود، وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد،،

فقد وقع الآن في هذا الأوان - الذي فيه النظر مفقود، والعيون قد طاب لها الرقود، وثار البحث زائدة الحمود، والقرائح ظاهر فيها الكسل والجمود - البحث عن تعليق الطلاق على نكاح ليس بوجود، فأردت أن أعلق في ذلك ما هو مخرج ومردود، وما هو وارد وما هو مورود، وعلى الله الكريم أعتد فهو المقصود.

فنقول: اعلم؛ الموجود في كتب الشافعي رضي الله تعالى عنه هو أن الطلاق المعلق على النكاح غير نافذ^(٧٢)، ونقل الرافعي^(٧٣) عن الحنّاطي^(٧٤) والسرّخسي^(٧٥) فيه قولين^(٧٦)، فنسوق النصوص في ذلك؛ ففي الأم في اختلاف العراقيين في ترجمة

الطَّلَاق^(٧٧): "وإذا قال الرَّجُلُ: كلُّ امرأةٍ أتزوَّجُها فهي طالقٌ [واحدةً]^(٧٨)، فإنَّ أبا حنيفةَ^(٧٩) كان يقولُ: هو كما قال، وأيُّ امرأةٍ تزوَّجها فهي طالقٌ واحدةً، وبهذا يأخذُ - يعني: أبا يوسفَ^(٨٠) - وكان ابنُ أبي ليلى^(٨١) يقولُ: لا يقعُ عليها الطَّلَاقُ؛ لأنه عمٌّ فقال: كلُّ امرأةٍ أتزوَّجُها، وإذا سمَّى امرأةً مسماً، أو مصراً بعينه، أو جعل ذلك إلى أجلٍ فقولُهما فيه سواءٌ، قال الربيعُ^(٨٢): ليس للشَّافعيِّ فيه جوابٌ، قال: وإذا قال الرَّجُلُ لامرأةٍ: إنَّ تزوَّجْتُكَ فأنتِ طالقٌ. أو قال: إذا تزوَّجْتُ إلى كذا وكذا من الأجلِ امرأةً فهي طالقٌ. أو قال: كلُّ امرأةٍ أتزوَّجُها من قريةٍ كذا وكذا فهي طالقٌ، أو من بني فلانٍ فهي طالقٌ، فإنهما جميعاً كانا يقولان^(٨٣): إذا تزوَّج تلكَ فهي طالقٌ، فإن دخلَ بها؛ فإنَّ أبا حنيفةَ^(٨٤) كان يقولُ: لها مهرٌ ونصفُ مهرٍ، [مهرٌ]^(٨٥) بالدُّخولِ ونصفُ مهرٍ بالطَّلَاقِ الذي أُوقِعَ عليها قبلَ الدُّخولِ، وبه يأخذُ - يعني: أبا يوسفَ^(٨٦) - وكان ابنُ أبي ليلى^(٨٧) يقولُ: لها نصفُ مهرٍ، ويُفَرَّقُ بينهما في قولهما جميعاً.

هذا نصُّه في اختلافِ العراقيينِ، ومعنى قولِ الربيعِ: ليس للشَّافعيِّ فيه جوابٌ، أنَّه لم يذكرْ في هذا الموضعِ جوابه كما جرَّتْ عادتهُ بذكرِ جوابه بعدَ ذكرِ كلامِ الإمامينِ وموافقةِ أبي يوسفَ، لا أنَّه لا جوابَ له مطلقاً، يدلُّ على ذلك أنَّ الشَّافعيَّ رضي اللهُ تعالى عنه نصَّ في كتابِ الظَّهارِ من الأمِّ^(٨٨) على أنَّ تعليقَ الظَّهارِ على الملكِ لا يجوزُ، ولفظُهُ في ترجمةِ ما يكونُ ظهاراً و[ما]^(٨٩) لا يكونُ: "ولو قال لامرأةٍ لم ينكحها: إذا نكحْتُكَ فأنتِ عليَّ كظهِرِ أمِّي، فنكحها لم يكنْ متظاهراً؛ لأنَّه إنما يقعُ التَّحريمُ من النِّساءِ على مَنْ حلَّ ثمَّ حرَّم، فأما مَنْ لم يحلَّ فلا يقعُ عليه تحريمٌ ولا حكمٌ تحريمٍ"^(٩٠)؛ لأنَّه حرَّمٌ فلا معنى للتَّحريمِ في التَّحريمِ؛ لأنَّه في الحالينِ^(٩١) قبلَ التَّحريمِ وبعدهُ حرَّمٌ بتَّحريمٍ، قال الشَّافعيُّ رضي اللهُ تعالى عنه: ورَوَى^(٩٢) مثلُ معنى ما قلتُ عن النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم، ثمَّ عن عليٍّ وابنِ عبَّاسٍ - رضي اللهُ تعالى عنهم^(٩٣) - وغيرهما^(٩٤)، وهو القياسُ^(٩٥). انتهى نصُّه.

وفي فوائدِ شيخنا رضي اللهُ تعالى عنه أنَّ في المختصرِ المنبهِ لابنِ بشري^(٩٦) - وهو كتابٌ جمع فيه نصوصَ الشَّافعيِّ رضي اللهُ تعالى عنه - : "ومَن قال لامرأةٍ: إن نكحْتُها فهي طالقٌ، فنكحها فأصابها فمَن ألزَمه الطَّلَاقَ لم ينبغي^(٩٧) أن يجعلَ عليه إلا مهرَ مثلها؛ لأنَّ الطَّلَاقَ وقعَ معَ المَلِكِ، فلم تكنْ الإِصابةُ إلا بعدَ الطَّلَاقِ، وقد قيل: هي امرأته، ولا يقعُ الطَّلَاقُ إلا على مَلِكٍ، وفي كتابِ آخر^(٩٨): "إذا قال: إن نكحْتُك فأنتِ طالقٌ، أو: كلُّ امرأةٍ أتزوجُها طالقٌ، فتزوجها - لم يلزمه شيءٌ؛ لأنَّ الطَّلَاقَ الذي له حكمٌ كان وهو غيرُ مالكٍ فبطلَ، قال: ولو قال لامرأةٍ لم ينكحها: أنتِ طالقٌ الساعةَ. لم تطلقِ، فهي بعدَ مدَّةٍ أبعدُ، وقال المزنيُّ^(٩٩): "وقد سمعتهُ قال: أنا واقفٌ فيه ليس لي فيه قولٌ، وهذا قديمٌ، وأجمعوا أنَّه لا سبيلَ إلى طلاقِ مَن لم أملك؛ للسُّنَّةِ المَجمَعِ عليها، فهي من بابِ أن يطلِّقَ ببدعةٍ أو على صفةٍ أبعدُ، قال أبو بكرٍ - يعني ابنَ بشري وفي الظَّهارِ إن قال لامرأةٍ لم ينكحها: إذا نكحْتُك فأنتِ عليٌّ كظهِرِ أمِّي، فنكحها لم يكنْ متظاهراً؛ لأنَّه لو قاله في ذلك الوقتِ لم يكنْ متظاهراً؛ إنَّما يقعُ التَّحريمُ على مَنْ حلَّ، ويُروى مثلُ معنَى ما قلتُ عن النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم، ثم عن عليٍّ وابنِ عباسٍ وغيرِهما، وهو القياسُ^(١٠٠)، وقد قيل إن في إملاء: ولو وكله بأن يُزوجَه فزوجَه، فقبل له: إحدَى هاتين زوجتُك. فقال: أيُّهما عقَدَ لي عليها النِّكَاحَ طالقٌ. طلقتُ، ولو قال: التي تُزوجُني. لم يقعَ، ولو لم يعتَمِدْ فقال: أيُّهما زوجتُنيها. لم تطلقِ. انتهى. قال شيخنا: فكأنَّ من نقلَ هذا القولَ الشَّادَّ أخذَه من التردُّدِ المذكورِ، وفيه نظرٌ. انتهى كلامُ شيخنا رضي اللهُ تعالى عنه.

ويعني بالتَّردُّدِ - فيما أظنُّ - قوله: فمَن ألزَمه الطَّلَاقَ، وقوله: وقد قيل، ومن قولِ المزنيِّ عنه: أنا واقفٌ فيه ليس فيه قولٌ، ولكنَّ هذا لا يلزمُ منه أن يكونَ للشَّافعيِّ قولٌ بأنَّه يقعُ، ثمَّ هذا الذي نقلَه ابنُ بشري عن المزنيِّ ليس في المختصرِ، إنَّما

الذي في المختصر في باب الطلاق قبل النكاح من إملاء على مسائل ابن القاسم، ومن مسائل شتى سمعتها لفظاً:

قال الشافعي: ولو قال: كل امرأة أتزوجها فهي طالق، أو لامرأة بعينها، أو لعبد: إن ملكك فأنت حر، فتزوج أو ملك، لم يلزمه شيء؛ لأن الكلام الذي كان له الحكم كان وهو غير مالك فبطل^(١٠١). ولو قال لامرأة لا يملكها: أنت طالق الساعة، لم تطلق، فهي بعد مدة أبعده، قال: فإذا لم يعمل القوي كان الضعيف أولى أن لا يعمل، قال المزني: وأجمعوا أنه لا سبيل إلى طلاق من لم يملك^(١٠٢)؛ للسنة المجتمع^(١٠٣) عليها، فهي من أن تطلق ببدعة أو على صفة أبعده^(١٠٤).

هذا نص المزني، فليس في هذا الكلام ما يقتضي أن الشافعي متوقف فيه، وقد قال المزني قبل هذا الباب- لما حكى قول الشافعي رضي الله تعالى عنه الداهب إلى أن الصفة تعود بعد البينة غير الكبرى، وفرضه في صورة أن يقول لها: أنت طالق ثلاثاً كل سنة طلقة-: أن لا يخلو قوله: أنت طالق في كل سنة، من [أحد ثلاثة]^(١٠٥) معان؛ إما أن يريد في هذا النكاح الذي عقد^(١٠٦) فيه الطلاق، فقد بطل وحدث غيره فكيف يلزمه؟ وإما أن يريد في غير ملكي^(١٠٧)، فهذا لا يذهب إليه أحد يعقل وليس بشيء، وإما أن يريد في نكاح يحدث^(١٠٨)، فقوله: لا طلاق قبل نكاح^(١٠٩)، وهذا طلاق قبل نكاح فتفهم رحمك الله تعالى^(١١٠).

فقد صرح المزني بأن قوله المعروف هو: أن لا طلاق قبل نكاح، وعن الحاوي^(١١١) للماوردي^(١١٢) أن الشافعي رضي الله تعالى عنه ذكر في أماليه القديم كلام الناس، قال الربيع: قلت له: فما تقول أنت؟ قال: أنا واقف في ذلك. ثم وضح له الحكم، فصار إليه، نص عليه في عامة كتبه. انتهى، فدل ذلك على أن الوقوع ليس قولاً له.

وأخرج البيهقي^(١١٣) في باب الطَّلَاقِ قَبْلَ النِّكَاحِ حديثَ عمرو بنِ شعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه، قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: «لا طلاقَ قَبْلَ نِكَاحٍ» من طريقِ حبيبِ المعلِّم^(١١٤)، ومن طريقِ مطرِ الورَّاقِ، عن عمرو، ولفظه: «لا طلاقَ فيما لا يملكُ، ولا عتقَ إلا فيما يملكُ»^(١١٥).

قال^(١١٦): هذه روايةُ هشامِ الدَّستوائيِّ عن مطرٍ، وروايةُ ابنِ أبي عَروبةَ عن مطرٍ: «ليس على الرَّجُلِ طلاقٌ ولا بيعٌ فيما لا يملكُ، ولا عتقٌ فيما لا يملكُ». قال: رواه أبو داودَ في كتابِ السُّنَنِ^(١١٧)، عن مسلمِ بنِ إبراهيمَ، عن هشامِ.

ثم أخرج من طريقِ حبيبِ المعلِّمِ، عن عمرو بنِ شعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه عبدِ اللهِ بنِ عمرو، أنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قال: «لا طلاقَ إلا بعدَ نِكَاحٍ، ولا عتقَ إلا [بعدَ]»^(١١٨) مِلْكٍ، قال: رواه جماعةٌ عن عمرو بنِ شعيبٍ؛ بعضهم قال: عن جدِّه. كما قال مطرُ الورَّاقِ، وبعضُهم قال: عن عبدِ اللهِ بنِ عمرو كما قال حبيبُ المعلِّمِ^(١١٩).

ثم روى [عن أبي عباسٍ، عن الدُّوريِّ]^(١٢٠)، عن ابنِ معينٍ، أنه قال: عمرو بنُ شعيبٍ ثقةٌ^(١٢١)، وروى عن الحسنِ بنِ سفيانَ: سمعتُ إسحاقَ بنَ راهويتهُ يقولُ: إذا كان الرَّاوي عن عمرو بنِ شعيبٍ ثقةً، فهو كأثوبَ عن نافعٍ عن^(١٢٢) ابنِ عمرٍ^(١٢٣)، وروى عن البخاريِّ أنَّه قال: رأيتُ أحمدَ بنَ حنبلٍ، وعليَّ بنَ عبدِ اللهِ، والحميديَّ، وإسحاقَ بنَ إبراهيمَ يَتَجُونُ بِحَدِيثِ عمرو بنِ شعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه^(١٢٤)، وروى عن أبي بكرِ النَّيسابوريِّ أنَّه قال: قد صحَّ سماعُ عمرو بنِ شعيبٍ من أبيه، وسماعُ شعيبٍ من جدِّه عبدِ اللهِ بنِ عمرو^(١٢٥).

قال البيهقيُّ: إذا قال الرَّاوي: عن جدِّه، فإنه يشبهُ أنْ يكونَ أريدَ [عن جدِّه]^(١٢٦) محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عمرو، ومحمدٌ ليست له صحبةٌ، فيكونُ مرسلًا، فإذا قال

الرَّأوي: عن جدّه عبدِ اللهِ بنِ عمرو، زال الإشكالُ، وصار الحديثُ موصولاً، والله أعلم^(١٢٧).

وأخرج البيهقيُّ حديثَ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ يرفعه قال: «لا طلاقَ قبلَ نكاحٍ، ولا عتقَ قبلَ ملكٍ» من طريقِ ابنِ أبي شيبَةَ، حدثنا وكيعٌ، عن [ابنِ أبي ذئبٍ]^(١٢٨)، عن عطاءٍ، عن^(١٢٩) محمدِ بنِ المنكدرِ، عن جابرٍ فذكره^(١٣٠).

وأخرجه أيضاً من طريقِ عطاءٍ^(١٣١)، حدّثني^(١٣٢) جابرٌ، ومن طريقِ محمدِ بنِ المنكدرِ حدّثني^(١٣٣) جابرٌ^(١٣٤).

ثم أخرج حديثَ معاذِ بنِ جبلٍ، قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: «لا طلاقَ إلا بعدَ نكاحٍ ولا عتقَ إلا بعدَ ملكٍ»، من طريقِ ابنِ جريجٍ، عن عمرو بنِ دينارٍ، عن طاوسٍ، عن معاذٍ، فذكره^(١٣٥).

قال^(١٣٦): ورَوينا ذلك أيضاً في الكتابِ الذي كتبه رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم لعمرِ بنِ حزمٍ، ورَوِيَ ذلك أيضاً عن عليٍّ، وابنِ عمرَ، وابنِ عباسٍ، وعائشةَ [وغيرهم]^(١٣٧) رضي اللهُ تعالى عنهم، عن النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم، وهو قولُ عليٍّ وابنِ عباسٍ وعائشةَ رضي اللهُ تعالى عنهم.

ثم أخرج البيهقيُّ أثرَ عليٍّ رضي اللهُ تعالى عنه مسنداً عن الحسنِ أن رجلاً سألَ عليَّ بنَ أبي طالبٍ رضي اللهُ تعالى عنه قال: قلتُ: إن تزوّجتُ فلانةَ فهي طالقٌ، فقال عليٌّ: «تزوَّجها، فلا شيءَ عليك»^(١٣٨).

ثم أخرج عن عكرمةَ، عن ابنِ عباسٍ، قال: «ما قالها ابنُ مسعودٍ، وإن يكنُ قالها فزلةٌ عالمٍ؛ في الرجلِ يقولُ: إذا تزوّجتُ فلانةَ فهي طالقٌ، قال اللهُ تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ}»^(١٣٩)، ولم يقل: (إذا طلقتم المؤمنات ثم نكحتموهن)^(١٤٠).

وساق البيهقيُّ في ذلك أشياءَ تركنا ذكرَها اختصاراً فلترجعُ من السُّنَنِ له^(١٤١).

وفي معالمِ السُّنَنِ للخطَّابي^(١٤٢) قال الشيخُ أبو سليمان: "قوله: لا طلاق، معناه نفيُ حكمِ الطَّلَاقِ المؤجَّلِ"^(١٤٣) على المرأةِ قبلَ أنْ تملكَ بعقدِ النِّكَاحِ، وهو يقتضي نفيَ وقوعه على العمومِ سواءً كانَ في امرأةٍ بعينها أو في نساءٍ لا بأعينهنَّ، وقد اختلفَ النَّاسُ في هذا؛ فرُوِيَ عن عليٍّ، وابنِ عَبَّاسٍ، وعائشةَ رضي اللهُ تعالى عنهم أنهم لم يروا طلاقاً إلا بعدَ النِّكَاحِ، وقد رُوِيَ ذلك عن شريحٍ، وابنِ المسيبِ، وعطاءٍ، وطاوسٍ، وسعيدِ بنِ جبْرِ، وعكرمةَ، وقتادةَ، وإليه ذهبَ الإمامُ الشَّافعيُّ^(١٤٤).

ورُوِيَ عن ابنِ مسعودٍ إيقاعُ الطَّلَاقِ قبلَ النِّكَاحِ، وبه قالَ الزُّهريُّ، وإليه ذهبَ أصحابُ الرَّأْيِ^(١٤٥).

وقال مالكٌ والأوزاعيُّ وابنُ أبي ليلَى^(١٤٦): إنْ ذَكَرَ^(١٤٧) امرأةً بعينها، أو قال: من قبيلةٍ أو بلدٍ بعينه، جاز، وإنْ عمَّ فليس بشيءٍ، وكذلك قال ربيعةٌ^(١٤٨)، وقال الثوريُّ^(١٤٩) نحواً من ذلك: إذا قال إلى سنةٍ أو وقتٍ معلومٍ. وقال أحمدٌ وأبو عبيدٍ^(١٥٠): إنْ كان نكحَ لم يُؤمَّرَ بالفراقِ، وإنْ لم يكنْ نكحَ لم يُؤمَّرَ بالتزويجِ. ورُوِيَ نحوُ هذا عن الأوزاعيِّ^(١٥١).

قال الشيخُ أبو سليمان: وأسعدُ النَّاسِ بهذا الحديثِ مَنْ قال بظاهره، وأجرَاهُ على عمومِهِ؛ إذ لا حجةَ مع مَنْ فرقَ بينَ حالٍ وحالٍ، [والحديثُ حسنٌ]^(١٥٢)، وقال أبو عيسى^(١٥٣): سألتُ محمدَ بنَ إسماعيلَ، فقلْتُ: أيُّ شيءٍ أصحُّ في الطَّلَاقِ قبلَ النِّكَاحِ؟ فقال: حديثُ عمرو بنِ شعيبٍ عن أبيه عن جدِّه. وسُئِلَ ابنُ عباسٍ عن هذا، فقرأ قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ } الآية^(١٥٤)، وقوله: لا يبيعُ إلا فيما يملكُ، لا أعلمُ خلافاً أنَّه لو باعَ سلعةً لا يملكها، ثم ملكها أنه لا يصحُّ فيها^(١٥٥). انتهى كلامُ الخطَّابيِّ.

وحديث عمرو بن شعيبٍ رواه أصحابُ السننِ الأربعةُ في كتبهم^(١٥٦)، وقال البخاريُّ: هو أصحُّ شيءٍ في الطَّلَاقِ قبلَ النِّكاحِ كما تقدَّم. وقال الترمذيُّ: حسنٌ صحيحٌ. وقال: هو أحسنُّ شيءٍ في البابِ^(١٥٧). وقال الحاكمُ: صحيحُ الإسنادِ^(١٥٨). ويُقَلُّ عن الخطابيِّ أنَّه قال: إنَّه حسنٌ^(١٥٩).

وفي شرح البخاريِّ لابن بطَّالٍ في بابِ اليمينِ فيما لا يملكُ: اختلفوا إذا حَلَفَ الرَّجُلُ يَعتقُ ما لا يملكُ إنَّ ملكَه في المستقبلِ فقال مالكٌ^(١٦٠): إنَّ عيَّنَ أحداً أو قبيلةً أو جنساً لزمه العتقُ، وإنَّ قال: كلُّ مملوكٍ أملكه أبداً حرامٌ، [لم]^(١٦١) يلزمه عتقُ، وكذلك في الطَّلَاقِ؛ إنَّ عيَّنَ قبيلةً أو بلدةً أو صفةً ما، لزمه الحنثُ، وإنَّ لم يعيَّنَ لم يلزمه، وقال أبو حنيفةً رضي الله تعالى عنه وأصحابه^(١٦٢): يلزمه الطَّلَاقُ والعتقُ سواءً عمٌ أو خصماً، وقال الشَّافعيُّ^(١٦٣): لا يلزمه؛ لا ما خصاً ولا ما عمً.

وحجَّةُ مالكٍ أنَّ الله تعالى نهى عباده أن يحرموا ما أحلَّ الله تعالى لهم، ومَن استثنى موضعَ نكاحٍ أو عتقٍ فلم يحرم على نفسه كلَّ ما أحلَّ الله تعالى له، وحجَّةُ الكوفيِّين أنَّها طاعةُ الله عزَّ وجلَّ يلزمه الوفاءُ بها إنَّ قدرَ عليها، ومخرَجُها مخرَجُ التَّذرُّ، كما يقولُ مالكٌ في الأيمانِ، وحجَّةُ الشَّافعيِّ رضي الله تعالى عنه قوله صلى الله عليه وسلم: «لا نذرَ في معصيةٍ، ولا فيما لا يملكُ ابنُ آدمَ»^(١٦٤)، وإذا لم يلزمه التَّذرُّ فيما لا يملكُ فاليمينُ أولىُّ أن لا تلزمه، وأمَّا الطَّلَاقُ فإنَّ الله تعالى إنَّما جعله في كتابه بعدَ النِّكاحِ، فقال تعالى: {إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ} [الأحزاب: ٤٩]، و(ثم) لا توجبُ غيرَ التعقيبِ^(١٦٥). انتهى.

ولم يذكر البيهقي حديثَ عمرانَ بنِ حصينٍ في قصَّةِ المرأةِ التي ندرت في ناقه النبيِّ صلى الله عليه وسلم إنَّ الله أنجأها عليها لتذبحها، وهو حديثٌ صحيحٌ رواه مسلمٌ في صحيحه، عن زهيرِ بنِ حربٍ، وعليِّ بنِ حُجْرٍ السَّعديِّ، واللفظُ لزهيرٍ،

قالا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ أَبِي الْمُهَلَّبِ، عَنْ
عمرانِ بنِ حُصَيْنٍ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ فِيهِ: «وَأُسْرِتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ^(١٦٦)، وَأُصْبِتِ
العَضْبَاءُ، فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ فِي الْوَثَاقِ، وَكَانَ الْقَوْمُ يُرِيحُونَ نَعْمَهُمْ بَيْنَ يَدَيْ بِيوتِهِمْ،
فَانْفَلَتَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنَ الْوَثَاقِ، فَأَتَتْ الْإِبِلَ، فَجَعَلَتْ إِذَا دَنَتْ مِنَ الْبَعِيرِ رَغَا، فَتَرَكُوهُ
حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْعَضْبَاءِ، فَلَمْ تَرُعْ، قَالَ: وَنَاقَةٌ مُنَوَّقَةٌ^(١٦٧)، فَفَعَدَتْ فِي عَجْزِهَا، ثُمَّ
زَجَرَتْهَا فَاَنْطَلَقَتْ، وَنَذَرُوا^(١٦٨) بِهَا فَطَلَبُوهَا فَأَعَجَزَتْهُمْ قَالَ: وَنَذَرْتُ لِلَّهِ إِنْ نَجَّاهَا اللَّهُ
عَلَيْهَا لَتَنْجِيَنَّهَا، فَلَمَّا قَدِمَتِ الْمَدِينَةَ رَأَاهَا النَّاسُ، فَقَالُوا: الْعَضْبَاءُ نَاقَةٌ رَسُولُ اللَّهِ
عليه وسلم، فَقَالَتْ: إِنَّهَا نَذَرْتُ إِنْ نَجَّاهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا لَتَنْحَرِّثَهَا، فَأَتُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، بِشَسِّ مَا جَزَّئَهَا، نَذَرْتُ إِنْ نَجَّاهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا
لَتَنْحَرِّثَهَا! لَا وَفَاءَ لِنَذْرِ فِي مَعْصِيَةٍ وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ الْعَبْدُ»^{(١٦٩)(١٧٠)}.

والاحتجاجُ منه كالاحتجاجِ مِنَ الْأَحَادِيثِ السَّابِقَةِ، وَالْمَنْقُولُ عَنِ الْحَنْفِيَّةِ أَنَّهُ إِذَا
عَلِقَ الطَّلَاقَ عَلَى الْمَلِكِ [وَجَادَتْ] ^(١٧١) آخَرَ بَعْدَهُ أَنَّهُ يَصِحُّ التَّعْلِيقُ^(١٧٢)، وَهَذَا شَامِلٌ
لَمَّا إِذَا قَالَ: إِنْ تَزَوَّجْتُكَ وَأَعْطَيْتَنِي أَلْفَ دَرَاهِمٍ فَأَنْتِ طَالِقٌ، وَقِيَاسُ هَذَا أَنَّهُ إِذَا تَزَوَّجَهَا
وَأَعْطَتْهُ أَلْفَ دَرَاهِمٍ أَنَّهَا تَطْلُقُ وَيَمْلِكُ الْأَلْفَ، وَهَذَا بَيْعُ الطَّلَاقِ قَبْلَ مَلَكَه، وَاللَّهُ تَعَالَى
لَمْ يُبَيِّحِ الْفِدْيَةَ إِلَّا فِي الْمَمْلُوكَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ
شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ }^(١٧٣).

وَأَمَّا عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، فَالَّذِي أَقْطَعُ بِهِ أَنْ لَا قَوْلَ
لِلشَّافِعِيِّ بِالْوَقْعِ، وَبِتَقْدِيرِ ثُبُوتِهِ لَا تَجِيءُ فِي هَذِهِ أَصْلًا؛ لِأَنَّ (إِنْ أَعْطَيْتَنِي) لِلْفُورِ
عِنْدَهُ، وَهَذَا لَا يَحْصُلُ فِيهِ الْفُورُ؛ لِأَنَّ التَّزْوِيجَ قَاطِعٌ لِفُورِيَّةِ الْإِعْطَاءِ، وَبِتَقْدِيرِ أَنْ يُقَالَ:
إِذَا تَزَوَّجَهَا أَعْطَتْهُ فُورًا، يُعَارِضُ بِأَنَّ التَّزْوِيجَ لَا يُشْتَرَطُ فِيهِ الْفُورُ، فَتَنَافَى الشَّرْطَانِ،
فَإِنْ قَالَ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ: اشْتَرَطَ أَنْ يَتَزَوَّجَ عَلَى الْفُورِ وَيُعْطَى عَقِبَ التَّزْوِيجِ مِنْ غَيْرِ

فصل، قلنا: هذا خلافُ موضوعِ الشرطِ الأوَّلِ، فإنَّ الشرطَ الأوَّلَ لا يقتضي الفورَ، فقضاءُ الشرطِ الثاني على الأوَّلِ تحكُّمٌ، كما أنَّ قضاءَ الأوَّلِ على الثاني في التراخي تحكُّمٌ، فلما تنافى الموضوعانِ بطلَ ذلك قطعاً، وفي تعليقِ محمد بنِ يحيى^(١٧٤) تلميذِ العزالي^(١٧٥) في الخلافِ أنَّ فهمَ المسألةِ يَنبني على معرفةِ معنى الطَّلاقِ والتَّطليقِ وحقيقةِ التَّعليقِ، فمعتقِدُ الخصمِ أنَّ الطَّلاقَ كالَّتطليقِ بمعنى واحدٍ، فقولهم: طَلَّقَ تَطليقاً وطلاقاً، كقولهم: كَلَّمَ تَكليماً وكلاماً، وأمَّا التَّعليقُ فليس طلاقاً في الحال، بل يصيرُ طلاقاً في ثاني الحالِ عندَ وجودِ الصِّفَةِ، فلم يفتقرَ في تصحيحه إلى قيامِ النِّكاحِ إلا حينَ يصيرُ طلاقاً.

ومعتقِدنا: أنَّ التَّطليقَ والطلاقَ مُتغييرانِ، أمَّا الطَّلاقُ فهو الواقعُ في المحلِّ، والتَّطليقُ إيقاعُ من المطلقِ، والتَّطليقُ والتَّعليقُ كلاهما تصرفٌ في الطَّلاقِ بالإيقاعِ، والتَّصرفُ في الطَّلاقِ دونَ ملكِ الطَّلاقِ غيرُ مُتصورٍ، ولا ملكٌ للطَّلاقِ دونَ النِّكاحِ فلغني التَّعليقِ قبلَ الملكِ، والعبارةُ عنه: أنَّ الطَّلاقَ غيرُ التَّطليقِ، والتَّطليقُ تصرفٌ في الطَّلاقِ بالإيقاعِ، ويتأيدُ ما ذكرناه بالتَّعليقِ المطلقِ، فإنَّ مَنْ قال لأجنبيَّةٍ: إنَّ دخلتِ الدَّارَ فأنتِ طالقٌ. كان النِّكاحُ مضمراً فيه قطعاً؛ إذ يستحيلُ طلاقُ بلا نكاحٍ، فالواقعُ من ضرورةِ الكلامِ أبلغُ ثبوتاً من المذكورِ صريحاً، فدلَّ على أنَّ المانعَ من الصِّحَّةِ انتفاءُ ملكِ الطَّلاقِ، ومعتَمِدُ الخصمِ أنَّ التَّطليقَ ليس بطلاقٍ في الحالِ، فلا يحتاجُ في تصحيحه إلى النِّكاحِ، وتقديره أنه يمينٌ؛ إذ حدُّ اليمينِ بغيرِ الله تعالى الكلامُ المركَّبُ من الشرطِ والجزاءِ، وقد وُجِدَا، وسُمِّيَ التَّعليقُ يميناً في العرفِ والشرعِ، وظهرَ فيه مقصودُ اليمينِ؛ إذ غرضُ الخالفِ منعُ النَّفسِ من المحلوفِ عليه خوفاً من وقوعِ الطَّلاقِ، ومحلُّ اليمينِ ذاتٌ، فلا يحتاجُ إلى النِّكاحِ، وصيغةُ الطَّلاقِ موجودةٌ، ولكنَّها مركَّبةٌ في سياقِ كلامٍ آخرَ، وحكمُ المركَّبِ غيرُ حكمِ المفردِ، ألا ترى أنَّ كلمةَ الشَّهادةِ مركَّبةٌ من النفيِ والإثباتِ ودعمها التَّوحيدُ، ولو أفردَ النفيَ بالذكرِ لكان كفرةً، كذلك صيغةُ الطَّلاقِ

في تركيبِ اليمينِ كانَ برأ، نعم إذا وُجِدَتِ الصِّفَةُ لم تَبَقِ الصِّفَةُ شَرْطاً بعدَ الوجودِ، فإنَّ حرفَ الشَّرْطِ إِمَّا يَدْخُلُ عَلَيْهِ ما لم يُوجَدْ، فإذا وُجِدَ لم يَبْقَ شَرْطاً، وانحَلَّ تركيبُ اليمينِ، وعندَ ذلكَ تَبَقِيَ صِيغَةُ الطَّلَاقِ مفردةً فيكونُ طلاقاً، ولا يلزَمُ مطلقُ التَّعليقِ، فإنَّ الجزاءَ يَنْبَغِي أنْ يَكُونَ معلومَ الوقوعِ عندَ الشَّرْطِ، إما غالباً كما في صلبِ النُّكَاحِ، أو يقيناً كما في التَّعليقِ المقيَّدِ بالملكِ حتَّى تنعقدَ اليمينُ، وأمَّا في المطلقِ فليس النُّكَاحُ قائماً، ولا قيدهُ بذكره، فالغالبُ أنَّها تدخُلُ ولا يَقَعُ الطَّلَاقُ؛ إذ الأصلُ استمرارُ عدمِ النُّكَاحِ، فامتنعَ الانعقادُ لخللِ الجزاءِ.

ومنهم مَنْ قال: قوله: أنتِ طالقٌ. إِمَّا يَنْعَقِدُ سبباً إذا اتَّصَلَ بِالْمَحَلِّ، والشَّرْطُ يَنْعُقُ اتِّصَالَهُ بِالْمَحَلِّ، فيمنعُ السَّبَبِيَّةَ إلى أنْ توجَدَ الصِّفَةُ ويحصلَ الاتِّصالُ، فيكونُ عندهُ سبباً.

والجوابُ: أنا نُسَلِّمُ كَوْنَ التَّعليقِ يميناً، ولكنَّه لا يُنَافِي كَوْنَهُ إيقاعاً، ووجهُ الجمعِ أنَّ الشَّارِعَ جَعَلَ هَذَا اللَّفْظَ إيقاعاً لِلطَّلَاقِ عندَ الدُّخُولِ، والزَّوْجُ أتى به ليمنعَ نفسه من الدُّخُولِ خوفاً من الطَّلَاقِ، فليس بينَ الكلامينِ تنافٍ، وصرفُ الاعتراضِ أنَّ التَّعليقَ انعقدَ يميناً في الملكِ؛ فسيقولون: لأنَّ حدَّه الشَّرْطُ والجزاءُ، فنقول: إنَّ عنيتمُ به جزاءً مذكوراً فقط فهو بالتَّعليقِ المطلقِ، وإنَّ عنيتمُ به جزاءً واقعاً عندَ الشَّرْطِ غالباً أو يقيناً، فبيَّنوا أنَّ الطَّلَاقَ معلومَ الوقوعِ عندَ النُّكَاحِ يقيناً أو غالباً حتَّى تنعقدَ اليمينُ، وهل وقعَ النزاعُ إلا فيه؟ بخلافِ التَّعليقِ في الملكِ؛ فإنَّ الجزاءَ تمَّ معلومَ الوقوعِ فانعقدَ اليمينُ.

والحاصلُ: أنَّ وقوعَ الطَّلَاقِ يَنْبَغِي على انعقادِ اليمينِ، وانعقادُ اليمينِ مشروطٌ بكونِ الطَّلَاقِ معلومَ الوقوعِ، وهو محلُّ النزاعِ، فصار دوراً.

وقولهم: إِنَّ الشَّرْطَ يَمْنَعُ الاِتِّصَالَ بِالْمَحَلِّ بِنَاءً عَلَى أَنَّ التَّطْلِيْقَ تَصْرُفٌ فِي الْمَرْأَةِ. ليس كذلك؛ فَإِنَّا بَيَّنَّا أَنَّهُ تَصْرُفٌ فِي الطَّلَاقِ بِالْإِيْقَاعِ، ثُمَّ الْوَاقِعُ انْقِطَاعُ النِّكَاحِ، وَالشَّرْطُ لَا يَمْنَعُ الاِتِّصَالَ بِاللَّفْظِ، نَعَمْ يُؤَخَّرُ وَقَوْعَهُ فِي الْمَحَلِّ، وَمَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى أَنَّهُ مُسْتَنَدٌ لِحُصْمٍ قَدْ ذَكَرَ نَحْوَهُ فِي الْهَدَايَةِ لِلْحَنْفِيَّةِ فَقَالَ فِي بَابِ الْإِيْمَانِ فِي الطَّلَاقِ: "وَإِذَا أَضَافَ الطَّلَاقُ إِلَى النِّكَاحِ وَقَعَ عَقِيْبَ النِّكَاحِ؛ مِثْلَ أَنْ يَقُولَ لِمَرْأَةٍ: إِنَّ تَزَوُّجُكَ فَأَنْتِ طَالِقٌ، أَوْ: كُلُّ امْرَأَةٍ أَتَزَوَّجُهَا فَهِيَ طَالِقٌ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: لَا يَقَعُ الطَّلَاقُ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا طَلَاقَ قَبْلَ النِّكَاحِ»^(١٧٦).

ولنا أَنَّ هَذَا تَصْرُفٌ يَمِينٌ؛ لَوْجُودِ الشَّرْطِ وَالْجِزَاءِ، فَلَا يُشْتَرَطُ لِصِحَّتِهِ قِيَامُ الْمَلِكِ فِي الْحَالِ؛ لِأَنَّ الْوُقُوعَ عِنْدَ الشَّرْطِ وَالْمَلِكُ مُتَيَقِّنٌ بِهِ عِنْدَهُ، وَقَبْلَ ذَلِكَ أَثَرُهُ الْمَنْعُ وَهُوَ قَائِمٌ بِالْمَنْصَرَفِ، وَالْحَدِيثُ مَحْمُولٌ عَلَى نَفْيِ التَّنْجِيزِ، وَالْحَمْلُ مَأْتُوْرٌ عَنِ السَّلَفِ كَالشَّعْبِيِّ^(١٧٧) وَالزُّهْرِيِّ^(١٧٨) وَغَيْرِهِمَا^(١٧٩)، وَإِذَا أَضَافَهُ إِلَى شَرْطٍ وَقَعَ عَقِيْبَ الشَّرْطِ، مِثْلَ أَنْ يَقُولَ لِمَرْأَتِهِ: إِنَّ دَخَلْتَ الدَّارَ فَأَنْتِ طَالِقٌ، وَهَذَا بِالِاتِّفَاقِ لِأَنَّ الْمَلِكَ قَائِمٌ فِي الْحَالِ، وَالظَّاهِرُ بَقَاؤُهُ إِلَى وَقْتِ الشَّرْطِ فَيَصِحُّ يَمِينًا أَوْ إِيقَاعًا، وَلَا يَصِحُّ إِضَافَةُ الطَّلَاقِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْحَالُ مَالِكًا أَوْ يَضِيْفُهُ إِلَى مَلِكٍ؛ لِأَنَّ الْجِزَاءَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرًا لِيَكُونَ مَخِيْفًا لِتَحْقِيْقِ^(١٨٠) مَعْنَى الْيَمِيْنِ، وَهُوَ الْقُوَّةُ وَالظُّهُورُ بِأَحَدِ هَذَيْنِ [الْأَمْرَيْنِ]^(١٨١)، وَالْإِضَافَةُ إِلَى سَبَبِ الْمَلِكِ بِمَنْزِلَةِ الْإِضَافَةِ إِلَى الْمَلِكِ؛ لِأَنَّهُ ظَاهِرٌ عِنْدَ سَبَبِهِ، فَإِنْ قَالَ لِأَجْنَبِيَّةٍ: إِنَّ دَخَلْتَ الدَّارَ فَأَنْتِ طَالِقٌ، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا فَدَخَلْتَ الدَّارَ لَمْ تَطْلُقْ؛ لِأَنَّ الْحَالَفَ لَيْسَ بِمَالِكٍ، وَمَا^(١٨٢) أَضَافَهُ إِلَى الْمَلِكِ [أَوْ]^(١٨٣) سَبَبِهِ، وَلَا بُدَّ مِنْ وَاحِدٍ مِنْهُمَا. هَذَا كَلَامُ الْهَدَايَةِ^(١٨٤).

وفيه معنى ما أشار إليه الإمام محمد بن يحيى، وهذا الذي قالوه من أن قوله: أنتِ طالقٌ، إنما ينعقد سببًا إذا اتصل بالحلل، والشَّرْطُ يَمْنَعُ اتِّصَالَه بِالْمَحَلِّ، فَتَمْتَنَعُ السَّبَبِيَّةُ إِلَى أَنْ تُوجَدَ الصَّفَقَةُ، وَيَحْصُلُ الاِتِّصَالَ فَيَكُونُ سَبَبًا، هُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِمْ: إِنَّ الْيَمِيْنِ

ليست سبباً في إيجاب الكفارة، فإنهم قالوا: لا يجوز تقديم الكفارة قبل الحنث، مُستدلين بأنه أدى الكفارة قبل وجوبها، وقبل وجود سببها، فلم يجعلوا اليمين سبباً من وقت اللفظ.

وقد تناظر القاضي أبو الطيب^(١٨٥) من الشافعية، وأبو الحسين الطالقاني^(١٨٦) من الحنفية في هذه المسألة فاستدل الطالقاني بما تقدم، فقال له القاضي: اليمين عندي سبب. فأجابه أبو الحسن الطالقاني بأن اليمين تمنع من الحنث، وما منع من السبب الذي تجب فيه الكفارة لم يُجز أن يكون سبباً لوجوبها؛ كالصوم والإحرام؛ لما منع السبب الذي يجب عنده الكفارة من الوطء وغيره، لم يُجز أن يُقال: بها سببان في إيجابها. فأجاب القاضي أبو الطيب عن هذا، وقال: لا أسلم أن اليمين تمنع الحنث؛ لأنها لا تجوز أن تكون مغيرة لحكم الشيء، بل إذا كان الشيء مباحاً فهو بعد اليمين باق على حكمه. وأما قوله: إن اليمين موضوعة للمنع، فلا يكون سبباً لما يتعلق في الكفارة فباطل بما لو قال لامرأته: إن دخلت الدار فأنت طالق، فإنه قصد المنع بهذه اليمين من دخول الدار، ثم هي سبب فيما يتعلق بها من الطلاق. ولهذا قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى^(١٨٧): لو شهد شاهدان على رجل أنه قال لامرأته: إن دخلت الدار فأنت طالق، وشهد آخران أنها دخلت، ثم رجعا عن الشهادة أن الضمان يجب على شهود اليمين، وهذا دليل واضح على أن اليمين هي السبب؛ لأنها لو لم تكن سبباً في إيقاع الطلاق؛ لما تعلق الضمان عليهم فيما أوجب الضمان على شهود اليمين على أن اليمين كانت سبباً في إتلاف البضع وإيقاع الطلاق، فانتقض ما ذكرت من الدليل، فأجابه الطالقاني بأن ما ذكرته من الدليل صحيح، وقولك: إن هذا يبطل بمسألة اليمين في الطلاق فلا يلزم؛ وذلك أن السبب هناك هو اليمين؛ لأن الطلاق فيه يقع، ألا ترى إن صح في اليمين بإيقاع الطلاق؟! فيقول: إن دخلت الدار فأنت طالق. وإنما دخل الشرط لتأخر الإيقاع لا لتغييره، ولذلك قالوا: الشرط مؤخر ولا يُغير،

فحينَ كانَ الطَّلَاقُ واقِعًا باليَمِينِ كائتَ هي السَّبَبُ فكانَ الضَّمَانُ على شهودِها؛ لأنَّ الإيقاعَ حصلَ بشهادَتِهِم، وأمَّا في مسألتِنَا فاليَمِينُ ليسَ في لفظِها ما يُوجبُ الكفَّارةَ، فلمَ يُجزُ أنَ يكونَ سببًا في إيجابِها.

وهذا مِنَ الطَّلَاقِ يَقْتَضِي أنَ يَمِينَ الطَّلَاقِ سَبَبٌ مِنَ اللَّفْظِ بخلافِ اليَمِينِ باللهِ تعالى، فإنَّها ليستَ سببًا بالكُليَّةِ وفي شرحِ المَهْدَبِ للعراقي^(١٨٨) لما ذكرَ قولَ المَهْدَبِ^(١٨٩) فإنَّ قالَ: إنَ تزوجتُ امرأةً فهي طالقٌ لم يصحَّ؛ لما رَوَى المسورُ بنُ مخرمةَ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «لا طلاقَ قبلَ النِّكاحِ ولا عتقَ قبلَ المِلكِ»^(١٩٠) عندَ أبي حنيفةَ^(١٩١) رضيَ اللهُ تعالى عنه: يَقَعُ الطَّلَاقُ في تعليقِ العامِّ وهو أنَ يقولَ: كُلُّ امرأةٍ تزوجتُها فهي طالقٌ. والخاصُّ وهو أنَ يقولَ: إنَ تزوجتُ فلانةَ فهي طالقٌ وعندَ مالكٍ^(١٩٢) لا يَقَعُ في العامِّ لأنَّه يُفْضِي صحتهُ إلى إبطالِ حُكْمِ النِّكاحِ بخلافِ الخاصِّ، استدلَّ أبو حنيفةَ رَحِمَهُ اللهُ تعالى على عَقْدِهِ قبلَ النِّكاحِ ووقوعِهِ بعدَ النِّكاحِ بأنَّ الطَّلَاقَ يصحُّ بالغرورِ والجَهالةِ فصَحَّ عَقْدُهُ في غيرِ ملكٍ إذا أُضيفَ إلى المِلكِ كالوصيةِ والتَّذرِ. قالَ: وبيانُ العَرَرِ في الطَّلَاقِ أنَ يقولَ: إنَ قَدِمَ زيدٌ فأنتَ طالقٌ؛ لأنَّه قد يقدِّمُ ولا يَقْدِمُ والجَهالةُ فيه أنَ يقولَ: إحدَى نِسائي طالقٌ فالقصدُ بالطَّلَاقِ مَجْهُولَةٌ والعَرَرُ في الوصيةِ أنَ يُوصيَ بحمْلِ ناقتهِ أو ثَمرةِ شجرتهِ والجَهالةُ فيها أنَ يُوصيَ بأحدِ عبيدهِ ثمَّ ثَبَتَ أنَّ الوصيةَ تَنعَقِدُ في غيرِ ملكٍ بأنَ يُوصيَ بثُلثِ مالِهِ ولا مالَ له فيصيرُ ذا مالٍ، وكذلك في التَّذرِ قالَ ولأنَّ الطَّلَاقَ مَبْنِيٌّ على السَّرَايَةِ كالعتقِ وإذا قالَ لأمتِهِ: إذا ولدتِ ولدًا فهو حُرٌّ. عتقَ عليه ولدها إذا ولدتهِ بما عَقَدَهُ قبلَ تَمْلُكِهِ كذلك الطَّلَاقُ قالوا: قولُهُ عليه الصلاةُ والسلامُ: «لا طلاقَ قبلَ النِّكاحِ» معناه: لا طلاقَ واقعٌ قبلَ النِّكاحِ ونحنُ نُوقِعُهُ بعدَ النِّكاحِ، وإنَ كانَ عَقْدُهُ قبلَ النِّكاحِ.

والجوابُ عنه بثلاثةِ أجوبةٍ أحدها: أنَّ الطَّلَاقَ إذا كانَ رافعًا للنِّكاحِ فمَعْلُومٌ مِن حالِ الأجنبيَّةِ التي لا نِكَاحَ عليها أنَّ الطَّلَاقَ لا يَقَعُ عليها، فلا نَحْتَاجُ فيما هو

مَعْقُولٌ إِلَى بَيَانِ مُسْتَفَادٍ مِنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالثَّانِي: أَنْ يُحْمَلَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا طَلَاقَ قَبْلَ النِّكَاحِ» عَلَى عُمُومِ الْأَمْرَيْنِ، فَلَا طَلَاقَ وَاقِعٌ وَلَا مَعْقُودٌ؛ لِأَنَّ اللَّفْظَ يَحْتَمِلُهُمَا أَلَّا تَرَاهُ لَوْ قَالَ: لَا طَلَاقَ قَبْلَ النِّكَاحِ وَاقِعًا وَلَا مَعْقُودًا لَصَحَّ فَوَجِبَ أَنْ يَكُونَ مَحْمُولًا عَلَى مَحْمَلَيْنِ مَعًا دُونَ أَحَدِهِمَا وَالثَّلَاثُ: قَدْ رُوِيَ مَا يَدْفَعُ هَذَا التَّأْوِيلَ وَهُوَ مَا رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ فِي سَنَنِهِ^(١٩٣) بِإِسْنَادِهِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ رَجُلٍ قَالَ: يَوْمَ أَتَزَوَّجُ فَلَانَةَ فَهِيَ طَالِقٌ. فَقَالَ: «طَلَّقَ مَا لَمْ يَمْلِكْ» وَرَوَى زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ ابْنِي خَطَبَ امْرَأَةً وَإِنَّ ابْنِي قَالَ: هِيَ طَالِقٌ إِنْ تَزَوَّجْتُهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مُرِيهِ فَلْيَتَزَوَّجْهَا، إِنَّهُ لَا طَلَاقَ قَبْلَ النِّكَاحِ»^(١٩٤).

وَالجَوَابُ عَنِ النَّذْرِ وَهُوَ أَنَّ النَّذَرَ مَنْ يَثْبُتُ فِي الدَّمَمِ وَالطَّلَاقَ لَا يَثْبُتُ فِي الدَّمَمَةِ وَإِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِالْعَيْنِ، وَمَا كَانَ طَرِيقُهُ طَرِيقَ الدَّمَمِ فَقَدْ يَجُوزُ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَالِكًا، وَمَا كَانَ طَرِيقُهُ طَرِيقَ الْأَعْيَانِ فَلَا يَثْبُتُ فِي الدَّمَمِ وَلَا يَصِحُّ الْعَقْدُ فِيهِ، فِي الْحَاوِي^(١٩٥): وَأَمَّا الْجَوَابُ عَنْ قِيَاسِهِمْ عَلَى الْوَصِيَّةِ وَالنَّذْرِ هُوَ أَنَّ عَقْدَ الْوَصِيَّةِ إِجْبَابٌ وَقَبُولٌ^(١٩٦) وَعَقْدَ الطَّلَاقِ تَنْفِيرٌ وَعَقْدُ التَّنْفِيرِ لَا يَصِحُّ إِلَّا مِنْ مَالِكٍ كَيْسَ مَالِ الْعَيْرِ بَعِيرٍ إِذْ نَهَى يَعْضُدُ فِي الْإِجَارَةِ^(١٩٧)، وَأَمَّا الْجَوَابُ عَنْ عِتْقِ وَلَدِ أُمَّتِهِ قَبْلَ وِلَادَتِهِ فَمِنْ أَصْحَابِنَا مَنْ مَنَعَ وَقَالَ: لَا يَعْتَقُ؛ لِأَنَّهُ عِتْقٌ قَبْلَ الْمَلِكِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: يَعْتَقُ فَعَلَى هَذَا إِنَّمَا عِتْقُ الْوَلَدِ تَبَعًا لِأُمِّهِ وَالْأُمُّ مَوْجُودَةٌ فِي مَلِكِهِ، وَلَا كَذَلِكَ فِي الْأَجْنَبِيَّةِ فِي التَّلْعِيقِ^(١٩٨).

وَلِهَذَا لَوْ وَقَفَ شَيْئًا لَا يَمْلِكُهُ لَمْ يَصِحَّ وَلَوْ مَلَكَ نَحْلًا ثُمَّ تَصَدَّقَ بِشِمَارِهَا جَارًا وَإِنْ لَمْ تَكُنِ الثَّمَارُ مَوْجُودَةً وَأَمَّا الْوَصِيَّةُ فَمِنْ أَصْحَابِنَا^(١٩٩) مَنْ قَالَ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ عِنْدَ الْوَصِيَّةِ وَوَصَّى بِثُلْثِ مَالِهِ أَوْ مَا شَاءَ لَمْ يَصِحَّ فَعَلَى هَذَا لَا فَرْقَ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ جَائِزٌ لِلضَّرُورَةِ إِلَى ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَدْرِي مَتَى يَأْتِيهِ الْمَوْتُ وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ الْوَصِيَّةَ تُصَرَّفُ

في مال بعد الموت وزوال الملك، ولا يجوز مثل ذلك في الطلاق؛ لأنه لأبد أن يتعلّق عندهم بملك وهو النكاح فلو كانت الوصية مثل الطلاق لصحّ العقد في الطلاق إذا لم يتعلّق بالزوجيّة كما صحّت الوصية وإن لم تتعلّق بملك، ولا يختلفون أنه لو ملك شيئاً ثم زاد ماله وكثر أن الوصية صحيحة في الجميع؛ لأن الأصل كان موجوداً، في التّهديب^(٢٠٠): وإن قال: إن ملكت عبد فلان فهو حرّ أو كلّ عبد ملكته فهو حرّ لم يُعتق. بخلاف ما لو قال: إن شفى الله مريضاً فليله عليّ عتق عبد ولا عبد له يلزمه التّذرّ لأنه إلزام في الدّمة ويجوز أن يلتزم في الدّمة ما لا يملكه وليس بتصرف في ملك الغير بدليل أنه إذا ملكه لا يعتق ما لم ينسئ إعتاقه ولو قال: إن ملكت عبد فلان فهو حرّ. ففيه وجهان؛ أحدهما لا يلزم كالبيع، والثاني يلزم لأنه إلزام في الدّمة. انتهى كلامُ العراقيّ.

وحدّث المسور بن مخرمة الذي ذكره رواه ابن ماجه وأخرج من طريق أحمد بن سعيد الدارميّ، حدّثنا عليّ بن الحسن بن واقد، حدّثني هشام بن سعد، عن الزّهريّ، عن عروة، عن المسور بن مخرمة عن النبيّ ﷺ قال: «لا طلاق قبل النكاح، ولا عتق قبل الملك»^(٢٠١).

وما تقدّم في كلام البيهقيّ^(٢٠٢) عن عليّ رضي الله عنه أخرج ابن ماجه أيضاً؛ فأخرج من طريق محمد بن يحيى، حدّثنا عبد الرزاق، أنبأ معمر، عن جوير، عن الضّحالك، عن^(٢٠٣) النزّال بن سبرة، عن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه عن النبيّ ﷺ قال: «لا طلاق قبل النكاح»^(٢٠٤).

وأما ما ذكره في صورتيّ التّذرّ والوصية فهو غير مُناظر للمسألة؛ لأنّ المسألة في إن تعلّق الطلاق على الملك، وصورة التّذرّ والوصية أن يتذرّ أو يوصي ولا مال له ثم يملك، وهذه لا تُشبه تلك، إنّما يُشبه تلك أن تُعلّق الوصية على الملك أو التّذرّ

على الملك، وقد قال أصحابنا^(٢٠٥): إنَّ تعليقَ العِتقِ بالملكِ كتعليقِ الطَّلَاقِ بالنكاحِ كقولِه: إن اشتريتك فأنت حرٌّ وكلُّ عبدٍ اشتريته فهو حرٌّ، ولو قال: لله عليَّ أن أعتقَ هذا العبدَ إن ملكته فوجهان؛ أحدهما: يصحُّ؛ لأنه إلزامٌ في الدِّمَّةِ، وجزمٌ به الماوردي^(٢٠٦)، وأفتى به القاضي^(٢٠٧) إذا أرادَ شكرَ نعمةِ اللهِ بذلكِ على دخوله في ملكه وأجرى الوجهانِ فيما لو قال: إن ملكتُ عبدَ فلانٍ فقد أوصيتُ به لفلانٍ، أمَّا لو أرسلَ الوصيَّةَ بعبدٍ أو غيره وهو لا يملكُ شيئاً، فإنَّ الوصيَّةَ تصحُّ على الصحيح كالنذر، ويجري الخلافُ الأوَّلُ فيما لو وكلَّ في بيعِ هذا العبدِ إن ملكه أو في عتقه أو في طلاقِ فلانةٍ إذا تزوجها، والأصحُّ أنه لا يصحُّ ولو علَّقَ العبدُ الطَّلَاقَ الثالثةَ مطلقاً كقولِه: إن دخلتِ الدَّارَ فأنت طالقٌ ثلاثاً فعتقَ ثمَّ دخلتِ مُقيداً بحالِ ملكِ الثلاثةِ كقولِه: إذا عتقتُ فأنت طالقٌ ثلاثاً. فعتقَ فهل يصحُّ؟ ويقعُ الثلاثةُ وجهانِ أصحَّهما، وبه جزمَ البغوي^(٢٠٨) أنه يصحُّ ويجري الوجهانِ فيما قالَ لأُمِّتهِ الحاملِ: إذا ولدتِ فولدكُ حرٌّ. فإن كانت حاملاً صحَّ قطعاً، وهذا الذي قاله العراقيُّ من تقديرِ الأمرينِ يَنبني على عُمومِ المقتضي، والمشهورُ عندَ الفقهاءِ أنه لا عُمومَ له وهو الذي رجَّحه ابنُ الحاجبِ^(٢٠٩) وذلك أنَّ التَّفْيَ هنا لم يردْ على الموجودِ فلم يبقَ إلَّا نفيُ الحكمِ فلا بدَّ من مُقدَّرٍ مُضافٍ ليستقيمَ الكلامُ فكانَ من المقتضى على هذا التقديرِ والذي اخترناه في نظمِ ابنِ الحاجبِ أنْ له عُموماً.

هذا آخرُ ما أوردناه في هذه المسألةِ واللهُ تعالى يفتِّحُ لنا مِن بابِ مِنَ العِلْمِ مُقْفَلَه، آمينَ والحمدُ ربِّ العالمينَ، علَّقَ هذا بخطه لنفسه ثمَّ لمن شاء اللهُ من خلقه مِن بعده الفقيرُ إلى اللهِ تعالى عيسى بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ محمدِ الدنوشريِّ الحنبليِّ عفا اللهُ تعالى عنهم وعن جميعِ المسلمينَ آمينَ وصَلَّى على سيدنا محمدٍ وآلهِ وصحبهِ وسلَّم تسليمًا كثيرًا في تاسِعَ عشرَ شعبانَ سنةَ تسعٍ وأربعينَ وألفٍ.

الخاتمة

- الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد، فإنه بعد انتهاء العمل من خدمة هذا المخطوط القيم تبين للباحث جملة من النتائج على النحو التالي:
- ١- أن مؤلف الرسالة إمام عالم مدقق من أعيان الشافعية الكبار، له جهد واضح في خدمة المذهب الشافعي نقلا وتحريرا واجتهادا.
 - ٢- أن نسبة المخطوط لمؤلفه العلامة البلقيني نسبة صحيحة ثبتت لدى المحقق.
 - ٣- اعتمد المؤلف في رسالته على مصادر أصيلة في المذهب وفي غيره.
 - ٤- أن الرسالة من الموضوعات المهمة، والتي يمكن البناء عليها في النظر في المستجدات الفقهية في باب النكاح والطلاق، ومسائل تعليق النكاح بصورة خاصة، مع ربطه بالنظائر الفقهية المقاربة.
 - ٥- اعتمد المؤلف على المنهج الفقهي المقارن القائم على عرض الأقوال والحجاج، ومناقشتها، وترجيح ما يراه بموضوعية وتجرد، وظهر اعتماده واضحا على إيراد الآثار وألفاظها وطرقها، وتقوية ما يراه قويا من حيث الإسناد والدلالة.
 - ٦- عرض المؤلف في رسالته أقوال الفقهاء على اختلافها، ورجح فيها القول بعدم وقوع الطلاق المعلق على النكاح بأدلة نقلية وعقلية صححت انتصاره لمذهب الإمام الشافعي اعتبارا بالمنقول من كتبه المعتمدة، وعملا بحديث: « لا يطلق فيما لا يملك... ».

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الهوامش والتعليقات:

- (١) انظر: محاضرات في تاريخ الأيوبيين والمماليك ص (١٤٩).
- (٢) انظر: عصر سلاطين المماليك ص (١٠).
- (٣) انظر: الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأموي والملوكي الأول ص (٣١٤)، التاريخ الإسلامي للشيخ / محمود شاكر (٢٦-٢٧).
- (٤) انظر: محاضرات في تاريخ الأيوبيين والمماليك ص (٢٩٣).
- (٥) انظر: مصادر ترجمته طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٨٧/٤)، أنباء الغمر (٧/٤٤٠)، ورفع الأصر ص (١٦٩) كلاهما للحافظ ابن حجر، لحظ الألاحظ لابن فهد (ص ٢٨٢)، الضوء اللامع (٤/١٠٦)، وجيز الكلام في الذيل على طبقات الإسلام (٢ / ٤٦٧) كلاهما للسخاوي، النجوم الزاهرة (١٤/٢٣٧)، المنهل الصافي (٧/١٩٧) كلاهما لابن تغري بردي، بهجة الناظرين إلى تراجم المتأخرين من الشافعية البارعين (ص ١٩١) للغزي، حسن المحاضرة للسيوطي (ص ١٤٥)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد (٩/٢٤٢)، الإعلام للزركلي (٣/٣٢٠)، ومعجم المؤلفين لكحالة (٥/١٦٠).
- (٦) انظر: رفع الإصر (ص ٢٢٦)، أنباء الغمر (٣/٢٥٩).
- (٧) انظر: لحظ الألاحظ (ص ٢٨٢)، النجوم الزاهرة (١٤/٢٣٧)، شذرات الذهب (٩ / ٢٤٢).
- (٨) انظر: الضوء اللامع (١٤/١٠٦).
- (٩) انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (١/٤٨٩)، ومراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع للبغدادي (١/٢٢٩).
- (١٠) انظر: رفع الإصر (ص ٢٢٦)، وأنباء الغمر (٧/٤٤٠)، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٤/٨٧)، والضوء اللامع (٤/١٠٦).
- (١١) انظر: النجوم الزاهرة (١٤/٢٣٧)، وشذرات الذهب (٩/٢٤٢).
- (١٢) انظر: الضوء اللامع (٤/١٠٧).

- (١٣) انظر: الضوء اللامع (١٠٧/٤).
- (١٤) انظر: رفع الإصر (ص ٢٢٦).
- (١٥) انظر: النجوم الزاهرة (٢٣٧/١٤)، وشذرات الذهب (٢٤٢/٩) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٨٩/٤)، والضوء اللامع (١٠٧ / ١٤).
- (١٦) انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٨٩/٤)، الضوء اللامع (١١٠/١٤).
- (١٧) انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٣٦ / ٤)، أنباء الغمر (٢/٢٤٧)، الضوء اللامع (٨٧/٦).
- (١٨) انظر: رفع الإصر ص ٢٢٦، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٤ / ٣٨)، شذرات لذهب (٩ / ٢٤٢)، النجوم الزاهرة (١٤ / ٢٣٨)
- (١٩) انظر: الضوء اللامع (٣ / ٣١٢)، المنجم في المعجم للسيوطي (ص ١٢٦)، شذرات الذهب (٩ / ٤٥٤).
- (٢٠) انظر: هداية العارفين في أسماء المؤلفين (٥ / ٤٢٢)، تاريخ الأدب العربي (١١ / ٣٨٦).
- (٢١) انظر: حسن المحاضرة (ص ٢٣٨)، شذرات الذهب (٨ / ٥٤٦)، وهداية العارفين (٦ / ١٧٣).
- (٢٢) انظر: النجوم الزاهرة (١٤ / ٢٣٧)، الضوء اللامع (٤ / ٤٠).
- (٢٣) انظر: النجوم الزاهرة (١٤ / ٢٣٨)، المنهل الصافي (٤ / ٤٢).
- (٢٤) انظر: الضوء اللامع (٧ / ٢٩٤)، والنجوم الزاهرة (١٥ / ٢٤٨).
- (٢٥) انظر: الضوء اللامع (٦ / ١٨١)، والنجوم الزاهرة (١٦ / ١٦١).
- (٢٦) انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٤ / ٣٨)، أنباء الغمر (٢ / ٢٤٧) النجوم الزاهرة (١٤ / ٧٤)، وشذرات الذهب (٩ / ٨٠)، الضوء اللامع (٦ / ٨٧).
- (٢٧) انظر: المجمع المؤسس للمعجم المفهرس (٣ / ١٥٤) الضوء اللامع (٤ / ١٠٧).
- (٢٨) انظر: الدرر الكامنة (٢ / ١٩١)، طبقات الحفاظ للسيوطي (ص ٥٣٢).

- (٢٩) انظر: الضوء اللامع (٢ / ٣٦)، طبقات الحفاظ (ص ٥٥٢).
- (٣٠) انظر: الضوء اللامع (٧ / ١٠٦)، طبقات الحفاظ (ص ٥٥٠).
- (٣١) انظر: الضوء اللامع (٣ / ٣١٢)، المنجم في المعجم للسيوطي ص (١٢٦).
- (٣٢) انظر: الضوء اللامع (٧ / ١١٨) نظم العقيان (ص ٤٧).
- (٣٣) انظر: الضوء اللامع (١٠ / ٥٦).
- (٣٤) انظر: الضوء اللامع (٥ / ١٥٣) الدرر الكمين بذيل العقد الثمين (٢ / ٩٥٤).
- (٣٥) انظر: الضوء اللامع (١ / ٤٣) نظم العقيان (ص ١٥).
- (٣٦) انظر: الضوء اللامع (٦ / ٣٢٤).
- (٣٧) انظر: الضوء اللامع (٢ / ١٣٤)، المنهل الصافي (٢ / ١٢٤).
- (٣٨) رفع الإصر (ص ٢٢٧).
- (٣٩) رفع الإصر (٢٢٨)، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٤ / ٨٩).
- (٤٠) طبع بدار الصحابة للتراث - مصر، تحقيق د. أنور حمود المرسي خطاب.
- (٤١) انظر: تاريخ الأدب العربي (١٠ / ٤٦٢).
- (٤٢) طبع في دار النوادر - سوريا - تحقيق نور الدين طالب.
- (٤٣) انظر: رفع الإصر (ص: ٢٢٨).
- (٤٤) انظر: الأعلام للزركلي (٣ / ٣٢٠).
- (٤٥) انظر: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي (ص: ٣٠)، وهدية العارفين (٥ / ٥٢٩)، وكشف الظنون (١ / ٧٠٦).
- (٤٦) انظر: هدية العارفين (٥ / ٥٢٩)، والضوء اللامع (٤ / ١١٣).
- (٤٧) انظر: هدية العارفين (٥ / ٥٢٩)، والضوء اللامع (٤ / ١١٣).
- (٤٨) انظر: هدية العارفين (٥ / ٥٢٩)، والضوء اللامع (٤ / ١١٣).

- (٤٩) انظر: الضوء اللامع (٤ / ١١٣)، والأعلام (٣ / ٣٢٠).
- (٥٠) انظر: كشف الظنون (٢ / ١٨٥٦)، هدية العارفين (٥ / ٥٢٩)، ومعجم المؤلفين (٢ / ١٠٣)، والضوء اللامع (٤ / ١١٣).
- (٥١) انظر: المراجع السابقة، وكشف الظنون (١ / ٦٢٥، ٦٢٦).
- (٥٢) انظر: كشف الظنون (٢ / ١٨٧٣، ١٨٧٤)، وابن قاضي شهبه (٤ / ٨٩)، الضوء اللامع (٤ / ١١٣) معجم المؤلفين (٣ / ١٠٣).
- (٥٣) انظر: الضوء اللامع (٤ / ١١٣).
- (٥٤) انظر: تاريخ الأدب العربي (١٠ / ٤٦٢)، وهدية العارفين (٥ / ٥٢٩).
- (٥٥) انظر: تاريخ الأدب العربي (١٠ / ٤٦٢)، وكشف الظنون (١ / ٨٨٥)، وهدية العارفين (٥ / ٥٢٩)، ومعجم المؤلفين (٢ / ١٠٣)، والضوء اللامع (٤ / ١١٣)، والأعلام (٣ / ٣٢٠).
- (٥٦) انظر: الأعلام (٣ / ٣٢٠)، والضوء اللامع (٤ / ١١٣).
- (٥٧) انظر: الضوء اللامع (٤ / ١١٣).
- (٥٨) انظر: الضوء اللامع (٤ / ١١٣).
- (٥٩) الإعلان بالتوبيخ (ص: ٣٠).
- (٦٠) انظر: الضوء اللامع (٤ / ١١٣).
- (٦١) انظر: الضوء اللامع (٤ / ١١١).
- (٦٢) انظر: الضوء اللامع (٤ / ١١١).
- (٦٣) انظر: الضوء اللامع (٤ / ١١١).
- (٦٤) انظر: صبح الأعشى (١١ / ٣٢٩).
- (٦٥) انظر: صبح الأعشى (٤ / ٣٧).
- (٦٦) انظر: صبحي الأعشى (٤ / ٣٥).
- (٦٧) انظر: النجوم الزاهرة (١٤ / ٧٤).

(٦٨) انظر: النجوم الزاهرة (١٤ / ٢٣٨)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي (٢ / ١٠٥)، الضوء اللامع (٤ / ١١٢).

(٦٩) انظر: رفع الإصر (ص ٢٢٧).

(٧٠) انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٩ / ٢٤٢).

(٧١) انظر: أنباء الغمر (٣ / ٢٦٠)، شذرات الذهب (٩ / ٢٤٣)، النجوم الزاهرة (١٤ / ٢٣٧)، الضوء اللامع (٤ / ١١٢)، لحظ الألاحظ (ص ٢٨٤).

(٧٢) انظر: الأم (٧ / ١٥٩، ١٦٢)، ونهاية المطلب (١٣ / ٣٢٢)، والحاوي الكبير (١٠ / ٢٥)، والمجموع (٨ / ٣٨)، وروضة الطالبين (٨ / ٣٨).

وقال الحافظ ابن حجر: وهذه المسألة من الخلافات الشهيرة وللعلماء فيها مذاهب؛ الوقوع مطلقا، وعدم الوقوع مطلقا، والتفصيل بين ما إذا عين أو عمم، ومنهم من توقف. فتح الباري (٩ / ٣٨٦).

(٧٣) هو: عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، الرافعي، أبو القاسم. من أهل قزوين من كبار الفقهاء الشافعية. ترجع نسبته إلى رافع بن خديج الصحابي. ولد سنة (٥٥٧هـ). من مصنفاته: الشرح الكبير الذي سماه العزيز شرح الوجيز للغزالي، وقد تورع بعضهم عن إطلاق لفظ العزيز مجرداً على غير كتاب الله فقال: فتح العزيز في شرح الوجيز، وشرح مسند الشافعي. توفي سنة (٦٢٣هـ). انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٨ / ٢٨١)، وفوات الوفيات (٢ / ٣).

(٧٤) هو: الحسين بن محمد بن عبد الله، وقيل: ابن الحسن. أبو عبد الله، الحناطي الطبري الشافعي. فقيه، محدث، قدم بغداد، وحدث بها عن عبد الله بن عدي وأبي بكر الإسماعيلي وغيرهما. روى عنه أبو منصور محمد بن أحمد بن شعيب الروياني، والقاضي أبو الطيب وغيرهما. من تصانيفه: الكفاية في الفروق، والفتاوى.

والحناطي بجاء مهملة بعدها نون مشددة، وهذه النسبة لجماعة من أهل طبرستان منهم هذا الإمام، ولعل بعض آبائه كان يبيع الحنطة، قال القاضي أبو الطيب في تعليقه في باب التحفظ في

الشهادة عند الكلام على الحناطي كان الحناطي رجلا حافظا لكتب الشافعي وكتب أبي العباس، توفي فيما يظهر بعد الأربعمئة بقليل أو قبلها بقليل والأول أظهر. انظر: طبقات الشافعية (٣٦٧/٤)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/٢٥٤)، ومعجم المؤلفين (٤٨/٤).

(٧٥) هو: عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد، أبو الفرج، السرخسي، النيزي، أحد الأجلاء من الأئمة، وله الزهد والروع. فقيه شافعي وتفقه على القاضي الحسين، وسمع أبا القاسم القشيري، والحسن بن علي المطوعي، وأبا المظفر محمد بن أحمد التميمي وآخرين. روى عنه أبو طاهر السنجي وعمر بن أبي مطيع وأحمد بن محمد بن إسماعيل النيسابوري وغيرهم. قال ابن السمعاني: أحد أئمة الإسلام، ومن يضرب به المثل في الآفاق يحفظ مذهب الإمام الشافعي ومعرفته. ورحل إليه الأئمة والفقهاء من كل جانب، وحصلوه واعتمدوا عليه. من تصانيفه: التعليقة، والأمالى. توفي سنة ٤٦٤ وقيل ٥٠٠هـ.

انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٠١-١٠٤)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/٢٦٣)، وشذرات الذهب (٣/٤٠٠).

(٧٦) انظر: روضة الطالبين للنووي (٨/٦٨).

(٧٧) الأم: (٧/١٦٨).

(٧٨) زيادة غير موجودة في الأم.

(٧٩) انظر: اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى لأبي يوسف (ص ٢٠٢)، والحجة على أهل المدينة لمحمد بن الحسن (٣/٢٧٧، ٢٧٨)، ومختصر اختلاف العلماء للطحاوي (٢/٨٢)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/٢٣٢).

(٨٠) اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى (ص ٢٠٢).

(٨١) ينظر: اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى (ص ٢٠٢)، ومختصر اختلاف العلماء (٢/٨٢)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/٢٣٢).

(٨٢) هو: أبو محمد الربيع بن سليمان المرادي مولا هم، المصري، المؤذن، الإمام المحدث، الفقيه الكبير، بَقِيَّةُ الأعلام، صاحبُ الإمامِ الشَّافِعِيِّ، وناقلُ علمه، وشيخُ المؤدِّنين بجامع الفسطاط، ومستملي مشايخ وقته، مولده في سنة أربع وسبعين ومائة، أو قبلها بعام. ثقةٌ، مُتَّقٌ عليه، سمع ابنَ وهب وأسد بن موسى وشعيبَ بنَ الليث وأقرانهم، وأكثر عن الشافعيِّ، وهو الذي يروي كتبه، قال الشافعي: الربيع راويتي. والمزنيُّ، مع جلالته استعان فيما فاته عن الشَّافِعِيِّ بكتابِ الرِّبِيِّ، روى عنه أبو حاتم، وأبو زرعة، وأبو داود السَّجِسْتَانِيُّ، وأقرانهم، مات بمصر سنة سبعين ومائتين.

انظر: الإرشاد للخليلي: (١/٤٢٨)، طبقات الفقهاء للشيرازي: (ص ٩٨)، سير أعلام النبلاء: (١٢/٥٨٧).

وينظر قوله في الأم ١٥٩/٧، وفيه: للشافعي فيه جواب. وهو خلاف ما نقله المصنف هنا، وسيأتي تعليق المصنف قريبا على قول الربيع المذكور هنا، وقد ذكر الشافعي في موضع آخر من باب الطلاق من الأم (٥/٢٥١) ما نصه: ولم أعلم مخالفا في أن أحكام الله تعالى في الطلاق والظهار والإيلاء لا تقع إلا على زوجة ثابتة النكاح يجلب للزوج جماعها. وهذا يدل على أن الشافعي وضع قاعدة عامة بنى عليها رأيه في المسألة فكانت جوابا لكل رأي في المسألة، والله تعالى أعلم.

(٨٣) انظر: اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى لأبي يوسف (ص ٢٠٣).

(٨٤) انظر: اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى لأبي يوسف (ص ٢٠٣)، ومختصر اختلاف العلماء للطحاوي (٢/٨٣).

(٨٥) زيادة من كتاب الأم يقتضيها السياق.

(٨٦) اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى (ص ٢٠٣).

(٨٧) انظر: اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى لأبي يوسف (ص ٢٠٣)، ومختصر اختلاف العلماء للطحاوي (٢/٨٣).

(٨٨) الأم: (٥/٢٩٥-٢٩٦).

- (٨٩) زيادة من المصدر يقتضيها السياق.
- (٩٠) في المخطوط: (بتحريم) والمثبت موافق لما في الأم: (٢٩٦/٥).
- (٩١) في المخطوط: (الحال) والمثبت موافق لما في الأم: (٢٩٦/٥).
- (٩٢) في الأم: (٢٩٦/٥): ويروي.
- (٩٣) في الأم: (٢٩٦/٥): عنهما.
- (٩٤) في الأم: (٢٩٦/٥): وغيرهم.
- (٩٥) نقل هذا الكلام البيهقي في معرفة السنن والآثار، ثم ساق الأحاديث والآثار التي تدلل على قول الإمام الشافعي المذكور، وتفصيل الروايات التي أجملها الإمام الشافعي هنا، ينظر: معرفة السنن والآثار (٥/٤٤٦ - ٤٤٩)، برقم (٤٤٠٢ - ٤٤٠٥). وستأتي هذه الأدلة قريباً.
- (٩٦) وهو أحمد بن بشري المصري، أبو بكر، له مختصر في الفقه جمع فيه نصوصاً للشافعي. ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبه (١/٢٠٢)، والمجموع للنووي (١١/٨٠، ٢٤٨).
- (٩٧) هكذا في المخطوط، وهي لغة لبعض العرب؛ تجزم المضارع ولا تحذف حرف العلة على التوسع، ومنه قراءة قنبل عن ابن كثير: (إنه من يتقي ويصبر)، وكذلك قراءة (لا تخف دركا ولا تخشى)، بإثبات الياء والألف في (يتقي، وتخشى) على التوالي، ومنه أيضاً قول الشاعر:
- ألم يأتيك والأنباء تنمي
بما لاقت لبون بني زياد
- انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص: ٢٦٧)، معاني القرآن للفراء: (٢/١٦١)، شرح التسهيل لابن مالك: (١/٥٥-٥٨)، همع الهوامع للسيوطي: (١/٢٠٥).
- (٩٨) انظر: مختصر المزني (ص ١٨٨)، ومعرفة السنن والآثار (٥/٤٤٦)، في: باب الطلاق قبل النكاح بنحوه.
- (٩٩) هو: إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني المصري، أبو إبراهيم. من كبار أصحاب الشافعي، ولد سنة (١٧٥هـ)، وتوفي سنة (٢٦٤هـ). من مصنفاته: الجامع الكبير، الجامع الصغير.
- انظر: طبقات الفقهاء للشيرازي، (ص ٩٧)، طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي (٢/٩٣).

- (١٠٠) القول في الأم، وقد تقدم في الصفحة السابقة، وتقدم التعليق عليه.
- (١٠١) إلى هنا انتهى كلام الشافعي رحمه الله، وما بعده من كلام المزني كما في مختصر المزني، وانظر: الحاوي الكبير: (١٠ / ٢٥).
- (١٠٢) في المختصر: (ملك).
- (١٠٣) في المختصر: (المجمع).
- (١٠٤) مختصر المزني: (٨ / ٢٩١).
- (١٠٥) في المخطوط: (إحدى ثلاث) والمثبت من المختصر.
- (١٠٦) في المختصر: (عقدت).
- (١٠٧) في المخطوط: (ملك) والمثبت من المختصر.
- (١٠٨) في المخطوط: (حدث) والمثبت من المختصر.
- (١٠٩) في المختصر: (النكاح).
- (١١٠) مختصر المزني: (٨ / ٢٩١).
- (١١١) الحاوي الكبير للماوردي: (١٠ / ٢٦).
- (١١٢) هو: علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي الشافعي، أبو الحسن. فقيه، أصولي، مفسر، أديب، سياسي. ولد سنة (٣٦٤هـ)، ودرّس بالبصرة وبغداد، وتولى القضاء في مدن كثيرة، وتوفي ببغداد سنة (٤٥٠هـ). من مصنفاته: الحاوي، الأحكام السلطانية.
انظر: سير أعلام النبلاء (١٨ / ١٤)، معجم المؤلفين (٨ / ١٨٩)..
- (١١٣) هو: أحمد بن الحسين بن علي، الخسروجدي، أبو بكر، ولد سنة (٣٨٤هـ)، وسمع من أبي عبدالله الحاكم، وأبي بكر بن فورك. وظل يطلب الحديث والعلم حتى صار أوحد زمانه، من مصنفاته: السنن الكبرى، الأسماء والصفات، دلائل النبوة. قال إمام الحرمين: ما من شافعي إلا للشافعي عليه منة؛ إلا أبا بكر البيهقي فإن له المنة على الشافعي، لتصانيفه في نصره مذهبه. توفي سنة (٤٥٨هـ).

انظر: تذكرة الحفاظ (١١٣٢/٣)، شذرات الذهب (٢٤٨/٥).

(١١٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب الطلاق قبل النكاح، (٥١٩/٧)، حديث رقم (١٤٨٦٩)، وفي معرفة السنن والآثار، باب الطلاق قبل النكاح (١٦/١١)، حديث رقم (١٤٦٠٤) من طريق مسلم بن إبراهيم عن حبيب به، وقد وقع في السنن الكبرى ومعرفة السنن في هذين الموضعين (حسين المعلم) مصحفاً.

(١١٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب الطلاق قبل النكاح، (٥٢٠/٧)، حديث رقم (١٤٨٧٠) من طريق هشام الدستوائي وابن أبي عروبة، كلاهما عن مطر به.

(١١٦) أي البيهقي في السنن الكبرى، باب الطلاق قبل النكاح، (٥٢٠/٧)، حديث رقم (١٤٨٧٠).

(١١٧) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطلاق، باب في الطلاق قبل النكاح، حديث رقم: (٢١٩٠)، وحسنه المنذري في "مختصر سنن أبي داود": (١١٧/٣).

(١١٨) سقط من المخطوط، والمثبت من السنن الكبرى للبيهقي.

(١١٩) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب الطلاق قبل النكاح، (٥٢٠/٧)، حديث رقم (١٤٨٧١) من طريق حبيب المعلم عن عمرو بن شعيب به.

(١٢٠) الذي في المخطوط: (ابن عباس عن الدوري)، وفي سنن البيهقي (٥٢٠/٧): (أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: سمعت أبا العباس محمد بن يعقوب يقول: سمعت العباس بن محمد الدوري، يقول: سمعت يحيى بن معين، يقول....)

(١٢١) أخرجه البيهقي في السنن (٥٢٠/٧): عن أبي عبد الله الحاكم عن أبي العباس محمد بن يعقوب عن الدوري به.

(١٢٢) سقط من المخطوط، والمثبت من السنن الكبرى للبيهقي.

(١٢٣) أخرجه البيهقي في السنن (٥٢٠/٧): عن أبي عبد الله الحاكم: سمعت أبا الوليد الفقيه يقول: سمعت الحسن بن سفيان به.

(١٢٤) أخرجه البيهقي في السنن (٥٢٠/٧): عن أبي بكر محمد بن إبراهيم، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الأصبهاني، نا أبو أحمد محمد بن سليمان بن فارس قال: قال محمد بن إسماعيل البخاري... به.

(١٢٥) أخرجه البيهقي في السنن (٥٢٠/٧): عن أبي بكر بن الحارث، أنا علي بن عمر الحافظ، قال: سمعت أبا بكر النيسابوري... به.

(١٢٦) زيادة من السنن الكبرى للبيهقي.

(١٢٧) سنن البيهقي الكبرى: (٥٢٠/٧).

وقال الإمام العيني الحنفي تعقيباً على حديث عمرو بن شعيب: وأجاب أصحابنا- أي الحنفية- بعد التسليم بصحته إنا أيضاً قائلون بأنه لا طلاق للرجل فيما لا يملك، ووقوع الطلاق فيما قلنا بعد أن يملك بالتزويج المعلق فيكون الطلاق بعد النكاح كما ذكرنا. عمدة القاري ١٠٣/٣٠.

(١٢٨) في المخطوط: (أبي ذؤيب)، والمثبت من سنن البيهقي.

(١٢٩) في المخطوط: (و)، والمثبت من سنن البيهقي.

(١٣٠) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب الطلاق قبل النكاح، (٥٢٢/٧)، حديث رقم (١٤٨٧٦) من طريق أبي بكر بن أبي شيبة به، والحاكم في المستدرک: كتاب الطلاق، (٢/٢٢٢)، رقم الحديث (٢٨١٩) وقال: هنا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(١٣١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب الطلاق قبل النكاح، (٥٢٣/٧)، حديث رقم (١٤٨٧٧) من طريق أبي بكر الحنفي، عن ابن أبي ذئب، ثنا عطاء.. به.

(١٣٢) في المخطوط: (وجده عن).

(١٣٣) في المخطوط: (وجده عن).

(١٣٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب الطلاق قبل النكاح، (٥٢٣/٧)، حديث رقم (١٤٨٧٩) من طريق محمد بن إبراهيم بن سعيد العبدي، نا أبو بكر عبد الله بن يزيد

الدمشقي، نا صدقة بن عبد الله الدمشقي، قال: جئت محمد بن المنكدر وأنا مغضب فقلت: **الله أنت أحللت للوليد بن يزيد أم سلمة؟** قال: أنا! ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حدثني جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ... فذكره.

(١٣٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب الطلاق قبل النكاح، (٥٢٤/٧)، حديث رقم (١٤٨٨٢) من طريق ابن جريج به، والحاكم في المستدرک: كتاب تفسير سورة الأحزاب (٤٥٤/٢)، رقم الحديث (٣٥٧١).

(١٣٦) أي: البيهقي.

(١٣٧) زيادة من السنن الكبرى للبيهقي.

(١٣٨) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب الطلاق قبل النكاح، (٥٢٤/٧)، حديث رقم (١٤٨٨٣) من طريق مبارك بن فضالة عن الحسن به.

(١٣٩) سورة الأحزاب: آية (٤٩).

(١٤٠) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب الطلاق قبل النكاح، (٥٢٥/٧)، حديث رقم (١٤٨٨٧) من طريق عكرمة عن ابن عباس به.

(١٤١) راجع: السنن الكبرى: (٥٢٥-٥٢٦).

قال الحافظ ابن حجر: قال البيهقي بعد أن أخرج كثيرا من الأخبار ثم من الآثار الواردة في عدم الوقوع: هذه الآثار تدل على أن معظم الصحابة والتابعين فهموا من الأخبار أن الطلاق أو العتاق الذي علق قبل النكاح والملك لا يعمل بعد وقوعهما، وأن تأويل المخالف في حمله عدم الوقوع على ما إذا وقع قبل الملك والوقوع فيما إذا وقع بعده ليس بشيء؛ لأن كل أحد يعلم بعدم الوقوع قبل وجود عقد النكاح أو الملك فلا يبقى في الأخبار فائدة بخلاف ما إذا حملناه على ظاهره فإن فيه فائدة؛ وهو الإعلام بعدم الوقوع ولو بعد وجود العقد، فهذا يرجح ما ذهبنا إليه من حمل الأخبار على ظاهرها، والله أعلم. فتح الباري (٩/٣٨٦).

- (١٤٢) هو: حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، أبو سليمان فقيه، محدث، لغوي، ولد سنة (٣١٩هـ). سمع من: أبي سعيد بن الأعرابي وأبي بكر بن داسة. حدث عنه: أبو حامد الإسفراييني، وأبو عبيد الهروي. من مصنفاته: معالم السنن، غريب الحديث. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣/١٧)، الأعلام (٢٧٣/٢).
- (١٤٣) معالم السنن: المرسل.
- (١٤٤) انظر: الحاوي الكبير للماوردي (٢٥/١٠)، ونهاية المطلب للجويني (٣٢٢/١٣)، وشرح السنة للبخاري (١٩٩/٩)، وفتح الباري (٣٨١/٩، ٣٨٢، ٣٨٦).
- (١٤٥) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢٣٢/٥)، وشرح السنة للبخاري (١٩٩/٩)، وعمدة القاري (٩٦/٣٠).
- (١٤٦) انظر: شرح السنة للبخاري (٢٠٠/٩)، والاستذكار لابن عبد البر (١٨٦/٦).
- (١٤٧) في معالم السنن: (خص).
- (١٤٨) انظر: شرح السنة للبخاري (٢٠٠/٩).
- (١٤٩) في المخطوط: (النووي)، والمثبت من معالم السنن.
- وانظر رأيه في شرح السنة للبخاري (١٠٠/٩).
- (١٥٠) انظر: مسائل أحمد برواية ابنه صالح (٣٣٢/٢)، ومسائل أحمد وإسحاق بن راهويه برواية المروزي (١٦٢٨/٤).
- (١٥١) انظر: فتح الباري (٣٨٦/٩).
- (١٥٢) زيادة من معالم السنن.
- (١٥٣) الترمذي، وكلامه هذا في العلل الكبير له: (ص ١٧٣)، حديث رقم: (٣٠٢).
- (١٥٤) سورة الأحزاب: آية (٤٩).
- (١٥٥) معالم السنن: (٣/٢٤٠-٢٤١)، وبعده: (فكذلك إذا طلق امرأة لم يملكها ثم ملكها، وكذلك هذا في النذر).

- (١٥٦) رواه أبو داود في سننه، كتاب الطلاق، باب في الطلاق قبل النكاح، حديث رقم: (٢١٩٠)، من طريق مطر الوراق عن عمرو بن شعيب به، والترمذي في سننه، أبواب الطلاق واللعان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء لا طلاق قبل النكاح، حديث رقم: (١١٨١)، وابن ماجه في سننه، كتاب، باب لا طلاق قبل النكاح، حديث رقم: (٢٠٤٧)، من طريق عامر الأحول عن عمرو بن شعيب به، وأخرج النسائي بعضه في المجتبى (٢٨٨/٧)، حديث رقم: (٤٦١٢)، من طريق مطر الوراق عن عمرو بن شعيب بلفظ: "ليس على رجل بيع فيما لا يملك".
- (١٥٧) سنن الترمذي، عقب حديث رقم: (١١٨١).
- (١٥٨) صحح الحاكم حديث جابر بن عبد الله، ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وشاهده الحديث المشهور في الباب عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده... ثم أخرجه من طريق حبيب المعلم وعامر الأحول عن عمرو بن شعيب به، قال الذهبي في التلخيص: صحيح، انظر المستدرک للحاكم (٢/٢٢٢).
- (١٥٩) معالم السنن: (٣/٢٤١).
- (١٦٠) ينظر: المدونة الكبرى (٢/٣٩٠)، والاستذكار لابن عبد البر (٦/١٨٦)، والتاج والإكليل للمواق (١٢/٣٠٧).
- (١٦١) سقط من المخطوط، والمثبت من ابن بطال ما يقتضيه السياق.
- (١٦٢) انظر: عمدة القاري للعيني (٣٤/٢٣).
- (١٦٣) انظر: الحاوي الكبير للماوردي (١٠/٢٦)، وشرح السنة للبغوي (٩/١٩٩).
- (١٦٤) سيأتي تخريجه فيما يأتي من حديث عمران بن حصين.
- (١٦٥) شرح صحيح البخاري لابن بطال: (٦/١٣٥-١٣٦).
- (١٦٦) هي امرأة أبي ذر. انظر: شرح النووي على مسلم: (١١/١٠٠)، شرح السيوطي على مسلم: (٤/٢٤٠).

(١٦٧) بضم الميم وفتح النون والواو المشددة، أي: مذلة. شرح النووي: (١١/١٠٠-١٠١)، شرح السيوطي: (٤/٢٤٠).

(١٦٨) بفتح النون وكسر الذال، أي: علموا. شرح النووي: (١١/١٠١)، شرح السيوطي: (٤/٢٤٠).

(١٦٩) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النذر، باب لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك العبد، حديث رقم: (١٦٤١).

(١٧٠) قال النووي: "في هذا دليل على أن من نذر معصية كشرب الخمر ونحو ذلك فنذره باطل لا ينعقد ولا تلزمه كفارة يمين ولا غيرها، وبهذا قال مالك والشافعي وأبو حنيفة وداود وجمهور العلماء، وقال أحمد: تجب فيه كفارة اليمين بالحديث المروي عن عمران بن الحصين وعن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين، واحتج الجمهور بحديث عمران بن حصين المذكور في الكتاب، وأما حديث (كفارته كفارة يمين) فضعيف باتفاق الحديثين". شرح النووي على صحيح مسلم: (١١/١٠١).

(١٧١) كذا في المخطوط.

(١٧٢) انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني: (٣/١٣٢)، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق: (٢/٢١٠، ٢٣١-٢٣٣، البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم: (٣/٣٢٠، ٤/٤٨، ٤).

(١٧٣) سورة البقرة: آية (٢٢٩).

(١٧٤) هو: محمد بن يحيى بن منصور النيسابوري الشافعي، فقيه، ولد بطريث من خراسان سنة ٤٧٦هـ، وتفقه على الغزالي وغيره، وقتل بنيسابور سنة ٥٤٨هـ. من تصانيفه الكثيرة: المحيط في شرح الوسيط، والانتصاف في مسائل الخلاف، والأربعون هو عن أربعين صحابياً في أربعين باباً.

انظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي: (١/٩٥)، سير أعلام النبلاء: (٢٠/٣١٢-٣١٥)، معجم المؤلفين: (٣/٧٧١).

(١٧٥) هو: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي، زين الدين، حجة الإسلام أبو حامد، حكيم، متكلم، فقيه، أصولي، صوفي، مشارك في أنواع من العلوم. ولد بطوس سنة (٤٥٠هـ)، وأخذ عن إمام الحرمين ولازمه، ورحل إلى بغداد والحجاز ودمشق والإسكندرية، إلى أن لزم الانقطاع والعزلة حتى توفي بطوس سنة (٥٠٥هـ). من تصانيفه: إحياء علوم الدين، الوسيط في الفقه، المستصفى في أصول الفقه.

انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/٣٢٢)، طبقات الشافعية للإسنوي (٢/٢٤٢).

(١٧٦) سبق تخريجه، (ص ٣٣).

(١٧٧) هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، أبو عمرو، اختلفوا في اسم أبيه فقيل: شراحيل. وقيل: عبد الله. نسبته إلى شعب وهو بطن من همدان، راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه، ولد ونشأ ومات بالكوفة، اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم، استقضاه عمر بن عبد العزيز، وكان ضئيلاً نحيفاً، ولد لسبعة أشهر، وهو من رجال الحديث الثقات، روى عن كثير من الصحابة، وروى عنه كثير من التابعين، سئل عما بلغ إليه حفظه، فقال: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته. وكان فقيهاً، شاعراً، توفي فجأة سنة أربع، وقيل: ثلاث، وقيل: ست، وقيل: سبع، وقيل: خمس ومائة من الهجرة.

انظر: تاريخ بغداد ١٢/٢٢٧، ووفيات الأعيان ٣/١٢، وتهذيب الكمال ١٤/٢٨، وسير أعلام النبلاء ٤/٢٩٤.

(١٧٨) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، من بني زهرة بن كلاب، من قریش، أبو بكر، أول من دون الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء، تابعي من أهل المدينة، كان يحفظ ألفين ومائتي حديث نصفها مسند. رأى عشرة من الصحابة، وأخذ عنه مالك بن أنس وطبقته، وحفظ علم الفقهاء السبعة، نزل الشام واستقر بها، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله: عليكم بآبن شهاب فإنكم لا تجدون أحداً أعلم بالسنة الماضية منه. مات بشغب،

آخر حد الحجاز وأول حد فلسطين سنة (١٢٤هـ)، وقيل: سنة (١٢٣هـ). وقيل: (١٢٥هـ).

انظر: وفيات الأعيان ٤/١٧٧، وتهذيب الكمال ٢٦/٤١٩، سير أعلام النبلاء ٥/٣٢٦، وتاريخ دمشق ٥٥/٢٩٤.

(١٧٩) ينظر: أحكام القرآن للجصاص ٥/٢٣٤، ٢٣٥، وفتح الباري ٩/٣٨٥، ٣٨٦.

وقال الحافظ ابن حجر بعد ذكر رأي الزهري: وما ادعاه من التأويل ترده الآثار الصريحة عن سعيد بن المسيب وغيره من مشايخ الزهري في أنهم أرادوا عدم وقوع الطلاق عمّن قال: إن تزوجت فهي طالق، سواء خصص أم عمم - أنه لا يقع.

(١٨٠) في الهداية: (فيتحقق).

(١٨١) ليس في الهداية.

(١٨٢) في الهداية: (ولا).

(١٨٣) في المخطوط: (و).

(١٨٤) الهداية في شرح بداية المبتدي: (١/٢٤٣-٢٤٤).

(١٨٥) هو طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر، القاضي أبو الطيب، الطبري، فقيه، أصولي جدلي، من أعيان الشافعية، ولد في أمل بطبرستان، واستوطن بغداد، سمع الحديث بجرجان، ونيسابور، وبغداد، وتفقه على أبي علي الزجاجي صاحب ابن القاص، وقرأ على أبي سعد الإسماعيلي، وعلى القاضي أبي القاسم بن كج وغيرهم، ولي القضاء بربيع الكرخ له تصانيف منها: «شرح مختصر المزني»، و«شرح ابن الحداد المصري»، وكتاب في «طبقات الشافعية»، و«المجرد». توفي في شهر ربيع الأول سنة (٥٤٠هـ).

انظر: تاريخ بغداد (٩/٣٥٨)، ووفيات الأعيان (٢/٥١٢)، وسير أعلام النبلاء (١٧/٦٦٨)، وطبقات الشافعية للسبكي (٥/١٢).

- (١٨٦) هو: عمر بن عبد الرحمن بن جبريل، الشيخ نور الدين الطالقاني الحنفي كان إماماً في المذهب عارفاً بأصوله له معرفة بالعربية وفيه زهد وانقطاع توفي سنة تسعين وست ومائة. انظر: الوافي بالوفيات: (٢٢ / ٣١١) ..
- (١٨٧) ينظر: بدائع الصنائع (٦ / ٢٨٤، ٢٨٥)، ودرر الحكام لملا خسرو (٨ / ٣٢٠)، والمحيط البرهاني لبرهان الدين بن مازة (٣ / ٧٥٦، ٧٥٧).
- (١٨٨) هو إبراهيم بن منصور بن المسلم المصري، أبو إسحاق، المعروف بالخطيب العراقي، شيخ الشافعية بمصر، مولده ووفاته فيها، وهو جد العلامة العلم العراقي لأمه، وكان على سداد وأمر جميل، ارتحل، فتفقه، وبرع في المذهب على أبي بكر محمد بن الحسين الأرموي تلميذ الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، ثم تفقه على: أبي الحسن ابن الخل، وتفقه بمصر على: القاضي مجلي بن جميع، وتصدر، وتخرج به الأصحاب، وولي خطابة جامع مصر، له تصانيف منها: «شرح المهذب» للشيرازي، توفي في جمادى الأولى سنة (٥٩٦هـ).
- انظر: وفيات الأعيان (١ / ٣٣)، وسير أعلام النبلاء (٢١ / ٣٠٤)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبه (٢ / ٢٣).
- (١٨٩) المهذب للشيرازي (٢ / ٧٧).
- (١٩٠) أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الطلاق، باب: لا طلاق قبل النكاح (١ / ٦٦٠) حديث رقم (٢٠٤٨). قال البوصيري: هذا إسناد حسن. أنظر مصباح الزجاجة (١ / ٣١٤).
- (١٩١) انظر: فتح القدير للكمال بن الهمام (٤ / ١١٦)، والبحر الرائق (٤ / ٨).
- (١٩٢) انظر: الاستذكار لابن عبد البر (٦ / ١٦٤).
- (١٩٣) سنن الدارقطني (٤ / ١٦). وقال ابن عبد الهادي في التنقيح (٤ / ٣٩٩) (٢٨١٢): وهذا أيضاً باطل، وأبو خالد الواسطي هو عمرو بن خالد، وهو وضّاع، وقال أحمد ويحيى: هو كذاب. زاد يحيى: غير ثقة ولا مأمون.
- (١٩٤) أخرجه الدارقطني في سننه (٤ / ٢٠) حديث رقم (٥٢).
- (١٩٥) الحاوي الكبير للماوردي (١٠ / ٢٩).

- (١٩٦) بعده في الحاوي الكبير: وعقد الإيجاب والقبول يصح في غير ملك كالسلم.
- (١٩٧) ليس في الحاوي الكبير.
- (١٩٨) انظر: الحاوي الكبير للماوردي (١٠ / ٢٩)، والمجموع للنووي (١٧ / ٦١).
- (١٩٩) انظر: تحفة الحبيب للبيجيري (٤ / ٥٩).
- (٢٠٠) انظر: التهذيب للبيجيري (٨ / ٣٥٧).
- (٢٠١) تقدم تخريجه، (ص ٤٨).
- (٢٠٢) تقدم تخريجه، (ص ٣٦).
- (٢٠٣) في المخطوط: بن، والمثبت كما في سنن ابن ماجه.
- (٢٠٤) سنن ابن ماجه: كتاب الطلاق، باب لا طلاق قبل النكاح، (١ / ٦٦٠) حديث رقم (٢٠٤٩). وقال البوصيري: هذا إسناد ضعيف لاتفاقهم على ضعف جويبر بن سعد البجلي، لكن لم ينفرد به جويبر، وذكر روايات الحديث. مصباح الزجاجة (١ / ٣١٥).
- (٢٠٥) انظر: روضة الطالبين للنووي (٨ / ٦٨)، ومغني المحتاج للخطيب الشربيني (٣ / ٢٩٣)، وأسنى المطالب لتركيا الأنصاري (٣ / ٢٨٥).
- (٢٠٦) الحاوي الكبير (١٠ / ٢٧).
- (٢٠٧) هو القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر، تقدمت ترجمته. وانظر كلامه في: المنشور في القواعد للزركشي (٣ / ٢١٣).
- (٢٠٨) هو الحسين بن مسعود بن محمد العلامة أبو محمد البغوي الفقيه الشافعي، يعرف بابن الفراء، ويلقب بمحبي السنة وركن الدين، كان إماما في التفسير والحديث والفقه، تفقه على القاضي حسين وأخذ الحديث منه، وأبي عمر عبد الواحد المليحي، وأبي الحسن الداودي وطائفة، روى عنه أبو منصور، وأبو الفتوح الطائي، وجماعة آخروهم أبو المكارم النوقاني روى عنه بالإجازة، وله تصانيف منها: «معالم التنزيل» في التفسير، و«شرح السنة»، و«المصابيح»، و«الجمع بين الصحيحين»، و«التهذيب» في الفقه، توفي سنة (٥١٠هـ).

انظر: وفيات الأعيان (١٣٦/٢)، وسير أعلام النبلاء (٤٤١/١٦)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبه (٢٨١/١).

(٢٠٩) هو عثمان بن عمر أبي بكر بن يونس، المعروف بابن الحاجب، أبو عمرو جمال الدين، كردي الأصل، ولد ونشأ في مصر، ودرس بدمشق، وتخرج به بعض المالكية، ثم رجع إلى مصر فاستوطنها، كان من كبار العلماء بالعربية، وفتيها من فقهاء المالكية، بارعا في العلوم الأصولية، متقنا لمذهب مالك بن أنس، وكان ثقة حجة متواضعا عنيفا، له تصانيف منها: «مختصر الفقه»، و«متبهي السؤل»، و«الأمل في علمي الأصول والجدل» في أصول الفقه، و«جامع الأمهات» في فقه المالكية. توفي سنة (٦٤٦هـ).

انظر: وفيات الأعيان (٢٤٨/٣)، وسير أعلام النبلاء (٢٦٤/٢٣)، وشذرات الذهب (٢٣٤/٥).

وانظر رأيه في التهذيب (٨/٣٥٦، ٣٥٧).

ثبت المصادر والمراجع

- (١) أحكام القرآن، لأبي بكر الجصاص، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥ هـ.
- (٢) اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى، لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب، تصحيح وتعليق أبي الوفا الأفغاني، طبعة لجنة إحياء المعارف النعمانية، الهند، الطبعة الأولى.
- (٣) الإرشاد في معرفة علماء الحديث، لأبي يعلى الخليلي، تحقيق الدكتور محمد سعيد عمر إدريس، طبعة مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.
- (٤) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار، أبي عمر بن عبد البر، تحقيق سالم محمد عطا، ومحمد علي معوض، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠٠ م.
- (٥) أسنى المطالب في شرح روض الطالب، لذكريا الأنصاري، تحقيق الدكتور محمد محمد تامر، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠٠ م.
- (٦) الأعلام، للزركلي، طبعة دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م.
- (٧) الأم، لمحمد بن إدريس الشافعي، طبعة دار المعرفة، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ هـ.
- (٨) أنباء الغمر بأبناء العمر للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ١٤٠٦ هـ.
- (٩) البحر الرائق شرح كنز الرقائق، لزين الدين بن نجيم، طبعة دار المعرفة، بيروت.
- (١٠) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين الكاساني، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢ م.
- (١١) التاج والإكليل لمختصر خليل، لمحمد بن يوسف المواق، طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٤ م.
- (١٢) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

- (١٣) تاريخ مدينة دمشق، لأبي القاسم بن عساكر، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
- (١٤) تبين الحقائق شرح كنز الرقائق، لفخر الدين عثمان بن علي الزيلعي، طبعة دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ١٣١٣ هـ.
- (١٥) تحفة الحبيب على شرح الخطيب، لسليمان بن محمد البجيرمي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ، ١٩٩٦م.
- (١٦) تذكرة الحفاظ، لشمس الدين الذهبي، تحقيق زكريا عميرات، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨م.
- (١٧) تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق، لشمس الدين ابن عبد الهادي، تحقيق سامي بن محمد بن جاد الله، وعبد العزيز بن ناصر الخباني، طبعة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧م.
- (١٨) تهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، طبعة دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- (١٩) تهذيب الكمال، لأبي الحجاج المزي، تحقيق الدكتور بشار عواد، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ، ١٩٨٠م.
- (٢٠) التهذيب في فقه الإمام الشافعي، للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ على محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧م.
- (٢١) الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- (٢٢) الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي، لأبي الحسن الماوردي، طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م.

- (٢٣) الحجة على أهل المدينة، لمحمد بن الحسن الشيباني، تحقيق مهدي حسن الكيلاني القادري، طبعة عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣ هـ.
- (٢٤) الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، لعمر بن فهد الهاشمي المكّي، دار خضر - بيروت ط١، ١٤٢١ هـ.
- (٢٥) درر الحكام في غرر الأحكام، لملا خسرو، طبعة دار الكتب العربية.
- (٢٦) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، للحافظ عبد الرحمن السيوطي، تحقيق أبي إسحاق الحويني، طبعة دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦ م.
- (٢٧) رفع الإصر عن قصاد مصر، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
- (٢٨) روضة الطالبين وعمدة المفتين، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥ هـ.
- (٢٩) سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار الفكر، بيروت.
- (٣٠) سنن الدارقطني، لعلي بن عمر الدارقطني، تحقيق السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦ هـ، ١٩٦٦ م.
- (٣١) السنن الكبرى، لأبي بكر البيهقي، طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٤٤ هـ.
- (٣٢) سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م.
- (٣٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي الحنبلي، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، ومحمود الأرنؤوط، طبعة دار ابن كثير، دمشق، ١٤٠٦ هـ.
- (٣٤) شرح السنة، للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير شاويش، طبعة المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م.

- (٣٥) شرح النووي على صحيح مسلم، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢ هـ.
- (٣٦) شرح صحيح البخاري، لأبي الحسن بن بطلال، تحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم، طبعة مكتب الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٣ م.
- (٣٧) الضوء اللامع في محاسن القرن التاسع، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الجليل - بيروت.
- (٣٨) طبقات الحفاظ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٠٣ هـ.
- (٣٩) طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي، تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي، والدكتور عبد الفتاح محمد الحلوة، طبعة هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ.
- (٤٠) طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة، تحقيق الدكتور الحافظ عبد العليم خان، طبعة عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ.
- (٤١) طبقات الشافعية، لعبد الرحمن الإسني، تحقيق كمال يوسف الحوت، طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢ م.
- (٤٢) طبقات الفقهاء، لأبي إسحاق الشيرازي، تهذيب ابن منظور، تحقيق إحسان عباس، طبعة دار الرائد العربي، الطبعة الأولى، ١٩٧٠ هـ.
- (٤٣) عصر سلاطين المالكي، للدكتور / قاسم عبده قاسم، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
- (٤٤) علل الترمذي الكبير، لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق صبحي السامرائي، وأبو المعاطي النوري، ومحمود محمد الصعيدي، طبعة عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٩ هـ.
- (٤٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١ م.

- (٤٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، طبعة دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ هـ.
- (٤٧) فتح القدير، للكمال بن الهمام، طبعة دار الفكر، بيروت.
- (٤٨) فوات الوفيات، لصلاح الدين محمد بن شاکر، تحقيق إحسان عباس، طبعة دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣، ١٩٧٤ م.
- (٤٩) لحظ الألاحظ بذيل طبقات الحفاظ، لمحمد بن فهد المكي، دار التراث العربي - بيروت.
- (٥٠) المجتبى (سنن النسائي)، لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق مكتب تحقيق التراث، طبعة دار المعرفة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠ هـ.
- (٥١) المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، للحافظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.
- (٥٢) المجموع شرح المذهب، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٩٩٧ م.
- (٥٣) محاضرات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، للدكتور / عبد الغني محمد عبد العاطي، كلية الآداب - جامعة المنصورة، بدون بيانات.
- (٥٤) المحيط البرهاني في الفقه النعماني، لبرهان الدين بن مازة، تحقيق عبد الكريم سامي الجندي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٤ م.
- (٥٥) مختصر اختلاف العلماء، لأبي جعفر الطحاوي، تحقيق الدكتور عبد الله نذير أحمد، طبعة دار البشائر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧ هـ.
- (٥٦) مختصر المزني من علم الشافعي، لمحمد بن إدريس الشافعي، طبعة دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٣ هـ.
- (٥٧) مختصر سنن أبي داود، للحافظ المنذري، طبعة دار المعرفة، ١٩٨٨ م.
- (٥٨) المدونة الكبرى، للمالك بن أنس، تحقيق زكريا عميرات، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- ٥٩) مسائل الإمام أحمد بن حنبل (رواية ابنه صالح)، لصالح ابن الإمام أحمد، طبعة الدار العلمية، الهند، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م.
- ٦٠) مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، لإسحاق بن منصور المروزي، طبعة عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٢ م.
- ٦١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)، لمسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٦٢) مصباح الزجاجاة في زوائد ابن ماجه، لأحمد بن أبي بكر البوصيري، تحقيق محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية، بيروت، ١٤٠٣ هـ.
- ٦٣) معالم السنن، لأبي سليمان الخطابي، طبعة المطبعة العلمية، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٥١ هـ، ١٩٣٢ م.
- ٦٤) معاني القرآن، لأبي زكريا الفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي نجار عبد الفتاح، وإسماعيل شليبي، طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.
- ٦٥) معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، طبعة مكتبة المثنى، ودار إحياء التراث.
- ٦٦) معرفة السنن والآثار، لأبي بكر البيهقي، تحقيق سيد كسروي حسن، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٦٧) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للخطيب الشربيني، دار الفكر، بيروت.
- ٦٨) المشور في القواعد، لمحمد بن بهادر الزركشي، تحقيق الدكتور تيسير فائق أحمد محمود، طبعة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ.
- ٦٩) المهذب في فقه الإمام الشافعي، لأبي إسحاق الشيرازي، طبعة دار الفكر، بيروت.
- ٧٠) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، نسخة مصورة عن دار الكتب العلمية.

- (٧١) نظم العقيان في أعيان الأعيان، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المكتبة العلمية - بيروت.
- (٧٢) نهاية المطلب في دراية المذهب، لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني، تحقيق الأستاذ الدكتور عبد العظيم محمود الديب، طبعة دار المنهاج، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧ م.
- (٧٣) الهداية شرح بداية المبتدي، لأبي الحسن المرغيناني، طبعة المكتبة الإسلامية.
- (٧٤) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، لجلال الدين السيوطي، تحقيق عبد الحميد هندراوي، طبعة المكتبة التوفيقية، مصر.
- (٧٥) وجيز الكلام في الذيل على دولة الإسلام، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ.
- (٧٦) وفيات الأعيان، لشمس الدين بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، طبعة دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٠٠، ١٩٧١، ١٩٩٤ م.

ثالثاً: الاقتصاد الإسلامي

**تقدير واختبار دالة
إنفاق الحجاج القادمين من الخارج
على خدمات الإسكان بمكة المكرمة
لموسم حج عام ١٤٢٨هـ**

د. عصام بن هاشم الجفري

تقدير واختبار دالة إنفاق الحجاج القادمين من الخارج على خدمات الإسكان بمكة المكرمة لموسم حج عام ١٤٢٨هـ د. عصام بن هاشم الجفري

١. المقدمة:

تعد هذه الدراسة الأولى ضمن سلسلة دراسات تبدأ من موسم حج عام ١٤٢٨هـ وتهدف إلى بناء مؤشر اقتصادي عن إنفاق الحجاج على خدمات الإسكان بمكة المكرمة في ظل الحركة العمرانية التي تشهدها مكة المكرمة، وارتفاع الأبراج حول الحرم رأى الباحث أن الحاجة ملحة لوضع مؤشر للمستثمرين في مجال خدمات إسكان الحج والعمرة وذلك من خلال دراسة وتحليل اتجاهات إنفاق الحاج القادم من الخارج على خدمات الإسكان وسيتم بإذن الله في دراسات مستقبلية دراسة كل سنة على حدة حتى يمكن بعدها تكوين المؤشر المقصود بناء على الدراسات التراكمية في هذا المجال.

وقد تم إفراد كل سنة بدراسة مستقلة لأن مجتمع الحج مجتمع غير متماثل في خصائصه؛ حيث تتغير جميع مفرداته من عام لآخر وبالتالي ليس هو كمجتمع الدولة المستقر في خصائصه وبالتالي يمكن أن نستخرج منه سلسلة زمنية؛ من هنا كان منهج الباحث اللجوء إلى دراسات مقطعية متتابعة ثم تكوين مؤشر زمني لإنفاق الحجاج القادمين من الخارج على خدمات الإسكان بمكة المكرمة

١.١. أدبيات الدراسة:

تنطلق الدراسة من أن موسم الحج ليس كالمواسم السياحية الأخرى فله خصائص تميزه لارتباطه بعقيدة وشريعة الإسلام و توجز الدراسة أبرز خصائص ذلك التمييز من خلال النقاط التالية:

أولاً: موسم الحج خاص بالمسلمين ولا يجوز لغير المسلمين حضوره لارتباطه بالأماكن المقدسة؛ حيث أول شرط من شروط وجوبه الإسلام، بل هو ركن من أركان الإسلام ثبت ذلك بورود النصوص من القرآن منها قوله تعالى: ﴿...وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(١). قال ابن كثير هذه آية وجوب الحج عند الجمهور^(٢) ومن السنة قول النبي ﷺ ((بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَ شَهَادَاتٍ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَالْحِجُّ وَصَوْمُ رَمَضَانَ))^(٣).

ثانياً: أن وجوب الحج مرتبط بالاستطاعة لقوله سبحانه: ﴿...وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا...﴾. وهنا نجد أن الإسلام يراعي كافة أنواع الاستطاعة ومن أبرزها:

- أ- الاستطاعة المالية والقدرة على الإنفاق، ويأخذ في الاعتبار ليس الفرد وحده بل من يعولهم من زوجة وأولاد ونحوهم، وكذا مراعاة إذا كان على المسلم ديناً^(٤).
- ب- الاستطاعة الصحية: فيشترط وجود القائد للأعمى، ومن استطاع مادياً ولم يستطع بدنياً لمرض مقعد لا يرجى برؤه ونحوه يوكل من يحج عنه^(٥).
- ت- الاستطاعة الاجتماعية: حيث يشترط للمرأة أن يكون لها محرم^(٦).
- ث- الاستطاعة الأمنية: وهو أن يكون الطريق للحج آمناً من عدو ونحوه^(٧).

ثالثاً: أنه يجب مرة واحدة في العمر: عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ ﴿...وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفِي كُلِّ عَامٍ؟ فَسَكَتَ. فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي كُلِّ عَامٍ؟ قَالَ: ((لَا. وَلَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجِبَتْ))^(٨).

١.٢. مشكلة الدراسة:

الحج عبادة تتكرر في كل عام، وخدمات الإسكان بمكة المكرمة أحد أهم الخدمات التي ينفق عليها الحجاج القادمون من الخارج من هنا كانت الدراسة للإجابة على التساؤلات التالية:

١- ما تقدير حجم إنفاق الحجاج القادمين من الخارج على خدمات الإسكان بمكة المكرمة؟

٢- ما المحددات الاقتصادية الأساس المؤثرة في ذلك الإنفاق؟

ونظراً لاختلاف عينات الحجاج من عام لآخر فقد بدأت الدراسة من موسم حج عام ١٤٢٨هـ، على أن تتبعها دراسة كل عام على حدة سعياً للوصول إلى مؤشر يستفيد منه المستثمرون في مجال خدمات إسكان الحجاج القادمين من الخارج بمكة المكرمة

١.٣. الأسئلة التي تحاول الدراسة الإجابة عليها:

١- ما النسبة التي يحتلها إنفاق الحجاج القادمين من الخارج في موسم حج عام ١٤٢٨هـ على خدمات الإسكان من الإنفاق الكلي للحجاج القادمين من الخارج؟

٢- هل هناك علاقة بين دخل الحجاج القادمين من الخارج لموسم حج عام ١٤٢٨هـ والمنفق على خدمات الإسكان بمكة المكرمة وما نوع تلك العلاقة؟

٣- هل هناك علاقة بين الأيام التي يقيمها الحجاج القادمين من الخارج في موسم حج عام ١٤٢٨هـ والإنفاق على خدمات الإسكان بمكة المكرمة.

٣- هل هناك علاقة بين نوع خدمات الإسكان بمكة المكرمة (فندقي - شقق) وبين حجم الإنفاق على خدمات الإسكان من الحجاج القادمين من الخارج لموسم حج عام ١٤٢٨هـ

١.٤. أهداف الدراسة:

الهدف الرئيس: تقدير واختبار دالة إنفاق الحجاج القادمين من الخارج على خدمات الإسكان بمكة المكرمة لموسم حج عام ١٤٢٨هـ

الأهداف الفرعية:

- أ- التعرف على الخصائص الإحصائية والاقتصادية للدخل الكلي للحجاج القادمين من الخارج لموسم حج عام ١٤٢٨هـ
- ب- التعرف على الخصائص الإحصائية والاقتصادية للإنفاق الكلي للحجاج القادمين من الخارج لموسم حج عام ١٤٢٨هـ
- ت- التعرف على الخصائص الإحصائية والاقتصادية لإنفاق الحجاج القادمين من الخارج لموسم حج عام ١٤٢٨هـ على خدمات الإسكان بمكة المكرمة
- ث- تقدير واختبار أثر المتغيرات الكمية والنوعية على إنفاق الحجاج القادمين من الخارج لموسم حج عام ١٤٢٨هـ على خدمات الإسكان
- ج- تقدير واختبار دالة الإنفاق على خدمات الإسكان بمكة المكرمة للحجاج القادمين من الخارج لموسم حج عام ١٤٢٨هـ

١.٥. منهج الدراسة:

تتبع الدراسة منهج البحث التطبيقي المعتمد على جمع العينات الميدانية ثم تحليلها وملاحظة تغيراتها والعوامل المؤثرة فيها للوصول للنتائج

١.٦. أداة الدراسة:

اعتمدت الدراسة على البيانات التي تم جمعها من موسم حج عام ١٤٢٨هـ ميدانياً عبر استبانة مجازة من قبل معهد خادم الحرمين لأبحاث الحج والعمرة بأسلوب العينة العشوائية البسيطة، حيث من المتعذر استخدام سواها من العينة المنتظمة أو الطبقيّة... لطبيعة فترة جمع البيانات في الحج وضيق الوقت المتاح وقلة الإمكانيات

١.٦. نطاق الدراسة:

أ- النطاق المكاني: مكة المكرمة

ب- النطاق الزمني: موسم حج عام ١٤٢٨هـ

ت- عينة الدراسة: الحجاج القادمين من الخارج (تم الاقتصار على الرجال لأنهم المسؤولون شرعاً على الإنفاق)

ث- مجال الدراسة: خدمات الإسكان بمكة المكرمة

ج- العملة المعتمدة في الدراسة: الريال السعودي؛ حيث يتم تحويل جميع المبالغ المختلفة للريال السعودي

١.٦. الدراسات السابقة:

لم يعثر الباحث على دراسات في نفس المجال سوى دراسة "أ.د. أحمد الناقة، د. عبد الرحمن مارية، د. عصام الجفري، تقدير واختبار الإنفاق الكلي للحجاج القادمين من الخارج لموسم حج ١٤٢٨هـ، جامعة أم القرى، معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج والعمرة، قسم الدراسات الإدارية والإنسانية" وهي دراسة تتعلق بإنفاق الحاج العام ومن ضمنها الإنفاق على الإسكان كجزء من مكونات الإنفاق العام.

١.٧. خطة الدراسة:

بناء على هدف البحث العام وأهدافه الفرعية تم وضع مخطط الدراسة على النحو التالي:

١. مقدمة

٢. الخصائص الإحصائية والاقتصادية للدخل والإنفاق الكلي

٢.١. الخصائص الإحصائية والاقتصادية للدخل الكلي

٢.٢. الخصائص الإحصائية والاقتصادية للإنفاق الكلي

٣. الخصائص الإحصائية والاقتصادية لإنفاق الحاج على خدمات الإسكان بمكة المكرمة

٤. تقدير واختبار أثر المتغيرات الكمية والنوعية على إنفاق الحاج على خدمات الإسكان بمكة المكرمة

٤.١. دراسة العلاقة بين مدة الإقامة بمكة المكرمة ومتوسط الإنفاق على خدمات الإسكان

٤.٢. دراسة العلاقة بين نوع السكن ومتوسط الإنفاق على خدمات الإسكان

٥. صياغة وتقدير واختبار دالة إنفاق الحجاج القادمين من الخارج على خدمات الإسكان بمكة المكرمة لموسم حج عام ١٤٢٨هـ

النتائج والتوصيات

٢. الخصائص الإحصائية والاقتصادية للدخل والإنفاق الكلي

٢.١. الخصائص الإحصائية والاقتصادية للدخل الشهري

اختارت الدراسة الاعتماد على دالة الاستهلاك لكينز (Keynes Consumption Function) لأن طبيعة الدراسة متعلقة بزمن قصير وهو موسم الحج، حيث الإنفاق الاستهلاكي يعتمد بشكل أساسي على الدخل المتاح وفق النظرية الكينزية^(٩)؛ وتم استبعاد نظرية الدخل النسبي (The Relative Income Hypothesis) ومن أبرز القائلين بها ديزنبري (James.S.Duesenberry)، ونظرية الدخل الدائم (Permanent Income Hypothesis) ومن أبرز القائلين بها (M.Freidman)^(١٠).

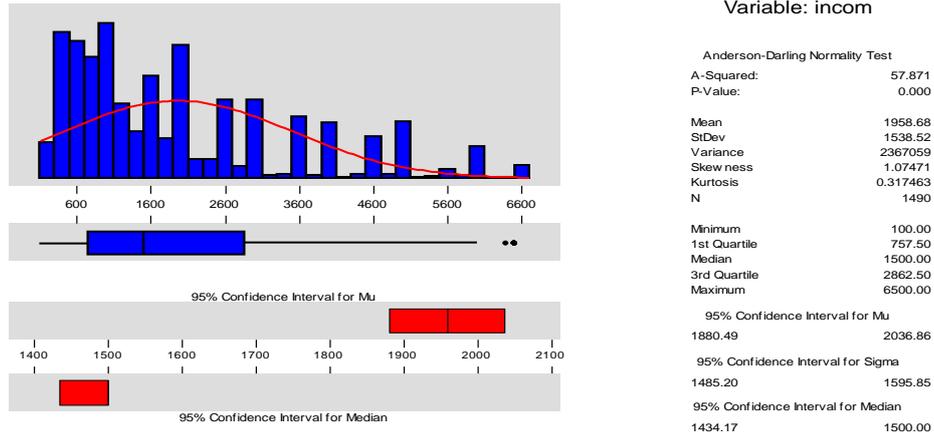
من هنا حرصت الدراسة على البدء أولاً بالتعرف على الخصائص الإحصائية والاقتصادية للدخل الشهري المتاح للحجاج القادمين من الخارج لموسم حج عام ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، وتهدف الدراسة في هذه الفقرة إلى تقدير متوسط الدخل الشهري للحجاج القادمين من خارج المملكة العربية السعودية لموسم حج عام (١٤٢٨هـ) بفترة ثقة ٩٥%، ومن ثم فإن الدراسة غير معنية بدراسة دخل حجاج الداخل من السعوديين أو المقيمين، وسيتم تحليل الخصائص الوصفية لذلك الإنفاق، والمؤشرات الاقتصادية التي يمكن استنباطها من خلال التحليل، كل ذلك في حدود مفردات العينة.

٢.١.١. خصائص التوزيع الاحتمالي للدخل الشهري للحجاج في عينة الدراسة.

يحتوي الشكل البياني (١) التوزيع الاحتمالي لتقديرات الدخل الشهري للحجاج القادمين من الخارج، مع تقدير متوسط الدخل الشهري، والوسيط، وأبرز الإحصاءات المهمة في التحليل:

شكل بياني رقم (١)

Descriptive Statistics



من خلال الشكل البياني (١) نجد أن التوزيع الاحتمالي لمشاهدات الدخل الكلي للحجاج القادمين من الخارج له التواء موجب وعليه لا نقبل فرض العدم بأن التوزيع الاحتمالي لمشاهدات الدخل الشهري للحجاج القادمين من الخارج يعد توزيعاً طبيعياً حسب الإحصاءات الواردة في الجدول؛ حيث نجد أن معامل الالتواء $[Skewness = 1.07471]$ ، ويتضح الأمر جلياً إذا ما تمت مقارنة هذا الرقم برقم الالتواء لتوزيع الاحتمال الطبيعي الذي يساوي صفرًا، ومن الإحصاءات الأخرى معامل التفرطح $[kurtosis = 0.317463]$ ، بينما هو في حال التوزيع الاحتمالي الطبيعي = ٣.

جدول (١)

Descriptive Statistics

Variable	N	Mean	Median	Tr Mean	StDev	SE Mean
Income	١٤٩٠	1958.7	1500.0	1838.1	1538.5	39.8
Variable	N	Min	Q1	Q3	Max	
Income	١٤٩١	100	757.0	2862.0	6500.0	

من خلال الجدول (١) نجد أن المتوسط المقدر لدخل الحجاج القادمين من الخارج [Mean=1958.7]، وبانحراف معياري [StDev=1538.5]؛ وكبر حجم الانحراف المعياري لملاحظات العينة يدلنا على حجم التفاوت الكبير في الدخل الشهري بين الحجاج القادمين من الخارج لموسم حج عام ١٤٢٨هـ.

ومن خلال إحصائية المتوسط المتبوتر [Tr Mean=1838.1] يتضح أن ٥% من القيم المتطرفة مسؤولة عن زيادة المتوسط المقدر بمقدار [١٢٠.٦].

من ملاحظات العينة وباستخدام المتوسط والانحراف المعياري نستطيع معرفة درجة تقلب الملاحظات حول المتوسط من خلال معامل الاختلاف [CV] على النحو التالي:

$$CV = \frac{StDev}{mean} = \frac{1538.5}{1958.7} = 0.7854 = 79\%$$

ويتضح من نتيجة معامل الاختلاف كمقياس للتشتت النسبي، كبر مدى التشتت للقيم حول المتوسط المقدر.

ولاختبار مدى دقة تقدير متوسط دخل الحجاج القادمين من الخارج لموسم حج عام ١٤٢٨هـ من ملاحظات العينة، فإننا نختبرها من خلال إحصائية [T] ^(١٢) فكانت المخرجات حسب الجدول (٢)

جدول (٢)

T-Test of the Mean

Variable	N	Mean	StDev	SE Mean	T	P
Income	١٤٩٠	١٩٥٨.٧	١٥٣٨.٥	٣٩.٩	٤٩.١٤	0.0000

و حسب الجدول (٢) نجد أن: [T=49.14]، وهي أعلا من القيمة الجدولية لها، مما يعطي ثقة للارتفاع النسبي لدقة تقدير المتوسط، لاسيما وأن [P-Value=0.000]. ويلحظ عند تقدير فترة ثقة [95%] لمتوسط الدخل الشهري للحاج القادم من الخارج أن الحد الأدنى لهذه الفترة [1880.49] والحد الأعلى لها [2036.86]، وصغر هذه الفترة وعدم احتوائها على الصفر يعزز الثقة في دقة تقدير المتوسط. وفي المقابل نجد أن تقدير فترة ثقة [95%] للوسيط كان حدها الأعلى [1500]، وحدها الأدنى [1434.17].

٢.١.٢. الخصائص الكمية للدخل الشهري للحجاج في عينة الدراسة

ويتضح من الجدول (١) أن الربيع الأدنى للدخل الكلي للحجاج القادمين من الخارج لموسم حج عام ١٤٢٨هـ [Q1=1750]؛ وهذا يعني أن 25% من مشاهدات العينة دخولهم محصورة في الفترة المغلقة [750-1000] ريال، وبما أن الوسيط [Median=1500]، فهذا يعني أن 50% من مفردات العينة دخولهم محصورة في الفترة المغلقة [1000-1500] ريال، وبما أن الربيع الأعلى [Q3=2862] ريال، مما يعني أن 75% من مشاهدات العينة ينحصر دخلهم في الفترة المغلقة [1000-2862] ريال، وتبقى لدينا نسبة 25% من المشاهدات وهم أصحاب الدخل العالية نسبياً ينحصر دخلهم في الفترة المغلقة [2862-6500] ريال. ويلاحظ المدى الطويل الذي تنتشر فيه مشاهدات هذه الفئة.

ومما سبق يمكن الخروج بمؤشر للمستثمرين في قطاع إسكان الحجاج القادمين من الخارج بأن 75% من المستهدفين بالاستثمار في مجال خدمات إسكان الحجاج بمكة المكرمة دخولهم الشهرية لا تتجاوز [2850] ريال.

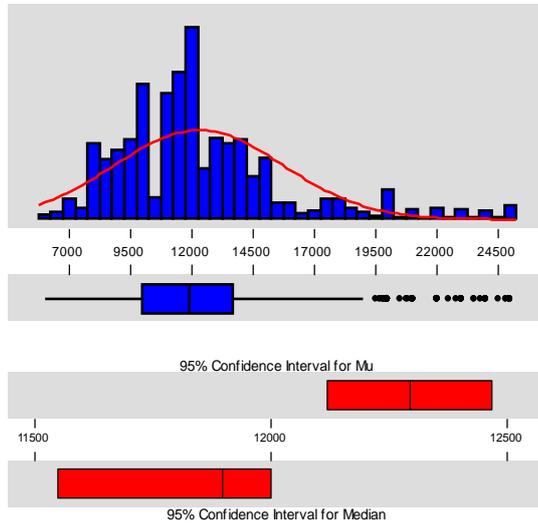
وهذا يعني اقتصادياً تواضع الدخول النقدية الشهرية للحجاج القادمين من الخارج لموسم حج عام ١٤٢٨هـ، مما يعكس حقيقة اقتصاديات معظم الدول الإسلامية حيث أن البنك الدولي يصنفها ضمن الدول ذات الدخل المتوسط والمنخفض^(١٣).

٢.٢ خصائص الإنفاق الكلي للحجاج القادمين من الخارج لموسم حج عام ١٤٢٨هـ

تهدف الدراسة في هذه الفقرة لدراسة الخصائص الإحصائية والاقتصادية للإنفاق الكلي؛ من خلال تقدير متوسط الإنفاق الكلي للحجاج القادمين من الخارج لموسم حج عام ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، واختبار هذا المتوسط، وتقدير فترة ثقة ٩٥% لهذا المتوسط، وتحليل الخصائص الوصفية له.

٢.٢.١ خصائص التوزيع الاحتمالي للإنفاق الكلي لمفردات العينة:

Descriptive Statistics



Variable: total sp

Anderson-Darling Normality Test

A-Squared: 37.341
P-Value: 0.000

Mean 12294.2
StDev 3445.4
Variance 11870573
Skewness 1.32392
Kurtosis 2.22384
N 1490

Minimum 6000.0
1st Quartile 10000.0
Median 11899.0
3rd Quartile 13700.0
Maximum 25000.0

95% Confidence Interval for Mu
12119.2 12469.3

95% Confidence Interval for Sigma
3326.0 3573.7

95% Confidence Interval for Median
11550.0 12000.0

شكل بياني رقم (٢)

يلاحظ من الشكل البياني رقم (٢) أن توزيع (total sp) - الإنفاق الكلي للحاج - غير متماثل؛ حيث تتكدس مشاهدات العينة ناحية اليمين، وبناء عليه فإن التوزيع ملتويًا التواء موجباً؛ ويترجم ذلك إحصائياً معامل الالتواء المقدر لتوزيع قيم مفردات العينة: $Skewness(s) = 1.32392$ ، وبما أن الالتواء في حالة التوزيع الطبيعي = صفر، و أن معامل التفرطح المقدر لمشاهدات العينة $Kurtosis(k) = 2.22384$ بينما في التوزيع الطبيعي = ٣، وهذا يؤكد أيضاً رفض فرض العدم بأن مشاهدات الإنفاق الكلي للحجاج القادمين من الخارج لموسم حج عام ١٤٢٨هـ موزعة توزيعاً طبيعياً، ومما يدعم ذلك اختبار Anderson normality test حيث حسب مخرجات التحليل الواردة في الشكل البياني رقم (٢) نجدها ($A^2 = 37.341$)، وقيمة ($P=0.000$).

وهذا يعني اقتصادياً أن معظم الحجاج إنفاقهم منخفض و متقارب من بعضه؛ وقد يفسر ذلك بالمستويات الاقتصادية المتواضعة لهم، وأن أصحاب المستويات الاقتصادية المرتفعة من الأغنياء ممن لهم إنفاق كلي عالي هم قلة، وهذه النتيجة منطقية ومقبولة وتتماشى مع الوضع الاقتصادي لأغلب دول العالم الإسلامي، والتي تصنف عالمياً بأنها من ذوات الدخل المنخفض^(١٤).

٢.٢.٢ الخصائص الكمية للإنفاق الكلي لمفردات العينة

يمكن معرفة الخصائص الكمية للإنفاق الكلي لمفردات العينة من خلال الجدول التالي

جدول (٣)

Descriptive Statistics

Variable	N	Mean	Median		
totalsp	١٤٩٠	١٢٢٩٤	١١٨٩٩		
	N	Min	Q1	Q3	Max
	١٤٩٠	6000	10000	13700	25000

يتضح من الجدول (٣) ما يلي:

- أ- أن الحد الأدنى لإنفاق الحاج القادم من الخارج لموسم حج عام ١٤٢٨هـ (٦٠٠٠) ريال؛ وهو أمر منطقي لا يتصور أن يكون الإنفاق الكلي أقل منها إذا أخذنا في الحسبان إنفاق الحاج على تذاكر السفر والسكن والأكل والشرب والهدي والتنقلات والهدايا وغيرها من مستلزمات أداء الفريضة، بينما كان الحد الأعلى لإنفاق الحاج هو (٢٥٠٠٠)، وهو رقم كبير إذا ما قورن بالحد الأعلى لدخل الحجاج الجاري في عام ١٤٢٨هـ [٦٥٠٠]، ومن المعروف أن الحج لا بد وأن يشتمل على طبقة من الأغنياء وهم قلة يحرصون على خدمات تليق بهم تحتوي على قدر كبير من الرفاهية مما يرفع من حجم إنفاقهم الكلي على خدمات الحج.
- ب- أن الربيع الأدنى ($Q1=10000$) وهذا يدل على أن ٢٥% من مفردات العينة يقع إنفاقهم الكلي في الفترة المغلقة [٦٠٠٠-١٠٠٠٠]. وطول هذه الفترة = ٤٠٠٠ ريال، وفي ظل الظروف الاقتصادية السائدة في موسم حج عام ١٤٢٨هـ يمكن اعتبار أن هذا هو الحد الأدنى لإنفاق الحاج القادم من الخارج.
- ت- أن الوسيط يقدر بـ (١١٨٩٩) ريال وهذا يعني أن ٥٠% من مفردات العينة يقع إنفاقهم الكلي في الفترة المغلقة [٦٠٠٠-١١٨٩٩] وطول هذه الفترة = ٥٨٩٩ ريال.
- ث- كما أن تلك القيم تعني أن ٢٥% من مفردات العينة لهم إنفاق يقع بين الربيع الأدنى والوسيط أي في الفترة المغلقة [١٠٠٠٠-١١٨٩٩]؛ وطول هذه الفترة = ١٨٩٩ ريال، وهذا يعكس التكدر لمفردات العينة في نطاق الربيع الأدنى؛ حيث أن طول الفترة الثانية = ما بين الربيع الأدنى والوسيط تكاد تعادل نصف طول الفترة الأولى وهي مرحلة الربيع الأدنى

- ج- أن الربيع الأعلى ($Q3=13700$)؛ وهذا معناه أن ٧٥% من مفردات العينة يقع إنفاقهم الكلي في الفترة المغلقة [٦٠٠٠-١٣٧٠٠]، كما يدل ذلك أيضاً على أن هناك فئة من مفردات العينة بنسبة (٢٥%) تقع في فترة الإنفاق المغلقة [١١٨٩٩-١٣٧٠٠]، ويلاحظ أن طول الفترة الثالثة = ١٨٠١.
- ح- أما المرحلة الرابعة والأخيرة فيمكن استنتاج طول الفترة فيها من الحد الأعلى المحسوب في الجدول (٣) وهو ($maximum=25000$) وهذا يعني أن ما نسبته (٢٥%) من مفردات العينة تقع في الفترة الإنفاقية المغلقة [١٣٧٠٠-٢٥٠٠٠]، وطول هذه الفترة = ١١٣٠٠؛ إلا أنه ومن خلال تحليل الإنفاق الكلي وما كان في التوزيع الاحتمالي من التواء، فإن الإنفاق العالي من مفردات هذه الفئة قليل

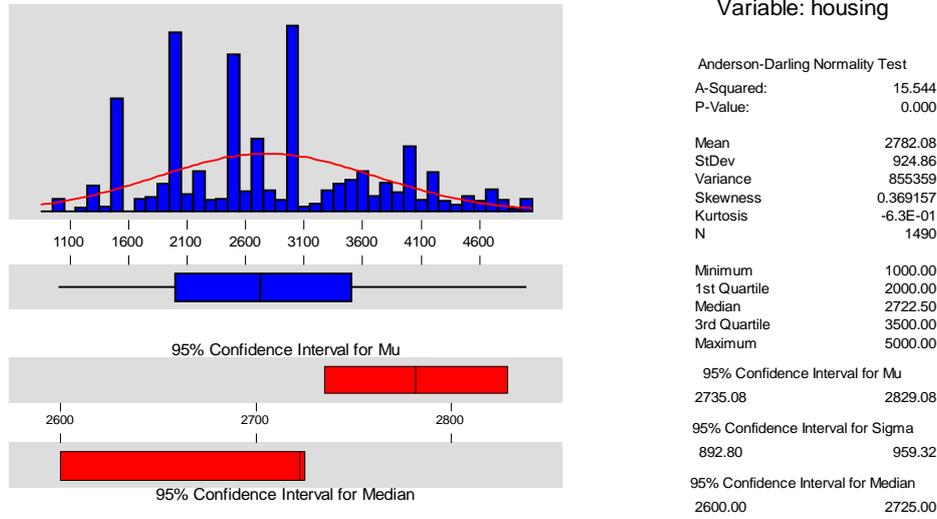
٣. الخصائص الإحصائية والاقتصادية لإنفاق الحجاج على خدمات الإسكان بمكة المكرمة

تهدف الدراسة في هذه الفقرة لدراسة الخصائص الإحصائية والاقتصادية لإنفاق الحجاج القادمين من الخارج لموسم حج عام ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م على خدمات الإسكان بمكة المكرمة؛ من خلال تقدير متوسط الإنفاق الكلي لهم، واختباره، وتقدير فترة ثقة ٩٥% له، وتحليل الخصائص الوصفية له.

٣.١ خصائص التوزيع الاحتمالي لإنفاق مفردات العينة على خدمات الإسكان:

شكل (٣)

Descriptive Statistics



من خلال الشكل (٣) نجد أن التوزيع الاحتمالي لمشاهدات إنفاق الحجاج القادمين من الخارج على خدمات الإسكان بمكة المكرمة له التواء موجب؛ وعليه لا نقبل فرض العدم بأن التوزيع الاحتمالي لتلك المشاهدات يعد توزيعاً طبيعياً؛ حيث معامل الالتواء [Skewness=0.369157]، ويتضح أن درجة الالتواء بسيطة مقارنة هذا الرقم برقم الالتواء لتوزيع الاحتمال الطبيعي الذي يساوي صفراً، ومن الإحصاءات الأخرى معامل التفرطح [kurtosis=-6.3E-01]، بينما هو في حال التوزيع الاحتمالي الطبيعي = ٣، كما أن المتوسط المقدر لدخل الحجاج القادمين من الخارج [Mean=2782] ريال تقريباً، وبانحراف معياري [StDev=924.86]؛ وكبر حجم الانحراف المعياري لمشاهدات العينة يدلنا على حجم التفاوت الكبير بين إنفاق

الحجاج القادمين من الخارج على خدمات الإسكان بمكة المكرمة لموسم حج عام ١٤٢٨هـ.

ومن خلال إحصائية المتوسط المتطور [Tr Mean ٢٧٥٥] يتضح أن ٥% من القيم المتطرفة مسؤولة عن زيادة المتوسط المقدر بمقدار [٢٧] ريال فقط.

من مشاهدات العينة وباستخدام المتوسط والانحراف المعياري نستطيع معرفة درجة تقلب المشاهدات حول المتوسط من خلال معامل الاختلاف [CV] على النحو التالي:

$$CV = \frac{StDev}{mean} = \frac{925}{2782} = 0.7854 = \%33$$

ويتضح من نتيجة معامل الاختلاف كمقياس للتشتت النسبي، كبر مدى التشتت للقيم حول المتوسط المقدر.

ولاختبار مدى دقة تقدير متوسط دخل الحجاج القادمين من الخارج لموسم حج عام ١٤٢٨هـ من مشاهدات العينة، فإننا نختبرها من خلال إحصائية [T]

جدول (٤)

Descriptive Statistics

Variable	N	Mean	Median	Tr Mean	T
Hous sp	١٤٩٠	٢٧٨٢.١	٢٧٢٢.٥	٢٧٥٥.٣	١١٦.١١
	Min	Q1	Q3	Max	P
	١٠٠٠	٢٠٠٠	٣٥٠٠	٥٠٠٠	٠.٠٠٠٠

ويتبين من الجدول أعلاه أن قيمة إحصائية (T) المحسوبة أعلاه من قيمتها الجدولية عند مستوى معنوية (٥.٥%) مما يعني أن تقدير المتوسط يتمتع بدرجة معنوية عالية

يتضح من الجدول (٤) ما يلي:

خ- أن الحد الأدنى لإنفاق الحاج القادم من الخارج لموسم حج عام ١٤٢٨هـ على خدمات الإسكان بمكة المكرمة (١٠٠٠) ريال؛ بينما كان الحد الأعلى لذلك الإنفاق هو (٥٠٠٠) ريال، وهو رقم كبير إذا ما قورن بالحد الأعلى لدخل الحجاج الجاري في عام ١٤٢٨هـ [٦٥٠٠] ريال، ومن المعروف أن الحج لا بد وأن يشتمل على طبقة من الأغنياء وهم قلة يحرصون على خدمات تليق بهم تحتوي على قدر كبير من الرفاهية مما يرفع من حجم إنفاقهم الكلي على خدمات الحج ومنها خدمات الإسكان بمكة المكرمة.

د- أن الربيع الأدنى (Q1=2000) ريال وهذا يدل على أن ٢٥% من مفردات العينة يقع إنفاقهم الكلي في الفترة المغلقة [١٠٠٠-٢٠٠٠]. وطول هذه الفترة = ١٠٠٠ ريال، وفي ظل الظروف الاقتصادية السائدة في موسم حج عام ١٤٢٨هـ يمكن اعتبار أن هذا هو الحد الأدنى لإنفاق الحاج القادم من الخارج على خدمات الإسكان بمكة المكرمة.

ذ- أن الوسيط يقدر بـ(٢٧٢٣) ريال تقريباً؛ وهذا يعني أن ٥٠% من مفردات العينة يقع إنفاقهم الكلي في الفترة المغلقة [١٠٠٠-٢٧٢٣] وطول هذه الفترة = ١٧٢٣ ريال.

ر- كما أن تلك القيم تعني أن ٢٥% من مفردات العينة لهم إنفاق يقع بين الربيع الأدنى والوسيط أي في الفترة المغلقة [٢٠٠٠-٢٧٢٣]؛ وطول هذه الفترة = ٧٢٣ ريال.

ز- ومنه أيضاً نجد أن الربيع الأعلى (Q3=3500)؛ وهذا معناه أن ٧٥% من مفردات العينة يقع إنفاقهم الكلي في الفترة المغلقة [١٠٠٠-٣٥٠٠]، كما يدل

ذلك أيضاً على أن هناك فئة من مفردات العينة بنسبة (٢٥%) تقع في فترة الإنفاق المغلقة [٢٧٢٣-٣٥٠٠]، ويلاحظ أن طول الفترة الثالثة = ٧٧٧ ريال.

س- أما المرحلة الرابعة والأخيرة فيمكن استنتاج طول الفترة فيها من الحد الأعلى المحسوب في الجدول (٣) وهو (maximum=5000) وهذا يعني أن ما نسبته (٢٥%) من مفردات العينة تقع في الفترة الإنفاقية المغلقة [٣٥٠٠-٥٠٠٠]، وطول هذه الفترة = ١٥٠٠ ريال.

٤. أثر العوامل الكمية والكيفية على إنفاق الحاج على خدمات الإسكان بمكة المكرمة

تفترض الدراسة أن للعوامل الكمية والكيفية تأثيراً على إنفاق الحاج على خدمات الإسكان بمكة المكرمة؛ وبما أن الدراسة سبق وأن تعرضت للإنفاق الكلي للحجاج، وكذا للدخل الكلي للحجاج، وإنفاق الحاج على خدمات الإسكان بمكة المكرمة بناء عليه فإن الدراسة تهدف من هذه الفقرة لدراسة أثر المتغيرات الكمية والكيفية سوى الدخل على إنفاق الحاج على خدمات الإسكان بمكة المكرمة، وبما أن هناك بعض العوامل المؤثرة مثل المستوى الدراسي ونوع العمل تنعكس في الغالب في مستوى الدخل، فإن الدراسة تهتم هنا بعاملين فقط تفترض أن لهما أثر واضح على مستوى الإنفاق على خدمات الإسكان وهما:

- مدة إقامة الحاج القادمين من الخارج بمكة المكرمة (وتفترض الدراسة أن هناك علاقة طردية بين عدد الأيام وحجم الإنفاق على خدمات الإسكان وفق المنطق الاقتصادي)

- نوع السكن وقد تم توزيع نوع السكن إلى نوعين: السكن بالفنادق، والسكن بالشقق (وتفترض الدراسة أن الإنفاق على خدمات الإسكان من قبل من يسكنون الفنادق أعلا من يسكنون الشقق، وذلك لاختلاف مستوى الخدمات المقدمة)

٤.١. دراسة العلاقة بين مدة الإقامة بمكة المكرمة ومتوسط الإنفاق على خدمات الإسكان

تهدف الدراسة في هذه الفقرة لعرض العلاقة -دون تحليل- بين مدة الإقامة بمكة المكرمة ومتوسط الإنفاق على خدمات الإسكان بمكة المكرمة، لبيان الأثر الاقتصادي لمدة مكث الحجاج بمكة المكرمة على قطاع خدمات الإسكان بها كأثر مباشر، ولاشك أن هناك آثار غير مباشرة على القطاعات الاقتصادية الأخرى التي تخدم الحجاج كالغذية والاتصالات... وغيرها.

٤.٢. أثر مدة الإقامة على نفقات خدمات الحجاج بصفة عامة:

من البدهي أن الحجاج كلما طالت مدة إقامتهم احتاجوا للعديد من الخدمات (أمنية، صحية...) التي تكلف الدولة مبالغ مالية؛ لدى تهدف الدراسة في هذه الفقرة للإجابة على سؤال:

هل يمكن ترشيد نفقات خدمة الحجاج دون الإخلال بمستوى الخدمات المقدم؟

والعامل الرئيس للإجابة على السؤال هي المدة التي يمكثها الحاج في الوحدات السكنية بمكة المكرمة؛ حيث من المنطقي أنه كلما طالت مدة إقامته كلما احتاج إلى خدمات وبالتالي زيادة في النفقات التشغيلية للجهات المقدمة لتلك الخدمات.

وللإجابة على هذا السؤال قام الباحث بتوزيع مدة الإقامة للحجاج القادمين من الخارج في موسم حج عام ١٤٢٨هـ إلى شرائح وفق قاعدة "ستورج" (Sturge's rule) والتي تحدد عدد الفئات على النحو التالي:

$$k = 1 + 3.3 \log(n)^{(16)}$$

حيث k = عدد الفئات، و n = حجم العينة.

$$k = 1 + 3.3 \log(1490) = 11.5 \text{ تقريباً}$$

بناء عليه سيكون عدد الشرائح (١٢) شريحة؛ وبما أن أقصى مدة مكثها مفردات العينة هي (٦٠) يوماً عليه سيتم تحديد طول كل شريحة بخمسة أيام وفق التالي:

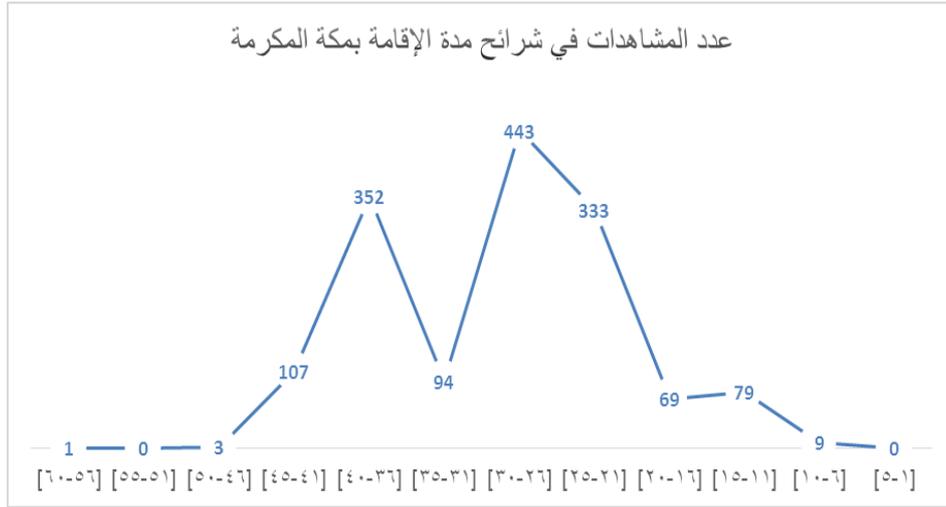
مدى الشريحة الواحدة = $60 / 12 = 5$ أيام، ثم بيان الوزن النسبي لكل شريحة حسب الجدول التالي:

جدول (٥)

الوزن النسبي (%)	عدد المشاهدات في الشريحة	مدة الإقامة بمكة المكرمة بالإيام	الشريحة
٠	٠	[٥-١]	day1
٠.٦	٩	[١٠-٦]	day2
٥.٣	٧٩	[١٥-١١]	day3
٤.٦٣	٦٩	[٢٠-١٦]	day4
٢٢.٣٥	٣٣٣	[٢٥-٢١]	day5
٢٩.٧٣	٤٤٣	[٣٠-٢٦]	day6
٦.٣١	٩٤	[٣٥-٣١]	day7
٢٣.٦٢	٣٥٢	[٤٠-٣٦]	day8
٧.١٨	١٠٧	[٤٥-٤١]	day9
٠.٢	٣	[٥٠-٤٦]	day10
٠	٠	[٥٥-٥١]	day11
٠.٠٧	١	[٦٠-٥٦]	day12
١٠٠	١٤٩٠		المجموع

وقد تمت ترجمة الجدول (٥) بيانياً في الرسم البياني (٤)

رسم بياني رقم (٤)



ومن خلال الجدول (٥) يتضح لنا ما يلي:

- ١- أن أقل مدة يمكثها الحاج بمكة المكرمة تنحصر في الفترة المغلقة [٦-١٠] أيام.
- ٢- أن ما نسبته [٥٢.٠٨%] من الحجاج القادمين من الخارج تتراوح مدة مكثهم بمكة المكرمة خلال الفترة المغلقة [٢١-٣٠] يوماً.
- ٣- أن ما نسبته [٨٢.٠١] من الحجاج القادمين من الخارج تتراوح مدة مكثهم بمكة المكرمة خلال الفترة المغلقة [٢١-٤٠] يوماً.
- ٤- أن ما نسبته [١٠.٥٣%] من الحجاج القادمين من الخارج مدة مكثهم بمكة المكرمة خلال الفترة المغلقة [٦-٢٠] يوماً.
- ٥- أن ما نسبته [٧.٤٥%] من الحجاج القادمين من الخارج مدة مكثهم بمكة المكرمة خلال الفترة المغلقة [٤١-٦٠] يوماً.
- ٦- وأن أكبر شريحة من حيث عدد مفردات العينة وهي الشريحة [day6] تمكث الفترة [٢٦-٣٠] يوماً

٧- أن الفترة المغلقة [٤٦-٦٠] يوم فترة تكاد تكون مئتيه حيث حسب المشاهدات لا يوجد بها سوى أربعة حجاج فقط ثلاث منهم في الفترة المغلقة [٤٦-٥٠]، بينما الفترة المغلقة [٥١-٦٠] يوم بها حاج واحد فقط

وبناء على ما سبق تخلص الدراسة إلى أن إجابة سؤال هذه الفقرة هي:

أنه يمكن ضغط تكاليف تلك الخدمات المقدمة للحجاج القادمين من الخارج من خلال حذف خمسة أيام من بداية فترة الحج وخمسة عشر يوماً من نهايته دون أن تتأثر الخدمات، كما أنه يمكن ضغط النفقات أكثر من خلال التركيز على فترة عشرين يوماً فقط [٢١-٤٠] من قدوم الحجاج بدلاً من تسخير كامل الطاقة للعمل لستين يوماً لاسيما وحسب ما ورد في الجدول من أن الفترة [٤٥-٦٠] يوم أي خمسة عشر يوماً لا يوجد في مكة المكرمة سوى ما نسبته [٠.٢٧%] وهي نسبة صغيرة.

٤.٣ . العلاقة بين مدة الإقامة ومتوسط الإنفاق على خدمات الإسكان:

ولدراسة تلك العلاقة بين مدة الإقامة بمكة المكرمة ومتوسط الإنفاق على خدمات الإسكان وبعد إدخال إنفاق الحجاج في كل شريحة حسب مدة الإقامة بمكة المكرمة بالحاسب لحساب متوسط الإنفاق على خدمة الإسكان لكل منها حصلت الدراسة على المخرجات التالية:

جدول (٦)

م	الشريحة	مدة الإقامة بمكة المكرمة بالأيام	عدد المشاهدات	الوزن النسبي (%) من حيث عدد المشاهدات	متوسط الإنفاق بالريال
١	day1	[٥-١]	٠	٠	٠
٢	day2	[١٠-٦]	٩	٠.٦	٢٨٣١
٣	day3	[١٥-١١]	٧٩	٥.٣	٢٨٤٧.٨
٤	day4	[٢٠-١٦]	٦٩	٤.٦٣	٢٧٨٣
٥	day5	[٢٥-٢١]	٣٣٣	٢٢.٣٥	٢٧٧١.٢
٦	day6	[٣٠-٢٦]	٤٤٣	٢٩.٧٣	٢٥٧٢
٧	day7	[٣٥-٣١]	٩٤	٦.٣١	٢١٠٨
٨	day8	[٤٠-٣٦]	٣٥٢	٢٣.٦٢	٣٣٢٩.٩
٩	day9	[٤٥-٤١]	١٠٧	٧.١٨	٢٤٣٠.١
١٠	day١٠	[٥٠-٤٦]	٣	٠.٢	٢٨٣٣
١١	day١١	[٥٥-٥١]	٠	٠	٠
١٢	day12	[٦٠-٥٦]	١	٠.٠٧	١٨٥٠

ومن خلال الجدول (٦) يتضح ما يلي:

- ١- أن الفترة المغلقة [٥-١] أيام لا يوجد أي أنفاق للإسكان بها.
- ٢- يتدنى متوسط الإنفاق على خدمات الإسكان خلال الفترة المغلقة [٦٠-٥١] يوماً ليصل لإدنى حد له (١٨٥٠) ريال
- ٣- أن هناك تزايد لمتوسط الإنفاق على خدمات الإسكان مع طول المدة للفرد

٤- أن أكبر فترة بها متوسط إنفاق على خدمات الإسكان هي الفترة المغلقة [٣٦-٤٠] يوماً (٣٣٣٠) ريال تقريباً

٥- أن فترة نشاط قطاع الإسكان بمكة المكرمة للحجاج القادمين من الخارج يكاد ينحصر في الفترة المغلقة [١١-٤٥] يوماً.

وفي اعتقاد الباحث أن النتائج أعلاه مهمة جداً لقطاع خدمات إسكان الحجاج القادمين من الخارج حيث أنه قطاع اقتصادي يهدف إلى الربح أنه بإمكانه تخفيض النفقات التشغيلية بما يحقق له أرباح أكبر، وهذا ينعكس على جودة الخدمات المقدمة، إلا أنه مما يخفف استفادة المستثمرين في هذا المجال وينعكس ذلك على انخفاض جودة الخدمات المقدمة للحاج عدم وجود جهة تعنى بالتخطيط لهذا القطاع فكل صاحب سكن يستعد بخدمات تشغيلية قد تفوق عدد أيام مكث الحاج بالسكن لأن عدد أيام المكث لا تتضح لديه إلا عند توقيع العقد والذي غالباً ما يكون متأخراً

٤.٤. دراسة العلاقة بين نوع السكن ومتوسط الإنفاق على خدمات الإسكان:

تفترض الدراسة هنا بأن هناك علاقة بين نوع السكن ومتوسط الإنفاق على خدمات السكن؛ وقد قسمت الدراسة نوع السكن إلى نوعين: فنادق (Hotels) وشقق (Apartments)، على اعتبار أن الشقق أقل درجة من حيث الخدمات الفندقية من الفنادق، وأبعد نسبياً عن المنطقة المركزية؛ حيث أن الواقع أن معظم أن لم يكن جميع الوحدات السكنية المحيطة بالحرم المكي الشريف هي من فئة الفنادق. وعليه (hotsp) ترمز للإنفاق للحجاج المستفيدين من خدمات الفنادق و (Apr sp) ترمز للإنفاق للحجاج المستفيدين من خدمات الشقق.

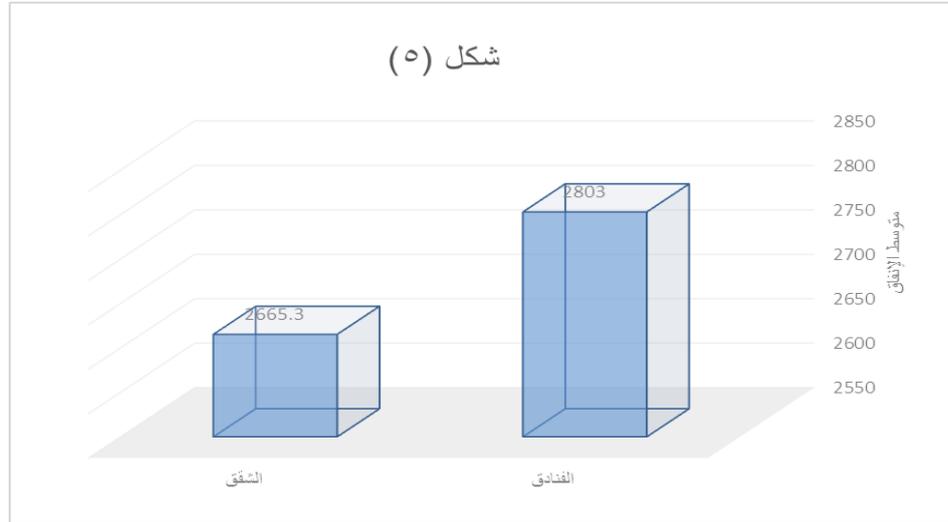
ولدراسة ذلك الأثر تم إدخال مشاهدات العينة في الحاسب وأعطى المخرجات

التالية:

جدول (٧)

متوسط الدخل	الوزن النسبي (%)	متوسط الإنفاق على خدمات الإسكان	شريحة الإنفاق حسب نوع السكن
٢٠٤٤.٤	%٨٧	٢٨٠٣	الفنادق
١٣٨٨.٤	%١٣	٢٦٦٥.٣	الشقق

وقد تمت ترجمة الجدول (٧) في الشكل البياني (٥) التالي



يلاحظ من المخرجات السابقة أن غالبية الحجاج القادمين من الخارج يفضلون السكن بنظام الفنادق [٨٧%] على نظام الشقق السكنية [١٣%]، ويمكن تفسير ذلك بأن المعيار الأساس للحجاج القادمين من الخارج هو مدى قرب السكن من المسجد الحرام أو بعده فكلما كان السكن قريباً كان بإمكانه التردد أكثر على المسجد الحرام الذي هو الغرض الأساس من قدومه للديار المقدسة، وحيث أن معظم الوحدات السكنية بجوار الحرم تم بناؤها على أساس فندقي، كانت هذه النتيجة.

ومن الملاحظ أيضاً أن إنفاق الحجاج القادمين من الخارج جاء متماشياً مع المنطق الاقتصادي فكلما زاد الدخل زاد الإنفاق؛ حيث نلاحظ أن متوسط الإنفاق على وحدات السكن الفندقية [٢٨٠٣] ريال وهو أعلا من متوسط الإنفاق على وحدات السكن على نظام الشقق [٢٦٦٥.٣] ريال، وأن متوسط دخول من يسكنون في نظام السكن الفندقي [٢٠٤٤.٤] ريال أعلا من متوسط دخول من يسكنون في نظام الشقق [١٣٨٨.٤] ريال.

والنتيجة العملية التي نخرج بها هنا: أن المؤشر الإحصائي والاقتصادي للمستثمرين في مجال خدمات إسكان الحجاج القادمين من الخارج أنه في موسم حج عام ١٤٢٨هـ بلغ عدد الحجاج الذين يفضلون السكن الفندقي [١٤٨٥٧٩٩] حاج تقريباً وعدد الحجاج الذين يفضلون السكن في نظام الشقق [٢٢٢٠١٦]^(١٧).

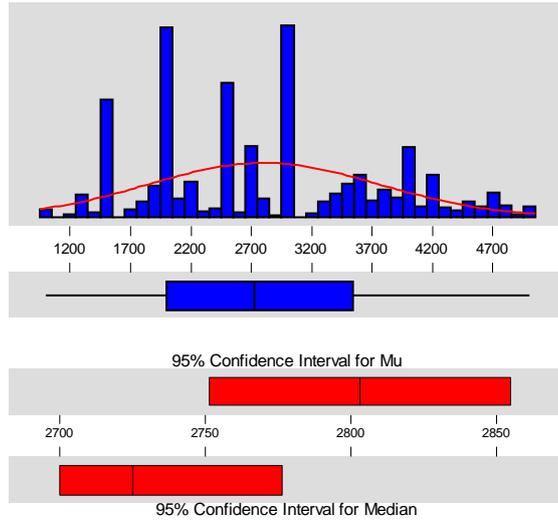
ورغبة من الباحث في إيضاح صورة أدق للمستثمرين في مجال إسكان الحجاج القادمين من الخارج فسيتم من خلال الفقرتين التاليتين دراسة الخصائص الإحصائية والاقتصادية لإنفاق الحجاج الذين يطلبون خدمات الإسكان الفندقية وكذا الذين يطلبون خدمات الإسكان وفق نظام الشقق

٤.٤.١ دراسة الخصائص الإحصائية والاقتصادية لإنفاق الحجاج الذين يطلبون السكن وفق النظام الفندقي:

تهدف الدراسة في هذه الفقرة لبيان الخصائص الإحصائية والاقتصادية لإنفاق الحجاج القادمين من الخارج والذين يطلبون السكن وفق النظام الفندقي من خلال تقدير متوسط الإنفاق، وبيان التوزيع الإحصائي لمشاهدات العينة وكافة الإحصاءات المتعلقة به

شكل (٦)

Descriptive Statistics



Variable: housing

Anderson-Darling Normality Test	
A-Squared:	16.727
P-Value:	0.000
Mean	2803.05
StDev	947.58
Variance	897905
Skewness	0.351130
Kurtosis	-7.9E-01
N	1290
Minimum	1000.00
1st Quartile	2000.00
Median	2725.00
3rd Quartile	3538.50
Maximum	5000.00
95% Confidence Interval for Mu	
	2751.29 2854.80
95% Confidence Interval for Sigma	
	912.37 985.63
95% Confidence Interval for Median	
	2700.00 2776.46

من خلال الشكل (٧) يتبين أن التوزيع الاحتمالي لمشاهدات إنفاق الحجاج القادمين من الخارج على خدمات الإسكان الفندقية بمكة المكرمة له التواء موجب؛ وعليه لا نقبل فرض العدم بأن التوزيع الاحتمالي لتلك المشاهدات يعد توزيعاً طبيعياً حسب الإحصاءات الواردة في الجدول؛ حيث نجد أن معامل الالتواء [Skewness=0.351130]، ويتضح أن درجة الالتواء بسيطة مقارنة هذا الرقم برقم الالتواء لتوزيع الاحتمال الطبيعي الذي يساوي صفراً.

ونجد أن المتوسط المقدر لإنفاق الحجاج القادمين من الخارج على نظام الإسكان الفندقي [Mean=2803] ريال تقريباً، وبانحراف معياري [StDev=947.58]؛ وكبر حجم الانحراف المعياري لمشاهدات العينة يدلنا على حجم التفاوت الكبير بين إنفاق الحجاج القادمين من الخارج لموسم حج عام ١٤٢٨هـ على نظام الإسكان الفندقي.

ومن خلال احصائية المتوسط المتطور [Tr Mean ٢٧٥٥.٧] يتضح أن ٥% من القيم المتطرفة مسؤولة عن زيادة المتوسط المقدر بمقدار [٤٧.٣] ريال فقط. و من خلال إحصائية [T] في الجدول (٧) التي بلغت (١٠٦.٣) يمكن القول أن معنوية تقدير المتوسط عالية جداً لا سيما وأن (P=0.000).

جدول (٨)

Descriptive Statistics

Variable	N	Mean	Median	Tr Mean	T
Hous sp	١٢٩٠	2803.0	2725.0	2775.7	106.25
	Min	Q1	Q3	Max	P
	1000	2000	3538.5	5000.0	٠.٠٠٠٠

يتضح من الجدول (٧) النتائج التالية:

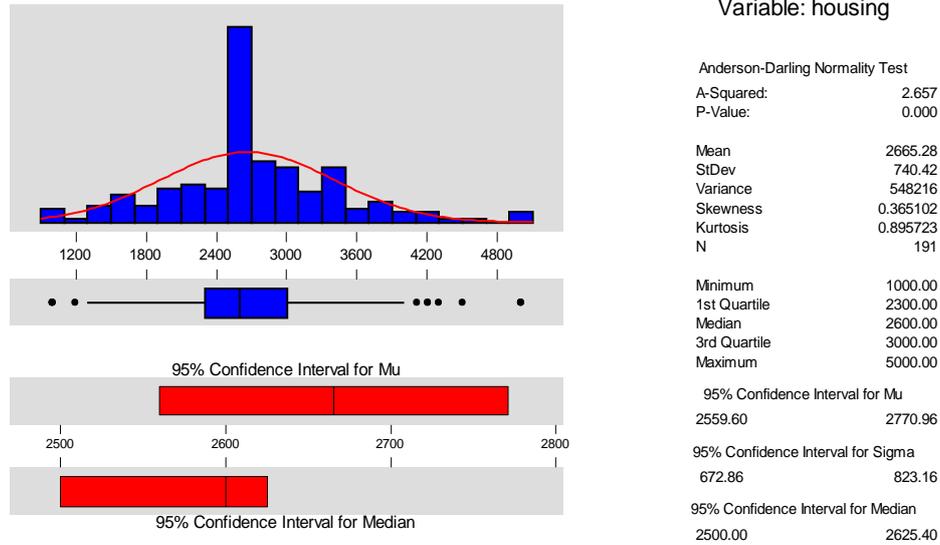
- أ- أن ٢٥% من الحجاج الذين يطلبون الخدمات الفندقية إنفاقهم في الفترة المغلقة [١٠٠٠-٢٠٠٠] ريال
- ب- الوسيط يقدر بـ(٢٧٢٥) ريال تقريباً؛ وهذا يعني أن ٥٠% من مفردات العينة يقع إنفاقهم الكلي في الفترة المغلقة [١٠٠٠-٢٧٢٥] وطول هذه الفترة =١٧٢٥ ريال.
- ت- كما أن تلك القيم تعني أن ٢٥% من مفردات العينة لهم إنفاق يقع بين الربيع الأدنى والوسيط أي في الفترة المغلقة [٢٠٠٠-٢٧٢٥]؛ وطول هذه الفترة =٧٢٥ ريال.
- ث- الربيع الأعلى (Q3=3538.5)؛ وهذا معناه أن ٧٥% من مفردات العينة يقع إنفاقهم الكلي في الفترة المغلقة [١٠٠٠-٣٥٣٨.٥]، كما يدل ذلك أيضاً على أن هناك فئة من مفردات العينة بنسبة (٢٥%) تقع في فترة الإنفاق المغلقة [٢٧٢٥-٣٥٣٨.٥]، ويلاحظ أن طول الفترة الثالثة =٨١٣.٥ ريال.

ج- أما المرحلة الرابعة والأخيرة فيمكن استنتاج طول الفترة فيها من الحد الأعلى المحسوب في الجدول (٧) وهو (maximum=5000) وهذا يعني أن ما نسبته (٢٥%) من مفردات العينة تقع في الفترة الإنفاقية المغلقة [٣٥٣٨.٥-٥٠٠٠]، وطول هذه الفترة = ١٤٦١.٥ ريال

٤.٤.٢ دراسة الخصائص الإحصائية والاقتصادية لإنفاق الحجاج الذين يطلبون السكن وفق نظام الشقق:

شكل (٧)

Descriptive Statistics



من خلال الشكل (٧) نجد أن التوزيع الاحتمالي لمشاهدات إنفاق الحجاج القادمين من الخارج على خدمات الإسكان بمكة المكرمة وفق نظام الشقق له التواء موجب؛ وعليه لا نقبل فرض العدم بأن التوزيع الاحتمالي لتلك المشاهدات يعد توزيعاً طبيعياً حسب الإحصاءات الواردة في الجدول؛ حيث نجد أن معامل الالتواء

[Skewness=0.365102]، ويتضح أن درجة الالتواء بسيطة مقارنة هذا الرقم برقم الالتواء لتوزيع الاحتمال الطبيعي الذي يساوي صفرًا، كما أن المتوسط المقدر لإنفاق الحجاج القادمين من الخارج على نظام إسكان الشقق [Mean=2665] ريال تقريباً، وبانحراف معياري [StDev=740.2]؛ وكبر حجم الانحراف المعياري لمشاهدات العينة يدلنا على حجم التفاوت الكبير في بين إنفاق الحجاج القادمين من الخارج لموسم حج عام ١٤٢٨هـ على نظام إسكان الشقق، ومن خلال إحصائية المتوسط المتطور [Tr Mean ٢٦٤٩.٦] = يتضح أن ٥% من القيم المتطرفة مسؤولة عن زيادة المتوسط المقدر بمقدار [١٥] ريال تقريباً فقط، ولاختبار مدى دقة تقدير متوسط إنفاق الحجاج القادمين من الخارج لموسم حج عام ١٤٢٨هـ على نظام إسكان الشقق من مشاهدات العينة، فقد تم اخضاعها لاختبار [T] ويتضح من الجدول (٨) أن معنوية التقدير عالية حيث كانت [T=49.75] ولاسيما أن [P=0.0000].

جدول (٩)

Descriptive Statistics

Variable	N	Mean	Median	Tr Mean	T
Apartment	١٩١	2665.3	2600	2649.6	49.75
sp	Min	Q1	Q3	Max	P
	1000	2300	3000	5000	٠.٠٠٠٠٠

يتضح من الجدول (٨) ما يلي:

أ- الربع الأدنى لإنفاق الحجاج على نظام إسكان الشقق (Q1=2300) ريال وهذا يدل على أن ٢٥% من مفردات العينة يقع إنفاقهم الكلي في الفترة المغلقة [١٠٠٠-٢٣٠٠]. وطول هذه الفترة = ١٣٠٠ ريال، وفي ظل الظروف الاقتصادية السائدة في موسم حج عام ١٤٢٨هـ يمكن اعتبار أن هذا هو الحد الأدنى لإنفاق الحاج القادم من الخارج على خدمات الإسكان بمكة المكرمة.

تقدير واختبار دالة إنفاق الحجاج القادمين من الخارج... د. عصام الجفري ٢٣٥

ب- الوسيط يقدر بـ (٢٦٠٠) ريال تقريباً؛ وهذا يعني أن ٥٠% من مفردات العينة يقع إنفاقهم الكلي في الفترة المغلقة [١٠٠٠-٢٦٠٠] وطول هذه الفترة = ١٦٠٠ ريال.

ت- كما أن تلك القيم تعني أن ٢٥% من مفردات العينة لهم إنفاق يقع بين الربيع الأدنى والوسيط أي في الفترة المغلقة [٢٣٠٠-٢٦٠٠]؛ وطول هذه الفترة = ٣٠٠ ريال.

ث- ومنه أيضاً نجد أن الربيع الأعلى (Q3=3000)؛ وهذا معناه أن ٧٥% من مفردات العينة يقع إنفاقهم الكلي في الفترة المغلقة [١٠٠٠-٣٠٠٠]، كما يدل ذلك أيضاً على أن هناك فئة من مفردات العينة بنسبة (٢٥%) تقع في فترة الإنفاق المغلقة [٢٦٠٠-٣٠٠٠]، ويلاحظ أن طول الفترة الثالثة = ٤٠٠ ريال.

ج- أما المرحلة الرابعة والأخيرة فيمكن استنتاج طول الفترة فيها من الحد الأعلى المحسوب في الجدول (٨) وهو (maximum=5000) وهذا يعني أن ما نسبته (٢٥%) من مفردات العينة تقع في الفترة الإنفاقية المغلقة [٣٠٠٠-٥٠٠٠]، وطول هذه الفترة = ٢٠٠٠ ريال.

٥. دالة إنفاق الحاج على الإسكان لموسم حج ١٤٢٨هـ

بعد أن تم تحليل مكونات الإنفاق العام على الإسكان ودراسة العوامل المؤثرة عليه الكمية والتنوعية تهدف الدراسة في هذه الفقرة إلى تقدير واختبار دالة إنفاق الحجاج القادمين من الخارج على خدمات الإسكان بمكة المكرمة لموسم حج عام ١٤٢٨هـ كدالة في دخلهم الجاري، باستخدام نموذج يفترض أن الميل الحدي لإنفاق الحاج على خدمات الإسكان بمكة المكرمة متساوي

٥.١ صياغة وتقدير نموذج إنفاق الحجاج القادمين من الخارج على خدمات الإسكان بمكة المكرمة لموسم حج عام ١٤٢٨هـ:

تهدف الدراسة في هذه الفقرة لبحث العناصر التالية:

- ١- صياغة نموذج خطي لدالة إنفاق الحجاج على خدمات الإسكان
- ٢- اختبار معلمات النموذج المقدر
- ٣- تقدير الميل الحدي لإنفاق الحجاج في الأجل القصير
- ٤- معرفة الدلالات الاقتصادية للنموذج

٥.٢ صياغة وتقدير نموذج خطي لدالة إنفاق الحاج على خدمات الإسكان:

يفترض النموذج أن كلاً من الدخل وعدد الأيام التي يمكثها الحاج في مكة المكرمة، ونوع السكن دالة في إنفاقه على خدمات الإسكان بمكة المكرمة، باعتبار المنطق الاقتصادي والذي يعتبر الدخل في أغلب الأوقات المصدر الرئيس لتمويل مختلف عناصر الإنفاق ومنها الإنفاق على خدمات الإسكان^(١٨)، كما أنه يمثل مصدر الادخار لتكوين قوة شرائية مستقبلية، و من المنطقي أن مكث أيام أكثر يترتب عليها تكلفة أكبر وأن ارتفاع مستوى الخدمات المقدمة في الإسكان يحتاج لمقابل أكبر.

وقد اعتمدت الدراسة في تقديرها للنموذج على طريقة المربعات الصغرى (OLS).

بناء على ما سبق تفترض الدراسة أن صياغة النموذج الخطي تكون على النحو

التالي:

$$sph_i = a + b_1 inc_i + b_2 days_i + b_3 D_i + \varepsilon_i$$

حيث:

$$sph_i = \text{الإنفاق على خدمات الإسكان بمكة المكرمة}$$

حيث $i=1,2,3,\dots,1490$

ثابت الدالة a

الميل الحدي - وهو بطبيعته قصير الأجل - لإنفاق الحاج على خدمات الإسكان $b_1 =$
الدخل الشهري المتاح للحاج $inc_i =$

معامل عدد الأيام التي يمكثها الحاج بمكة المكرمة $b_2 =$

عدد الأيام التي يمكثها الحاج في مكة المكرمة $days_i =$

معامل نوع السكن $b_3 =$

نوع السكن $D_i =$ وهو متغير صوري بحيث أن:

$D_i = 1$ إذا كان الحاج يطلب خدمات الإسكان في الفنادق

$D_i = 0$ إذا كان الحاج يطلب خدمات الإسكان في الشقق

حد الخطأ العشوائي للانحدار $\bar{\epsilon}_i =$

تفترض الدراسة أن تكون: $1 > b_3, b_2, b_1 > 0$

وبتقدير النموذج السابق وفق عينة المشاهدات تم الحصول على المخرجات

الإحصائية التالية:

النموذج:

$$\ln(SPH) = a + b_1 (\text{income}) + b_2 (\text{days}) + b_3 (D)$$

جدول (١٠)

	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
C	2251.811	110.429	20.392	0.000
INCOM	0.069	0.016	2.649	0.008
DAYS	0.101	2.827	3.910	0.000
D	0.048	70.317	1.855	0.064
R-squared	0.132			
Adjusted R-squared	0.015	F-statistic		8.772
S.E. of regression	22157616	Prob(F-statistic)		0.000000
Sum squared resid	1.25E+009			

بناء على الجدول (١٠) يكون النموذج بعد التقدير على النحو التالي:

$$(SPH = 2251.811 + 0.069 (\text{income}) + 0.101 (\text{days}) + 0.048 (1$$

تفيد نتائج التقدير بالجدول (١٠) بأن النسبة التي تفسرها المتغيرات التفسيرية في النموذج من التباين الكلي للإنفاق على الإسكان هي ١٣.٢% تقريباً ورغم صغر هذه النسبة المفسرة إلا أنها معنوية جداً

وأن النموذج ككل معنوي بدرجة عالية بالنظر لإحصائية (F) التي تقيس اختبار المعنوية الإجمالية للانحدار وذلك بنسبة التباين ((المفسر)) إلى التباين غير المفسر على النحو التالي:

$$F_{(k-1, n-k)} = (R^2 / ((K-1))) / (((1-R^2) / ((n-K))))$$

وحيث أن إحصائية (F=8.772) أكبر من الجدولية عند مستوى معنوية ٥% عليه نقبل الفرض أن b_1 و b_2 و b_3 لا تساوي الصفر معاً وأن R^2 تختلف معنوياً عن الصفر.

وبالنظر إلى تقدير المعلمات كل على حدة ومعنويتها من خلال إحصائية (t) نجد أن المعلمة (c) وهي الجزء الثابت من الدالة إحصائية (t) الخاصة بها = (٢٠.٣٩٢) وهي ذات دلالة معنوية عالية لاسيما وأن P.Valeo=0.0000، كذلك الأمر بالنسبة للمعلمة b_1 والتي تمثل الميل الحدي لإنفاق الحاج على خدمات الإسكان بمكة المكرمة حيث كان إحصائية (t) الخاصة بها = (٢.٦٤٩) وهي أيضاً ذات معنوية جيدة في ظل P.Valeo=0.0000، أما b_2 وهي معامل إقامة الحاج بمكة المكرمة فهي معنوية أيضاً حيث كانت إحصائية (t) الخاصة بها = (٣.٩١٠) وهي ذات معنوية جيدة في ظل (0.0000) = (Prob.)، وكانت أقلهم من حيث المعنوية المعلمة الخاصة بنوع السكن (b_3) وهذا مقبول حيث أن هذه المعلمة تتعلق بمتغير ترتيبي ويؤيد معنوية تقدير معلمات النموذج كل من إحصائية (Variance in Flation) (Factor Statstic)(VIF) وإحصائية (Tolerance) حيث جاءت كما بينها الجدول التالي:

جدول (١١)

Coefficients ^a								
Model		Unstandardized Coefficients		Standardized Coefficients	t	Sig.	Collinearity Statistics	
		B	Std. Error	Beta			Tolerance	VIF
1	(Constant)	2251.811	110.429		20.392	.000		
	incom	.041	.016	.069	2.649	.008	.976	1.025
	days	11.054	2.827	.101	3.910	.000	.996	1.004
	hotil	130.411	70.317	.048	1.855	.064	.979	1.021

a. Dependent Variable: housingsp

وهذه الإحصائيات هي لقياس مدى الترابط بين المتغير العشوائي والمتغيرات

المستقلة حيث^(١٩)

$$Tolerance = 1 - R_i^2$$

والحد الأدنى المقبول لهذه الإحصائية = ٠.٣

$$VIF = \frac{1}{\text{Tolerance}} = \frac{1}{1 - R_i^2}$$

والحد الأقصى المقبول لهذه الإحصائية = ٣.٣

وبما أن جميع المعاملات لها إحصائية (Tolerance > 0.3)، وإحصائية (VIF < 303) فإننا نقبل فرض عدم الترابط بين المتغير العشوائي والمتغيرات المستقلة وللتأكد من تحقق التجانس لدينا الفرضيتان التاليتان

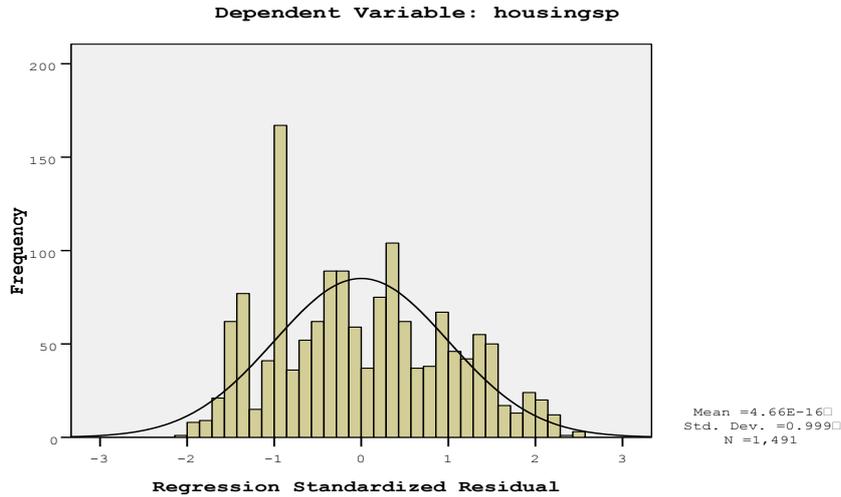
فرض عدم التجانس $H_0 = \sigma_{\varepsilon_i} = \sigma_{\varepsilon_i}$

الفرض البديل $H_1 = \sigma_{\varepsilon_i} \neq \sigma_{\varepsilon_i}$ وجود التجانس

ويتم التأكد من ذلك عبر (Normality Test of ε_i) التوزيع الطبيعي للخطأ بناء على الطريقة البيانية

شكل (٨)

Histogram



بناء عليه نقبل الفرض البديل بأن البيانات متجانسة، وأن الخطأ موزعاً توزيعاً طبيعياً.

الدلالات الاقتصادية لمعلمت النموذج:

المعلمة (c) تدلنا على أن دالة إنفاق الحاج القادم من الخارج على خدمات الإسكان بمكة المكرمة في موسم حج عام ١٤٢٨هـ ذات مقطع موجب، وأن علاقة الانحدار بين إنفاق الحاج على خدمات الإسكان ودخله تبدأ بعد أن يصل إنفاق الحاج على خدمات الإسكان (٢٢٥١.٨١١)

أما المعلمة (b_1) فهي تشير إلى أن قيمة الميل الحدي المقدرة لإنفاق الحاج على خدمات الإسكان بلغت (٠.٠٦٩) ريال؛ الأمر الذي يعني أن كل زيادة في دخل الحاج بمقدار (١٠٠) ريال، سوف يخصص الحاج منها مبلغ (٧) ريال تقريباً للإنفاق على خدمات الإسكان بمكة المكرمة

وتشير القيمة المقدرة للمعامل (b_2) والتي بلغت (٠.١٠١) بأن هناك علاقة طردية بين الإنفاق على خدمات الإسكان وعدد الأيام التي يمكثها الحاج وتم استنتاج ذلك من الإشارة الموجبة للمعامل (b_2)، وعملياً يعني أن الحاج القادم من الخارج كلما زادت مدة إقامته بمكة المكرمة عشرة أيام فإنه إنفاقه على خدمات الإسكان يزيد بمقدار (١) ريال؛ ذلك أن نظام تأجير الوحدات في موسم الحج يعتمد أكثر على عدد الأفراد لا على مدة الإقامة

أما المعلمة (b_3) والتي بلغت قيمتها (٠.٠٤٨) فهي تفيد أن إنفاق الحجاج الذين يسكنون الفنادق أعلا من إنفاق الحجاج الذين يسكنون الشقق بمقدار (٠.٠٤٨) ريال؛ الأمر الذي نجزم معه أن دالة إنفاق الحجاج الذين يسكنون الفنادق أعلا من دالة إنفاق الحجاج الذين يسكنون في نظام الشقق، وإن كان الفرق بينهما ضئيلاً.

النتائج

أبرز نتائج البحث يمكن إيجازها في النقاط التالية:

- ١- متوسط دخل الحجاج القادمين من الخارج في موسم حج عام ١٤٢٨هـ (١٩٥٩) ريال تقريباً
- ٢- ٧٥% من المستهدفين بالاستثمار في مجال خدمات إسكان الحجاج بمكة المكرمة لموسم حج عام ١٤٢٨هـ دخولهم الشهرية لا تتجاوز [٢٨٦٢] ريال.
- ٣- متوسط الإنفاق الكلي للحجاج القادمين من الخارج في موسم حج ١٤٢٨هـ (١٢٢٩٤.٢) ريال
- ٤- ٧٥% من الحجاج القادمين من الخارج يقع إنفاقهم الكلي في الفترة المغلقة [٦٠٠٠-١٣٧٠٠] ريال
- ٥- أن متوسط إنفاق الحجاج القادمين من الخارج على خدمات الإسكان (٢٧٨٢) ريال تقريباً
- ٦- أن ٧٥% من الحجاج القادمين من الخارج يقع إنفاقهم على خدمات الإسكان بمكة المكرمة في الفترة المغلقة [١٠٠٠-٣٥٠٠] ريال
- ٧- أن مدة شغل الحجاج القادمين من الخارج للوحدات السكنية بمكة المكرمة لموسم حج عام ١٤٢٨هـ تقع في الفترة المغلقة [٦-٦٠] يوماً
- ٨- أن أعلا فترة إشغال للوحدات السكنية لموسم حج عام ١٤٢٨هـ يقع في فترة الإسكان المغلقة [٢٦-٣٠] يوماً
- ٩- أنه كان بالإمكان تخفيض النفقات التشغيلية لموسم حج عام ١٤٢٨هـ بصفة عامة ولقطاع إسكان الحجاج القادمين من الخارج بالتركيز على فترة الإسكان المغلقة [١١-٤٥] يوماً
- ١٠- أن متوسط الإنفاق على خدمات الإسكان بمكة المكرمة للحجاج القادمين من الخارج لموسم حج عام ١٤٢٨هـ يتزايد للفرد بزيادة مدة الإقامة بمكة المكرمة.

- ١١ - ٨٧% من الحجاج القادمين من الخارج لموسم حج عام ١٤٢٨هـ يطلبون السكن بالنظام الفندقية.
- ١٢ - ١٣% من الحجاج القادمين من الخارج لموسم حج عام ١٤٢٨هـ يطلبون السكن بنظام الشقق السكنية.
- ١٣ - متوسط دخول من يسكنون في نظام السكن الفندقية لموسم حج عام ١٤٢٨هـ [٤٨٨٣] ريال
- ١٤ - متوسط دخول من يسكنون في نظام الشقق لموسم حج عام ١٤٢٨هـ [١٩٦٨] ريال.
- ١٥ - متوسط إنفاق الحجاج القادمين من الخارج لموسم حج عام ١٤٢٨هـ على وحدات السكن الفندقية [٢٠٤٤.٤] ريال
- ١٦ - متوسط إنفاق الحجاج القادمين من الخارج لموسم حج عام ١٤٢٨هـ على نظام الشقق [٢٦٦٥.٣] ريال
- ١٧ - قيمة الميل الحدي المقدرة لإنفاق الحجاج القادمين من الخارج لموسم حج عام ١٤٢٨هـ على خدمات الإسكان بمكة المكرمة بلغت (٠.٠٦٩) ريال؛ الأمر الذي يعني أن كل زيادة في دخل الحاج بمقدار (١٠٠) ريال، سوف يخصص الحاج منها مبلغ (٧) ريال تقريباً للإنفاق على خدمات الإسكان بمكة المكرمة.
- ١٨ - هناك علاقة طردية بين إنفاق الحجاج القادمين من الخارج لموسم حج عام ١٤٢٨هـ على خدمات الإسكان وعدد الأيام التي يمكثونها في مكة المكرمة
- ١٩ - أعباء قدرة إنفاقية لنسبة ٧٥% من الحجاج القادمين من الخارج لموسم حج عام ١٤٢٨هـ ممن يطلبون خدمات الإسكان في الفنادق لموسم حج عام ١٤٢٨هـ هي (٣٥٣٩) ريال تقريباً

٢٠- ٢٥% فقط ممن يطلبون خدمات الإسكان في الفنادق من الحجاج القادمين من الخارج بموسم حج عام ١٤٢٨هـ قدرتهم الإنفاقية تنحصر في الفترة [٣٥٣٩-٥٠٠٠] ريال

٢١- ٧٥% من الحجاج القادمين من الخارج لموسم حج عام ١٤٢٨هـ ممن يطلبون خدمات إسكان الشقق السكنية تقع قدرتهم الإنفاقية في الفترة المغلقة [١٠٠٠٠-٣٠٠٠٠] ريال

٢٢- ٢٥% من الحجاج القادمين من الخارج لموسم حج عام ١٤٢٨هـ ممن يطلبون خدمات إسكان الشقق السكنية تقع قدرتهم الإنفاقية في الفترة المغلقة [٣٠٠٠٠-٥٠٠٠٠] ريال

التوصيات

تتلخص أبرز التوصيات فيما يلي:

- ١- التوصية بالاستمرار في دراسة إنفاق الحاج على خدمات الإسكان للسنوات ما بعد ١٤٢٨هـ للخروج بمؤشر عام للإنفاق الحاج على خدمات الإسكان بمكة المكرمة
- ٢- إنشاء جهة مركزية للتنسيق بين المستثمرين العقاريين في مجال خدمات إسكان الحجاج القادمين من الخارج لتزويدهم بالنصائح المبينة على الدراسات العلمية حول نوع وقدرة جانب الطلب على تلك الخدمات حيث يلاحظ أن هناك فرق بين قدرة الطالبين ونوعية المعروض من خدمات الإسكان.

هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين

المراجع

أولاً: المراجع العربية

- القرآن الكريم
- إسماعيل بن عمر بن كثير (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق سامي بن محمد سلامه، تفسير القرآن العظيم، ط ٢ (مكة المكرمة: دار طيبة للنشر، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)
- ب.برنيه و إ.سيمون، أصول الاقتصاد الكلي، ترجمة: د. عبد الأمير إبراهيم شمس الدين، ط ١ (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)
- جي هولتن ولسون، الاقتصاد الجزئي المفاهيم والتطبيقات، ترجمة: د. كامل سلمان العاني، ط ١ (الرياض: دار المريخ للنشر، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)
- زين الدين أحمد بن أحمد الزبيدي (٨١١-٨٩٣)، التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح (مختصر الزبيدي)، ط ١، (بيروت: دار المنهاج، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)
- محمد بن عبد الرحمن المباركفوري (١٢٨٣هـ-١٣٥٣هـ)، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، ط [بدون]، (بيروت: دار الفكر، التاريخ [بدون])
- أ.د. محمد صبحي أبو صالح، أ.د. عدنان محمد عوض، مقدمة في الإحصاء مبادئ وتحليل باستخدام SPSS، ط ٥ (عمان: دار المسيرة، ٢٠١٠م/١٤٣١هـ)
- دومينيك سالفاتور، سلسلة ملخصات شوم نظريات ومساائل في الإحصاء والاقتصاد القياسي، ترجمة: د. سعدية حافظ منتصر، الطبعة [بدون] (الرياض: دار ماكجروهيل، ١٩٨٢م)

- أ.د. جلال الصياد وآخرون، مقدمة في الإحصاء لطلاب الدراسات الاقتصادية والإدارية، الطبعة [بدون] (جدة: جامعة الملك عبد العزيز، قسم الإحصاء، التاريخ [بدون])

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- Longnecker, M.T & Ott, R.L: *A First Course in Statistical Methods*. Thomson Brooks/Cole, 2004.
- Studenmund, A.H: *Using Econometrics: A practical guide*, 5th Edition, Pearson International Edition, 2006.
- Hair JF, Anderson R, Tatham RL, Black WC: *Multivariate Data Analysis*. Prentice Hall: Upper Saddle River, N.J. 2006.
- Estimation", *Technometrics*12(3), 591,
- Allison, P.D. *Multiple Regression: a primer*, Pine Forge Press: Thousand Oaks, C.A. 1999.
- Kutner MH, Nachtsheim CJ, Neter J, *Applied Linear Regression Models*, 4th edition, McGraw-Hill Irwin, 2004.

ثالثاً: المواقع الإلكترونية

- <http://data.albankaldawli.org/indicator/NY.GNP.PCAP.CD>
- : www.cdsi.gov.sa/geostat/hajstat/doc_download/830---1416-1433
- <http://arabic.doingbusiness.org/rankings>

الهوامش والتعليقات:

- (١) آل عمران: ٩٧
- (٢) إسماعيل بن عمر بن كثير (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق سامي بن محمد سلامه، تفسير القرآن العظيم، ط ٢ (مكة المكرمة: دار طيبة للنشر، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ج ٢، ص ٨١
- (٣) زين الدين أحمد بن أحمد الزبيدي (٨١١-٨٩٣)، التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح (مختصر الزبيدي)، ط ١، (بيروت: دار المنهاج، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، كتاب الإيمان، ح (٨)، ص ٥٨.
- (٤) انظر: منصور ابن يونس بن إدريس البهوتي [المتوفى: ١٠٥١هـ]، شرح منتهى الأرادات، [الطبعة: بدون]، (بيروت: عالم الكتب، التاريخ: بدون)، ج ٢، ص ٢-٣.
- (٥) المرجع السابق، ج ٢، ص ٣-٤
- (٦) موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة [المتوفى: ٦٢٠]، المغني، [الطبعة: بدون]، (بيروت: دار الكتب العلمية، [التاريخ: بدون])، ج ٣، ص ١٩٠
- (٧) المرجع السابق، ج ٣، ص ١٦٣-١٦٤.
- (٨) محمد بن عبد الرحمن المباركفوري (١٢٨٣هـ-١٣٥٣هـ)، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، ط [بدون]، (بيروت: دار الفكر، التاريخ: بدون])، ج ٣، ص ٥٤٣، باب ماجاءكم فرض الحج، ح (٨١١) [قَالَ أَبُو عَيْسَى حَدِيثُ عَلِيِّ حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ]
- (٩) ب. برنيه و. إ. سيمون، أصول الاقتصاد الكلي، ترجمة: د. عبد الأمير إبراهيم شمس الدين، ط ١ (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ص ١٢١ وما بعدها
- (١٠) مايكل ابدجمان، الاقتصاد الكلي النظرية والسياسة، تعريب: محمد إبراهيم منصور، ط ١ (الرياض: دار المريخ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص ١٣٨-١٤٥.

- (١١) أ. د. محمد صبحي أبو صالح، أ.د.عدنان محمد عوض، مقدمة في الإحصاء مبادئ وتحليل باستخدام SPSS، ط٥(عمان: دار المسيرة، ٢٠١٠م/١٤٣١هـ)، ص٧٢.
- (١٢) توزيع (t) متماثل حول متوسط الصفر ولكنه منبسط عن التوزيع الطبيعي القياسي، ولهذا فإن الجزء الأكبر من مساحته يقع عند الأطراف، وبينما يوجد توزيع طبيعي قياسي واحد، فإن توزيع (t) يختلف حسب حجم العينة، بيد أنه مع تزايد حجم العينة فإن توزيع (t) يقترب من التوزيع الطبيعي القياسي إلى أن تكون $n \geq 30$. وعندئذ يتساويان تقريباً
- النظر: دومينيك سالفاتور، سلسلة ملخصات شوم نظريات ومساائل في الإحصاء والاقتصاد القياسي، ترجمة: د. سعدية حافظ منتصر، الطبعة [بدون] (الرياض: دار ماكجروهيل، ١٩٨٢م)، ص٨٠
- (١٣) راجع: <http://arabic.doingbusiness.org/rankings> تاريخ لدخول: الجمعة ١٤٣٥/٢/٩هـ الساعة: ١٧:٣٨. من مميزات هذا الموقع التابع للبنك الدولي للإنشاء والتعمير أنه يقوم بترتيب البيانات المطلوبة لأي مجموعة من الدول وفق محددات يضعها الباحث وقد تم اختيار عام ٢٠٠٦م، والتصنيف للدول المتوسطة والمنخفضة الدخل
- (١٤) <http://data.albankaldawli.org/indicator/NY.GNP.PCAP.CD>
- (١٥) أ.د. محمد صبحي أبو صالح، أ.د.عدنان محمد عوض، مقدمة في الإحصاء مبادئ وتحليل باستخدام SPSS، ط٥(عمان: دار المسيرة، ٢٠١٠م/١٤٣١هـ)، ص٧٢.
- (١٦) أ. د. جلال الصياد وآخرون، مقدمة في الإحصاء لطلاب الدراسات الاقتصادية والإدارية، الطبعة [بدون] (جدة: جامعة الملك عبد العزيز، قسم الإحصاء، التاريخ [بدون])، ص١٠.
- (١٧) بناء على أعداد الحجاج القادمين من الخارج المنشورة على موقع: www.cdsi.gov.sa/geostat/hajstat/doc_download/830-----1416---1433
- (١٨) جي هولتن ولسون، الاقتصاد الجزئي المفاهيم والتطبيقات، ترجمة: د. كامل سلمان العاني، ط١ (الرياض: دار المريخ للنشر، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص١٠٥

- (19)Longnecker, M.T & Ott, R.L.:*A First Course in Statistical Methods*, page 615. Thomson Brooks/Cole, 2004.
- Studenmund, A.H.:*Using Econometrics: A practical guide*, 5th Edition, page 258–259. Pearson International Edition, 2006.
- Hair JF, Anderson R, Tatham RL, Black WC: *Multivariate Data Analysis*. Prentice Hall: Upper Saddle River, N.J. 2006.
- Allison, P.D. *Multiple Regression: a primer*, page 142. Pine Forge Press: Thousand Oaks, C.A. 1999.
- Kutner MH, Nachtsheim CJ, Neter J, *Applied Linear Regression Models*, 4th edition, McGraw-Hill Irwin, 2004.

رابعاً: التاريخ والحضارة الإسلامية

**دعم الدولة العثمانية
للمؤسسات التعليمية في بلاد الحرمين
خلال عهد السلطان عبد الحميد الثاني
دراسة وثائقية**

د. أماني جعفر الغازي

دعم الدولة العثمانية للمؤسسات التعليمية في بلاد الحرمين

خلال عهد السلطان عبد الحميد الثاني - دراسة وثائقية

د. أماني جعفر الغازي

هدف الدراسة وأهميتها:

يكمن هدف الدراسة وأهميتها في أنها محاولة بسيطة لإزالة ما يشاع عن الدولة العثمانية من جهل وتخلف، وإدخال بلاد الحجاز عموماً، والحرمين الشريفين على وجه الخصوص في طور من التراجع الفكري والثقافي، وذلك بإلقاء الضوء على دعم الدولة العثمانية للمؤسسات التعليمية فيها، خاصة وأن فترة الدراسة تركز على فترات مختلفة من عمر الدولة العثمانية عموماً، وخلال عهد السلطان عبد الحميد الثاني على وجه الخصوص، ومع ذلك سيتضح من خلال هذه الدراسة مدى اهتمامها بتقديم العلم والثقافة خاصة لأهالي بلاد المقدسات الإسلامية بالرغم من الظروف السياسية التي كانت تمر بها البلاد، ولم ينس عدد لا بأس به من السلاطين العثمانيين على مدار تاريخهم الطويل أن يعبروا عن مدى حبهم للعلم والمعرفة، ولم تمنعهم إدارتهم للبلاد من الاهتمام بالتعليم والبحث عن زيادة موارده.

موضوع الدراسة:

تستعرض الدراسة أبرز وقفات بعض السلاطين العثمانيين خلال حكمهم، لدعم المؤسسات التعليمية في الحرمين الشريفين، وما قدموه من مساعدات مالية ومعنوية وتعليمية وذلك من خلال الفرمانات السلطانية والوقفات التي كان لها أبلغ الأثر في دفع حركة التعليم في المنطقة العربية وخاصة الحجاز.

النقاط التي ستعرض لها الدراسة:

ستبدأ الدراسة بتمهيد يتم فيه استعراض بعض الفرمانات الصادرة من بعض سلاطين الدولة العثمانية التي توضح رغبتهم خلال فترات حكم الدولة في عصورها المختلفة والتي امتدت أكثر من خمس قرون للنهوض بالحالة الثقافية والتعليمية في البلاد التي تحت إدارتهم أمثال:

سليمان القانوني^(١) وأحمد الثالث ١١١٥-١١٤٣هـ / ١٧٠٣-١٧٣٠م،
وعبد الحميد الأول ١١٨٧-١٢٠٣هـ / ١٧٧٣-١٧٨٨م، وعبد المجيد الأول ١٢٥٥-
١٢٧٧هـ / ١٨٣٩-١٨٦٠م، وعبد العزيز ١٢٧٧هـ-١٢٩٣هـ / ١٨٦١-١٨٧٦م،
وأخيراً السلطان عبد الحميد الثاني ١٢٩٣-١٣٢٦هـ / ١٨٧٦-١٩٠٩م.

وستوضح الدراسة أيضاً مدى الاهتمام بأمر الحجاز خاصة في فترة السلطان عبد الحميد الثاني.

منهجية الدراسة:

ستعتمد الدراسة على بعض الوثائق العثمانية وبعض الفرمانات السلطانية التي توضح مدى اهتمام سلاطين الدولة العثمانية بالمؤسسات التعليمية ودفع حركة التعليم فيها، وسيتم مناقشتها وإبراز أهم ما جاء فيها، ثم استخلاص النتائج في الخاتمة التي توضح مكانة الحجاز الدينية والعلمية في الدولة العثمانية.

حدود الدراسة الزمانية والمكانية:

تتناول الدراسة بعد التمهيد لتوضيح الصورة الحقيقية عن سلاطين الدولة العثمانية والرغبة الحقيقية لديهم للنهوض بالحالة الثقافية والعلمية في البلاد وخاصة

المنطقة العربية والحرمين الشريفين والحجاز، نتناول بعد ذلك بعض الفرمانات السلطانية والأوامر العليا الصادرة من إدارة الدولة العثمانية والباب العالي بإستانبول منذ القرن الثاني عشر الهجري السابع عشر الميلادي، وحتى انتهاء فترة الدولة العثمانية وخاصة خلال فترة السلطان عبد الحميد الثاني، فيما يتعلق بتطوير الناحية التعليمية لأبناء الحرمين الشريفين والحجاز.

وقد قمنا باختيار تلك الفترة كنموذج للتطبيق على الفكرة التي تدور حولها البحث.

التمهيد:

كان التعليم في منطقتنا العربية عامة وشبه الجزيرة العربية على وجه الخصوص يبدأ في سن مبكرة (أي ما بين الخامسة والسادسة من العمر)، حيث يتلقى الأطفال مبادئ الكتابة وحفظ القرآن الكريم وتلاوته على يد أحد المشايخ، أو تعليمهم من قبل أحد أفراد الأسرة أو عائلها إذا كان متعلماً أو عالماً، فالعالم هو: المرجع الذي تخرج على يديه الكثير من الطلبة سواء كان عالم فلك أو فيزياء أو دين، أما المتعلم: مازال يبحث عن الفرص للتزوّد بالعلم في أي مكان في الدنيا، وقد يتم ذلك في أحد الكتاتيب التي كانت تعلم القرآن الكريم، ثم يبدأ الغلام في تعلم القراءة والكتابة وبعض العمليات الحسابية البسيطة وقليل من المعارف الدينية واللغوية والعربي^(٢).

إن الجزيرة العربية هي مهبط الوحي، ومن أرضها انطلقت أعظم حضارة ورسالة عرفها التاريخ البشري، وعلى نهج الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ومن روح الإسلام ومبادئه وتعاليمه استمدت الأساس الأول لبناء مجتمعتها، لذا فقد بدأت مسيرة التربية والتعليم فيها منذ نزول القرآن الكريم على نبينا محمد^(٣) في غار حراء حينما أمر الله نبيه بالقراءة وامتلأ المسلمون منذ فجر الإسلام وعلى مر العصور

والأزمان لهذا الأمر فجدوا في طلب العلم والسعي في تحصيله امتثالاً لأمر المولى عزوجل، فبدأت نشاطات التعليم قديماً في حلقات الدروس بالمساجد - خاصة الحرمين الشريفين- ثم التعليم في الكتاتيب وهي نوع من التعليم يدرس القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة ويلتحق بها غالباً أبناء العائلات التي تسمح ظروفهم المادية بالاستغناء عن مشاركة آبائهم لهم في تأدية أعمالهم ساعات الدراسة، ثم في (الكتاب) - وهي مؤسسة تربوية تعليمية قديمة وظيفتها تعليم الكتابة والقراءة، وتحفيظ القرآن الكريم كله أو جزء منه، وبعض مبادئ الفقه والحساب، أو مجالس العلماء، وعلى الرغم من أن أرض المملكة العربية السعودية كانت موطن النور الذي ظهر فيها ثم انتشر منها، وعم العالم أجمع في صورة الرسالة الإسلامية التي جعلت العلم والتعليم من أسسها الهامة، وعلى الرغم من أن جزيرة العرب كانت المشعل الذي أثار للإنسانية جمعاء طريق العلم والهداية، فإن هذه البلاد قد أصيبت بفعل الظروف الاجتماعية والسياسية التي طرأت عليها، بنكسة شديدة لم ينج منها في الواقع أي بلد عربي أو إسلامي. وكان من نتائج هذه النكسة أن عم الجهل وانتشر الظلام، مرة أخرى فوق هذه الربوع، وكان من الطبيعي أن تصاب الحركة التعليمية في هذا البلد الأمين بالركود والخمول والجمود فاندثرت فيها مراكز العلم^(٤) والتعليم التي كانت قبلة الأنظار في جميع بلدان العالم الإسلامي، ولم يبق من ذلك كله سوى عدد قليل من الكتاتيب، وبعض الجهود والمبادرات الفردية التي قام بها نفر من أبناء البلاد، وبعض أبناء الجاليات الإسلامية من المهاجرين إلى البلاد المقدسة ممن تأثروا في تعليمهم بالأفكار التربوية الجديدة التي تسربت إلى الهند، وتركيا من خارج الأقطار الإسلامية، وأدت إلى تأسيس بعض المدارس الأهلية مثل المدرسة الفخرية ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م الصولتية بمكة المكرمة عام ١٢٩١هـ / ١٨٧٤م، ومدارس الفلاح في جدة ١٣٢٣هـ / ١٩١١م، وفي مكة المكرمة ١٣٣٠هـ، والمدرسة الخيرية.

وكان يطلق على المعلم في الكُتّاب لقب الشيخ، أو المؤدب أو المطوّع، والمعلم والفقير والملاّ^(٥) داخل الحجاز والحرمين الشريفين، وكانت هناك شروطاً لابد من توافرها في المعلم الشيخ (المؤدب - المطوع) باعتباره قائم على تربية وتعليم النشأ الصغير مثل رسوخ عقيدته الإسلامية لديه، وإمامه بالمواد التي يدرّسها، مراعاة ميول وحاجات الأطفال، ومعاملتهم.. إلخ، ولم يقتصر دور المؤدب على تعليم الأطفال القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة فقط، بل كان حريصاً على تنشأتهم النشأة الصالحة، وغرس الأخلاق في نفوسهم والمبادئ الحميدة أيضاً^(٦).

وكان التعليم مجّاناً حينذاك، إذ يقوم الأثرياء بتأسيس وافتتاح بعض الكتاتيب ويشاركونهم في ذلك بعض رجال الدولة من القضاة أو الولاة وغيرهم، حيث رصدوا لها عدة أوقاف ليتم الصرف منها على رواتب المشايخ والعاملين فيها، والصرف على كل ما يتعلق بنفقات الطلاب من الغذاء والملبس، وخاصة الصرف على الأيتام والفقراء منهم، أما إذا كان الشيخ هو مؤسس الكتاب نفسه فإنه يتقاضى أجراً زهيداً كان يطلق عليها (الخمسية)^(٧).

هذا هو شكل المؤسسة التعليمية داخل الجزيرة العربية ومنها الحجاز بطبيعة الحال، وغيرها من المناطق العربية الأخرى، وذلك قبل دخولها تحت حكم الإدارة العثمانية، وسوف يتم إلقاء الضوء على نوعين من أنواع التعليم والمؤسسات التعليمية في بلاد الحرمين الشريفين خلال العهد العثماني، وهما: التعليم بالداخل من خلال هذه المؤسسات التعليمية، والتعليم بالخارج من خلال "مدرسة العشائر" بإستانبول.

أولاً: دعم الدولة العثمانية للمؤسسات التعليمية بالحجاز والحرمين الشريفين (التعليم بالداخل):

دخل الحرمين الشريفين والحجاز تحت النفوذ العثماني في أوائل القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، وأن العثمانيين حافظوا على الأوضاع السائدة في بلاد الحرمين الشريفين، ولاسيما الوضع الثقافي والاجتماعي والإداري، وكان التقسيم الإداري في أوائل الحكم العثماني يختلف عن آخره، فمع تسمية الوالي الذي يتم تعيينه من إسطنبول - في البداية بأمير الأمراء، وتسمية أمير المدينة المنورة - الذي يعين من إسطنبول - بشيخ الحرم، وتسمية أمير مكة المكرمة - الذي يختار من الأشراف - بشريف مكة المكرمة، إلا أنه تغير اسم بعض تلك الوظائف في العهد الأخير، حتى أصبح يطلق على الأول والي الحجاز، وعلى الثاني محافظ المدينة المنورة، وأحتفظ الباقي بالتسمية نفسها، وكانت ولاية الحجاز تتكون من ثلاث سناجق هي (مكة المكرمة وهي مركز الولاية، والمدينة المنورة، وجدة) في الوقت الذي كانت فيه جدة تشكل مع الحبشة إمارة في بدايات عهدها، وكان والي جدة نفسه شيخاً للحرم المدني، ولاسيما إذا حاز رتبة الوزارة^(٨).

١ - مكة المكرمة:

من المرجح أن الدولة العثمانية لم تفرض سيطرتها على منهجية المؤسسات التعليمية داخل الولايات العربية، بل إنها أقرت تقاليد منهجية التعليم الموجودة في كل ولاية أو مركز، كالمساجد والجوامع، وعادة ما كان العلماء والمدرسون يتوجهون إلى المساجد بدعوة منها وبصحبتهم الطلاب، ويتجولون في أنحاء الولاية لإلقاء دروسهم وخبراتهم التعليمية لإكساب الطلاب والدارسين خبراتهم العلمية في شتى الفنون الدينية والتربوية والإنسانية وغيرها. وقد تبوأ الحرمين الشريفين (مكة

المكرمة والمدينة المنورة) مكانة عالية في مقدمة هذه المساجد الجامعة التي كان لها دور بارز ومهم من الناحية التعليمية والثقافية في ذلك الوقت، ليس على مستوى شبه الجزيرة العربية، وإنما على مستوى العالم الإسلامي بشكل عام.

فلقد شهد التعليم ثلاث مراحل أو أنماط تتمثل في:

- تعليم حكومي نظامي: كانت تشرف عليه الدولة العثمانية ويتخذ اللغة التركية أساسا للتعليم، وقد وجد هذا النوع من التعليم في مكة المكرمة والمدينة المنورة والإحساء.
- تعليم أهلي يمол ويدار بواسطة الأهالي، وهو قريب من التعليم التقليدي خاصة في مناهجه وطرق التدريس فيه.
- التعليم في المساجد: يعد المسجد مؤسسة هامة من مؤسسات التربية الإسلامية، ولم يقتصر على أن يكون مقرا للعبادة فقط، بل كان مكانا للتعليم والتربية ومدرسة للعلوم والآداب؛ كانت المدارس^(٩) تتفاوت في حجمها ومواقعها ونوعية مرادياتها، وقد كان الحرمين الشريفين من أشهر المساجد التي كانت مراكز للعلم والتعليم وقيادة الأمة الإسلامية. لقد كان الطلاب الذين يتخرجون من الكتاتيب والمدارس الدينية والراغبين في إكمال دراستهم التخصصية يتجهون إلى الحرمين الشريفين، حيث كانت حلقات التعليم عامرة بطلبة العلم، حيث يدرسون (علوم معينة)....، كان التعليم في الحرمين الشريفين أعلى مرحلة للتعليم الديني والعربي؛ فلقد كان لهما الفضل الكبير في حفظ علوم الدين واللغة العربية، وإيجاد بيئة علمية تقوم على التفرغ للدرس والتحصيل، وكان هناك بعض المساجد التي أكد عليها بعض المؤرخون في إقليم نجد وعسير وحائل والإحساء، وكان لها جميعا دورا كبيرا في الإشعاع الثقافي والمعرفي للمجتمع، وكانت منارة ثقافية لأبناء تلك المناطق ومنها:

جامع مينة الدرعية، جامع مدينة الرياض، وفي حائل الجامع الكبير في (برزان) وغيرها^(١٠).

في البدء قامت الإدارة العثمانية بحصر تلك المؤسسات التعليمية، للتعرف على أوقافها، وحصر المستخدم منها، وكذلك المتوقف منها عن العمل^(١١).

وأخذت الدولة العثمانية على عاتقها الإشراف والاهتمام بتلك الأوقاف من خلال القضاة الذين كان يتم تعيينهم في شتى الولايات، ولم تكتف الإدارة العثمانية بالسعي والحفاظ على تلك المؤسسات التعليمية المختلفة التي كانت موجودة بالفعل قبل الوجود العثماني في المنطقة، بل سعت إلى تطويرها حيث أولى السلاطين والولاة والقضاء - حتى في مرحلة ضعف الدولة العثمانية - قبل اهتمامهم بالمؤسسات التعليمية، فعملوا على إنشاء مؤسسات تعليمية جديدة، وترميم القديم منها، حتى يؤدي دوره العلمي المنوط به، فقامت هذه المؤسسات بدورها الفعّال في بلاد الحجاز، إضافة إلى المركزين التعليميين الكبيرين المتمثلين في الحرم المكي والحرم النبوي. إذ كان السلاطين العثمانيين يغدقون عليهما الأموال الوفيرة ويوقفون أوقافاً سلطانية على تلك الأماكن المباركة حتى قبل ضم البلاد إلى إدارتهم، فكان كل اهتمامهم متوجّهاً إلى رعاية تلك الأماكن وتوجيه كبار رجال الدولة للرعاية والاهتمام بها أيضاً.

وبعد دخول البلاد المباركة الشريفة تحت إدارة الدولة العثمانية بدأت الدولة وسلطينها في إرسال ما يطلق عليه بـ"الصّره الهمايونية أو السلطانية سنوياً"^(١٢) مع قافلة الحج السنوي، وبصحبته المال الوفير، الذي كان يصرف منه على العديد من الأنشطة الخيرية ومجهودات العلماء وطلاب العلم في تلك الأماكن المقدسة^(١٣).

وبالإضافة إلى ما كان في المدينتين الشريفتين من مدارس ومراكز ثقافية وتعليمية، إلا أن بعض السلاطين العثمانيين على مدار تاريخها الطويل، لم ييخلوا

بأموالهم وفكرهم في النهوض بالحركة العلمية والتعليمية في البلاد، ومنها على سبيل المثال ذلك الفرمان السلطاني الصادر من السلطان "سليمان القانوني" ^(١٤) ببناء المدارس السلطانية الثقافية الأربعة جنوبي المسجد الحرام بمكة المكرمة، وقد خصّ بها أئمة المذاهب السنية الأربعة ^(١٥)، كما قام السلطان القانوني أيضاً بإصدار أوامره السلطانية العالية لإنشاء "دار الحديث" لتدريس فقه المذهب الحنبلي ^(١٦).

وتوالت الأوامر السلطانية في هذا الشأن، حيث انصبت على الاهتمام بالمدارس السليمانية- نسبة إلى السلطان سليمان القانوني- على أكمل وجه سواء من الناحية الثقافية التي تقدمها، أم من الناحية الإنشائية والمعمارية وإعادة ترميمها إذا لزم الأمر، فصدرت العديد من الأوامر والفرمانات السلطانية الخاصة بهذا الشأن إلى أمراء مكة المكرمة، تنص على ضرورة القيام بعمل ما يلزم من ترميمات وصيانة لتلك المدارس.

ومن هذه الفرمانات السلطانية التي توصي أمراء مكة المكرمة بالاهتمام بهذه المدارس والقيام بصيانتها وترميمها- على سبيل المثال - الحكم الصادر بتاريخ أوائل جمادى الآخرة عام ١١٢٠هـ/ ١٧٠٩م من السلطان العثماني إلى أمير مكة المكرمة (الشريف عبدالكريم) ^(١٧) وإلى قاضي مكة المكرمة أيضاً حينذاك- والذي ينص على ضرورة القيام بترميم وإصلاح ما خرب من مباني إحدى المدارس الأربعة ^(١٨)؛ وذلك نتيجة لسقوط الأمطار الشديدة على مكة المكرمة في ذلك العام، مما أدى إلى خرابها، وسقوط أجزاء من جدرانها، ولذلك فقد تقرر صرف مبلغ ٢٥٠٠ قرشاً للقيام بإعادة هذه الجدران إلى طبيعتها مرة أخرى، وصرف مبلغ ١٥٠٠ قرشاً لترميم المدارس الثلاث الأخرى ^(١٩).

وهناك رسالة موجهة أيضاً من السلطان العثماني أحمد الثالث (١٠٨٤-١١١٥هـ) إلى قاضي مكة المكرمة، ووالي جدة، وهي مؤرخة في ٢٨ رجب

١١٣٧هـ / ٢١ مارس ١٧٢٥م، تقضي بصرف مبلغ ٣٠٠٠ قرشاً لترميم المدارس السليمانية في مكة المكرمة^(٢٠).

واستمر إنشاء المدارس والإهتمام بها طوال فترة الحكم العثماني للحجاز، بل وتخصيص الميزانية المالية الخاصة بها، حيث أمر السلطان عبدالمجيد ١٢٥٥هـ-١٢٧٧هـ / ١٨٣٩-١٨٦١م بإنشاء وقف له "بموجب الأوامر العالية التي تقضي بإنشاء وقف جليل لجناب السلطان به مدرسة ومكتبة وسبيل في مكة المكرمة...^(٢١).

وأمر أيضاً ببناء مدرسة باسمه تضم مكتبة دار للتوقيت (للاذان والصلاة) في مكة المكرمة، أطلق عليها المدرسة المجيدية- نسبة للسلطان عبد المجيد- وقد اكتمل بناؤها بعد وفاته بعامين، ويتضح ذلك من التقرير المرسل إلى الصدر الأعظم عام ١٢٧٩هـ / ١٨٦٣م^(٢٢).

وفي عهد السلطان عبدالعزيز ١٢٧٧هـ-١٢٩٣هـ / ١٨٦١-١٨٧٦م قرر مجلس الأحكام العدلية إتمام مبنى المدرسة المجيدية في مكة المكرمة بموجب تقرير من والي جدة مؤرخ في ٢٨ جماد الأولى ١٢٨٠م^(٢٣).

وقد أنشأ السلطان عبدالحميد الثاني ١٢٩٣هـ - ١٣٢٧هـ / ١٨٧٦-١٩٠٨م مدرسة دار الشفقة في مكة المكرمة وذلك في إطار الاتجاه لتنشيط الجامعة الإسلامية، وقد جاءت على غرار الأصل الموجود في إسطنبول، وذلك للمرحلتين: الإبتدائية والرشيديية (الإعدادية)؛ لتعليم أبناء أهالي الحجاز، وإعدادهم جيداً للالتحاق بالكلية الإسلامية التي تقرر إنشاؤها في الطائف، والتقرير يوضح سؤال مهم عن مقدار المبالغ المطلوبة من نظارة المالية والأوقاف والخزينة السلطانية لإنشاء هذه المدرسة واستكمال بناء المبنى وترميمه^(٢٤)، كما افتتح في عهده مدرسة متوسطة لتعليم أبناء الأهالي المعرفة والعلم اللازم لأعمارهم^(٢٥).

٢- المدينة المنورة:

لم تكن المؤسسات الثقافية والتعليمية بالمدينة المنورة أقل حظاً وحالاً من مثيلاتها في مكة المكرمة خلال العهد العثماني؛ فقد نالت أيضاً اهتمام إدارات وحكومات الدولة العثمانية في مختلف عصورها وبشكل كبير، فصدرت في هذا الشأن العديد من الفرمانات السلطانية للاهتمام بأوضاعها، منها على سبيل المثال ما حدث في عهد السلطان عبدالحميد الأول، حيث أسست المدرسة الحميدية في المدينة المنورة، وقد أخذ على عاتقه إتمام البناء فيها، ورصد لها مبالغ مالية تقدر بـ ٣٠٠٠ درهماً عثمانياً^(٢٦)، وذلك حرصاً منه على تطوير نظام التعليم في المدينة المنورة، وصدّرت أوامره أيضاً بضرورة العمل على توسيع المدرسة الملحقة بمسجد قباء عام ١١٩٥هـ / ١٧٨١م، على أكمل وجه، وعمل اللازم فيها من الترميمات والصيانة للحفاظ عليها^(٢٧).

وجاء السلطان عبدالحميد ١٢٥٥هـ - ١٢٧٧هـ / ١٨٣٩ - ١٨٦١م ليولّي المؤسسات التعليمية في المدينة المنورة إهتماماً خاصاً، يتضح ذلك من متابعته الحريصة لمدى فاعلية أداء المدارس التي أوقفها أصحابها للتعليم، للوظيفة التعليمية التي أنشئت من أجلها، والتي انتقلت إليه من غيره مع مرور الزمن، حيث يتضح ذلك من خلال سلسلة من المراسلات لمجلس المعارف العمومية^(٢٨).

ويبدو أن المدارس والمكتبات الموجودة بالمدينة المنورة كانت أكثر من غيرها بين مناطق الحجاز مثل مكة المكرمة، وجدة، والطائف، والسبب في ذلك يعود إلى إهتمام الدولة العثمانية بمدينة الرسول الكريم، ولوجود العلماء الذين توطنوا المدينة المنورة أو طلبوا العلم الذين كانوا يفدون من أنحاء العالم الإسلامي للتلمذ على يد أولئك العلماء^(٢٩).

وأُسست في عهده أيضاً عدد من المدارس المتصلة بالحرم النبوي الشريف التي أمر شخصياً بإنشائها وتأثيثها^(٣٠).

كما أسست مدرسة (ساقزلي)^(٣١) في المدينة المنورة؛ لتقديم خدمات التعليم لأبنائها^(٣٢).

وقد استمر إنشاء المدارس طوال عصور الدولة العثمانية في المدينة المنورة، حيث أُفتتحت مكاتب أي مدارس (الصبيان) و(رشدية) أي الإعدادية وغيرها من المكاتب التعليمية الأخرى^(٣٣)، وأنشئ عدد غير قليل من المدارس الإعدادية فيها^(٣٤). وأُستبدلت بعض المدارس لتناسب مع الأسلوب العصري المتطور في منهجيتها خلال تلك الفترة، فأُستبدلت المدرسة الرشدية بالمدينة المنورة بالمدرسة الإعدادية مع إصدار الأوامر السلطانية بتخصيص ما يلزم لها من مدرسين ورواتب^(٣٥).

الحقيقة أن الحركة الثقافية والتعليمية، ومنها المكتبات التي كان يهتم بإنشائها رجال الدولة العثمانية في بلاد الحرمين الشريفين، باعتبار أن المكتبة مرفق من مرافق المعلومات، والتي تهدف إلى نشر الثقافة والوعي الفكري في جميع اتجاهاته الإيجابية، وعلى رأس هذه المكتبات: مكتبة الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة. ففي المدينة المنورة أنشئت مكتبة السلطان محمود الثاني، والسلطان عبد الحميد الأول، وفي مكة المكرمة أنشئت مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت، هذا بالإضافة إلى أن جميع المدارس المنشئة في الحرمين الشريفين، كانت تحوي مكتبة كبيرة^(٣٦)، ومن ثم المؤسسات العلمية والمدارس قد بلغت ذروة الاهتمام بها في عهد السلطان عبد الحميد الثاني؛ إذ قامت بدور مهم في نشر الثقافة الدينية والمفاهيم التعليمية في أنحاء الدولة العثمانية، ومنها الجزيرة العربية، خاصة منطقة الحرمين الشريفين، وذلك في إطار

خدمة أهدافه نحو تطبيق فكرة الجامعة الإسلامية وتضامن المسلمين تحت مظلة الخلافة العثمانية.

وقد قام السلطان عبدالحميد الثاني كغيره من السلاطين العثمانيين بإنشاء العديد من المدارس الحديثة والمتنوعة، كالمدرسة المتوسطة الحميدية- نسبة إلى السلطان عبد الحميد الثاني- بالمدينة المنورة، وذلك لحاجة أطفال وأبناء المدينة إلى المزيد من نوعية هذه المدارس، وللتوسع في تحصيلهم العلمي^(٣٧).

كما اهتم أيضاً بمشروع إنشاء مدرسة وقف والدرة السلطان عبدالعزيز بالمدينة المنورة، من حيث تمام بنائها وتأثيثها على أكمل وجه^(٣٨).

وقد توج السلطان عبدالحميد الثاني أعماله بتدشين الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وقد كان هدفها لم شمل الجامعة العثمانية ضد الاستعمار الغربي، والحفاظ على وحدة أراضي الدولة العثمانية، وقد أسست بتوصية وتوجيه من الأمير شكيب أرسلان^(٣٩) خلال عهد السلطان عبدالحميد الثاني الذي وافق على هذا الأمر بشدة، وقد أطلق عليها تارةً دار الفنون، وتارةً الكلية الإسلامية، والمدرسة الإسلامية تارةً أخرى^(٤٠).

ولم يقتصر إنشاء المدارس فقط على السلاطين العثمانيين، بل شاركهم الأثرياء من التجار، وكبار موظفي الحكومة العثمانية في السعي إلى ذلك أيضاً، فهذا معروض مقدم للسلطان عبدالحميد الثاني من الصدر الأعظم يطلب منه الإذن بتجديد مدرسة المرحوم بشير أغا- أغا دار السعادة الأسبق- والتي تبين بالكشف على مبانيها أنها في أشد الحاجة للترميم والتوسيع نظراً للإقبال الشديد على التعلم فيها. ومن حاشية الوثيقة يتضح أن السلطان عبدالحميد قد رصد لها المبالغ المالية الكافية لترميمها^(٤١).

وهناك تقرير مرسل إلى الباب العالي يوضح ويشير إلى ما يلي:

"نظراً إلى شدة حاجة المدينة المنورة إلى إنشاء مدارس فيها، فقد قام (طاهر أغا)^(٤٢) قبل وفاته بشراء أرض فضاء بالمدينة المنورة لإنشاء (المدرسة اللطيفة) لتقام عليها، وقد قام المشار إليه بوقفها للعمل الخيري؛ ولهذا السبب فقد قام الديوان الهمايوني بإرسال أوامره العليا إلى قاضي المدينة المنورة، وإلى الأغا شيخ الحرم النبوي لتعيين ما يلزم من مدرسين ومعلمين لهذه المدرسة الجديدة، بشرط أن يكونوا من السادة الأفاضل، وأصحاب التدين والالتزام، وسوف يتم تعيين البعض منهم براتب ٦٠٠ أقة^(٤٣)، والبعض الآخر على راتب ١٥٠ أقة. كما أنه سيتم تخصيص رواتب لعدد من الطلبة وملازم^(٤٤)، وبواب ومؤقت^(٤٥)، وفراش لخدمة مدرسي وطلاب هذه المدرسة^(٤٦).

وقد صدر هذا الأمر السلطاني، وأرسلت صورة منه إلى إدارة حسابات الحرمين الشريفين^(٤٧) الخاصة للبدء في تنفيذ ذلك، وأرسلت صورة أخرى منه إلى الديوان الهمايوني^(٤٨).

وهناك وثيقة أخرى مرسله إلى قاضي مكة المكرمة محمد نور الدين لإبلاغه بأن قاضي مكة المكرمة السابق عماد الدين قام بالتبرع بأرض فضاء، ووقفها من أجل إنشاء مدرسة جليلة ومكتبة عليها، ولا بد من تدبير ما يلزم لهذه المدرسة من مدرسين وأمناء للمكتبة ومؤقت لها أيضاً^(٤٩).

وفي عهد السلطان عبدالحميد الثاني أنشئت مدرسة في قباء من قبل كبير مرافقي السلطان العثماني وباستحسان وتشجيع من السلطان نفسه^(٥٠).

ومما لاشك فيه أنه بجانب هذه المؤسسات التعليمية الموجودة في الحجاز، كان هناك أيضاً نمطاً ثالثاً للتعليم، وهو (التعليم الأهلي النظامي) في الحجاز....

فهذا النمط تقليدي في جوهره وبداياته، وإن كان يحاول أن يجدد من أساليب التدريس وطرائقه، وأن يدخل بعض المواد الدنيوية التي يحتاجها المجتمع، وقد إنتشر هذا النمط من التعليم بشكل كبير في مكة المكرمة ثم تلتها الإحساء، ولقد كان يقوم على جهود الأفراد في بداياته من القادرين من أبناء المنطقة أو أبناء الجاليات الإسلامية.

ومن أهم المدارس الأهلية: المدرسة الصولتية، والتي أنشأت في مكة المكرمة على يد امرأة هندية ثرية تدعى (صولت النساء)، فقد عرض عليها الشيخ محمد العثماني أن تأسسها ابتغاء للأجر من الله، فقبلت وطلبت من الشيخ محمد أن يديرها ففعل...وقد أسهم مسلمو الهند في تقديم المساعدات لهذه المدرسة، وقد استمرت هذه المدرسة حتى قامت مديرية المعارف فأصبحت من المدارس الحكومية.

والمدرسة الفخرية العثمانية والتي أنشأها الشيخ عبد الحق قاري أحد أساتذة المدرسة الصولتية، وقد اعتمد في تمويل هذه المدرسة على مساعدة الجالية الهندية.

والمدرسة الخيرية كان الهدف من إنشائها نشر العلوم الدينية الصحيحة، وتعليم الناشئة العقيدة الصحيحة حتى يكونوا لغيرهم وقد أنشأها الشيخ محمد حسين الخياط.

ومدرستا الفلاح وقد أنشأهما (محمد علي زينل) فقد أنشأهما أولاً في جدة ثم أسسها في مكة المكرمة، وهاتين المدرستين من أهم الأحداث التعليمية التي شهدتها منطقة الحجاز في مطلع القرن العشرين، لأنه تخرّج فيها عدد كبير من رجال الأدب والعلم والفكر والسياسة الذين تقلّدوا مناصب في الدولة، وكان لهما الإسهام الكبير في نهضتها الحديثة^(٥١).

والحقيقة أنه بإلقاء نظرة على أعداد المؤسسات التعليمية التي كانت داخل الحجاز (مكة المكرمة - المدينة المنورة) سوف يتضح مدى اهتمام الإدارة العثمانية بالناحية الثقافية عموماً، والعلمية والتعليمية على وجه الخصوص في هذه المناطق^(٥٢).

ثانياً: الاهتمام بأبناء الحرمين الشريفين والمسلمين للتعليم بإسطنبول (مكتب العشائر بإسطنبول نموذجاً):

في ضوء قيام السلطان عبدالحميد الثاني، بتبني فكرة الجامعة الإسلامية وسعيه الدائم للتقرب من العرب واحتواء المسلمين من العناصر غير التركية داخل الدولة العثمانية، وإبعادهم عن التحريضات الخارجية ضد الدولة، فقد قام بإصدار أوامره لإنشاء (مكتب العشائر) عام ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م، وكانت هذه المحاولة منه هي أحد التدابير الأساسية لإحتواء المسلمين^(٥٣).

وكانت هذه المدرسة تتبع القصر العثماني، ولم تكن مفتوحة لعامة الشعب، ولكنها كانت مؤسسة تعليمية خاصة، وقد ضمت في بادئ الأمر أبناء العشائر العربية، ثم ضمت بعد ذلك أبناء العشائر الكردية والأرناؤوطية، وبمرور الوقت ضمت أطفال كل العشائر في الدولة العثمانية، وكان الهدف من تخريج هؤلاء الطلاب من تلك المدرسة، هو توفير العدد الكافي من المعلمين والإداريين في الولايات العربية والكردية والألبانية، وتستطيع أن تخدم أهلها عند عودتهم إلى بلادهم وعشائرهم مرة أخرى، كما يستطيعون تنفيذ فكرة الوحدة الإسلامية وتساعد على تنفيذ فكرة ترابط العالم الإسلامي التي كان يناهز بها السلطان عبدالحميد الثاني^(٥٤).

أسباب إنشاء مكتب العشائر:

كانت قبائل الجزيرة العربية وخاصة تلك التي تعيش في وسط الصحراء، والتي كان يمر من خلالها طريق الحج الشريف، هي أكثر ما كان يشغل بال الإدارة العثمانية وكبار رجال الدولة العثمانية وعلى رأسهم السلطان عبد الحميد الثاني، سواء أكان هذا الأرق من الناحية التعليمية والثقافية والفكرية، أم من الناحية السياسية والاجتماعية أيضاً، وكانت الدولة تهدف إلى تطوير الولايات العثمانية العربية في كل النواحي الفكرية والثقافية والاجتماعية والصحية وغيرها، وخصوصاً أهالي العشائر التي تبعد عن المدن ولم تنل قسطاً وافراً من المدينة والحضارة والتعليم والثقافة.

وكانت الإدارة العثمانية في الوقت نفسه تعلم جيداً مدى الصعوبات التي تواجه الراغبين منهم في التعلم بالداخل، وذلك لصعوبة انتقالهم إلى المدن التي بها مدارس أو مؤسسات تعليمية، ومن خلال الأمر السلطاني التالي الصادر من السلطان عبد الحميد الثاني إلى الصدر الأعظم حينذاك سوف يتضح للقارئ من خلاله الأسباب التي أدت إلى اتخاذ مثل هذه النوعية من التعليم، وقد جاء فيه:

"إن أهالي العشائر العربية ينقصها معرفة المزيد من العلوم الدينية المتعلقة بالصلاة والصيام والزكاة والنكاح، والتي تعدّ من الأسس الإسلامية المهمة في تلك المناطق، ولذلك فقد صدر أمرنا السلطاني العالي، وتقرر إرسال ثلاثة مدرسين على قدر عال من العلوم الدينية وسوف يتوجهون نحو مناطق (الجوف) وذلك من أجل القيام بالوعظ والإرشاد بين أهالي وعشائر البدو في هذه المناطق، وللقيام أيضاً بتدريس بعض المواد الفقهية الأربعة، وبعض الأمور الدينية الأخرى؛ لأن هذا سوف يؤدي إلى دخول هذه القبائل والعربان والعشائر في طاعة الدولة والإدارة العثمانية عن فهم وإدراك. وبناءً على ذلك فقد صدر فرمان السلطان العالي بصرف رواتب

لهؤلاء المدرسين الذين سيقومون بالتدريس هناك، وهم: محمد يس أفندي، وهو أحد العلماء والمدرسين الذي سوف يتم صرف راتب شهري له مقداره ٦٠٠ قرشاً، والمدرس هاشم أفندي ويتم صرف مبلغ ٥٠٠ قرشاً شهرياً، والمدرس محمد الملا أفندي ويتم صرف مبلغ ٤٠٠ قرشاً شهرياً، وسوف يتم إرسال هؤلاء المدرسين نحو مناطق (الجوف) وسناجق^(٥٥) (حوران) و(حما) وهما من مناطق الشام أيضاً^(٥٦).

وهكذا اتضح من خلال الوثيقة السابقة كيف أن السلطان عبدالحميد الثاني تبنى فكرة الجامعة الإسلامية واتبع شتى الوسائل لتفعيلها داخل بعض مناطق الجزيرة العربية، وذلك برغبة منه وسعي للتقرب من العرب فيها عموماً، ومناطق الحجاز (مكة - المدينة) على وجه الخصوص، وأدى ذلك إلى سعيه في إنشاء وتأسيس مدرسة العشائر عام ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م.

ويمكن التعرف على الأهداف التي كانت وراء إنشاء مثل هذه النوعية من المدارس، وتمسك السلطان عبدالحميد الثاني بتعليم العشائر من خلال ما ورد في الوثائق العثمانية كما يلي:

- ١- نشر المعارف وتعميم العلوم وتنوير الأذهان بتحصيل العلوم الدينية والدنيوية.
- ٢- تلقين الأطفال العلوم التي تؤهلهم للتمييز بين الحق والباطل.
- ٣- تسهيل أمور التعليم لأبناء العشائر والقبائل الساكنة في البرية منذ زمن طويل.
- ٤- عدم التهاون في تلقي العلم والقرآن الكريم والكتابة لأبناء العشائر والقبائل العربية كما كان يحدث في السابق، وحسبما تقتضيه أمور دنياهم في المعيشة البسيطة التي كانت تبعدهم عن الاطلاع على دقائق الحضارة والتقدم.
- ٥- عدم التمييز بين مواطني الدولة العثمانية في تلقي العلم وتحصيله.
- ٦- تحصيل أولاد القبائل العربية ما فقدوه منذ زمن بعيد من المعارف والفنون.

٧- تلقي العلوم والإطلاع على ما أظهره العالم المدني وما وصلوا إليه من الحرف والصناعات والفنون والبدائع الفنية الأخرى.

٨- القيام بتدريس كل ما ينفع هؤلاء الأولاد من مواد تفيدهم في دينهم، وتهديهم في دنياهم، بحيث يكونوا قدوة لغيرهم^(٥٧).

٩- وضع أبناء رؤساء العشائر العربية والكردية والعشائر الأخرى الموجودة داخل ولايات الدولة العثمانية تحت نظر القصر السلطاني العثماني في إسطنبول، لحمايتهم وتعليمهم اللغة التركية^(٥٨)، وتربيتهم وتوثيق روابطهم بالخلافة العثمانية، بالإضافة يتولد لديهم القدرة على خدمة شعبهم ودولتهم بعد العودة إلى بلادهم^(٥٩).

ومن ضمن أهم أنظمتها التي كانت تؤخذ في الإعتبار أنها تتبع نظارة المعارف العمومية العثمانية من الناحية الإدارية والتعليمية، وكانت الدراسة تعقد فيها على فترتين (صباحية ومساءلية)، وتتبع أفضل الموازين لإختيار أفضل عناصر هيئة التدريس من المدرسين والمعلمين المتقنين للغتين العربية والتركية العثمانية؛ للقيام بالتدريس بها^(٦٠) ويشترط أن يكون طلاب المدرسة من أبناء أكابر العشائر والقبائل (لتوطيد العلاقات العثمانية العربية) الساكنة في ولايات الدولة العثمانية^(٦١).

وعند الافتتاح وصل إلى إسطنبول، بعض الطلاب، وكانوا بالفعل من أولاد وأبناء رؤساء القوم في عشائرهم، على أن يأتي البقية منهم تدريجياً بعد ذلك، وتعم الفائدة على جميع القبائل العربية الحضرية والعشائر البدوية خاصة في الحجاز.

بداية الابتعاث الدراسي من الحجاز إلى إسطنبول:

بدأت الوفود الطلابية من أبناء كبار العشائر والقبائل في الحجاز والحرمين الشريفين في التوافد على إسطنبول للتحصيل العلمي والالتحاق بمدرسة العشائر،

وبدأ المسؤولون عن الولايات والإدارة العثمانية في الولايات العربية يقومون بالتبليغ عن هذه المدارس والإعلان عنها، فقامت نظارة الداخلية بإبلاغ ولايات (طرابلس الغرب" ليبيا حالياً- بغداد، البصرة، اليمن، سوريا، حلب، الموصل، ديار بكر، القدس الشريف، زور بالعراق، بنغازي)، وكذلك ولايات الحجاز والحرمين الشريفين للاستعداد في إرسال طلابها للابتعاث الدراسي وتلقي العلم في هذه المدارس بإسطنبول^(٦٢).

وكانت الدولة العثمانية حريصة على تنفيذ ذلك المشروع القومي والثقافي والفكري الذي سيؤدي إلى انتفاضة فكرية وثقافية لأبناء هذه العشائر عند عودتهم الى بلادهم، والتي كان لها بالغ الأثر في الحياة السياسية داخل الدولة العثمانية في تلك الفترة.

وقد استجابت بعض الولايات العربية في إرسال أبنائها على الفور من طرابلس الغرب وبغداد والقدس الشريف والبصرة وسورية وحلب، وهذا ما اتضح من تقرير الصدر الأعظم المرفوع إلى السلطان العثماني الذي أبلغه أيضاً أن إمارة مكة المكرمة قد أفادت في خطابها المرسل إلى الصدارة العظمى - بتاريخ ١٣ ربيع الأول عام ١٣١٠هـ-١٨٩٢هـ بأنه جار تنفيذ الأوامر في ابتعاث طلابها من منطقة الحجاز إلى مدرسة العشائر بإستانبول^(٦٣).

وعلى الرغم من حرص السلطان عبدالحميد الثاني على تنفيذ هذا المشروع التعليمي الخاص بأبناء العشائر والعربان وحماسته الشديدة لذلك، وخاصة في منطقة الحجاز، إلا أن الاستجابة من القبائل والعشائر لم تكن بنفس قدر اهتمام الدولة بذلك، والدليل على ذلك هو العدد القليل الذي تم ابتعاثه على الفور، والذي لم يتعدّ الأربعة أو الخمسة طلاب في المرحلة الأولى من هذا الابتعاث، ثم تبعهم بعد ذلك

ثلاثة طلاب فقط خلال الأسبوع الأول الذي تم فيه إبلاغ الصدر الأعظم للولايات العربية بالأمر السلطاني السابق^(٦٤).

وقد قام والي الحجاز آنذاك بشرح الأسباب الحقيقية التي كانت وراء استجابة هذا العدد القليل من القبائل والعربان في مناطق الحجاز، ويمكن تلخيصها كما يلي:

"إن القبائل والعشائر الحجازية ليست لديهم أية اهتمامات أو عناية بهذا المشروع التعليمي الذي تبناه السلطان عبدالحميد الثاني تحت راية وفكرة الجامعة الإسلامية، ومن ثم تم عرض الأمر على نظارة الداخلية الجليلة، وأن هناك محاولات جادة لإقناع العربان بأهمية هذا الأمر الذي ليست لهم دراية به قبل ذلك، وأن الأمر صعب بعض الشيء نظراً لأن هذا الابتعاث سيتم لأول مرة من الحجاز إلى إسطنبول، وسوف يتم ابتعاث الثلاثة طلاب الحجازيين الذين وافقوا على قبول الابتعاث إلى مدرسة العشائر باسطنبول"^(٦٥).

والحقيقة أن ثقافة إرسال طلاب من أبناء العشائر العربية للتعليم خارج شبه الجزيرة العربية كانت حينها لا تزال قاصرة وفي بدايتها؛ لذلك لم يندمج فيها أهالي الحجاز وغيرهم، ولكنها تطورت بمرور الوقت مع اكتشاف مدى أهميتها، وما ستعود به من فائدة على الطالب وعشيرته والبيئة التي يعيش فيها.

ولعل مما يوضح الأمر السابق تلك الرسالة المرسلة من أمير مكة المكرمة آنذاك إلى الباب العالي التي مفادها أنه تم التعرف على الموضوع بشكل أوضح وجارٍ تنفيذ الأوامر السلطانية بجمع الطلاب من أبناء القبائل والعشائر في مكة المكرمة والمناطق المحيطة بها، وسوف يتم ابتعاثهم فور تجمعهم واستجابة القبائل للأمر^(٦٦).

ولقد أشار الصدر الأعظم في الرسالة المرسلة إليه من أمير مكة المكرمة، بالتأكيد على ضرورة ابتعاث الطلاب من مكة المكرمة إلى مكتب العشائر باسطنبول، وأنهم سوف يحضرون قريباً.

وبالفعل بدأ الطلاب المبتعثون في التوافد على إستانبول، متوجهين على متن سفينة قامت من ميناء جدة وهي تحمل على ظهرها عددًا من الطلاب الحجازيين المبتعثين إلى مكتب العشائر بإستانبول.

وهكذا جاءت الاستجابة لهذا المشروع تدريجيًا بمرور الوقت.

مناهج التدريس داخل المؤسسات التعليمية بالحجاز؛ -

كانت العلوم التي تدرس في مختلف المؤسسات التعليمية في الولايات العربية تختلف من مؤسسة إلى أخرى، ومن مدرسة إلى مدرسة، ومن حلقة مسجد إلى حلقة ثانية وهكذا، لكن الفكر والثقافة الإسلامية هو الأساس بالنسبة للمجتمع الحجازي، سواء من الناحية العلمية أم التعليمية أو حتى الثقافة والتأليف؛ حيث كان في الحجاز حركة علمية نشطة ساعدت الدولة العثمانية على تفعيلها من خلال ممثليها في الحجاز سواء الشريف أم والي جدة أو حتى القاضي، إلا أنها في الحقيقة لم تسع إلى إدخال نفسها في جوهر المناهج التعليمية في تلك المؤسسات التعليمية، فعلى سبيل المثال لم تُفرض اللغة التركية العثمانية التي كانت اللغة الرسمية في إدارات الدولة العثمانية، ولم تُفرض اللغة الفارسية التي كانت تُعدّ لغة الثقافة الثانية لديها، بل إن الإدارة العثمانية أبقّت على اللغة العربية لغةً للتعليم في شتى الولايات العربية والإسلامية وليس الحجاز فقط خلال تلك الفترة، وكان على العلماء العثمانيين والمدرسين المرسلين إلى شبه الجزيرة العربية عمومًا، والحجاز خاصة أن يقوموا بتدريس المناهج الدراسية المختلفة باللغة العربية، لدرجة أنه صدرت الأوامر السلطانية بالإدارة العثمانية بأن المدرسين والمعلمين الذين يقومون بعدم إتباع هذه التعليمات ويخالفون التدريس باللغة العربية، سيلقون العقاب والتأديب والجزاء المناسب الذي قد يصل أحيانًا إلى حد النفي خارج البلاد، وهذا ما حدث بالفعل للقائمين بالتدريس باللغة

الهندية في إحدى حلقات التدريس بمكة المكرمة، وإلقاء دروسهم بتلك اللغة، فكان جزاؤهم صدور الأوامر السلطانية بإبعادهم ونفيهم وطردهم من الحجاز وإرجاعهم إلى وطنهم الأصلي^(٦٧).

وكان يصل الأمر إلى حد إرسال الأوامر السلطانية إلى مناطق شبه الجزيرة العربية عموماً، والحجاز على وجه الخصوص والتي مفادها أن التدريس في هذه المناطق لا بد أن يكون باللغة العربية سواء أكان ذلك في المدارس الابتدائية أم الإعدادية، لأن تلك المناطق يتكلم أهلها العربية وهي لغتهم الأصلية، ولا بد أن يتقن موظفو الدولة والمعنيون بتلك المنطقة اللغة العربية، ولديهم إلمام تام بها، واتخاذ كافة الإجراءات الإدارية والقانونية لتنفيذ ذلك على الفور^(٦٨)؛ وذلك بهدف الإسهام في التقدم العلمي وعدم فرض لغة ثانية على أهالي المناطق العربية، ليكون ذلك حافزاً لهم على مواصلة التعليم.

وقد تضمن المنهج التعليمي بصورة عامة، تعليم القراءة والكتابة وتعاليم الدين الإسلامي (القرآن الكريم) على وجه الخصوص، والحساب وقواعد اللغة التركية والخط، وقد تعدل هذا المنهج في العهد الدستوري، فتم إدخال علم الحال الوطني (المعلومات الوطنية) وتاريخ الإسلام والتاريخ العثماني والجغرافيا، بالإضافة إلى المواد السابقة^(٦٩).

وقد نص دستور المعارف العثماني، على أن تكون لغة التعليم في المكاتب الابتدائية باللغة المحلية^(٧٠).

ويتضح أن الدولة العثمانية لم تدخر وسعاً في نشر المؤسسات الثقافية والتعليمية في الحجاز، بل وتقديم الدعم المادي والمعنوي لها.

الختام

من خلال العرض السابق للدراسة التي اعتمدت على الوثائق والفرمانات العثمانية، انضح مدى اهتمام الإدارة العثمانية ورعايتها للمؤسسات التعليمية في الحجاز والحرمين الشريفين، التي كانت وما زالت تمثل مركزاً للعالم الإسلامي من الناحية العقائدية، كما اتضحت الأمور الآتية:

١- منذ دخول المناطق العربية - ومنها الحرمين الشريفين والحجاز - تحت الإدارة العثمانية على يد السلطان سليم الأول، أصبحت محط أنظار السلاطين العثمانيين على مدى عهود حكمهم، وفي جميع المجالات وليس فقط الناحية التعليمية. فكانت المؤسسات التعليمية من أهم الأسباب التي ساعدت على تطوير الحركة التعليمية في المناطق العربية، وبجانب تلك المؤسسات التعليمية أنظمة التعليم التي كانت تعمل قبل دخولها تحت الحكم العثماني، كالكتاتيب وحلقات العلم داخل الحرمين وغيرها.

٢- دخل السلاطين العثمانيين في تنافس مع رجال الدولة والوزراء على إنشاء العديد من تلك المؤسسات التعليمية، بل وعملوا على تحديث المناهج الدراسية فيها، بحيث تجمع هذه المؤسسات بين التعليم الديني والتعليم المدني العصري الذي يحتاجه المجتمع، مما كان له الأثر البالغ في تنشيط الحركة الثقافية والفكرية في الحجاز عموماً، والحرمين الشريفين على وجه الخصوص.

٣- توضح الفرمانات الصادرة من السلاطين العثمانيين مدى اهتمامهم بأدق تفاصيل عمل المؤسسات التعليمية، سواء أكانت من ناحية ترميم المتهدم منها، أم وضع ميزانية مالية لرواتب المدرسين والقائمين عليها، أم من حيث الإشراف المباشر على المناهج التعليمية فيها.

٤- امتزجت في عهد السلطان عبدالحميد الثاني فكرة الجامعة الإسلامية التي كانت سائدة حينذاك بفكرة التطبيق العملي لها، وذلك من خلال تأسيس مدرسة العشائر بإسطنبول باعتبارها مركزاً علمياً يتم فيها ابتعاث طلاب قبائل وعشائر وعربان الجزيرة العربية ومناطق الحجاز عموماً، والحرمين على وجه الخصوص.

٥- كانت فكرة الابتعاث الخارجي لأبناء الحرمين وغيرهم من العرب لإسطنبول غير مقبولة لمعظم القبائل والعشائر العربية، ويتضح ذلك من مدى الاستجابة البطيئة في إرسال الطلاب للدراسة بمدرسة العشائر في إسطنبول في بداية الأمر؛ وربما يعود السبب في هذا إلى طبيعة هؤلاء الطلاب القادمين من البادية، والذين ليس لديهم فكرة الاقتناع التام بالدراسة خارج منطقة الحجاز وخاصة الحرمين، وهي فكرة جديدة واردة عليهم، مما كان له أثر سلبي على العديد من الطلاب المبتعثين إلى مدرسة العشائر للدراسة هناك.

٦- لا شك أن هذا الأسلوب التعليمي الجديد المتطور الذي بدأت تنهجه الدولة والإدارة العثمانية في عهد السلطان عبدالحميد الثاني كان يعد أسلوباً رائداً في الحركة التعليمية والثقافية والفكرية وهو الأول من نوعه في المنطقة العربية عموماً، والجزيرة العربية والحجاز والحرمين الشريفين على وجه الخصوص.

الملاحق

أولاً: جدول يوضح المؤسسات التعليمية في مكة المكرمة

١- المدارس الأربعين.
٢- المدارس الثلاثة
٣- مدرسة داود باشا "المدرسة الداودية"
٤- مدرسة شمس الدين الذهبي
٥- المدرسة المجيدية
٦- المدرسة المرادية
٧- المدرسة البسيطة
٨- مدرسة دار الشفاء
٩- مكاتب الصبيان
١٠- المدارس الإعدادية
١١- دار الشفقة الخاصة بالأيتام من الأولاد وأنشئت عام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م

وقد وصل عدد مدارس الصبيان في مكة المكرمة الى ما يقرب من ثلاث وثلاثون مدرسة عام ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م، منها ست مدارس في سوق الليل، وخمس في القراة، وثلاثون في القشاشية، وخمس في شعب بني عامر، وواحدة في نقا والسليمانية وأجياد، والمسفلة، وأربع في الشبيكة، وثلاث في حارة الباب، وست في الشامية، وكان عدد طلاب هذه المدارس (وكلهم من البنين) ما يقرب من ١١٥٠ طالباً^(٧١).

ثانياً: جدول يوضح المؤسسات التعليمية في المدينة المنورة:

١- مدرسة قره باشي
٢- مدرسة أحمد أفندي
٣- المدرسة المحمودية
٤- المدرسة الحميدية
٥- مدرسة بوياء بادي
٦- مدرسة قايتباي
٧- مدرسة ساقزلي
٨- مدرسة بشير أغا
٩- المدرسة المجيدية
١٠- المدرسة الإسلامية

هذا بجانب المدارس الحديثة العثمانية مثل:

- ١- مدرسة الصبيان.
- ٢- مدرسة الاتحاد والترقي.
- ٣- المدرسة الرشدية.

وكان في المدينة ١٢ مدرسة مجيدية بها ما يقرب من ٣٢٠ طالباً، في كل واحدة منها مدرس ومدرسة رشدية واحدة يدرس فيها ٥٥ طالباً^(٧٢).

نماذج من خريجي مدرسة العشائر باسطنبول من أبناء الحجاز والعشائر العربية

- ١- الشيخ أحمد النجار "١٢٧٢-١٣٤٧ هـ / ١٨٥٥-١٩٢٨ م"، هو أحمد بن علي بن صالح النجار، وكان قاضياً فاضلاً من أهل الحجاز، وُلد وتُوفي بالطائف، تعلم بالمدرسة "الصولتية" بمكة المكرمة، وتفقه بالدين الإسلامي، نظم الشعر، وحذق اللغة الفارسية، وله إلمام بالتركية والفرنسية، وأعد منهاجاً لنشر التعليم في البادية خلال حكم السلطان عبد الحميد الثاني، على غرار مدرسة العشائر باسطنبول التي كانت في الفترة من "١٨٩٤-١٩٠٧ م" للهدف نفسه الذي أنشئت لأجله، وهو تعليم أبناء القبائل والعشائر، وقد أعانه على هذه الخطوة أحد ولاة الحجاز، وهو "كاظم باشا"، وعهد إليه أيضاً اختيار المعلمين، فاختار طائفة منهم، وكان يرشدهم إلى الأسلوب الذي يأمل نجاحه، وقد تولّى القضاء في "الطائف" خلال العهد السعودي، له عدة مؤلفات في الطب والشعر والمنطق وغيره^(٧٣).
- ٢- عبد المحسن السعدون "١٢٩٦-١٣٤٨ هـ / ١٨٧٩-١٩٢٩ م"، هو عبد المحسن باشا بن فهد بن علي السعدون، وزير عراقي من أسرة يتصل نسبها بالأشراف، كان أبوه حاكماً على لواء (المتفق) وأميراً لعشائره. وعبد المحسن السعدون ممن وفد على اسطنبول ضمن الابتعاث الدراسي للتعلم بمدرسة العشائر هناك، وبعد أن أكمل تعليمه في مكتب العشائر التحق بالمدرسة الحربية، وتخرج ضابطاً في الجيش العثماني^(٧٤).
- ٣- فائز الغصين "١٣٠٠-١٣٨٧ هـ / ١٨٨٣-١٩٦٨ م" هو فائز بن زعل الغصين، من أعضاء جمعية "العربية الفتاة"، وُلد في "حوران"، تعلم بدمشق، وأدخل مدرسة العشائر باسطنبول، وعاد إلى عشيرته فتم تعيينه قائماً في بلاده، ذهب إلى جدة عام ١٩١٦ م، وعُين سكرتيراً للشريف فيصل بن الحسين في ينبع، له مؤلفات منها "المظالم في سوريا والعراق والحجاز"^(٧٥).

قائمة بالهوامش

- (١) هو السلطان (سليمان خان الأول) الملقب بالقانوني لأن إدارته للبلاد إهتمت بوضع القوانين والديساتير في نظام الدولة، وقد حكم في الفترة من (٩٦٦-٩٧٤هـ / ١٥٢٠-١٥٦٦م) وهو إبن السلطان سليم الأول الملقب بـ(ياووز سليم ١٥١٢-١٥٢٠م).
- (٢) أحمد سامح الخالدي: أنظمة التعليم، مطبعة بيت المقدس، ١٩٣٣م، ص ٨٢.
- (٣) محمد حسن العيدروس: الحياة الفكرية في شرق الجزيرة العربية في العهد العثماني "١٨٧٠م - ١٩١٢م" بحث منشور في مجلة المملكة التاريخية المغربية، العدد ٥٧ - ٥٨، تونس، تموز ١٩٩٠م، ص ٦٩.
- (٤) أحمد منير مصلح: نظم التعليم في المملكة العربية السعودية والوطن العربي، الرياض، مطبوعات جامعة الرياض، ط ١، ١٣٩٤هـ، ص ١١.
- (٥) هو الرجل الصالح الذي يوظف نفسه لخدمة الناس، وهو في الغالب من أئمة المساجد.
- (٦) مصلح، المصدر السابق، ص ١٣.
- (٧) تُعرف بـ"الخمسية" من كل طفل يريد التعلم، وسبب تسميتها بذلك أنها كانت تدفع للشيخ يوم الخميس من كل أسبوع. عثمان عبدالجبار: التعليم الرسمي والتقليدي والأهلي عند المسلمين في بلاد الشام ما بين "١٨٧٨-١٩٢٠م" رسالة ماجستير غير منشورة من قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة دمشق، ١٩٨٠م، ص ٣١.
- (٨) سهيل صابان: جوانب من الحياة التعليمية في الحجاز من خلال بعض الوثائق العثمانية (١٠٣٩-١٣٣٦هـ، مجلة الدرعية، العدد الأول، محرم ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

- ٩) المدرسة: هي كلمة عربية، إصطلح عليها في الدولة العثمانية والتركية، وهي كلمة ذات مدلول معين ومحدد ويقصد بها المدارس الدينية. أمّا مصطلح المكتب: فالمقصود به المدارس الحديثة، فتدل على مرحلة معينة بإضافتها إليه فيقال المدارس الإعدادية، الرشدية.... وهكذا، أنظر: سهيل صابان: جوانب من الحياة العلمية، مصدر سابق.
- ١٠) عماد عبد العزيز يوسف (دكتور): الحجاز في العهد العثماني (١٨٧٦-١٩١٨م)، لندن ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١م، ص ٢٥-٣٠.
- ١١) ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق: محمد مصطفى، د. ط، القاهرة، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م، ج ١، ص ٧٥.
- ١٢) الصرّة الهمايونية: هي عبارة عن مخصصات مالية سنوية لأهالي الحرمين الشريفين والأعيان والمشايخ، وترسل غالبا مع أمير الصرّة الذي يشرف في الوقت نفسه على قافلة الحج الشامي بشكل خاص؛ والذي يحمل في معيته الكثير من الهدايا القيمة والخلع التي تهدى للمشايخ والأمراء والأعيان في الحرمين، بالإضافة إلى كسوة الكعبة المشرفة، وكانت الصرّة ترسل حتى عام ١١٢٦ هـ من مصر ثم تحول إرسالها إلى خزينة الحرمين في إسطنبول. أنظر: صابان، جوانب من الحياة العلمية في الحجاز، وأيضا: خليل ساحل أوغلو: مخطوطات عن الجزيرة العربية (مصادر تاريخ الجزيرة العربية ٢/١٥٤/١٥٥)، الرياض ١٣٩٨ هـ.
- ١٣) أرشيف رئاسة الوزراء باسطنبول، تصنيف جودت، أوقاف، وثيقة رقم ١٠٣٥١ بتاريخ ٧ شوال ١١٤٥هـ.
- ١٤) هو السلطان (سليمان خان الأول) الملقب بالقانوني لأن إدارته للبلاد إهتمت بوضع القوانين والدساتير في نظام الدولة، وقد حكم في الفترة من (٩٦٦-٩٦٦)

٩٧٤هـ = ١٥٢٠-١٥٦٦م) وهو ابن السلطان سليم الأول الملقب بـ(ياووز سليم ١٥١٢-١٥٢٠م). أنظر: أكمل الدين إحسان وآخرون: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، المركز الإسلامي بإسطنبول، ١٩٩٦، ط١، ج١، ص١٥.

(١٥) أرشيف رئاسة الوزراء بإسطنبول، تصنيف جودت، معارف، وثيقة رقم ١٩٨٨م ووثيقة رقم ١٣١٢، بتاريخ جماد الآخرة ١١٢٠هـ. وقد أرسل السلطان سليم الأول محملاً به الصرة عام ٩٢٣هـ / ١٥١٧م، على أنها لم تكن المرة الأولى، وإنما بدأ إرسالها منذ عهد السلطان بايزيد في أواخر القرن التاسع الهجري، أنظر: محمد طاهر المكي: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج٥، الطبعة الأولى، مكة المكرمة، النهضة الحديثة للنشر، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م، ص٣٩.

(١٦) أرشيف رئاسة الوزراء بإسطنبول، تصنيف جودت، معارف، وثيقة رقم ٤٥٢٧ مؤرخة في ٢٨ رجب ١١٣٧هـ.

(١٧) الشريف عبدالكريم بن محمد بن علي: تولى إمارة مكة المكرمة في ربيع الأول ١١١٦هـ / ١٧٠٤م، وقد عزل من الإمارة عام ١١١٦هـ / ١٧٠٥م وذهب إلى اليمن وما لبث أن عاد إليها بقوة أرغمت الشريف سعيد على ترك الإمارة، وعلى الرغم من ذلك فقد استمر صراعه مع الشريف سعيد، وساءت علاقته بنصوح باشا أمير الحج الذي رفع تقريراً إلى الحكومة العثمانية أدى إلى عزله، وتولى الشريف سعيد بن سعد الإمارة في ١١٢٣هـ / ١٧١١م، وبعد وفاة الشريف سعيد حاول استرداد الإمارة إلا أن مرسوم الإمارة صدر باسم الشريف عبدالله بن سعيد، وقد عاش في مصر أواخر أيامه وتوفي عام ١١٣١هـ / ١٧١٩م، أنظر: إسماعيل حقي جارشيلي: أشرف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني، ترجمة: خليل علي مراد، الطبعة الأولى، لبنان: الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ص١٦٧، ١٦٨.

- (١٨) وهي المدارس الموجودة جنوب المسجد الحرام بمكة المكرمة، والتي تدرس المذاهب الأربعة.
- (١٩) أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول، تصنيف جودت، معارف، وثيقة رقم ١٩٨٨، ورقم ١٣١٢، مؤرخة في جمادى الآخرة ١١٢٠هـ.
- والقرش العثماني: عملة فضية عثمانية سكت لأول مرة عام ١٦٨٨م في عهد السلطان أحمد الثالث، وكان وزن القرش في بداية ظهوره يعادل ست دراهم. ولزيد من التفصيل، أنظر، أحمد محارب الظفيري: علات سادت الجزيرة العربية قديماً، مجلة الكويت، العدد ٣٦٦.
- (٢٠) أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول، تصنيف جودت، معارف، رقم ٤٥٢٧، مؤرخة في ٢٨ رجب ١١٣٧هـ.
- (٢١) والمقصود به المدرسة المجيدية التي كانت موجودة في مكة المكرمة، أنظر، سهيل صابان: نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، الطبعة الأولى، الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ص ٤٢.
- (٢٢) صابان، مصدر سابق، ص ١٣٦ - ١٣٨.
- (٢٣) مجلس الأحكام العدلية: يأتي بمعنى المجلس الأعلى بالفارسية ومجلس والا مختصر لمجلس الأحكام العدلية، وقد أنشئ عام ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م للنظر فيما بين الحكومة وأفراد الشعب من دعاوي. وقد ألغي عام ١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م، لمزيد من التفصيل، أنظر، حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ص ١٢٦٥.
- (٢٤) مدرسة دار الشفقة بمكة المكرمة: سهيل صابان، عالم المخطوطات والنوادر، العدد الخامس، ج ١، محرم - جماد الآخرة ١٤٢١هـ، ص ٢٥٣ - ٢٧٥.
- (٢٥) صابان: نصوص عثمانية، مصدر سابق ص ١٧٢ - ١٧٣.

- (٢٦) أرشيف طوب قابي سراي بإسطنبول: تصنيف فرمانات، فرمان رقم ١٠٨٢٥.
(الدرهم العثماني): يعادل ٤٠٠٥ من الأوقية، وهي عملة فضية كان العرب يتداولونها قديما، وكان يعادل فرنكا واحدا في قيمته تقريبا. أنظر: شمس الدين سامي: قاموس تركي، اسطنبول ١٣١٧، مادة (درهم)، ص ٦٠٨.
- (٢٧) أرشيف رئاسة الوزراء بإسطنبول، صورة ضوئية محفوظة بدارة الملك عبدالعزيز بالرياض، تحت رقم ١/١٦٦-٢.
- (٢٨) صابان: نصوص عثمانية، ص ٩٥-١٠٤.
- (٢٩) صابان: جوانب من الحياة... مصدر سابق،
- (٣٠) المصدر السابق، ص ١٠٧-١٠٩.
- (٣١) ساقز بلد في تركيا، و(لي) لاحقة تفيد النسبة إلى البلد فتكون بمثابة الموطن أو الجنسية، ومعنى (ساقزلي) أي الذي بلده ساقز.
- (٣٢) أرشيف رئاسة الوزراء بإسطنبول، صورة ضوئية محفوظة بدارة الملك عبدالعزيز بالرياض، رقم ١/٢٠٥-٢.
- (٣٣) أرشيف رئاسة الوزراء بإسطنبول، تصنيف دفاتر العينات دفتر رقم ٨٧٣، ص ٢٣٩. مؤرخة في ١٣ ربيع الأول ١٢٩١هـ.
- (٣٤) أرشيف رئاسة الوزراء بإسطنبول، تصنيف يلدز، أوراق محفوظة خصوصية، رقم ٤١٢/١٠٩، مؤرخة في ٣ رمضان.
- (٣٥) أرشيف رئاسة الوزراء، تصنيف إدارة معارف، رقم ١، مؤرخة في ١ شوال ١٣١٨هـ. ولم يقتصر إنشاء المدارس على الحجاز فقط بل كانت هناك مدرسة "رشدية" في أبها حتى أن خريجي هذه المدرسة كان يحق لهم الالتحاق بالمدرسة الإعدادية العسكرية في الشام، وذلك بعد اجتيازهم الاختبارات اللازمة، ومن

- ثم يحق لهم الالتحاق بمدرسة إسطنبول الحربية بعد فترة. أنظر: أرشيف، تصنيف داخلية، إرادة داخلية رقم ١ / ٥ - ٢٦، مؤرخة في ٢٥ محرم ١٣٢٨هـ.
- (٣٦) يمكن الرجوع في ذلك إلى: سالنامة الحجاز التي أوردت إحصائية مفصلة عن الكتب في مكتبات المدينة المنورة عام ١٣٠٩هـ، حيث وصلت إلى ما يقرب ٢٢/٩١٤ كتاباً.
- (٣٧) مركز بحوث المدينة المنورة، وثيقة تحت رقم ١ / ٢٧٨ مؤرخة في ١٧ محرم ١٣٢١هـ. وانظر أيضاً: سهيل صابان: نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، ص ١٦٢-١٦٥.
- (٣٨) صابان، نصوص عثمانية، ص ١٦٦ - ١٦٧.
- (٣٩) يذكر أن الأمير شكيب أرسلان وصل بالفعل إلى المدينة المنورة ومعه عدد من رجال السياسة مثل عبد العزيز جاويش، والإعلاميين مثل عبد القادر لمفربي، وبدأوا في تأسيس الكلية الإسلامية بالمدينة المنورة، وبدأ البناء بالفعل ثم الأساس، وارتفع بعض سورها، ولكن العمل توقف حين بدأت نذر الحرب العالمية الأولى. أنظر: من رجب ١٣٣٢هـ - ١١ / ١٤ DH.KMS.25. وتتضمن: تحويل الإعانات المالية التي كان يتم جمعها باسم الجمعية الخيرية الإسلامية، من لدن الأمير شكيب أرسلان، إلى المدرسة الإسلامية، وجمعها بعد ذلك بهذا الاسم.
- (٤٠) أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول، تصنيف DH.Kms رقم ٥ / ٢٤ مؤرخة في ٢٣ محرم ١٣٣٢هـ. ووثيقة نفس التصنيف رقم ١١ / ١٤ مؤرخة في ٢٥ رجب ١٣٣٢هـ، وأيضاً، سهيل صابان: مرجع سابق، ص ١٨٩ - ١٩٣. وقد أنشئ في تبوك مدرسة تعليمية بجوار المسجد الكائن على طريق السكك الحديدية الحجازية هناك، وقد سميت باسم السلطان عبدالحميد الثاني، وتم التنبه من

الإدارة العثمانية المختصة وولاية الأمر بتدبير ما يلزم لها من مدرسين ومؤذنين، ومنح الرواتب اللازمة لهم. أنظر، مركز بحوث المدينة المنورة، وثيقة رقم ٢/٧ مؤرخة في ٣ رجب ١٣٢٥هـ.

(٤١) أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول: إرادة داخلية، وثيقة رقم ١٩٧، نقلًا عن سهيل صابان: نصوص عثمانية، ص ١٦٠، ١٦١.

(٤٢) أحد كبار رجال المدينة المنورة الأفاضل ومن أثريائها.

(٤٣) الأقبجة: عملة مغولية مصنوعة من الفضة الخالصة، وهي مكونة من (آق) ومعناها (أبيض)، و(كوجك) ومعناها صغير، وتعد الأقبجة من أقدم العملات الفضية العثمانية، وقد أعيد ضربها مرة أخرى أيام السلطان أورخان (٧٦٣هـ/ ١٣٦٢م) وكان وزنها ستة قراريط، وعيارها ٩٠٥ من قيمة الفضة. ولمزيد من التفصيل أنظر: أحمد محارب الظفيرة: عملات سادت في الجزيرة العربية قديماً، مجلة الكويت، العدد ٣٦٦.

(٤٤) الملازم: هو أحد خريجي المدارس الشرعية الذين يتم تسجيلهم حسب سنوات تخرجهم في سجلات خاصة بهذا الأمر ليتم تعيينهم فور وجود وظيفة شاغرة في الدولة، وفي بعض الأحيان يتم تعيينهم في إحدى الوظائف بدون رواتب بصفة مؤقتة، حتى يحصل بعد ذلك على وظائف ثابتة بعد فترة من الوقت شمس الدين سامي: قاموس تركي، الطبعة الأولى، إسطنبول: دار السعادة، ١٣١٧هـ، ص ١٣٩٩ وانظر أيضاً:

Mehmet Zeki Pakalin, osmanli Tarih Deyimler, ve Terimleri so2lugu, Istanbul, 1971, CII. S, 611 .

(٤٥) المؤقت: هو موظف مسؤول عن توقيت الآذان وأوقات الصلاة داخل المساجد والمدارس، وكان لديه إلمام بعلم الفلك. شمس الدين سامي: مصدر سابق، ص ١٤٣١.

(٤٦) أرشيف رئاسة الوزراء بإسطنبول، تصنيف جودت، أوقاف، وثيقة رقم ١٠٦١٢ مؤرخة في ٢٨ صفر ١٢٠١هـ / ٢ يونيو ١٧٨٧م.

(٤٧) نظرا لكثرة الأوقاف الممنوحة من لدن السلاطين العثمانيين والأهالي من أصحاب الأعمال الخيرية، فقد تم تشكيل إدارة خاصة في إسطنبول تعرف بخزينة الحرمين الشريفين، تقوم بمتابعة كل العقارات والأراضي الزراعية والدكاكين والطواحين وغيرها من الموقوفات على الحرمين، وتجمع ريعها لصرفها عليهما. لمزيد من التفصيل، أنظر: صابان، جوانب من الحياة العلمية، مصدر سابق.

(٤٨) المصدر السابق، الوثيقة نفسها.

(٤٩) أرشيف رئاسة الوزراء، تصنيف جودت، معارف، وثيقة رقم ٦٧٤٦ مؤرخة في رجب ١٢٦٦هـ.

(٥٠) مركز بحوث المدينة المنورة، وثيقة رقم ١ / ٣٢٩ مؤرخة في ١٤ ربيع الأول ١٣٢١هـ.

(٥١) ولمزيد من التفصيل، أنظر: كلية العلوم والدراسات الإنسانية بحوطة سدير: التعليم في المملكة، جامعة المجمعة، (الشبكة العنكبوتية).

(٥٢) انظر ملاحق البحث، الجدول الموضح للمدارس. كما أنشئت مدارس تعليمية في جدة وينبع وكانت هذه المدارس لها منحة مالية مقدارها ٥ آلاف قرشاً عثمانياً، يتم صرفها من وزارة المعارف العثمانية بإسطنبول على هيئة منحة مالية، وهي تقدم كل شهر لهذه المدارس لتشجيعها. انظر: عبداللطيف عبدالله بن دهيش: نظرة على تقرير المؤسسات التعليمية في الحجاز حتى ١٣٠١هـ / ١٨٨٥م، بحث في المجلة التاريخية المغاربية، العدد ٥٧ - ٥٨، تموز (يوليو)، ١٩٩٠م، ص ١٠١ - ١٠٨.

دعم الدولة العثمانية للمؤسسات التعليمية في بلاد الحرمين د. أماني جعفر الغازي ٢٩١

٥٣) أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول، تصنيف IMV، وثيقة رقم ٣٤٧٣، مؤرخة في ١٧ صفر ١٢٦٥هـ.

٥٤) أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول، تصنيف MV، رقم الوثيقة ٢٣٦ / ٢٣١، مؤرخة في ٢ رمضان ١٣٣١هـ.

٥٥) السنجق: كن أحد التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية، ويعني المنطقة أو المقاطعة بالعربية، كما اشتهر بإسم "لواء"، ويعني العلم أو الراية، وهو الإسم الذي أطلقه العرب على هذه التقسيمات الإدارية والتي عرفت جميعها فيما بعد بالألوية، حيث قسمت الدولة وقسمت هذه الإيالات داخليا إلى سناجق، عرفت كذلك باسم الألوية، وعلى رأس كل منها ممثلاً للسلطة العثمانية حمل لقب (سنجق بك) أو "المتصرف" بالعربية، وقسمت داخليا إلى إقطاعيات أطلق على الواحدة منها اسم "تيمار"، وهي أراضي ممنوحة من قبل الدولة العثمانية لعلية القوم، ويطلق على مالكيها "تيمار بك"، والتي قسمت إدارياً بالتبعية لمساحات أصغر من الأراضي أطلق عليها (قاضيلق) أي المناطق التي يشرف علي إدارتها أحد القضاة. لمزيد من التفصيل أنظر: ويكيديا الموسوعة الحرة، الشبكة العنكبوتية.

٥٦) أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج ٢، إستانبول: منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون الإسلامية IRCICA، 1999م، ص ٤١٢، ٤١٣.

٥٧) المزيد من التوضيح حول موضوع الحياة العلمية والثقافية في المؤسسات التعليمية في الحجاز خلال العهد العثماني. انظر: سهيل صابان: جوانب من الحياة العلمية في الحجاز من خلال بعض الوثائق العثمانية "١٠٣٩ هـ - ١٣٣٦ هـ" مقال

منشور في مجلة الدرعية، المملكة العربية السعودية، السنة الأولى، العدد الأول،
محرم ١٤١٩هـ، ص ص ١٧١ - ١٩٢.

(٥٨) الحقيقة أن تعليم اللغة التركية للطلاب في هذه المدرسة، لم يكن هدفاً من أهداف
التريك التي كانت ضد مبادئ السلطان عبد الحميد الثاني، بل كان الهدف منها
أن يكون الطلاب على تواصل دائم مع المدرسين والإدارة العثمانية.

(٥٩) عمر فاروق يلماز: السلطان عبد الحميد خان الثاني بالوثائق، ترجمة طارق
عبد الجليل السيد، مراجعة: الصفا في أحمد المرسي، الطبعة الأولى، إستانبول، دار
نشر عثمانلي، ١٩٩٩م، ص ٢٢٢.

(٦٠) إن شروط إتقان اللغة العربية بجانب التركية لكل المدرسين المتقدمين لوظيفة
التدريس بالمدرسة، للدليل واضح على ما قمنا بالتعليق عليه سابقاً، من أن الهدف
منه هو التواصل بين الطلاب والمدرسين والإداريين في المدرسة والدولة
العثمانية.

(٦١) يلماز، مرجع سابق، ص ٢٢٢، وأيضاً، أكمل الدين إحسان أوغلي: مرجع
سابق، ج ٢، ص ٤١٠.

(٦٢) أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول، تصنيف "شورى الدولة" رقم ٢٢٧٠ / ١٤
مؤرخة في ١٨ جمادى الآخرة عام ١٢٨٩هـ.

(٦٣) أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول، تصنيف "يلدز أوراق خصوصية"، رقم الوثيقة
٢٦٥ / ٢٠، ١٨٩٤م.

(٦٤) يلماز: مرجع سابق، ص ٢٢٢، ٢٢٣.

(٦٥) أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول، تصنيف "يلدز أوراق خصوصية" رقم الوثيقة
٢٦٥ / ٢٠، ١٨٩٤م.

دعم الدولة العثمانية للمؤسسات التعليمية في بلاد الحرمين د. أماني جعفر الغازي ٢٩٣

(٦٦) أرشيف رئاسة الوزراء، تصنيف " يلدز أوراق خصوصية " وثيقة رقم ٢٦٥ / ٧٦
مؤرخة في ١٢ ربيع الأول ١٣١٠هـ.

(٦٧) أرشيف رئاسة الوزراء، التصنيف السابق، وثيقة مؤرخة في ١٣ ربيع الأول
١٣١٠هـ.

(٦٨) أرشيف رئاسة الوزراء، تصنيف " يلدز أوراق خصوصية " وثيقة رقم ٢٦٥ / ٩٤
مؤرخة في ١٧ ربيع الأول ١٣١٠هـ.

(٦٩) أرشيف رئاسة الوزراء، تصنيف " يلدز أوراق خصوصية " وثيقة رقم ٢٦٥ /
٩٤، مؤرخة في ١٥ ربيع الأول ١٣١٠هـ.

(٧٠) أرشيف رئاسة الوزراء، التصنيف السابق، وثيقة رقم ٢٦٥ / ٩٩ مؤرخة في ٢٥
أيلول ١٣٠٨هـ - رومي / ١٦ ربيع الأول ١٣١١هـ. والوثيقة المؤرخة في ١٨
ربيع الأول ١٣١٠هـ، والوثيقة رقم ٢٦٦ / ١١١، مؤرخة في ١٩ ربيع الآخر
١٣١٠هـ.

(٧١) أنظر حجاز ولايتي سالنامه سي: مكة المكرمة، مطبعة الولاية ١٣٠١هـ،
ص ٣٠٦.

(٧٢) المصدر السابق، الصحيفة نفسها.

(٧٣) المصدر السابق، ص ١٨٣.

(٧٤) خير الدين الزركلي: الأعلام، ج ٤، ط ١، لبنان: بيروت، ص ١٥١-١٥٢.

(٧٥) المصدر السابق، ص ١٢٥

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق العثمانية:

أ- أرشيف رئاسة الوزراء بإستنبول:

- ١- تصنيف جودت، أوقاف، رقم ١٠٣٥١، مؤرخة في ٧ شوال ١٢٤٥هـ.
- ٢- تصنيف جودت، أوقاف، ١٠٦١٢، مؤرخه في ٢٨ صفر ١٢٠١هـ.
- ٣- تصنيف جودت، معارف، رقم ١٩٨٨، مؤرخة في جماد الأولى ١١٢٠هـ.
- ٤- تصنيف جودت، معارف، ١٣١٢هـ، مؤرخة في جماد الأولى ١١٢٠هـ.
- ٥- تصنيف جودت، معارف، ٤٥٧٢، مؤرخة في ٢٨ رجب ١١٣٧هـ.
- ٦- تصنيف جودت، معارف، ٦٧٤٦، مؤرخة في رجب ١٢٦٦هـ.
- ٧- دفتر العينات، ٨٧٣ مؤرخة في ١٣ ربيع الأول ١٢٩١هـ.
- ٨- دفتر العينات، ٢٣٩ مؤرخة في ١٣ ربيع الأول ١٢٩١هـ.
- ٩- تصنيف يلدز، أوراق خصوصية، وثيقة رقم ٢٦٥ / ٢٠ مؤرخة في ربيع أول ١٢٩٤هـ.
- ١٠- تصنيف يلدز، أوراق خصوصية، وثيقة رقم، ٧٦/٢٦، مؤرخة في ربيع الأول ١٣١٠هـ.
- ١١- تصنيف يلدز، أوراق خصوصية، وثيقة رقم ٢٦٥ / ٩٩، مؤرخة في ١٦ ربيع الأول ١٣١٠هـ.
- ١٢- تصنيف يلدز، أوراق خصوصية، وثيقة رقم ٢٦٦/١١١، مؤرخة في ١٩ ربيع الأول ١٣١٠هـ.

دعم الدولة العثمانية للمؤسسات التعليمية في بلاد الحرمين د. أماني جعفر الغازي ٢٩٥

١٣- تصنيف يلدز، أوراق خصوصية، وثيقة رقم ١٠٩ / ٤١٢، مؤرخة في ٣ رمضان ١٣١٨هـ.

١٤- تصنيف إدارة، قسم معارف، رقم المؤرخة في شوال ١٣١٨هـ.

١٥- تصنيف إدارة داخلية، رقم ١ / ٥ - ٢٦، مؤرخة في ٢٥ شوال ١٣٢٨هـ.

١٦- تصنيف DH. Kms، رقم ٥ / ٢٤، مؤرخة في ٢٣ محرم ١٣٣٢هـ.

١٧- تصنيف DH. Kms، رقم ١٤ / ١١، مؤرخة في ٢٥ رجب ١٣٣٢هـ.

١٨- تصنيف mv، رقم ٢٣٦ / ٢٣١، مؤرخة في ٢ رمضان ١٣٣١هـ.

١٩- تصنيف شوري الدولة، رقم ٢٢٧٠ / ١٤، مؤرخة في ١٨ جماد الآخرة ١٢٨٩هـ.

ب - أرشيف طوب قابي سراي:

٢٠- قسم الفرمانات، رقم ١٠٨٢٥

ج - مركز بحوث المدينة المنورة:

٢١- وثيقة رقم ١ / ٢٧٨، مؤرخة في ١٧ محرم ١٣٢١هـ.

٢٢- وثيقة رقم ١ / ٣٢٩، مؤرخة في ١٤ ربيع الأول ١٣٢١هـ.

٢٣- وثيقة رقم ٧ / ٢، مؤرخة في ٣ رجب ١٣٢٥هـ.

د- دارة الملك عبدالعزيز بالرياض:

٢٤- مركز الوثائق والمعلومات، صورة ضوئية من وثائق أرشيف رئاسة الوزراء باسطنبول، تحت رقم ١ / ٢-١٦٦.

ثانياً: المصادر العربية:

- ١- ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج٢، تحقيق: محمد مصطفى، القاهرة، ١٣١١هـ / ١٩٦٢م.
- ٢- خير الدين الزركلي: الأعلام، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٧٩م.
- ٣- محمد طاهر المكي: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج٥، الطبعة الأولى، مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.

ثالثاً: المراجع العربية:

- ١- أحمد سامح الخالدي: أنظمة التعليم، مطبعة بيت المقدس، ١٩٣٣م.
- ٢- أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج٢، إستانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون الإسلامية، ارسिका، ١٩٩٩م.
- ٣- سهيل صابان: نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، الطبعة الأولى، الرياض، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- ٤- حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- ٥- عثمان عبدالجبار: التعليم الرسمي والتقليدي والأهلي عند المسلمين في بلاد الشام ما بين "١٨٧٨م - ١٩٢٠"، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم تاريخ، جامعة دمشق، ١٩٨٠م.

رابعاً: المراجع العثمانية والتركية الحديثة:

- ١- شمس الدين سامي: قاموس تركي، الطبعة الأولى، إستانبول: دار سعادت، ١٣١٧هـ.
- ٢- حجاز ولايتي سالنامه سي، الطبعة الأولى، مكة المكرمة، مطبعة الولاية، ١٣٠١هـ.

٣- حجاز ولايتي سالنامه سي، الطبعة الأولى، المدينة المنورة، ١٣٠٩هـ.

4- M.z.pakalin: osmanli tarin deyim leri ve terimleri sozlugu, Istanbul, 1977, C.II .

خامساً: المراجع المترجمة:

١- إسماعيل حقي جارشيلى: أشراف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني، ترجمة: خليل علي مراد، الطبعة الأولى، لبنان: الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

٢- عمر فاروق يلماز: السلطان عبدالحميد خان الثاني بالوثائق، ترجمة: طارق عبدالجليل السيد، مراجعة: الصفا في أحمد المرسي، الطبعة الأولى، إسطنبول: دار نشر عثمانلي، ١٩٩٩م.

سادساً: المقالات العلمية:

١- سهيل صابان: مدرسة دار الشفقة بمكة المكرمة، عالم المخطوطات والنادر، العدد ٥، ج ١، محرم - جماد الآخرة، ١٤٢١هـ.

٢- جوانب من الحياة العلمية في الحجاز من خلال بعض الوثائق العثمانية " ١٠٣٥هـ - ١٣٣٦هـ " مقال منشور في الدرعية، السنة الأولى، العدد الأول، محرم ١٤١٩هـ.

٣- عبداللطيف عبدالله بن دهيش: نظرة على تقرير المؤسسات التعليمية في الحجاز حتى عام ١٣٠١هـ / ١٨٨٥م، بحث منشور في المجلة التاريخية المغربية، العدد ٥٧-٥٨، تونس، تموز " يوليو " ١٩٩٠م.

٤- محمد حسن العيدروس: الحياة الفكرية في شرق الجزيرة العربية في العهد العثماني " ١٨٧٠م - ١٩٨٢م " بحث منشور في المجلة التاريخية المغربية، العدد ٥٧-٥٨، تونس، تموز، " يوليو " ١٩٩٠م.

عناية الملك سعود بن عبد العزيز بالحسبة
١٣٧٣-١٣٨٤هـ / ١٩٥٣-١٩٦٤م
"دراسة تاريخية"

د. محمد عبدالرحمن الشبيحة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - قسم التاريخ والحضارة

عناية الملك سعود بن عبد العزيز بالحسبة

١٣٧٣-١٣٨٤هـ / ١٩٥٣-١٩٦٤م

دراسة تاريخية

د. محمد عبدالرحمن الشبيحة

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الحسبة من أكبر القواعد الدينية، ومن أعظم الواجبات الشرعية. ونظام الحسبة نظام إسلامي أصيل أقيم على مبدأ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. وهو من أوجب الأعمال، وأهم أمور الدين، ولا قوام لدين الإسلام إلا بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ولا زالت هذه الدولة - والله الحمد - تسلك هذا المنهج منذ عهد المؤسس ومن بعده أبنائه البررة، ومنهم الملك سعود - رحمه الله - فقد سار على نهج والده في إدارة شؤون الدولة، وكان عهده امتداداً لجهود والده في الرقي بالبلاد في جميع المجالات، متمسكاً بكتاب الله وسنة ورسوله - صلى الله عليه وسلم - في تسير دفة الحكم، عاملاً على إيجاد بيئة ملائمة، خالية من المنكرات والانحرافات، تساعد الناس على الاستقامة والصلاح، وذلك من خلال دعمه لجهاز الحسبة والقائمين عليها، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

ولأهمية هذا الموضوع في حياتنا الدينية والدينية، فقد رأى الباحث أن يكون عنوان البحث: (عناية الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود بالحسبة)، وجعله في تمهيد ومبحثين، وخاتمة.

تناول الباحث في التمهيد: تعريف الحسبة لغةً واصطلاحاً، وعلاقتها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأهميتها والحاجة إلى إقامتها في المجتمعات عامة والمجتمع السعودي خاصة.

وتحدث الباحث عن الحسبة قبل عهد الملك سعود في الدولتين السعوديتين الأولى والثانية، وفي عهد الملك عبد العزيز.

فالدولة السعودية الأولى شهدت انطلاق دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي ناصرها الإمام محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية الأولى والتي قامت على إحياء شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أما الدولة السعودية الثانية فرغم ما مرت به إلا أن أئمتها كانوا حريصين على القيام بهذه الشعيرة وإسداء النصائح الآمرة بالمعروف والنهي عن المنكر للعامة والخاصة.

أما مؤسس المملكة العربية السعودية الملك عبد العزيز آل سعود فقد أولى الحسبة جل اهتمامه، فكلف الشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف آل الشيخ للقيام بولاية الحسبة، وزوده ببعض الأعضاء من المشايخ الأفاضل، وفتح لها فروع في مختلف أنحاء المملكة.

وفي المبحث الأول: تناول الباحث سيرة الملك سعود - رحمه الله - وتشتمل على نبذة عن حياته: مولده، ونشأته وتعليمه، وتعلمه على يد والده، وتعلمه منه العديد من المهارات السياسية، وتقلده العديد من المناصب المرموقة.

وفي المبحث الثاني: استعرض الباحث الحسبة في عهد الملك سعود والتي كانت تحظى برعايته واهتمامه منذ كان ولياً للعهد، واستمر ذلك الاهتمام إلى أن تولى مقاليد الحكم. ومن جوانب ذلك الاهتمام تناول الباحث التنظيم الإداري للحسبة، والتجديد والتحديث فيها، ثم التوجيهات المباشرة وغير المباشرة للملك سعود من خلال خطابه وكلماته وأحاديثه، والتي أكد فيها على عنايته واهتمامه بالحسبة، مع ذكر نماذج من خطابه وكلماته وأحاديثه، والقدوة العملية للملك سعود في أمور الحسبة، وأخيراً ذكر جوانب مساعدة في زيادة نشاط الحسبة، أو تحقيق أهداف متصلة بأهدافها.

وانتهى البحث بخاتمة اشتملت على النتائج التي توصل إليها الباحث.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الحسبة تعد من أكبر القواعد الدينية، ومن أعظم الواجبات الشرعية. ونظام الحسبة نظام إسلامي أصيل أقيم على مبدأ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. وهو من أوجب الأعمال، وأهم أمور الدين، ولا قوام لدين الإسلام إلا بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وإن من شرف أمة محمد ﷺ وكرامتها أنها أمة الدعوة إلى الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وخير الفرد فيها ليس محصوراً بذاته، وإنما يتجاوز نحو الآخرين نصحاً لهم، وإقامة على الحق من خلال العديد من الوظائف التي نهضت بها أمة الإسلام في عهودها المتعددة ابتداءً من عصر الرسول ﷺ وخلفائه، ثم من بعدهم.

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ركيزة أساسية قامت عليها الدولة السعودية في جميع أدوارها، لأنها قامت على تحكيم شرع الله المستمد من الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، وتقرير العقيدة الصحيحة في المجتمع. ولا زالت هذه الدولة - والله الحمد - تسلك هذا النهج منذ عهد المؤسس الملك عبد العزيز، ومن بعده من أبنائه البررة، ومنهم الملك سعود - رحمه الله - فقد سار على نهج والده في إدارته لشؤون الدولة، وكان عهده امتداداً لجهود والده بالرقى بالبلاد في جميع المجالات، متمسكاً بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في تسيير دفة الحكم، آخذاً بأسباب التقدم والرقى لتحقيق النهضة الشاملة في حياة الناس ومعاشهم، وترعى مصالحهم في ضوء هدي الإسلام، عاملاً على إيجاد بيئة ملائمة، خالية من المنكرات والانحراف، تساعد الناس على الاستقامة والصلاح، وذلك من خلال دعمه لجهاز الحسبة

والقائمين عليها، امثالاً لقوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢).

فكان الملك سعود - رحمه الله - محتسباً؛ أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر. وقد نالت هذه الشعيرة جل اهتمامه ورعايته منذ كان ولياً للعهد، ثم في فترة حكمه للبلاد، فلا تكاد تمر مناسبة دينية، أو يوجه خطاباً إلى المسؤولين في الدولة إلا ويكون رؤساء الهيئات من أوائل المعنيين بتلك التوجيهات الكريمة، يحثهم فيها على القيام بواجب الأمر المعروف والنهي عن المنكر، وعدم التهاون والتقصير في ذلك الأمر، وهذا يجسد لنا مدى حرصه وعنايته ورعايته لهذه الشعيرة العظيمة.

ولأهمية الحسبة في حياتنا الدينية والدينية، فقد رأى الباحث أن تكون موضوع بحثه، وعنوانه: (عناية الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود بالحسبة)، وسيعرض الباحث بحثه على النحو الآتي:

تمهيد:

أ- تعريف الحسبة وأهميتها.

ب- الحسبة قبيل عهد الملك سعود بن عبد العزيز.

المبحث الأول: السيرة الموجزة للملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود.

المبحث الثاني: الحسبة في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز.

التمهيد:

أ- تعريف الحسبة وأهميتها:

الحسبة لغة:

الحسبة بكسر الحاء، اسم من الاحتساب، تقول: احتسب يحتسب احتساباً وحسبة، ولها عدة معان في لغة العرب، منها: طلب الأجر، والإنكار، والاختبار، والظن، والاعتداد، والاكتفاء^(٣).

الحسبة اصطلاحاً:

لقد عرف العلماء الحسبة في الاصطلاح تعريفات عديدة ومن أقدمها وأجمعها وأمنعها ما ذكره الماوردي^(٤)، وهي: (أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله).

ومما يسجل لتعريف الماوردي شمول نطاقه لشمول المحتسب والمتطوع، وسلامة أساسه لارتكازه على جوهر الحسبة وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وانضباط عباراته لإحاطته بكنه الحسبة، وسلامة أسلوبه حيث استوحاه من القرآن الكريم والسنة المطهرة^(٥).

الحسبة وصلتها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبدأ إلهي من مبادئ الدين العظيمة؛ والحسبة هي العمل الذي يترجم ذلك المبدأ إلى واقع ملموس بين الناس لإصلاح ما فسد من أمرهم، وإلزامهم شرع ربهم^(٦).

كما أن الحسبة تعد التطبيق العملي بشقيه الرسمي أو التطوعي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجانب الهام فيه^(٧)، وهي الثمرة الحقيقية للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر^(٨).

وعلى هذا فإن الحسبة داخلة ضمن نطاق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي الجانب التطبيقي والعملي له، ولكن الحسبة تتعلق بالمعروف المتروك والمنكر الظاهر؛ أي أنها تعنى بالمنكرات فقط. أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو أعم وأشمل، لأنه لا يعنى بالمنكرات فقط وإنما يعنى بالمعروف أيضاً^(٩).

أهمية الحسبة والحاجة إليها وأثر تطبيقها في المجتمع السعودي:

الحسبة بمثابة صمام الأمان داخل المجتمع، فهي التي تحفظ كيانه، وتقيم بناءه، ولا غنى عنها لأمة من الأمم، أو مجتمع يريد أن يقيم منهج الله في الأرض من خلال نشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة، وهي السياج الواقي من الشرور والأخطار التي تهدد بناء المجتمع. وهي تقوم بالمحافظة على الأخلاق والقيم، وكذلك المحافظة على كيان المجتمع المسلم وتماسكه، والتعاون على الخير لحماية الأمة من التفكك والهلاك. ومتى وجد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مجتمع فإن ذلك علامة نجاحه وسلامته، ومتى عدم هذا الأمر أو ضعف فإن هذا علامة على هلاكه^(١٠).

أما بالنسبة للمجتمع السعودي الذي يمثل النموذج الأبرز في تاريخنا المعاصر فيما يخص الحسبة، والتي تمثلها هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث تقوم الهيئة بمجهود عظيمة في سبيل الحفاظ على الدين والأخلاق، ومحاربة كل ما يخالف العقيدة، أو يؤثر في سلوك أو أخلاق المجتمع، وحماية أعراضه من كل ما يندسها، أو يتسبب في انتشار الفاحشة. ومن الأمثلة على ذلك منع الاختلاط والسفور والتبرج وإبداء الزينة، ومنع الشباب من التسكع في الأسواق لملاحقة النساء أو مضايقتهن.

كما تقوم الهيئة بمنع أي مظهر فيه إساءة للدين أو تشويه للإسلام، وتحرص الهيئة أيضاً على حماية عقول المسلمين وحمايتهم من المسكرات والمخدرات. وتقوم الهيئة بمحاربة البدع والشعوذة والسحر، كما تقوم الهيئة بمراقبة المقابر، وإزالة كل بدعة في الدين^(١١).

وعندما يرى القادم أو الزائر للمملكة العربية السعودية من البلاد الأخرى الإسلامية أو غيرها أنه عندما يحين وقت الصلاة تغلق الدكاكين والمحلات، ويذهب الناس إلى المساجد ليؤدوا الصلاة جماعة، كما يرون عدم وجود المظاهر الأخرى المخلة بالأداب الإسلامية، أو المخالفة للشرع الإسلامي مثل دور عامة للسينما أو محلات قمار، أو محلات لبيع المسكرات، وكذلك عدم وجود الاختلاط أو التبرج والسفور، ويرون انتشار مظاهر الحشمة والحياء والعفاف بين النساء يدرك أنه في دولة متميزة، وبين مجتمع وشعب متميز، ويعرف سمو تعاليم الشريعة الإسلامية، ودورها في إصلاح المجتمع، وأن هذا بفضل الله - سبحانه وتعالى - ثم بفضل وجود مثل هذه الهيئات التي تحارب الفساد والمنكرات بشتى أنواعها^(١٢).

ب- الحسبة قبل عهد الملك سعود بن عبد العزيز:

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ركيزة أساسية قامت عليها الدولة السعودية في جميع أدوارها، وهو أمر ليس بمستغرب على دولة قامت على تحكيم شرع الله المستمد من الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح.

فقد اعتنت الدولة السعودية الأولى منذ قيامها ببيعة الدرعية بين الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب على كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - في عام ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م بنشر الدعوة الإصلاحية، وإحياء شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في شبه الجزيرة العربية، لما انتشر فيها - وغيرها من البلدان - من البدع والخرافات والطرق الصوفية المنحرفة، والعادات الوثنية^(١٣).

وقد وصف المؤرخ عثمان بن بشر في كتابه^(١٤) تلك الحالة فقال:

كان الشرك إذ ذاك قد فشا في نجد وغيرها، وكثر الاعتقاد في الأشجار والأحجار، والقبور والبناء عليها، والتبرك بها والنذر لها، والاستعاذة بالجن والذبح لهم، ووضع الطعام لهم، وجعله لهم في زوايا البيوت لشفاء مرضاهم ونفعهم وضرهم، والحلف بغير الله، وغير ذلك من الشرك الأكبر والأصغر.

فقام الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب وأنصارهما بكل ما أوتوا من قوة العلم والإيمان بنشر تلك الدعوة الإصلاحية المباركة أمرين بكل معروف، وناهين عن كل منكر، ومجاهدة كل من يقف في طريق تلك الدعوة الإصلاحية التي توضح للناس العقيدة الصحيحة.

كما أن الإمام عبدالعزيز بن محمد؛ الذي تولى حكم الدولة السعودية الأولى بعد وفاة أبيه سنة ١١٧٩ هـ / ١٧٦٥ م، سار على نهج والده في مناصرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته.

ومما ذكره ابن بشر^(١٥) في وصفه لمناقب الإمام عبدالعزيز بن محمد قوله:

"وكان عبدالعزيز / كثير الخوف من الله والذكر له، أمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، لاتأخذه في الله لومة لائم، ينفذ الحق في أهل بيته وعشيرته، لا يتعاطم عظيماً إذا ظلم فيقمعه عن الظلم، وينفذ الحق فيه، ولا يتصاغر حقيراً ظُلم فيأخذ له الحق ولو كان بعيد الوطن...".

ومما لا شك فيه أنه سار على نهج الإمام محمد بن سعود وعلى نهج ابنه الإمام عبدالعزيز بن محمد بقية أئمة الدولة السعودية الأولى، وذلك بنشر الدعوة الإصلاحية التي توضح للناس العقيدة الصحيحة، ونبتذ الشرك والبدع والخرافات، أمرين بكل معروف، وناهين عن كل منكر؛ بالحكمة والموعظة الحسنة، حتى ساد الأمن في المجتمع،

وشاع الخير والمعروف بين الناس. وتم إرسال الدعاة والوعاظ في البلاد لدعوة الناس إلى الله وحده لا شريك له.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الدولة السعودية الثانية، تعد امتداداً طبيعياً للدولة السعودية الأولى التي انتهت من حيث الزعامة السياسية؛ غير أنها بقيت من حيث الفكر والانتماء، إذ بقيت أفكار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ماثلة في أذهان الناس، وبقي المجتمع يكن الولاء لأسرة آل سعود، التي أخذت على عاتقها الدفاع عن البلاد ضد أعداء التوحيد، وفكر الإصلاح.

وقد قام الإمام تركي بن عبدالله مؤسس الدولة السعودية الثانية عام ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م^(١٦) بعدة إصلاحات داخلية مهمة، ومن ذلك إحياء واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي ذلك يقول ابن بشر^(١٧) واصفاً جهود الإمام تركي بن عبدالله في هذا الشأن:

كان أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، ويرسل النصائح دائماً إلى أهل البلدان من الخاص والعام، يحضهم على القيام بشرائع الإسلام، والمحافظة على الصلوات في الجماعات، والنهي عن المعاملات الربوية وغير ذلك.

ومما قام به الإمام تركي بن عبدالله في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إرسال الرسائل إلى أمراء البلدان وعامة السكان يحثهم فيها على التمسك بعقيدة التوحيد، وإقامة الصلاة مع الجماعة، وإنكار المنكر، والتحذير من التعامل بالربا، بجميع أنواعه وأنه من أكبر الكبائر، والنهي عن الخلل في المكايل والموازين.^(١٨)

ومن رسائل الإمام تركي بن عبدالله التي بين فيها أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما ينبغي أن يقوم به في تغيير المنكرات:

"... وأنا مطلق الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر، إذا كان عن علم: ينصح أولاً، ويؤدب ثانياً، ومن عارضه خاص أو عام، فأدبه الجلاء عن وطنه، وهذا من ذمتي في ذمة كل من يخاف الله واليوم الآخر".^(١٩)

ولما اغتيل الإمام تركي بن عبدالله سنة ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٤م تولى الحكم بعده ابنه الإمام فيصل بن تركي، والذي سار على نهج والده في إسداء النصائح الآمرة بالمعروف والناهي عن كل منكر، ومن أقواله في هذا الشأن: "وأهم الأمور تعلم ما فرض الله سبحانه من معرفة أصل دين الإسلام وأركانه، وواجباته وجميع شرائعه، ومعرفة ذلك بالكتاب والسنة، وقوام ذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... وأنا ملزم كل من يخاف الله تعالى ويرغب في الفلاح أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وأن يكون الأمر مراعيًا للشروط في ذلك بأن يكون عليماً فيما يأمر به، عليماً فيما ينهى عنه، حليماً فيما يأمر به، حليماً فيما ينهى عنه، رفيقاً بما يأمر به، رفيقاً فيما ينهى عنه"^(٢٠).

وهكذا فقد سلك الإمام فيصل بن تركي نهج أسلافه من نشر للعقيدة الإسلامية الصحيحة، أمراً بكل معروف ناهياً عن كل منكر، في جميع المناطق التي وصل إليها نفوذه. وقد سار على ذلك النهج بقية أئمة الدولة السعودية الثانية إلى أن ضعفت الدولة السعودية الثانية، وانتهت على يد محمد بن رشيد سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م.

وبعد انتهاء الدولة السعودية الثانية عادت القبائل إلى ما كانت عليه من النهب والسلب والغزو، وعمت الفوضى البلاد مرة أخرى. وبالرغم من أن البلاد في أول القرن الرابع عشر الهجري كانت تمر بفترة مريرة، وذلك بعد انتهاء الدولة السعودية الثانية وقيام الدولة السعودية الثالثة، إلا أن العلماء لم يتخلوا عن واجبهم، ولم يضيعوا

أمانة الاحتساب، بل كانوا يقومون به تطوعاً لله، فينكر كل منهم ما يراه في بلده من منكر قائم، ويأمر بفعل المعروف إذا تركه الناس، وذلك بسبب قوة الوازع الديني عند الناس امتداداً لآثار الدعوة الإصلاحية المباركة^(٢١).

وعندما تمكن الملك عبد العزيز بن الرحمن آل سعود مؤسس الدولة السعودية الحديثة (المملكة العربية السعودية) من استرداد الرياض في الخامس من شهر شوال ١٣١٩ هـ الموافق للثالث عشر من يناير ١٩٠٢ م أولى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جل اهتمامه.

فبعد أن استقرت البلاد، واتسع الحكم نسيباً كلف الشيخ عبدالعزيز بن عبداللطيف آل الشيخ وزوده ببعض الأعضاء من المشايخ الأفاضل ليقوموا على ولاية الاحتساب، كما قام الملك عبدالعزيز بتزويد المحتسبين ببعض الرجال من أعوانه وجنوده.^(٢٢)

وكلما توسعت البلاد واطرد نموها أمد الملك عبدالعزيز المحتسبين بالأعوان، لذلك اتسع نطاق الحسبة في المنطقة الوسطى والشرقية والحدود الشمالية، مما استدعى إيجاد مقر رئيسي للمحتسبين بمدينة الرياض، وكان هناك فروع في المدن الكبرى في نجد، كما تم إنشاء فروع للحسبة في كل من الأحساء وحائل، وكذلك عسير بعد ضمها إلى الدولة السعودية الحديثة.^(٢٣)

وكان الملك عبدالعزيز لا يكاد يسمع أن قرية ليس فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا وجه إلى القائم فيها كتاباً يأمره بتعيين رجال من أهل الصلاح والتقوى لهذا الأمر^(٢٤).

وانطلاقاً من إيمان الملك عبدالعزيز بدور ولي الأمر في تنظيم ولاية الحسبة والعناية بها والقيام عليها، لم يكتف بتتنظيم هذه الولاية في نجد؛ بل إنه بمجرد أن ضم

الحجاز سنة ١٣٤٤هـ؛ أصدر أوامره بإنشاء هيئة أخرى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مستقلة في المنطقة الغربية، فشكلت في ٢٠ صفر ١٣٤٥هـ أول هيئة في المنطقة الغربية، وذلك بعد مكاتبات بينه وبين رئيس القضاة في إقليم الحجاز الشيخ عبدالله بن بليهد^(٢٥).

وقد تشكلت الهيئة من علماء مكة المكرمة ونجد، وكان الهدف من إنشائها هو مراقبة تنفيذ أحكام الشرع وإقامة الشعائر الدينية، وحث الناس على الطاعة بالحكمة والموعظة الحسنة^(٢٦).

ويبدو أن الهيئة التي أنشئت في مكة المكرمة في ١٦/٢/١٣٤٦هـ كانت تخضع لها البلدان المجاورة كجدة والطائف وغيرها^(٢٧).

أما المدينة المنورة فقد أنشئ فيها مكتب للهيئة - شبه مستقل في ذلك الوقت - ولكنه يخضع في رئاسته العليا إلى نائب الملك في الحجاز سمو الأمير فيصل بن عبدالعزيز، وقد وجه الملك عبدالعزيز خطاباً برقم ٧٢٣ وتاريخ ٩/٤/١٣٤٦هـ إلى أمير المدينة المنورة يأمره فيها بأن تكون أمور الحسبة فيها ما يحدده ويراه الشيخ عبدالله بن حسن بن حسين الذي عين رئيساً للقضاة في المنطقة الغربية في أوائل عام ١٣٤٦هـ، بدلاً من الشيخ عبدالله بن بليهد الذي انتقل إلى حائل^(٢٨).

ومع أهمية الأثر الذي ترتب على تأسيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من قبل الملك عبدالعزيز، إلا أنه لا يمكن إغفال جهود الملك عبدالعزيز الشخصية في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمتمثلة في رسائله، ومناصحته للأمرء وعامة الناس بوجوب التزام الطاعات، والانتهاز عن المنكرات^(٢٩).

وقد عرف عن الملك عبدالعزيز أنه أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، متمسك بأحكام الشريعة الإسلامية قولاً وعملاً في كافة المجالات، عامل بما يحقق المصلحة

لبلاده وشعبه، محباً للعلماء، كثير التوجيه والنصح والإرشاد لهم، إيماناً بأن محبة الخير لإخوانه كمحبته لنفسه^(٣٠).

ومن جملة اهتمام الملك عبدالعزيز بأمر الحسبة أنه في عام ١٣٥٥هـ عقد اجتماعاً عاماً مع أهل الحل والعقد وكبار الموظفين في الدولة، ومما قاله في ذلك الاجتماع:

"يجب أن تنظروا في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تنفيذاً لأمر الله وحفظاً له... كما يجب أن ننظف أنفسنا من الأدران، ونظهرها من كل الأمور المخالفة، وندنو إلى ما يرضي الله، ونخاف عقوبته، إذ ليست هناك عقوبة أشد من عقوبة الله جل وعلا، وهذه البلاد يجب أن تكون قدوة صالحة للمسلمين في كل عمل من أعمالها، ونحن نطلب المساعدة في هذا الشأن منكم ومن الأهليين، نريد أن تكونوا عوناً للحكومة في هذا الأمر، لأنه إذا كان الجميع اتفقوا على درء المفسد سهل العمل، أما إذا كانت إجبارية صعب حلها، وطال أمرها، وإن المساعدة التي نطلبها هي:

أولاً: مساعدة الأهالي.

ثانياً: ترتيب طريقة لدرء المفسد والحيلولة دون الفساد، لنتمكن من إقامة الشرع الشريف، فإذا عملنا هذا قمنا باللائم، وهذا أهم ما يجب العناية به، لأن الدنيا إذا كثرت خيراتها وأهمل الدين فلا فائدة ترجى منها... أما إذا عمر الدين، ونفذت أوامره، واجتنبت محارمه صلحت الدنيا، فأنا أرجو أن تفكروا في طاعة الله ومخافته، واتباع سنة رسوله، وأرجو أن تهتموا بالأمر اهتماماً شديداً، فبإصلاح هذه المسألة يصلح كل شيء^(٣١).

وفي مجال الأمر بالمعروف: عني الملك عبدالعزيز بطباعة أهم كتب أئمة الإسلام على نفقته خالصة لوجه الله، وتوزيعها على المسلمين المحتاجين في مشارق الأرض

ومغاربها طلباً لمرضاة الله، فكان ما طبع من ذلك يربو على مئة ألف عنوان من الكتب المعتمدة. (٣٢)

وجهود الملك عبدالعزيز، وعنايته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونصح المسلمين، ودعوتهم إلى الخير بأقواله وأفعاله، لا يمكن حصرها في هذه العجالة، بل يحتاج إلى بحث مستقل، ولكن هذه نماذج للتدليل على عنايته واهتمامه بهذا الأمر العظيم.

المبحث الأول: السيرة الموجزة للملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود:

قبل الحديث عن الملك سعود وعنايته بالحسبة، لابد من إعطاء القارئ نبذة تاريخية عن حياة الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود.

ولد الأمير سعود بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود في مدينة الكويت في اليوم الخامس من شهر شوال عام ١٣١٩هـ الموافق الخامس عشر من شهر يناير عام ١٩٠٢م. (٣٣)

وقد تزامنت ولادته مع قيام والده (الملك عبدالعزيز) بالملحمة البطولية التي استعاد بها مدينة الرياض، فأسماه (سعوداً) تيمناً بالنصر الذي حققه، وتفاؤلاً بالمستقبل الذي يأمله. (٣٤)

ونشأ الأمير سعود وترعرع في كنف والده بمدينة الرياض بعد أن عادت الأسرة إليها في العام نفسه، حيث عهد به والده إلى المقرئ الشيخ عبدالرحمن بن ناصر بن مفيريج^(٣٥) المشهور بتعليم القرآن الكريم، فتعلم على يديه مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ سوراً من القرآن^(٣٦)، كما درس بعض الأمور الشرعية في الفقه والحديث والتفسير على يد عدد من علماء نجد، وأمره والده بحضور مجالسه ومجالس جده الإمام عبدالرحمن بن فيصل؛^(٣٧) مما أكسبه العلم الغزير، والخبرة الكبيرة.

فلما كبر الأمير سعود بدأ يكسب ثقة والده الملك عبدالعزيز، فبدأ في ممارسة بعض المهام العسكرية والسياسية والإدارية؛ حتى إن والده كان يفوضه في بعض المهام التي تكسبه الحنكة السياسية وخاصة الخارجية.^(٣٨) فما كان من الملك عبدالعزيز إلا أن عينه نائباً عاماً له في نجد عندما بلغ سن الرابعة والعشرين من عمره^(٣٩)، لهذا كان الأمير سعود يعتبر الساعد الأيمن لوالده في بناء وتأسيس الدولة.

ثم قام الملك عبدالعزيز بتعيين ابنه الأمير سعود ولياً للعهد في اليوم السادس عشر من شهر محرم سنة ١٣٥٢هـ الموافق ١١ مايو ١٩٣٣م^(٤٠). فكان نعم السند والعضد لوالده، كما أسند الملك عبدالعزيز لابنه الأمير سعود قيادة القوات المسلحة بتاريخ ١٥ ذي الحجة ١٣٧٢هـ الموافق ٢٤ أغسطس ١٩٥٣م^(٤١).

ثم تولى مقاليد الحكم بعد وفاة والده الملك عبدالعزيز - رحمه الله - يوم الاثنين ٢ ربيع الأول ١٣٧٣هـ الموافق ٩ نوفمبر ١٩٥٣م^(٤٢). وظل الملك سعود يتولى دفة الحكم حتى اليوم السابع والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٨٤هـ الموافق ٢ نوفمبر ١٩٦٤م، حيث بويع ولي عهده الأمير فيصل بن عبدالعزيز ملكاً على البلاد^(٤٣).

لقد سار الملك سعود بن عبدالعزيز على نهج والده، فكان عهده امتداداً لجهود والده بالرقى بالبلاد في جميع المجالات السياسية، والتنظيمات الإدارية، والاقتصادية والاجتماعية، متمسكاً بكتاب الله وسنة رسوله ع في تسيير دفة الحكم، أخذاً بأسباب التقدم والرقى لتحقيق النهضة الشاملة التي تسيير حياة الناس ومعاشهم، وتراعي مصالحهم في ضوء هدي الإسلام؛ عاملاً على إيجاد بيئة ملائمة خالية من المنكرات والانحراف تساعد الناس على الاستقامة والصلاح، وذلك من خلال دعمه لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه البلاد المباركة.

من أقواله الموجزة المعبرة:

- "نحن دعاة إلى الإيمان بالله تعالى وبرسول الله ﷺ وبكتاب الله وبسنة نبيه. نحن ندعو إلى ذلك جهد طاقتنا في السر والعلن..."
 - "إن أول ما يهمنا جميعاً هو الاعتصام بجبل الله المتين، وأن نتخذ من الوسائل في داخل بلادنا ما يمكن روح التوحيد الخالص في قلوب أفراد الشعب كافة حتى يخلص الجميع العبادة لله وحده، وسنسير في ذلك بهدي كتاب الله في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة في كل مجال."
 - "فنحن نعلن على رؤوس الأشهاد أننا لسنا ملوكاً فحسب، بل نحن دعاة لهذا الدين"^(٤٤).
 - "إن لي في هذه الحياة هدفين: الهدف الأول - وهو الأساس - نصر دين الله، وتحكيم كتاب الله وسنة رسوله، والثاني: أنني أمشي بكم إلى الأمام، وأنني لا أتأخر عما فيه مصلحة لكم في دينكم ودنياكم والترفيه عنكم، وأجعل أمتكم أمة راقية تجاري الأمم الراقية في هذا العصر المبارك"^(٤٥).
- إن أبرز ما في شخصية الملك سعود إيمانه بدينه عن دراسة وتحقيق وبحث، فهو مسلم عامل بالإسلام لا ليرضي رعيته، ويجمع حوله شعبه، ولكن لأنه يعرف الإسلام حق المعرفة، فالإسلام يجري منه وجوداً في نبضات قلبه، ويتألق نوراً في خلجات نفسه، ويشع إشراقاً في تقاسيم وجهه، لذلك فهو يقيم أركان الإسلام بروحه وجوارحه، مؤمناً به، معتقداً في عدالته، ولا يرى الإسلام أبداً إلا حكماً وسياسة وعبادة، ولا يعتقد أن الإسلام يكون على حقيقته في نفوس المسلمين وأحكامه معطلة، بل هو على أتم استعداد لبذل روحه وماله وجاهه وكل ما يملك في سبيل إسعاد رعيته ما دامت مسلمة منفذة لأحكام الإسلام.

ولقد توفي الملك سعود في السادس من ذي الحجة ١٣٨٨هـ، الموافق ٢٤ يناير ١٩٦٩م في أثينا عاصمة اليونان، ونقل جثمانه إلى مكة المكرمة، وصلي عليه في الحرم المكي، ثم نقل إلى الرياض ودفن في مقبرة العود^(٤٦).

المبحث الثاني: الحسبة في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود:

لقد حظيت شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في عهد الملك سعود بكل عناية ورعاية واهتمام من قبله منذ كان ولياً للعهد، وذلك تنفيذاً لوصية والده الملك عبدالعزيز في البرقية التي وجهها إليه حين بويع ولياً للعهد في ١٦ محرم ١٣٥٢هـ، الموافق ١١/٥/١٩٣٣م، ومما جاء فيها: "... وعليك بالحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون ذلك كله على برهان وبصيرة في الأمر وصدق في العزيمة... إلخ"^(٤٧).

إن تلك البرقية التي أرسلها الملك عبدالعزيز إلى ابنه الأمير سعود بمناسبة تعيينه ولياً للعهد تتكون من ثلاث فقرات، وكانت أول فقرة من تلك البرقية تتضمن التأكيد على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون ذلك عن برهان ودليل قاطع، وبصيرة فيما يأمر به وينهى عنه. إنها وصية عظيمة من رجل عظيم كان يدرك أهمية هذه الشعيرة والمحافظة عليها، ولا شك أن تلك الوصية أكبر برهان ودليل على قيام هذه الدولة المباركة (المملكة العربية السعودية) - حفظها الله من حقد الحاقدين وحسد الحاسدين وأعداء الدين - على شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعنايتها ورعايتها لها، وذلك انطلاقاً من المنزلة العظيمة لهذه الشعيرة التي تمثل أحد الدعائم الرئيسة لقيام الدولة، وامثالاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^(٤٨).

لقد أدرك الأمير سعود بن عبدالعزيز أهمية شعيرة الحسبة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) والمحافظة عليها منذ كان ولياً للعهد، حيث يتبين ذلك من خلال توجيهه خطاباً إلى أهالي الزلفي في ٣٠/٢/١٣٦٢هـ يفيد بتعيين الشيخ عبدالله بن سليمان الرومي وإخوانه الثلاثة للقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد أوصاهم بتقوى الله تعالى ومراقبته في القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن بصيرة، وإشفاق على هداية الناس ونصحهم، وأن يكون ارتباطهم بقاضي البلدة^(٤٩).

إن هذا الخطاب يبين الجهود التي كان يبذلها الأمير سعود بن عبدالعزيز للمحافظة على شعيرة الحسبة، وكذلك حرصه على وجود من يقوم بهذا الأمر في كل مدينة وقرية في المملكة العربية السعودية.

ومما يدل على اهتمام الملك سعود بن عبد العزيز منذ أن كان ولياً للعهد بأمر الحسبة والقائمين عليها تفقده لأحوالهم من أجل تفرغهم لأداء المهمة المكلفين بها على أكمل وجه، وعدم انشغالهم بأمر أخرى كالبحث عن توفير لقمة العيش لهم ولأسرهم؛ أنه أصدر توجيهه الكريم للمسؤول عن المالية في الجمعة - حينذاك - عبد العزيز التويجري، بأن يخصص لعبد الله بن رومي رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الزلفي مصروفاً عينياً سنوياً عبارة عن تمر وقمح، وكذلك إخوانه الثلاثة.

ومما جاء في تلك الرسالة: "من سعود بن عبد العزيز... إلى عبد العزيز التويجري... قاعدة عبد الله بن رومي رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تكون مائتين وزنة^(٥٠) تمر وثمانين صاع عيش، وخوياه الثلاثة يكون الذي لهم على

مئة وخمسين وزنه تمر وعلى ستين صاع عيش ابتداءً من عيش الحاضر إن شاء الله...،
٢٠ / ٥ / ١٣٦٣ هـ^(٥١).

ومن خلال دراسة وتأمل ما جمعه الباحث من مصادر ومراجع فيما يخص الحسبة في عهد الملك سعود - رحمه الله - وجد الباحث أن الملك سعود كان له رؤية عامة وشاملة في نظام الحكم، وهذه الرؤية انعكست على جانب الاهتمام بأمر الحسبة، وقد كان منطلق الملك سعود هو المنطلق الإسلامي في كل شأن من شؤون الدولة، ولذا فقد حظيت الحسبة بأهمية كبيرة لدورها العظيم في الحفاظ على الهوية الإسلامية للدولة وما تقدمه من حماية للمجتمع من الفساد، ويمكن للباحث أن يحدد جوانب الاهتمام بالحسبة في عهد الملك سعود في الجوانب الآتية:

- ١- التنظيم الإداري للحسبة، والتجديد والتحديث فيه.
 - ٢- التوجيهات المباشرة وغير المباشرة من خلال خطابات الملك سعود وكلماته وأحاديثه.
 - ٣- القدوة العملية للملك سعود في أمور الحسبة.
 - ٤- جوانب مساعدة في زيادة نشاط الحسبة أو تحقيق أهداف متصلة بأهدافها.
- ولتوضيح الجوانب السابقة يذكر الباحث ما يأتي:

١- التنظيم الإداري للحسبة والتجديد والتحديث فيه:

ومن جملة اهتمام الأمير سعود بشعيرة الحسبة عندما كان ولياً للعهد أرسل خطاباً إلى نائب الملك في الحجاز الأمير فيصل بن عبدالعزيز برقم (٥٣٨٨) وتاريخ ١٠ / ٢ / ١٣٧٢ هـ يقضي بتعيين الشيخ عبدالملك بن إبراهيم آل الشيخ رئيساً للهيئة في مكة المكرمة، وربط الهيئات الأمرة بالمعروف في كل من المدينة المنورة وجدة والطائف

ارتباطاً كلياً بفضيلته في مكة المكرمة، وأن تكون مستقلة بذاتها، ومرجعه في ذلك نائب الملك في الحجاز، وأن يكون العمل في الهيئات المذكورة - كما هو متبع في هيئة الأمر بالمعروف في الرياض - وأن يكون تنظيم موازنتها والإشراف على تنفيذها من قبل الشيخ عبد الملك، وكذلك فيما يختص بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل جعل له الصلاحية المطلقة في الفصل والتعيين في موظفي تلك الدوائر^(٥٢).

بل إن الأمير سعوداً حينما كان ولياً للعهد أصدر تعليمات حلت محل التعليمات الموضوعة سابقاً للهيئات يجب أن تتمشى بموجبها هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المملكة العربية السعودية، ويتضح ذلك من خلال خطابه الموجه إلى الأمير فيصل بن عبدالعزيز نائب الملك في الحجاز حينذاك برقم (٥٣٤٥) وتاريخ ١٠ / ٢ / ١٣٧٢هـ بالعمل بموجب تلك التعليمات، وتبليغ الجهات المختصة بذلك، ونشرها في الجرائد المحلية^(٥٣). وقد تكونت تلك التعليمات من (١٦) ستة عشر بنداً. ومن بنود تلك التعليمات تشكيل هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل بلدة بحسبها، ومنها أيضاً أن للهيئات مطلق الصلاحيات في إنكار كل ما تراه منكراً شرعاً، وإلزام الجمهور بأداء الواجبات الشرعية، مقتدية في ذلك بهدي الرسول ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين من دعوة الناس بالحسنى والرفق بهم. ومما جاء في إحدى تلك البنود أنه على كل هيئة يوجد في منطقة عملها ميناء بحري أو جوي أو طريق بري ترد منه بضائع للمملكة أن تعين من قبلها موظفاً دائماً بذلك الميناء، أو بتلك الطرق لمعاينة الواردات منه للمملكة مع موظفي الجمارك لمنع ما هو ممنوع دخوله إلى المملكة فيما له صلة بعمل الهيئة^(٥٤).

لقد كانت الفترة التي حكم فيها الملك سعود البلاد امتداداً وتأصيلاً لتثبيت الأوضاع وترسيخ الاستقرار في مرافق الدولة بصفة عامة، وفي أعمال الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على وجه الخصوص، فقد أخذت الدولة

بالأساليب الحديثة في التشكيلات والأعمال الإدارية، وأنشئت لهذا الغرض أجهزة متخصصة في جميع المرافق تمشياً مع مقتضيات العصر، ولوازمه العصرية، وكانت السمة البارزة لتلك النظم هي التخصص في الأعمال والأنشطة سواء أكانت للإنتاج أم الخدمات أم الرقابة أم المتابعة أم غير ذلك من أنشطة^(٥٥).

وفي عهد الملك سعود نالت هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نصيبها من التحديث والتخصص في الأعمال والأنشطة، ففصلت منها بعض المهام أو التخصصات، وتقلصت نتيجة لذلك بعض أعمالها، وعلى أية حال فإن نزاع بعض المهام من الهيئة خلال تلك الفترة لا يقلل من شأنها؛ لأن ما انتزع منها كان بحاجة إلى تخصص دقيق لأدائه، وليس بمقدورها وحدها أدائه والاحتساب فيه في ظل الظروف المتطورة والتقنيات الحديثة، وإلا لأنشئت بها معامل لتحليل العينات، وللمواصفات والمقاييس بالنسبة للمصنوعات. أما بالنسبة للأعمال المنوطة بها فقد بقيت من أعمالها، وهي الاحتساب في الأمور الدينية خاصة فيما يتعلق بالمحافظة على سلامة العقيدة، والعبادات وما يتعلق بأدائها وشعائرها، وكثير من المعاملات والأخلاقيات التي أمر بها الإسلام ونهى عن غيرها.^(٥٦)

ونظراً للتطور الإداري الذي حدث في عهد الملك سعود تم إنشاء أجهزة رقابية متخصصة صدرت لها عدة أنظمة للقيام بأعمال المراقبة والمتابعة حتى تتواءم مع الأساليب المعاصرة، وتحقق في الوقت نفسه الهدف الأسمى من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن تلك الأجهزة التي حدد لها أنظمة ما يأتي:^(٥٧)

١- نظام ديوان المظالم:

الصادر بالمرسوم الملكي رقم ١٣/٢/٨٧٥٩، وتاريخ ١٧/٩/١٣٧٤ هـ.

٢- نظام جرائم الرشوة والتزوير:

الصادر بالمرسوم الملكي رقم ٤٣، وتاريخ ٢٩/١١/١٣٧٧هـ.

٣- نظام مكافحة الغش التجاري:

الصادر بقرار مجلس الوزراء رقم ٦٠١، وتاريخ ٦/٨/١٣٨١هـ والمتوج بالمرسوم الملكي رقم ٤٥، وتاريخ ١٤/٨/١٣٨١هـ.

٤- نظام المعايير والمقاييس:

الصادر بالمرسوم الملكي رقم ٢٩، وتاريخ ١٣/٩/١٣٨٣هـ، بناءً على قرار مجلس الوزراء رقم ٦٢٧ وتاريخ ٢/٩/١٣٨٣هـ.

٥- نظام الأوراق التجارية والمذكرة التفسيرية:

الصادر بالمرسوم الملكي رقم ٣٧، وتاريخ ١١/١٠/١٣٨٣هـ، بناءً على قرار مجلس الوزراء رقم ٦٩٢ وتاريخ ٢٦/٩/١٣٨٣هـ^(٥٨).

لا شك أن إنشاء تلك الأجهزة الرقابية التي صدرت في عهد الملك سعود أسهمت إسهاماً فعالاً في المراقبة والمتابعة الدقيقة، وكان لها انعكاسات إيجابية على شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كان عهد الملك سعود عهد نهضة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد تم في عهده افتتاح فروع عديدة للهيئة في جميع أنحاء المملكة^(٥٩). بعد أن كانت تلك الهيئات مقصورة على المدن الرئيسية، لذلك -وبناءً على رغبته - تم إنشاء (١٢١) مئة وواحداً وعشرين مركزاً لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحجاز وتهامة. وقد أسند الملك سعود - كما سبق - منصب رئاسة جميع هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تلك المناطق إلى فضيلة الشيخ عبدالملك بن إبراهيم آل الشيخ^(٦٠). ومن المراكز الرئيسية في تلك المناطق: مكة المكرمة، المدينة المنورة، جدة، الطائف، أبها، جيزان، نجران، تبوك، بلجرشي، القنفذة، أملج، بيشة، وكان مقر

الرئاسة لتلك الهيئات في مكة المكرمة، وبلغ عدد الموظفين التابعين لجميع تلك الهيئات سنة ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م (٩٠٠) تسعمئة موظف من دون الجنود التابعين لها^(٦١).

٢- التوجيهات المباشرة وغير المباشرة من خلال خطابات الملك سعود وكلماته وأحاديثه:

يورد الباحث مجموعة من خطابات الملك سعود وكلماته في المناسبات المختلفة تشمل على تلك التوجيهات:

١- من أقوال الأمير سعود: التي أكد فيها على عنايته واهتمامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عندما أصبح ولياً للعهد قوله: "سأبذل الاجتهاد - إن شاء الله - في سبيل كلمة التوحيد، وتقويم الشريعة المحمدية، والنصح للإسلام والمسلمين ظاهراً وباطناً، والنصح لولايتهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة ذلك على كل كائن من كان"^(٦٢).

إن تلك الكلمات التي صدرت عن الأمير سعود بن عبدالعزيز عندما كان ولياً للعهد لتوضح لنا مدى حرصه الشديد على شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واهتمامه بها، وجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ماثلاً أمام عينيه في تصريف شؤون الدولة، وذلك إنفاذاً لوصية والده له، وتمشياً مع ما تربي ونشأ عليه، وإدراكاً منه لأهمية هذه الشعيرة الدينية العظيمة في التمكين، واستقرار دعائم الدولة.

٢- الخطاب الذي ألقاه في افتتاح مجلس الشورى:

ومما يبرهن ويوضح عناية واهتمام الأمير سعود بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أثناء ولايته للعهد الخطاب الذي ألقاه في افتتاح مجلس الشورى بمكة المكرمة عام ١٣٦٥هـ، ومما جاء في ذلك الخطاب القيم ما يأتي:

"... نحن لا نريد لهذه البلاد إلا كل إصلاح يعود على الأمة بالهناء والرفاهية والخير الكثير، وأكبر ما نتمسك به هو كلمة التوحيد، والحرص عليها، وبث التعاليم الإسلامية والعقيدة الصحيحة، والحرص على الصلوات في أوقاتها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٦٣). قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^(٦٤).

٣- خطاب ولي العهد لأمرء غامد وزهران:

ومما يدل على عناية الأمير سعود بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومدى ما تمثله تلك الركيزة من مكانة لديه؛ فقد وجه خطاباً عندما كان ولياً للعهد لأمرء غامد وزهران يحثهم فيه على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد كان خطاباً مطولاً وشديد اللهجة انتقد فيه الأوضاع في بلاد غامد وزهران، أشار فيه بأن الجهل والضلال متفشٍ في بلاد غامد وزهران، ووجود أمور مخالفة للشرع، تأبأها الفطرة السليمة، ومنها إعراض الناس عن دين الله، لا يتعلمون ولا يعملون به، والتكاسل عن الصلوات في الجمع والجماعات حتى أصبحت أكثر المساجد مهجورة، وليس لذلك منكر ولا مغير، وانتقد كذلك اختلاط الرجال بالنساء في الأسواق والطرقات وهنّ كاشفات الوجوه، كما انتقد خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية، وذكر أن ذلك محرم في الشرع، وطلب من الجميع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد حرر هذا الخطاب في ٢٣/٧/١٣٧١هـ، الموافق ١٨/٤/١٩٥٢م^(٦٥).

يتضح من هذا الخطاب الموجه من قبل الأمير سعود - رحمه الله - إلى أمرء غامد وزهران وغيرهم عندما كان ولياً للعهد تأكيده الشديد على أمرء تلك الجهات بإحياء شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد التقاعس عن القيام بها بين سكان

تلك الجهات من الدولة، مما أدى إلى تهاون كثير من الناس في تلك الجهات بأمر الدين، فتنفشت بعض الأمور المنافية لعقيدة التوحيد التي قامت عليها هذه الدولة المباركة. وأكد في خطابه على أن مسؤولية القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تلك الجهات تقع على المسؤولين في الدولة من الولاة والأمراء والقضاة أكثر من غيرهم.

٤ - الخطاب الذي وجهه الملك سعود للعلماء ورجال القضاء والأمر بالمعروف بمنطقة الظهران:

ومما يدل على اهتمام ورعاية الملك سعود للحسبة والقائمين عليها، أنه عندما يوجه خطاباً للمسؤولين في الدولة يكون رجال الحسبة في مقدمة أولئك المسؤولين في توجيهاتهم لهم، ويتضح ذلك من خطابه الذي وجهه للعلماء ورجال القضاء والأمر بالمعروف بمنطقة الظهران حين زيارته للمنطقة الشرقية بتاريخ جمادى الآخرة ١٣٧٣هـ الموافق ١٦ نوفمبر ١٩٥٣م، ومما جاء فيه: "... واعلموا أنه أهم ما وجهنا إليه ديننا هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن الواجب أن نحرض على تحقيقه، والإخلاص في إبلاغه، والقيام به في رفق وبالحسن"^(٦٦).

٥ - كلمة الملك سعود في أول جلسة لمجلس الوزراء برئاسته:

لقد أكد الملك سعود في أول جلسة لمجلس الوزراء برئاسته بعد توليه الحكم، والتي عقدت في ٢ رجب ١٣٧٣هـ، على التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأن الدين يأتي في المقام الأول قبل كل شيء، وقد حث الناس في تلك الجلسة على أن يلتزموا بكل ما يأمر به الشرع الإسلامي، ويمتنعوا عن كل ما ينهى عنه؛ لأن في ذلك خيري الدنيا والآخرة، ولأنه ليس شيء من الخير إلا أمر به الإسلام، وليس شيء من الشر إلا نهى عنه الإسلام.^(٦٧)

إن الملك سعود بين النهج الذي سوف يسير عليه خلال حكمه للبلاد، وهو التمسك بالعقيدة الصافية والتوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى، واتباع كل ما أمر به الشرع الإسلامي، والامتناع عن كل ما نهى عنه الشرع الإسلامي، وهذا النهج هو النهج نفسه الذي سار عليه والده مؤسس المملكة العربية السعودية، ومن قبله أئمة الدولتين السعوديتين الأولى والثانية أيضاً.

فعلى الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أن يكونوا مثلاً حسناً في الدعوة إلى الله امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(٦٨). وفي الحقيقة إن خطاب الملك سعود هذا يعد توجيهاً رفيعاً في التعامل مع المحتسب عليه.

ولم تكن جهوده في الأمر بالمعروف مقتصرة على فئة معينة، بل خاطب أمراء المناطق والمسؤولين في الحكومة، وحثهم على طاعة الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك امتثالاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٦٩).

٦- من توجيهات الملك سعود إلى الموظفين في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ومن حرص الملك سعود على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر توجيهاته السديدة، المؤرخة في ١٨ رمضان سنة ١٣٧٤هـ، إلى كل أمر بالمعروف، وناه عن المنكر، وكل أمير أو مسؤول في المملكة العربية السعودية، ومما جاء في تلك التوجيهات السديدة:

"من سعود بن عبد العزيز إلى كل من يراه من بيده سلطة تنفيذية في مملكتنا من أمر بالمعروف، وناه عن المنكر، ومن أمير أو مسؤول، نوجه خطابنا هذا:... ولهذا رأينا

أن نلفت نظر سائر المكلفين بتنفيذ الأحكام أن يراقبوا الله في تصرفاتهم بأن يأخذوا الرعية بالحسنى، وأن يلتزموا حدود الله في تصرفاتهم، ولا يتعدوها قيد شعرة. فالشعب... سامع ومطيع، ولا يحتاج الغافل أو الجاهل إلا إلى تنبيه أو زجر بالحسنى لينقاد ويسمع ويطيع لكل ما يؤمر به، ولهذا ينبغي ألا تستعمل القوة في معاملة الناس حيث ينفع لين الجانب، كما أنه لا يتمادى في لين الجانب إذا لم ينفع في الأمر إلا كبح الجماح بالشدة...^(٧٠).

إن هذا التوجيه الرفيع من الملك سعود إلى كل من بيده سلطة تنفيذية في المملكة العربية السعودية سواء الموظفين في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو الأمراء وغيرهم من المسؤولين كذلك، كان توجيهاً واضحاً وصريحاً بأن لا يقسو الموظف في الهيئة على الشخص الغافل أو الجاهل فيما يأمر به أو ينهاه عنه، خاصة في الأمور التي لا تحتاج لقسوة أو شدة، وأن يعامل الناس بلين الجانب، من دون تماد في لين الجانب لمن لا ينفع معه في كبح جماح إلا استخدام الشدة.

وعن عناية الملك سعود بجهاز الحسبة ومتابعته للقائمين عليها، وحرصه على نشر الفضيلة، ومحاربة الرذيلة في جميع أرجاء المملكة العربية السعودية أرسل الملك سعود رسالة إلى أمير الوجه ناصر بن عبد الله مؤرخة في ٢٨/٩/١٣٧٣ هـ يخبره فيها بتوجه الشيخ عبد الملك بن إبراهيم آل الشيخ لإرشاد الناس وبذل النصيحة لهم. وأمره بتشكيل هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الوجه، وتكون مرتبطة به ارتباطاً كلياً، وينبغي مساعدته بكل ما أمكن لتحقيق الغاية التي ينشدها الملك سعود، وهي القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الوجه المطلوب، حيث إن ذلك من أولويات اهتمامات الملك سعود^(٧١).

ومما لا شك فيه أن الملك سعوداً كان مهتماً بشعيرة الحسبة أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذلك القائمون عليها في جميع أنحاء المملكة؛ حيث إن الملك سعوداً أرسل الشيخ عبد الله بن سعد العبدلي الغامدي إلى بلاد غامد وزهران، ومعه خطاب من الملك إلى أمراء تلك الجهات بمساعدته وتعزيز مهمته في أداء المهمة العظيمة الواجبة على الجميع، والحرص في ذلك غاية ما يكون، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٧٢).

كل ذلك الاهتمام من الملك سعود بالحسبة، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمتابعة الدقيقة للقائمين عليها إنما يدل على عنايته وحرصه الشديد بهذه الشعيرة العظيمة في الدين الإسلامي.

٧- من توجيهات الملك سعود في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لقد حذر الملك سعود المتهاونين في أمور العقيدة وأحكام الشرع، وفي هذا الشأن قال: "... وقد نُمي إليّ أن بعض الغلاة المتطرفة الجهال يرون في التنكب^(٧٣) عن هذا الصراط المستقيم خيراً، وأن التمسك به والثبات فيه جمود. وقد أعماهم الله عن حقائق الأمور فلم يروا أن هذا المُلْك لم يَقم إلا على الدين، وأن هذه الأمة العربية كانت في جاهليتها تائهة في ببداء التردّي والجهالة والفرقة والضعف، حتى منّ الله عليها بهذا الدين الحنيف...، راح أعداؤنا يستغلون جهالة جهالنا، وخساسة المنتطحين منا، لإفساد عقيدتنا، فيأتون ما حرم الله، ويتهكون حرمة ما حرم الله، ويقدحون في عقيدتنا من هنا وهناك. فإلى هؤلاء خاصة، وإلى جميع أبناء شعبي عامة أوجه قولِي وأخص إنذارِي... فمن والانا في ذلك والينا، وعرفنا له حقه وقربناه، ومن شذ عنا في ذلك واتخذ السفه والجهالة والمروق مركباً، فليأذن من الله، ثم منّا مجرب لا هوادة فيها ولا رحمة، فلا نعترف بقربى أو كبر كبير. فمن اختزن جهالته لنفسه في صدره،

فالله حسبنا عليه وهو نعم الوكيل، ومن جهر بالمعصية وجاهر بها فأحكام الشريعة تكفيننا شره، وحكم الردة معروف، والحلال بين، والحرام بين".^(٧٤)

٨- خطاب الملك الذي أرسله إلى جميع أمراء المناطق والمسؤولين في الدولة، ومنهم رؤساء الهيئات:

ولقد كان الملك سعود حريصاً على إقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم الغفلة أو التهاون في ذلك الأمر، ويتضح ذلك من خلال أحد خطاباته الذي أرسله إلى جميع أمراء المناطق والمسؤولين في الدولة، ومنهم رؤساء الهيئات يذكرهم فيه بما سبق أن وجهه إليهم من نصح وتوجيه وإرشاد في ولايتهم لأمر المسلمين، ومما جاء في ذلك الخطاب المؤرخ في غرة صفر ١٣٧٥ هـ الموافق ١٩ سبتمبر ١٩٥٥ م:

"... بارك الله فيكم... ولا تقصروا أنفسكم عن أي أمر ترونه مخالفاً بالدين أو في مصالح المسلمين أن تثبتوا فيه قبل كل شيء من أهل الدين وأهل الخير والصلاح، ثم ترفعوه إلينا، فهذا تبرأ ذمتكم، وتقومون بالواجب عليكم؛ لأنه يهمني أمر المسلمين، وتفقد أحوالهم ومواساتهم، ثم بعد ذلك القيام بأوامر الله، وتفقد من ولاكم الله عليهم بما يصلح دينهم وعقائدهم، ويعزز هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحكمة وروية كما في كتاب الله العزيز: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٧٥) ومؤازرة أهل الخير وجعلهم بطانة لكم؛ لأن المرء من جليسه، فهذا قد برأت ذمتي، وأعطيتكم التعليمات اللازمة، وأنا اعتقادي بكم إن شاء الله طيب، ولولا ذلك ما وليتكم على أمور المسلمين، ولكن يجب عليّ نصيحتكم وتوجيهكم لما فيه خير لرعيتي وبلادتي، وخوفاً من مسؤوليتي أمام الله...^(٧٦).

ومما لا شك فيه أن رجال الحسبة الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر كانوا يلقون الدعم والتوجيه اللا محدود من الملك سعود بن عبدالعزيز، فلا تكاد تمر مناسبة دينية؛ أو يوجه خطاب إلى المسؤولين في الدولة إلا ويكون رؤساء الهيئات من أوائل المعنيين بتلك التوجيهات الكريمة، والتي يحثهم فيها على القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم التهاون والتقصير في ذلك الأمر الذي يعد ركيزة أساسية من ركائز الدين، وذلك تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾^(٧٧).

وبخصوص الحسبة وعناية الملك سعود بهذا الجهاز المهم في الدولة، وحرصه الشديد على أن تكون الحسبة في المملكة العربية السعودية تسير وفق نظام ثابت وواضح؛ كانت هناك مكاتبات بين الملك سعود والشيخ محمد بن إبراهيم المسؤول عن الحسبة - حينذاك - حيث أرسل الشيخ محمد بن إبراهيم خطاباً للملك سعود بخصوص نظام الحسبة مؤرخ في ١٠/١/١٣٧٧هـ.

وبين الشيخ محمد بن إبراهيم في خطابه أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن ذلك من أعظم ما فرضه الله على عباده، لقوام الدين والدنيا. وذكر الشيخ محمد في ذلك الخطاب أنه يتعين اتخاذ منهج شرعي لرجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونظام يضمن الغاية المقصودة.

ومن أهم ذلك تقسيم رجال هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: مراقبون في الأسواق والشوارع وأحياء البلد ولاسيما ما يغلب على الظن وجود المعاصي فيه. ويكون ذلك عاماً ليلاً ونهاراً حسب الإمكان.

القسم الثاني: جهة قضاء، وهي الرئاسة العامة لرجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي المرجع النهائي في إثبات ما يرفع إليها وعدمه، ووظيفتها إثبات ما رفع إليها وعدمه شرعاً. وتكتب ما ثبت لديها، وتبين عقوبته الشرعية جنساً وقدرًا. وذلك في جميع عقوبات الجلد والسجن وما دون ذلك، لا فرق بين الحدود والتعزيرات في ذلك، ثم بعد ذلك تحيله إلى القسم الثالث وهو قسم التنفيذ، ووظيفته التنفيذ فقط^(٧٨).

ولحرص الملك سعود على تنظيم الحسبة والصلاحيات المخولة لها؛ بعث بخطاب إلى الشيخ محمد بن إبراهيم برقم ١٦/٨/١٥٦ مؤرخ في ١١/١/١٣٧٧هـ يطلب منه فيه توضيح القسم الثاني من نظام الحسبة الذي تم رفعه إليه من قبل رئيس الحسبة، ومما جاء في ذلك الخطاب: "... القسم الثاني جهة القضاء يجب توضيحها:

هل رئيس الحسبة يحق له البت في الأمور الشرعية؟ وهل فضيلتكم تجيزون هذا شرعاً؟ وإذا كان الأمر كذلك فليس عندنا مانع، أما إذا كان القصد غير هذا فيجب توضيحه لنا، والعمدة في إنهاء الأمر إلى المحاكم الشرعية كما هو جار الآن. والقصد من ملاحظتنا لأجل نضع النظام على ما نتفق عليه معكم..."^(٧٩).

٩- الخطاب الذي وجهه مباشرة إلى القضاة والعلماء والأمراء ورؤساء الهيئات وغيرهم:

لإدراك الملك سعود بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسؤولية مشتركة بين الحكام والقائمين على هذه الشعيرة، ولحرصه الشديد على أن تؤدي هذه المهمة العظيمة على الوجه المطلوب قام بتوجيه القائمين عليها بخطاب خاص في عام ١٣٧٧هـ وجهه مباشرة إلى القضاة والعلماء والأمراء ورؤساء الهيئات وغيرهم،

ويتضح من ذلك الخطاب عناية الملك سعود بأمر الحسبة والقائمين عليها، ومما جاء في ذلك الخطاب:

"من سعود بن عبدالعزيز إلى من يراه من القضاة والعلماء والأمراء ورؤساء الهيئات وغيرهم... فأتم تفهمون - بارك الله فيكم - أن الناس ما لهم في أمر دينهم وديناهم إلا الرجوع إلى ربهم والالتجاء إليه، وعدم الغفلة عما ينفعهم في أمر دينهم وديناهم، ونحن ما يليق منا السكوت، بل يجب علينا القيام بما يلزمنا لخالقنا وللمسلمين. ومما أني أرى فتوراً وتساهلاً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتقصيراً عظيماً في ذلك من الهيئات وغيرهم؛ مع أننا لم ندخر وسعاً في تعزيز الهيئات ومناصرتها، ولكن الهيئات دائماً وأنا أسمع وأرى أن معهم تكاسلاً وفتوراً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو واجب على كل مسلم ومسلمة...، ونحن والحمد لله مستعدون لمساعدتهم ونصرتهم في كل ما يتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخذ على أيدي السفهاء، ولا أعلم أنهم رفعوا لنا شيئاً في ذلك وقصرنا، وقد فشت في الناس أمور كثيرة...، فيجب على الجميع إنكارها والأخذ على أيدي أهلها، خوفاً عليهم وعلى المسلمين، وقياماً بما أوجب الله على عباده. ومن هذه الأمور التهاون بالصلاة والتخلف عنها في المساجد وهي عمود الدين، فالواجب الاهتمام بها، وحث الناس على المحافظة عليها وتأديب من تخلف عنها...، ومنها: تبرج النساء وخروجهن بالزينة، وسفور بعضهن، وهذا من أقبح المنكرات وأعظم أسباب الفساد والهلاك، فيجب إنكار هذه المنكرات وغيرها، وإزالتها بصدق وحزم وبصيرة، والتعاون التام على ذلك من جميع أفراد الشعب..."

وليس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاصاً بالهيئات الرسمية، بل هو واجب على كل مسلم ومسلمة ولا يعذر أحد في ذلك، ولكن الواجب على الهيئات والعلماء والقضاة والأمراء من ذلك أكبر من غيرهم، لأن لهم من القدرة ما ليس

لغيرهم. وبالجملة فالذي أوصيكم به ونفسي تقوى الله تعالى وطاعته، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومساعدة هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونصرتهم والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى على هدى وبصيرة...، كما أوصيكم بالأخذ على أيدي السفهاء وإزالة جميع المنكرات، والحذر من غضب الله وحلول عقابه؛ لأن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه...، فاتقوا الله يا معشر المسلمين، وقوموا بما ألزمكم الله به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاستقامة على أمر الله، والحذر من محارمه، وهذا شيء واجب على الجميع، وأنا ألزمكم وأكلفكم بذلك، طاعة لله ورسوله، وبراءة للذمة، وحرصاً على سلامة المسلمين ونجاتهم في الدنيا والآخرة، والله سائلنا وسائلكم، ومجاز كلاً منا بعمله...، في ٦ رمضان سنة ١٣٧٧ هـ سعود بن عبدالعزيز^(٨٠).

يتضح من هذا الخطاب الذي وجهه الملك سعود إلى القضاة والعلماء والأمراء ورؤساء الهيئات خاصة وغيرهم، حرص الملك سعود على أهمية القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جميع أرجاء البلاد، وذلك عندما رأى فتوراً وتساهلاً وتقصيراً في هذا الأمر سواء من الهيئات أو غيرهم من المسؤولين في الدولة، مما أدى إلى وجود بعض المخالفات الشرعية، بل إن الملك سعوداً أبدى استعداداً لمساعدة ونصرة رجال الحسبة في كل ما له علاقة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أكد في خطابه هذا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الجميع، ويتأكد بشكل أكبر على الهيئات والعلماء والقضاة والأمراء؛ لأن لديهم سلطة وقدرة دون غيرهم من أفراد المجتمع.

كما يتبين من هذا الخطاب تدين الملك سعود والتزامه بتعاليم الدين الإسلامي قولاً وعملاً، وهو أمر ليس بمستغرب عليه، حيث إن ذلك النهج الذي انتهجه الملك

سعود يعد استمراراً لنهج والده المؤسس، ومن سبقهما من أئمة آل سعود في الدولتين السعوديتين الأولى والثانية.

١٠- من توجيهات الملك سعود الكريمة لرجال الحسبة الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر:

لقد وجه الملك سعود خطاباً لرجال الحسبة حضهم فيه على القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل حزم وعزم، فقال: "تعلمون - بارك الله فيكم - أن الله سبحانه وتعالى خلقنا لتوحيده وطاعته، وأمرنا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...، أن الوقت وقت متغير، والدعايات السيئة تبذل بكل نشاط وهمة لأجل إبطال الدين، وإدخال العقائد الفاسدة على المسلمين، وخصوصاً على الجيل الجديد، وأنتم مسؤولون أمام الله يوم القيامة على القيام بواجباتكم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالأخص الصلاة التي هي عمود الإسلام، والتي قال فيها رسول الله ﷺ: "أعهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر". فالذي أوصيكم به ونفسي تقوى الله سبحانه وتعالى في السر والعلانية، والقيام بما أوجبه الله علينا وعليكم، ونحن - إن شاء الله - معكم وفي صفكم، والحمد لله عصاكم سيف، قوموا بدين الله وحضوا الناس على عمل الخير، وانصحوا المسلمين، وأرشدوهم إلى سبيل الحق، فمن كابر فارفعوا أمره إلينا وتبرأ ذمتكم. أما من اهتدى فنسأل الله أن يزيده من التوفيق والهدى، ومن آثر هواه على هداه، وشهوته على مراد الله ورسوله فسنجازيه بالعقوبة الصارمة...^(٨١).

١١- خطاب الملك سعود للأمرء والقضاة ورجال الحسبة في جميع أرجاء الدولة:

كما أن الملك سعوداً وجه خطاباً للأمرء والقضاة ورجال الحسبة في جميع أرجاء الدولة، وكان ذلك بتاريخ ٢٩/١١/١٣٨٠هـ، حث فيه الأمرين بالمعروف

والناهين عن المنكر على القيام بواجبهم كما أمر الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ، ومما جاء في ذلك الخطاب: "... وواجب الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أن يقوموا بواجبهم كما أمر الله ورسوله، قال تعالى: ﴿ وَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٨٢)، وقال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾^(٨٣)، هذه هداية القرآن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ونحن على علم بالمعروف الذي يأمر به، وعلى علم بالمنكر الذي ينكره الإسلام، فعلى جميع أمرائنا وقضاتنا وهيئات الأمر بالمعروف أن يمتثلوا أوامر الله؛ لأننا مسؤولون أمام الله فيما نبدئ ونعيد مما ولانا الله الأمر فيه، ولا عذر لأحد في إهمال تنفيذ ما أمر الله به، كما لا عذر لأحد في تجاوز حدود الله سبحانه وتعالى...^(٨٤).

١٢ - أقوال وكلمات ماثورة عن الملك سعود:

ومن شدة اهتمام الملك سعود بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعنايته بتلك الشعيرة، هناك بعض الأقوال أو الكلمات الماثورة عنه وجهها إلى المسؤولين في الدولة، وخاصة القائمين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للامثال لأوامر الله سبحانه وتعالى، ومن تلك الأقوال إحدى كلماته التي حفظها التاريخ، وسجلها له، فقد جاء فيه: "... فكلكم يعلم ما أحيط بنا من الدعايات والأقوال لمحو الإسلام ومبادئه، واستبدالها بمبادئ ما أنزل الله بها من سلطان، فواجب الراعي والرعية التنبيه لهذا الأمر، وتثبيت دعائم هذا الدين في هذا البلد الأمين...، وواجب الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أن يقوموا بواجبهم كما أمر الله ورسوله ع قال تعالى:

﴿ وَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٨٥)، وقال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ

وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿٨٦﴾...، هذه هداية القرآن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ونحن على علم بالمعروف الذي يأمر به، وعلى علم بالمنكر الذي ينكره الإسلام، فعلى جميع أمرائنا وقضاتنا وهيئات الأمر بالمعروف أن يمتثلوا أوامر الله؛ لأننا مسؤولون أمام الله فيما نبدي ونعيد مما ولانا الله الأمر فيه" (٨٧).

ومن أقواله: "خير ما أنصح به نفسي، وأنصح به إخواني المسلمين، والعرب، أن يتمسكوا بالدين، ليرشدكم إلى طريق الخير والفلاح، فهو السبيل الوحيد إلى سعادة الدارين إن شاء الله تعالى" (٨٨).

وقوله أيضاً: "خيركم من يحبكم وتحبونه، وشركم من يلعنكم وتلعنونه؛ فلينظر الإنسان في اختيار الطريق التي تؤدي به إلى أحسن المسالك، ولا شك أنها: العمل الصالح" (٨٩)؛ وهذا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٩٠).

ومن أقواله أيضاً: "يجب على الإنسان أن يبذل النصح لنفسه، ثم لإخوانه العرب والمسلمين، كما يجب أن يحسن النية لكي يكون عمله صالحاً، ومقبولاً عند الله" (٩١).

٣- ومما يذكر في جانب القدوة العملية للملك سعود في أمور الحسبة:

أ- توجيهاته السديدة بإحياء سنة كانت متروكة، وهي إعادة الأذان الأول قبل دخول وقت الفجر:

لقد قصد الملك سعود - رحمه الله - المسجد الحرام؛ للطواف حول البيت، وأداء صلاة المغرب مع جموع المسلمين في مساء يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر المحرم سنة ١٣٧٥هـ الموافق ٨ سبتمبر ١٩٥٥م ولما انتهى من الصلاة؛ تقدم إليه

جمع من أصحاب الفضيلة العلماء، وأوضحوا له أن الأذان الأول المسنون؛ الذي يؤذن قبل دخول وقت الفجر بقليل؛ قد ترك العمل به منذ مدة، وبينوا أن هذا الأذان الأول فضلاً عن كونه سنة نبوية؛ فإنه يعين المصلين على معرفة اقتراب وقت الفجر، وعلى الفور أصدر الملك سعود أمره بإحياء هذه السنة المتروكة، وأن يؤذن الأذان الأول قبل أذان الفجر بنصف ساعة^(٩٢) ابتداءً من يوم السبت الثاني والعشرين من المحرم من السنة نفسها^(٩٣).

ب- إمامته لجموع المصلين بالحرمين:

ذكرت بعض المصادر أن الملك سعود بن عبدالعزيز - رحمه الله - أمّ المصلين (بالمسجد الحرام) في صلاة المغرب يوم الخميس السادس من ذي الحجة عام ١٣٧٦ هـ، كما أمّ المصلين (بالحرم النبوي) في صلاة الجمعة ١٧/٨/١٣٧٧ هـ، وتكرر ذلك أيضاً يوم الجمعة ٢١/٦/١٣٧٨ هـ^(٩٤).

ج- معاقبة أحد أبناء الملك لتخلفه عن صلاة الفجر مع جلالته:

ومن المواقف أيضاً ما قاله الشيخ حسنين محمد مخلوف^(٩٥): "ومن طريف الأنباء ما سمعته من الأستاذ ناظر المدرسة أن أحد أبناء الملك سعود تخلف عن صلاة الفجر مع جلالته في وقتها، فأمر ناظر المدرسة بحجسه يوماً عن الخروج في أوقات الفسحة عقاباً له، ونفذت العقوبة فوراً"^(٩٦).

٤- ومن الجوانب المساعدة في زيادة نشاط الحسبة أو تحقيق أهداف متصلة بأهدافها:

أ- الاستعانة بأفراد الهيئة لتوزيع العوائد:

لقد جرت العادة من قبل أن يفد على الرياض في مطلع كل سنة جديدة كثير من أبناء القبائل في القرى والبوادي والهجر لأخذ العوائد التي كانت قد خصصت لهم كل سنة، ولكن الملك سعوداً رأى ألا يكبد هؤلاء عناء السفر من أماكنهم إلى الرياض

لاستلام تلك العوائد، فأمر بتشكيل هيئات خاصة، ومن تلك الهيئات مندوب من هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في البلد الذي توزع فيه تلك العوائد، تتولى تلك الهيئات مهمة التوزيع عليهم في أماكن إقامتهم دون الحاجة إلى مجيئهم للرياض، وفي ذلك الشأن صدر عن الملك سعود بيان حكومي أعلن فيه عن الإجراء الجديد الدال على عنايته بالمعروف والإحسان إلى الناس والرأفة بشعبه، والشفقة على رعاياه، ومما جاء في ذلك البيان:

"من سعود بن عبدالعزيز إلى من يراه من قبائلنا وأهل الوفادة منهم...، فإن أكبر ما يهمننا هو العمل على ما فيه أمر صلاح دينكم ودنياكم، وغايتنا الوحيدة أن نسعى إلى ما فيه راحتكم وتخفيف العناء عنكم، وقد اعتدتم الوفادة في الرياض كل سنة لاستلام عوائدكم وقد رأينا عدم تكليفكم عناء السفر في كل سنة مما يشق عليكم، ويجهدكم مالا وبدناً، ورأينا...، أن نكلف هيئات من قبلنا تصلكم إلى هجركم وبلدانكم، وتسلم كل إنسان عاداته بيده بغير أن يتكلف مشاق السفر إلى الرياض...، ومن أجل ذلك فاعتباراً من أول شهر ذي الحجة ١٣٧٣هـ قد أمرنا بإلغاء المناخة^(٩٧) إلغاءً تاماً، وعلى المستحقين انتظار الهبات التي تصلهم بمشيئة الله مع الهيئات من أول السنة الجديدة...^(٩٨)."

ومن الوثائق التي تشير إلى ذلك التنظيم الجديد رسالة مرسله من رئيس الخاصة الملكية إلى أمير وادي الدواسر ومما جاء في تلك الرسالة:

"حضرة أمير الوادي: بعد التحية متوجه إلى طرفكم كُتِّب الخاصة الملكية^(٩٩) ومعهم دفاتر عوائد شرهات وصدقات الوادي ومبلغ (١٦٥٤٠٥) ريال، وحسب أمر صاحب الجلالة مولاي الملك المعظم تأمرون بتشكيل الهيئة كالعادة: مندوب من الإمارة، ومندوب من القاضي، ومندوب من الأمرين بالمعروف، واثنين أو ثلاثة من

أعيان البلاد الذين يعرفون الأشخاص لتوزيع العوائد بموجب التعليمات التي تمشون عليها في العام الماضي، والله يرداكم،، ٢٢/٣/١٣٧٦ هـ رئيس الخاصة الملكية^(١٠٠).

ب- نشر الوعي الإسلامي بين المساجين:

إن عناية ورعاية الملك سعود بشأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر امتدت لتشمل المساجين فقد أمر رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مكة المكرمة فضيلة الشيخ عبدالملك بن إبراهيم آل الشيخ بأن يبعث من قبله وعاضاً ومرشدين لجميع المدن الهامة في الحجاز لكي يلقوا في المساجين دروساً ومواعظ دينية، يبينون لهم فيها أوامر الله ونواهيه، ويشرحون لهم بأسلوب حسن الحكمة الإلهية من العقوبات المفروضة التي يفترض على ولي أمر المسلمين أن يطبقها على القاتل أو السارق ومتهكي حرمة المسلمين والمعتدين عليهم حتى يرتدع هؤلاء عن العودة إلى الخطيئة والمعصية مرة أخرى.^(١٠١)

ج - بناء المساجد وإعمارها:

لقد حرص الملك سعود على عمارة ورعاية بيوت الله في جميع أنحاء المملكة، وتوفير كل ما تحتاج إليه مما يعين على طاعة الله، وتبليغ كلمته إلى الناس أجمعين، وخاصة الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة فقد حظيا بالإعمار والتوسعة والعناية من قبله^(١٠٢).

د- رعايته لمؤسسات التعليم الشرعي:

لقد اهتم الملك سعود بمؤسسات التعليم الشرعي اهتماماً بالغاً سواءً من حيث الإنشاء، أو من حيث الدعم والرعاية ومنها ما يأتي:

١- المعاهد الدينية، والتي زاد عددها في عهد الملك سعود من معهد واحد إلى عشرين معهداً، وكان مما تهدف إليه تعليم الدين الإسلامي والأخلاق الإسلامية لنشر ذلك في المملكة والقيام بالدعوة إلى الإسلام التي أمر الله بها في سائر أرجاء المعمورة.

٢- الاهتمام بالعلم الشرعي في مراحل التعليم العام، لتكون هذه المدارس في منأى عن كل شبهة من المؤثرات التي تؤثر على النشء في أخلاقهم وصحة عقيدتهم.

٣- إنشاء الجامعة الإسلامية، في مدينة الرسول ﷺ في ٢٥ / ٣ / ١٣٨١هـ والهدف الرئيسي منها تثبيت دعائم الدين، وتبليغ رسالة الإسلام الخالدة، ونشرها في الأقطار الإسلامية المختلفة.

٤- إنشاء دار الإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية، وتم تأسيس دار الإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية والمعاهد عام ١٣٧٣هـ^(١٠٣).

هـ- منع تناول الخمر والمخدرات في المملكة:

حرصاً من الملك سعود على تطبيق شرع الله وأحكامه في اتباع أمر الله، وتحريم الخمر، وقف الملك سعود موقف المحارب لتناول هذه الآفات أو الاتجار فيها والتعامل معها، وقد كان هذا الموقف مثار إعجاب من غير المسلمين. ونظراً لما حظي به الملك سعود من مكانة دولية، وبما عرف عنه من محاربه للخمر والمخدرات، فإن الجمعية الدولية لمكافحة المخدرات قد قدرت هذا الجهد من الملك سعود، واختارته رئيساً شرفياً لها^(١٠٤).

و- دعوة الملك سعود لحفظ القرآن الكريم والتشجيع على تلاوته:

لقد اعتنى الملك سعود بكتاب الله عناية فائقة لعلمه بأهمية هذا الكتاب الكريم، ومن معالم ذلك الاهتمام تخصيصه جائزة قدرها ألفا ريال لكل شخص يحفظ القرآن عن ظهر قلب^(١٠٥).

ز- دعم السياسة الإعلامية القائمة على مبادئ الإسلام وتعاليمه:

كان للملك سعود دور بارز في تحديد ملامح سياسة الإعلام السعودي، وهي ملامح تنطلق من مبدأ تطبيق الشريعة الإسلامية وتطبيقها في جميع مجالات الحياة^(١٠٦).

ومما يؤكد ذلك أن الشيخ محمد بن إبراهيم عند ما رفع الملك سعود خطاب برقم ٣٨٣ وتاريخ ١/٢٢/١٣٨٤هـ، بخصوص عزم الشيخ محمد بن إبراهيم إنشاء مؤسسة صحفية تقوم بالدعوة إلى الله، وتوجيه الناس إلى الخير.

وقد جاء جواب الملك سعود برقم ١٧١٦ وتاريخ ١/٢٦/١٣٨٤هـ بالموافقة فوراً على ذلك، بل الثناء على تلك الفكرة الرائدة، وقد دعم الملك سعود تلك المؤسسة الصحفية الدعوية بمبلغ قدرة خمسون ألف ريال مساهمة من الملك سعود^(١٠٧).

إن كل هذه الأمور السابقة ساعدت في نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة والأخلاق الإسلامية الحسنة، وأوجدت مواطناً صالحاً متمسكاً بدينه حريصاً عليه، مما كان له الأثر الإيجابي في أعمال الحسبة، كما أنها تؤكد الرؤية الشاملة للملك سعود في إدارة شؤون الحكم في المملكة، وتطبيق شرع الله، واتباع منهج السلف الصالح.

في الحقيقة إن المتأمل في رسائل الملك سعود، وأحاديثه وخطبه وكلماته التي سجلها له التاريخ يتضح من خلالها أنه كان يسير على خطى والده المؤسس في

التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ - وهو ديدن ولاية أمر هذه البلاد المباركة - والعناية بالحسبة والقائمين عليها، ودعمهم ومناصرتهم مادياً ومعنوياً، بل إنه لا يتردد في هذا الشأن أبداً لمعرفته بأهمية هذه الشعيرة، وأنها مبدأ إلهي، ومن الثوابت في الدين الإسلامي التي لا يمكن التخلي عنها في أي وقت من الأوقات.

لذلك كانت نتيجة اهتمام ولاية أمر هذه الدولة المباركة (المملكة العربية السعودية) بشعيرة الحسبة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) والقائمين عليها منذ عهد المؤسس (الملك عبدالعزيز)، ومن ثم الملك سعود، ومن بعده إخوته الملوك فيصل، وخالد، وفهد - يرحمهم الله جميعاً - حتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله -؛ أثراً ملموساً في تدين الرعية لربهم، وخوفهم من الله سبحانه وتعالى، وسلامة المجتمع السعودي من تفشي المعاصي والمنكرات، كما أسهم ذلك الاهتمام في ترسيخ الأمن والاطمئنان في أرجاء الدولة، وهو أمر محسوس وملحوس، والله الحمد.

ولا زال ولاية أمرنا - وفقهم الله - يولون شعيرة الحسبة والقائمين عليها جل اهتمامهم من العناية والرعاية والاهتمام، بل إن هذه الشعيرة أصبحت ركيزة في النظام الأساسي للحكم كما جاء في المادة (٢٣) تحمي الدولة عقيدة الإسلام، وتطبق شريعته، وتأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر^(١٠٨).

يا لها من دولة عظيمة تعظم شعائر الله! بل إن المملكة العربية السعودية هي البلد الإسلامي الوحيد الذي يوجد فيه جهاز إسلامي يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع.

كما أن هذه الشعيرة تلقى كل الدعم والمؤازرة، وتشهد أعمالها كل تطوير في هذا العهد الزاهر عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز أيده الله.

ختاماً أسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظ ولاية أمرنا، وأن يديم علينا نعمة الأمن والإيمان والاستقرار، ويحفظ هذه البلاد من حقد الحاسدين وكيد الكائدين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث بخاتمة الرسائل، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن استن بسنته إلى يوم الدين. في نهاية هذا البحث أود أن أشير إلى بعض النتائج التي توصلت إليها وهي كالآتي:

١- لقد سار الملك سعود بن عبدالعزيز على نهج والده في إدارة شؤون البلاد، وبخاصة فيما يتعلق بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واعتناء الملك سعود بالحسبة، والقائمين عليها، ويتضح ذلك في توجيهاته السديدة للقائمين عليها من خلال خطبه وكلماته التي وجهها إلى المسؤولين في الدولة، ومنهم القائمون على شؤون هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والتذكير الدائم من قبل الملك سعود لرجال الحسبة، باستشعار دورهم من خلال القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم التهاون في ذلك، ومؤازرتهم والوقوف إلى جانبهم، لمعرفة التامة بالآثار الإيجابية المترتبة على أداء تلك الشعيرة سواء على الفرد أو المجتمع ومن ثم الدولة.

٢- جوانب الاهتمام بالحسبة في عهد الملك سعود - رحمه الله - تمثل في:

- أ - التنظيم الإداري للحسبة، والتجديد والتحديث فيه.
- ب- التوجيهات المباشرة وغير المباشرة من خلال خطابات الملك سعود وكلماته وأحاديثه.
- ج - القدوة العملية للملك سعود في أمور الحسبة.
- د - جوانب مساعدة في زيادة نشاط الحسبة أو تحقيق أهداف متصلة بأهدافها.

٣- تميزت شخصية الملك سعود بإيمانه بدينه عن دراسة وتحقيق وفهم، فهو مسلم عامل بالإسلام، وقد كان مستعداً لبذل روحه وماله وجاهه، وكل ما يملك في سبيل إسعاد رعيته على هدي من تعاليم الإسلام وأحكامه.

الهوامش والتعليقات:

- (١) سورة آل عمران: الآية ١٠٤.
- (٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٤.
- (٣) ابن منظور: لسان العرب، د. ط، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ج ٢، ص ٤٣٦؛ الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ط ٢، القاهرة، مؤسسة الحلبي وشركاه، ١٣٧١هـ، ج ١، ص ٥٥؛ جار الله أبو القاسم محمود الزمخشري: أساس البلاغة، ط ١، بيروت، دار صادر، ١٩٨٥م، ص ٨٣، ١٢٥؛ محمد بن محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس، د. ط، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ج ٢، ص ٢٧٥.
- (٤) علي بن محمد الماوردي: الأحكام السلطانية، ط ٣، مصر، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م، ص ٢٤٠.
- (٥) فضل إلهي: الحسبة تعريفها ومشروعيتها ووجوبها، ط ٦، الرياض، مكتبة المعارف ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ص ٢٠.
- (٦) عي حسن القرني: الحسبة في الماضي والحاضر، ط ١، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المعهد العالي للقضاء، ١٣٩٣/١٩٧٣م، مج ١، ص ١٥٦.
- (٧) عبدالرحمن بن محمد المغذوي: الأصول العلمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع بيان جهود المملكة العربية السعودية في هذا المجال، ط ١، المدينة المنورة، الأمانة العامة لجائزة المدينة المنورة، ١٤٢١هـ، ص ٧٢.
- (٨) حمود بن أحمد الرحيلي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إحدى ركائز الدولة السعودية وعناية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بها، ط ١، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ص ٦.
- (٩) المغذوي: المرجع السابق، ص ٧٢-٧٣.

- (١٠) سعد بن عبد الله العريفي: الحسبة والسياسة الجنائية في المملكة العربية السعودية، ط١، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج١، ص ٥١ - ٥٢.
- (١١) المرجع نفسه، ص ٦٥-٦٧.
- (١٢) المرجع نفسه، ص ٦٨.
- (١٣) حسين بن غنام: تاريخ نجد، تحقيق: ناصر الدين الأسد، ط٤، بيروت، دار الشروق، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص ٨٣؛ عثمان بن عبد الله بن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق: عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، ط٤، الرياض، دار الملك عبد العزيز ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ج١، ص ٤١، عبد الله الصالح العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية ط١٠، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ج١ ص ٨٥ - ٨٦؛ الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تاريخها - أعمالها، ط١، الرياض، الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ٩٧.
- (١٤) المصدر السابق، ج١، ص ٣٣ - ٣٤.
- (١٥) المصدر السابق، ج١، ص ٢٦٦.
- (١٦) ابن بشر: المصدر السابق، ج٢، ص ٢٨-٣٥؛ منير العجلاني: الإمام تركي بن عبد الله بطل نجد ومحورها ومؤسس الدولة السعودية الثانية، د. ط، الرياض، دار الشبل، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ج٥، ص ١١٤.
- (١٧) المصدر السابق، ج٢، ص ١١٣.
- (١٨) العجلاني: المرجع السابق، ج٥، ص ١٣٤-١٣٨.
- (١٩) المرجع نفسه، ص ١٣٩.
- (٢٠) ابن بشر: المصدر السابق، ج٢، ص ١٣١.
- (٢١) الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: تاريخها - أعمالها، ص ٩٩.

- (٢٢) الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: تاريخها - أعمالها، ص ١٠٩ - ١١٠.
- (٢٣) المصدر نفسه، ص ١١٠.
- (٢٤) عبدالرحمن آل الشيخ: مشاهير علماء نجد وغيرهم، ط١، الرياض، دار المريخ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١ م، ص ١٨.
- (٢٥) طامي بن هديف البقمي: التطبيقات العملية للحسبة في المملكة العربية السعودية ١٣٤٣ - ١٣٧٣هـ / ١٩٢٤ - ١٩٥٣ م، ط١، الرياض، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨ م، ص ٩٣ - ٩٤؛ منصور جمعان الغامدي: التطور التنظيمي للرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثره على تحقيق الأهداف، دراسة حالة للفترة من عام ١٣٤٩هـ إلى ١٤١٦هـ، رسالة ماجستير، قسم الإدارة العامة، كلية الدراسات العليا، جامعة الملك سعود، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧ م، ص ٧١؛ الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: تاريخها - أعمالها، ص ١١٣-١١٤؛ الرحيلي: المرجع السابق، ص ٢٠.
- (٢٦) الرحيلي: المرجع السابق، ص ٢٠.
- (٢٧) عبدالعزيز بن محمد المرشد: نظام الحسبة في الإسلام، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المعهد العالي للقضاء، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣ م، ص ١٩٨.
- (٢٨) البقمي: المرجع السابق، ص ٩٥-٩٦.
- (٢٩) الرحيلي: المرجع السابق، ص ٢١.
- (٣٠) سعود بن سعد آل دريب: الملك عبدالعزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية، ط ١، جدة، دار المطبوعات الحديثة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م، ص ٣١.
- (٣١) عبدالله خياط: نشاط الحركة الدينية في الحجاز على عهد الإمام عبدالعزيز، مجلة المنهل، الجزء السادس، جمادى الآخرة ١٣٧٣هـ فبراير ١٩٥٤ م، ص ٣٩٠ - ٣٩١.
- (٣٢) الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: تاريخها - أعمالها، ص ١١٧.

(٣٣) فهدة بنت سعود آل سعود: الملك سعود بن عبد العزيز - رحمه الله - والدور الذي لعبه بجانب والده الملك عبد العزيز - رحمه الله - في تأسيس المملكة العربية السعودية (بحث مقدم إلى مؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام، ٥ شوال ١٤١٩هـ الموافق ٢٢ يناير ١٩٩٩م) ص ٩.

(٣٤) المصدر نفسه، ص ٤، ٩.

(٣٥) عبدالرحمن بن مفيريج: هو عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالرحمن المفيريج (١٢٧٠-١٣٤٠هـ) وقد كان له دور رائد في التعليم بمدينة الرياض، انظر: وزارة المعارف: موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية في مائة عام، ط١، الرياض، وزارة المعارف، ١٤١٩هـ، ج٤، ص ٢٨٠.

(٣٦) سلمان بن سعود آل سعود: تاريخ الملك سعود الوثيقة والحقيقة، ط١، بيروت، دار الساقى، ٢٠٠٥م، ج١، ص ٤٢.

(٣٧) فهدة آل سعود: المصدر السابق، ص ٩.

(٣٨) فهدة آل سعود: المصدر السابق، ص ٩.

(39) Muhamed AL- Mani, Arabia Unified, Published by North American, 1985, p96

(٤٠) جريدة أم القرى: س٩، العدد ٤٤٠، الجمعة ٢٤/١/١٣٥٢هـ الموافق ١٩/٥/١٩٣٣م، ص ١.

(٤١) جريدة أم القرى: س٣٠، العدد ١٤٧٨، الجمعة ١٨/٢/١٣٧٢هـ الموافق ٢٨/٨/١٩٥٣م، ص ١.

(٤٢) سلمان آل سعود: المصدر السابق، ج١، ١٣٦-١٣٩.

(٤٣) دار الملك عبدالعزيز: كتيب الندوة العلمية لتاريخ الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود، شوال ١٤٢٧هـ الموافق نوفمبر ٢٠٠٦م، ص ٢.

- (٤٤) سلمان آل سعود: المصدر السابق، ص ٢٦٤ - ٢٦٥.
- (٤٥) خالد بن هدوب المهيدب: جهود الملك سعود بن عبدالعزيز الدعوية في الداخل، بحث مقدم إلى الندوة العلمية لتاريخ الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود التي عقدتها دار الملك عبدالعزيز في الفترة ٥ - ٧ ذي القعدة ١٤٢٧هـ، الموافق ٢٦ - ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٦م، مج ٣، ص ٣٦٨.
- (٤٦) فهدة آل سعود: المصدر السابق، ص ٦٣.
- (٤٧) خير الدين الزركلي: الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، ط ١١، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٩م، ص ١٥٨-١٥٩.
- (٤٨) سورة الحج: الآية ٤١.
- (٤٩) مجلة الحسبة: العدد ٣٤، جمادى الأولى - جمادى الآخرة ١٤٢١هـ؛ فهد بن عبد العزيز الكليب: علماء وأعلام وأعيان الزلفي، ط ١، الرياض، مؤسسة الجريسي، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص ٢٨٤.
- (٥٠) الوزن: وحدة قياس أو وزن للأشياء العينية كالتمر والسمن، وهي تعادل كيلوين وخمسة وأربعين جراماً. حسب ما ذكره للباحث أحد كبار السن.
- (٥١) الكليب: المرجع السابق، ص ٢٨٥.
- (٥٢) دار الملك عبدالعزيز: قسم الوثائق، وثيقة رقم (٢٢٩٥) مؤرخة في ١٠/٢/١٣٧٢هـ؛ الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وثيقة رقم (٥٣٨٨)، بتاريخ ١٠/٢/١٣٧٢هـ، انظر إلى نص الرسالة في الملاحق، ملحق رقم (١).
- (٥٣) الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وثيقة رقم (٥٣٤٥)، بتاريخ ١٠/٢/١٣٧٢هـ، انظر إلى نص الرسالة في الملاحق، ملحق رقم (٢).
- (٥٤) دار الملك عبدالعزيز: قسم الوثائق، وثيقة رقم (٢٢٩٥) مؤرخة في ١٠/٢/١٣٧٢هـ.

- (٥٥) البقمي: المرجع السابق، ص ١١٨.
- (٥٦) المرجع نفسه، ص ١١٩.
- (٥٧) سلمان آل سعود: المصدر السابق، ص ٢٨٩؛ البقمي: المرجع السابق ص ١١٩.
- (٥٨) البقمي: المرجع السابق، ص ١٢٠.
- (٥٩) الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: تاريخها - أعمالها، ص ١٢٥.
- (٦٠) سلمان آل سعود: المصدر السابق، ص ٢٨٩.
- (٦١) المصدر نفسه، ص ٢٨٩.
- (٦٢) الموقع الرسمي للملك سعود على شبكة الإنترنت.
- <http://www.kingSaud.net>
- (٦٣) عبدالمنعم الغلامي: الملك الراشد جلالة المغفور له عبدالعزيز آل سعود، ط ٢، الرياض، دار اللواء، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠ م، ص ٤٩٢.
- (٦٤) سورة الحج: الآية ٤١.
- (٦٥) خالد مصلح الغامدي: بلاد غامد وزهران في عهد الملك عبد العزيز ١٣٣٨-١٣٧٣ هـ/ ١٩١٩-١٩٥٣ م، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ والحضارة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٣-١٤٣٤هـ، ص ٢٠٦-٢٠٧.
- (٦٦) فؤاد شاکر: الملك سعود من أحاديثه وخطبه، ط ٢، د. م. د. ن، ربيع الأول ١٣٧٥هـ / نوفمبر ١٩٥٥ م، ص ١٢٩-١٣١.
- (٦٧) شاکر: المصدر السابق، ص ١٣٥-١٣٧.
- (٦٨) سورة النحل: الآية ١٢٥.
- (٦٩) سورة آل عمران: الآية ١٠٤.

- (٧٠) دارة الملك عبد العزيز: قسم الوثائق، بدون رقم، المجموعة ١٣٧٩، انظر إلى نص الرسالة في الملاحق، ملحق رقم (٣).
- (٧١) دارة الملك عبد العزيز: قسم الوثائق، المجموعة: منطقة تبوك، الملف ١٧، الرقم (٣٨٣٠)، انظر إلى نص الرسالة في الملاحق، ملحق رقم (٤).
- (٧٢) الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الكتاب الوثائقي للرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مركز البحوث والدراسات، ١٤٣١هـ، ص ٤١.
- (٧٣) التنكب: يقال: نَكَبَ عن الشيء وعن الطريق، وتَنَكَب: عدل. قال الأزهري: وسمعت العرب تقول: نَكَبَ فلان عن الصواب يُنَكَبُ نُكُوباً، إذا عدل عنه، ابن منظور: المصدر السابق، مج ٨، ص ٦٨٨ - ٦٨٩.
- (٧٤) شاكر: المصدر السابق، ص ٣٩-٤٠؛ سلمان آل سعود: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٩٤-٢٩٥.
- (٧٥) سورة النحل: الآية ١٢٥.
- (٧٦) صحيفة أم القرى: العدد ١٥٨٣، بتاريخ ٥ صفر ١٣٧٥هـ الموافق ٢٣ سبتمبر ١٩٥٥م؛ شاكر: المصدر السابق، ص ٤٩-٥١.
- (٧٧) سورة آل عمران: الآية ١١٠.
- (٧٨) الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الكتاب الوثائقي...، ص ٧٢ - ٧٣.
- (٧٩) المصدر نفسه، ص ٢٠، انظر إلى نص الخطاب في الملاحق، ملحق رقم (٥).
- (٨٠) دارة الملك عبدالعزيز: قسم الوثائق، المجموعة العامة، ملف ١٥، رقم (٦٥١)، انظر إلى نص الخطاب في الملاحق، ملحق رقم (٦).
- (٨١) صحيفة أم القرى: العدد ١٧٥٠، في ٢١ جمادى الآخرة ١٣٧٨هـ الموافق ٣ يناير ١٩٥٩م؛ مجلة الحسبة: العدد ٣٥، رجب - شعبان ١٤٢١هـ، كلمة جلالة الملك سعود بن عبدالعزيز

(الله سبحانه وتعالى خلقنا لتوحيده وطاعته، وأمرنا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ديوان
جلالة الملك، مؤرخة في ١٣/٦/١٣٧٨هـ.

(٨٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٤.

(٨٣) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٨٤) دارة الملك عبد العزيز: قسم الوثائق، الملف ٢٨، رقم (٨٦٤)، انظر إلى نص الرسالة في
الملاحق، ملحق رقم (٧).

(٨٥) سورة آل عمران: الآية ١٠٤.

(٨٦) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٨٧) صحيفة أم القرى، العدد ١٨٧٠، في ٥ ذي الحجة ١٣٨٠هـ الموافق ١٩ مايو ١٩٦١م.

(٨٨) مجلة الحسبة: العدد (٢٨)، ربيع الأول - ربيع الآخر ١٤٢٠هـ.

(٨٩) مجلة الحسبة: كلمات سجلها التاريخ عن الملك سعود، العدد (٣١)، ذو القعدة - ذي الحجة
١٤٢٠هـ.

(٩٠) سورة فصلت: الآية ٣٣.

(٩١) مجلة الحسبة: العدد (٢٧)، محرم - صفر ١٤٢٠هـ.

(٩٢) الآن يؤذن الأذان الأول قبل الفجر بساعة.

(٩٣) سلمان آل سعود: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٩٥-٢٩٦.

(٩٤) المهيدب: المرجع السابق، ص ٤٣٠ - ٤٣١.

(٩٥) الشيخ حسنين محمد مخلوف: ولد بالقاهرة سنة ١٣٠٧هـ/١٨٩٠م، عمل مفتياً للديار
المصرية، وقد ارتحل إلى كثير من الدول العربية ليؤدي رسالة العلم، ويلقي الدروس، التقى
بالمملك عبدالعزيز في ٨ رجب ١٣٧٢هـ، وقد توفي في سنة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، انظر:

الإنترنت: موقع إسلام أون لاين؛ فهد عبدالله السماري، وآخرون: موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز الدبلوماسي، ط ١، الرياض، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٦١٧؛ الإنترنت: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. <http://ar.wikipedia.org>

(٩٦) المهيدب: المرجع السابق، ص ٤٣٠.

(٩٧) المناخة أو (المناخ): عبارة عن عوائد مالية سنوية محددة يتم صرفها لمساعدة المستحقين لها من أبناء القبائل في القرى والوادي والهجر، وكانوا في عهد الملك سعود يفدون إلى الرياض لاستلام تلك المناخة (الشهرة، العوائد، المخصصات المالية) ثم أمر الملك سعود بمضاعفتها، وأن يتم إيصالها إليهم في أماكن إقامتهم دون الحاجة إلى تكيدهم عناء السفر إلى الرياض.

(٩٨) الغلامي: المرجع السابق، ص ٤٥٦-٤٥٧.

(٩٩) لقد تم إرسال شخصين من كُتاب الخاصية الملكية إلى الوادي من قبل رئيس الخاصية الملكية، أحدهما عبد الله بن رومي، وأما الآخر فاسمه غير واضح في تلك الرسالة، انظر إلى نص الرسالة في الملاحق، ملحق رقم (٨).

(١٠٠) دارة الملك عبدالعزيز: قسم الوثائق، وثيقة رقم (٢٠٠٣).

(١٠١) سلمان آل سعود: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٩٦؛ عبدالمجيد بن محمد العُمري: الشؤون الإسلامية والأوقاف في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز، بحث مقدم للندوة العلمية لتاريخ الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود التي عقدتها دارة الملك عبدالعزيز بالرياض في الفترة ٥-٧ ذي القعدة ١٤٢٧هـ الموافق ٢٦-٢٨ نوفمبر ٢٠٠٦م، مج ٣، ص ٢٤٩-٢٥٠.

(١٠٢) سعود بن هذلول: تاريخ ملوك آل سعود، ط ٢، الرياض، المؤلف، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ج ٢، ص ٢١٣ - ٢١٤؛ سلمان آل سعود: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٧٣ - ٢٧٤.

(١٠٣) سلمان آل سعود: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٧٥ - ٢٨٥.

(١٠٤) المصدر نفسه، ص ٢٩٦ - ٢٩٧.

(١٠٥) سلمان آل سعود، المصدر السابق، ص ٢٩٧ - ٢٩٩.

(١٠٦) المصدر نفسه، ص ٢٩٩.

(١٠٧) دارة الملك عبد العزيز: قسم الوثائق، وثيقة رقم (١٩٩٢)، جهة الورد: بمعرفة الأستاذ عبد العزيز العلي، انظر إلى نص الرسالة في الملاحق، ملحق رقم (٩).

(١٠٨) انظر: مجموعة الأنظمة السعودية، هيئة الخبراء بمجلس الوزراء، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

- السنة المطهرة.

أولاً: الوثائق:

- مجموعة الأنظمة السعودية: هيئة الخبراء بمجلس الوزراء، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
- وثيقة رقم (٢٠٠٣) بدون تاريخ، قسم الوثائق: دارة الملك عبدالعزيز.
- وثيقة رقم (٢٢٩٥) مؤرخة في ١٠/٢/١٣٧٢هـ، قسم الوثائق: دارة الملك عبدالعزيز.
- وثيقة رقم (٦٥١) المجموعة العامة، ملف ١٥، قسم الوثائق: دارة الملك عبدالعزيز.
- وثيقة رقم (٨٦٤)، ملف ٢٨، قسم الوثائق: دارة الملك عبدالعزيز.
- وثيقة رقم (٣٨٣٠)، منطقة تبوك، ملف ١٧، قسم الوثائق: دارة الملك عبدالعزيز.
- وثيقة بدون رقم، المجموعة ١٣٧٩، قسم الوثائق، دارة الملك عبدالعزيز.
- وثيقة رقم (٥٣٤٥) مؤرخة في ١٠/٢/١٣٧٢هـ، الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- وثيقة رقم (١٩٩٢)، جهة الورود: بمعرفة الأستاذ: عبد العزيز العلي، قسم الوثائق: دارة الملك عبدالعزيز.
- الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الكتاب الوثائقي للرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (مركز البحوث والدراسات، الرئاسة

العامّة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الرياض، ١٤٣١هـ).

ثانياً: المصادر العربية:

- ابن بشر: عثمان بن عبدالله، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق: عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، ج ١ (ط ٤)، الرياض، دار الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).
- الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تاريخها، أعمالها (ط ١)، الرياض، الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م).
- الزبيدي: محمد بن محمد مرتضى، تاج العروس، ج ٢ (بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
- الزركلي: خير الدين، الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز (ط ١١)، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٩م).
- الزمخشري: جار الله أبو القاسم محمود، أساس البلاغة، (د. ط، بيروت، دار صادر، ١٩٨٥م).
- آل سعود: سلمان بن سعود، تاريخ الملك سعود، الوثيقة والحقيقة، ج ١ (ط ١)، بيروت، دار الساقى، ٢٠٠٥م).
- شاعر: فؤاد، الملك سعود من أحاديثه وخطبه (ط ٢)، د. م، د. ن، ربيع الأول ١٣٧٥هـ/نوفمبر ١٩٥٥م).
- ابن غنام: حسين، تاريخ نجد، تحقيق: ناصر الدين الأسد (ط ٤)، بيروت، دار الشروق، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ج ١ (ط ٢)، القاهرة، مؤسسة الحلبي وشركاه، (١٣٧١هـ).
- الماوردي: علي بن محمد: الأحكام السلطانية (ط ٣)، مصر، مطبعة الحلبي وأولاده، (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).
- ابن منظور: لسان العرب، ج ٢ (د. ط، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م).
- ابن هذلول: سعود، تاريخ ملوك آل سعود، ج ٢، (ط ٢)، الرياض، المؤلف، (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

ثالثاً: المراجع العربية:

- البقمي: طامي بن هديف، التطبيقات العملية للحسبة في المملكة العربية السعودية ١٣٤٣ - ١٣٧٣هـ / ١٩٢٤ - ١٩٥٣م (ط ١)، الرياض، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
- آل دريب: سعود بن سعد. الملك عبدالعزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية، (ط ١)، جدة، دار المطبوعات الحديثة، (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- الرماني: زيد بن محمد، اقتصاد الحسبة تاريخ وتراث (ط ١)، الرياض، مكتبة الرشد، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
- الرويلي: حمود بن أحمد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إحدى ركائز الدولة السعودية وعناية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بها (ط ١)، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).
- السماري: فهد بن عبدالله، وآخرون: موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز الدبلوماسية

- (١ط، الرياض، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م).
- آل الشيخ: عبدالرحمن، مشاهير علماء نجد وغيرهم (١ط، الرياض، دار المريخ، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).
- العجلاني: منير، الإمام تركي بن عبدالله بطل نجد ومحررها ومؤسس الدولة السعودية الثانية، ج ٥ (د. ط، الرياض، دار الشبل، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م).
- العريفي: سعد بن عبدالله، الحسبة والسياسة الجنائية في المملكة العربية السعودية، ج ١ (١ط، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م).
- العمار: محمد بن ناصر، حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأركانه ومجالاته (٢ط، الرياض، دار إشبيليا، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
- العثيمين: عبدالله الصالح، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج ١ (١٠ط، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).
- الغامدي: خالد مصلح، بلاد غامد وزهران في عهد الملك عبد العزيز ١٣٣٨-١٣٧٣هـ/١٩١٩-١٩٥٣م (رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ والحضارة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٣-١٤٣٤هـ).
- الغامدي: منصور جمعان، التطور التنظيمي للرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثره على تحقيق الأهداف، دراسة حالة للفترة من عام ١٣٤٩هـ إلى ١٤١٦هـ (رسالة ماجستير، قسم الإدارة العامة، كلية الدراسات العليا، جامعة الملك سعود، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
- الغلامي: عبدالمنعم، الملك الراشد جلالة المغفور له عبدالعزيز آل سعود (٢ط،

- الرياض، دار اللواء، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).
- القرني: علي حسن، الحسبة في الماضي والحاضر، مج ١ (ط ٢)، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م).
- الكليب: فهد عبد العزيز: علماء وأعلام وأعيان الزلفي (ط ١)، الرياض، مؤسسة الجريسي ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).
- ابن مرشد: عبدالعزيز بن محمد. نظام الحسبة في الإسلام (الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المعهد العالي للقضاء، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م).
- المغذوي: عبدالرحمن بن محمد، الأصول العلمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع بيان جهود المملكة العربية السعودية في هذا المجال (ط ١)، المدينة المنورة، الأمانة العامة لجائزة المدينة المنورة، ١٤٢١هـ).
- إلهي: فضل، الحسبة تعريفها ومشروعيتها ووجوبها (ط ٦)، الرياض، مكتبة المعارف، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).
- وزارة المعارف: موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية في مائة عام، ج ٤ (ط ١)، الرياض، وزارة المعارف، ١٤١٩هـ).

رابعاً: المراجع الأجنبية:

- AL- Mani Muhamed, Arabia Unified, Published by North American, 1985.

خامساً: الدوريات والصحف:

- جريدة أم القرى: س ٩، العدد ٤٤٠، الجمعة ٢٤ / ١ / ١٣٥٢هـ الموافق ١٩ / ٥ / ١٩٣٣هـ.

- جريدة أم القرى: س ٣٠، العدد ١٤٧٨، الجمعة ١٨/٢/١٣٧٢هـ الموافق ١٩٥٣/٨/٢٨ م.
- جريدة أم القرى: العدد ١٥٨٣، ٥/٢/١٣٧٥هـ الموافق ٢٣ سبتمبر ١٩٥٥ م.
- جريدة أم القرى: العدد ١٧٥٠، ٢١/٦/١٣٧٨هـ الموافق ٣ يناير ١٩٥٩ م.
- جريدة أم القرى: العدد ١٨٧٠، ٥/١٢/١٣٨٠هـ الموافق ١٦ مايو ١٩٦١ م.
- خياط: عبدالله، نشاط الحركة الدينية في الحجاز على عهد الإمام عبدالعزيز، مجلة المنهل: الجزء السادس، جمادى الآخرة ١٣٧٣هـ/ فبراير ١٩٥٤ م.
- داره الملك عبدالعزيز: كتيب "الندوة العلمية لتاريخ الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود" شوال ١٤٢٧هـ الموافق نوفمبر ٢٠٠٦ م.
- آل سعود: فهده بنت سعود، الملك سعود بن عبدالعزيز - رحمه الله - والدور الذي لعبه بجانب والده الملك عبدالعزيز - رحمه الله - في تأسيس المملكة العربية السعودية (بحث مقدم إلى مؤتمر المملكة العربية السعودية في مئة عام، ٥ شوال ١٤١٩هـ الموافق ٢٢ يناير ١٩٩٩ م).
- العمري: عبدالمجيد بن محمد، الشؤون الإسلامية والأوقاف في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز (بحث مقدم للندوة العلمية لتاريخ الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود التي عقدتها داره الملك عبدالعزيز بالرياض في الفترة ٥ - ٧ ذي القعدة ١٤٢٧هـ الموافق ٢٦ - ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٦ م، مج ٣).
- مجلة الحسبة: العدد ٢٧، محرم - وصفر ١٤٢٠هـ.
- مجلة الحسبة: العدد ٢٨، ربيع الأول - وربيع الآخر ١٤٢٠هـ.

- مجلة الحسبة: كلمات سجلها التاريخ عن الملك سعود، العدد ٣١، ذو القعدة - ذي الحجة ١٤٢٠هـ.
- مجلة الحسبة: العدد ٣٤، جمادى الأولى - جمادى الآخرة ١٤٢١هـ.
- مجلة الحسبة: كلمة جلالة الملك سعود بن عبدالعزيز (الله سبحانه وتعالى خلقنا لتوحيده وطاعته وأمرنا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ديوان جلالة الملك، مؤرخه في ١٣/٦/١٣٧٨هـ، العدد ٣٥، رجب - شعبان ١٤٢١هـ.
- المهيدب: خالد بن هدوب، جهود الملك سعود بن عبدالعزيز الدعوية في الداخل (بحث مقدم للندوة العلمية لتاريخ الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود التي عقدتها داره الملك عبدالعزيز بالرياض في الفترة ٥ - ٧ ذي القعدة ١٤٢٧هـ الموافق ٢٦ - ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٦م، مج ٣).

سادساً: الإنترنت:

- الموقع الرسمي للملك سعود على شبكة الإنترنت.
-<http://www.kingSaud.net>
- ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.
-<http://ar.wikipedia.org>

**مَهَنُ الْعُلَمَاءِ وَحِرَفِهِمْ فِي دِمَشْقٍ خِلَالَ
العصر المملوكي (٦٤٨ – ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ – ١٥١٧م)**

د. فرج محمد السبيعي

مَهَنُ الْعُلَمَاءِ وَحِرْفَتِهِمْ فِي دِمَشْقٍ خِلالِ

الْعَصْرِ الْمَمْلُوكِيِّ (٦٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م)

د. فرج محمد السبيعي

ملخص البحث

يتناول البحث مهنة العلماء وحرفتهم في دمشق خلال العصر المملوكي ومعرفة طبيعة وتنظيم أصحاب المهن، وقد امتحن أولئك العلماء مهنة مختلفة فمنهم من عمل نجاراً أو صائغاً أو حائكاً... الخ لسد حاجتهم من المال ومنعهم من التسول أو الحاجة لبعض العامة من الناس، وقد جمع بعض العلماء بين طلب العلم أو نشره وتعليمه للناس، وبين مزاولة حرفة أو مهنة يتعيشون منه، وقد نظموا أوقاتهم بما يحقق لهم الفائدة، وفي نهاية البحث خاتمة تبين نتائج الدراسة.

Research Abstract

This research addresses the occupations and crafts of scholars in Damascus during the Mamluki era and seeks to identify the nature of these occupations and crafts and the organization of those engaged in them.

Those scholars had different occupations. Some were carpenters, others goldsmiths or weavers, etc. They sought to gain enough money for supporting themselves and their families and also for avoiding begging other people. Some scholars combined learning, teaching and spreading knowledge to people with engagement in some occupation or craft for bread winning. They managed to organize their time as to achieve all their goals. At the end of the research there is a conclusion that indicate the study findings.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين، أما بعد:

فقد تعددت الدراسات التي ركزت على التاريخ الإسلامي في بعض جوانبه السياسية والعسكرية والحضارية، غير أنها أيضاً أغفلت بعض النواحي في الجانب الحضاري والتي لا تقل أهمية في نظر الباحثين والمختصين في حقب التاريخ الإسلامي المختلفة ومناطقه الشاسعة.

ومن هذه النواحي ما تناولته هذه الدراسة الموجزة حول مهنة وحرف العلماء، حيث سلطت الضوء على مهنة وحرف العلماء في دمشق خلال العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م)، وقد دفعت الحاجة أولئك العلماء لامتهان بعض الحرف لسد رمقهم، ومنعهم من التسول عند الكبراء، أو الحاجة لبعض العامة من الناس، فمنهم من عمل صائغاً أو نجاراً أو حائكاً... إلخ.

وبذلك كان أولئك العلماء يجمعون بين طلب العلم أو نشره وتعليمه للناس، وبين مزاولة حرفة أو مهنة يتعيشون منها، وقد نظموا أوقاتهم بما يخدم ويحقق لهم الفائدة في كلا الجانبين.

وقد ساهمت مهارة بعض أولئك العلماء في تلك الحرف والمهنة في إضفاء مزيد من الشهرة لتلك الحرف وللمدينة دمشق ورواج لأسواقها، ومنحهم أيضاً مزيداً من الشهرة بالمدينة وغيرها من المدن.

تعريف المهنة والحرفة

المهنة لغة: العمل، ومهّن الرجل: عمل في صنعه وحذق وتمرس فيها^(١).

ويمكن القول أن المهنة تتشابه مع الحرفة في مفهومها فهي الدراية بالعمل والحذق بالخدمة^(٢).

الحِرْفَةُ في اللغة: اسم من الاحتراف وهو الاكتساب يقال هو يحرف لعياله ويجرتف بمعنى يكتسب من هنا وهنا^(٣)، وقيل الحرفة هي الصناعة، والمحترف هو الصانع، وفلان حريفي، أي معاملي^(٤)، وحرفة الرجل صنعه، وحرفته لأهله واحترف بمعنى كسب أياً كان^(٥).

والحرفة اصطلاحاً: هي الطعمة والصناعة التي يرتزق منها، وهي جهة الكسب، وكل ما اشتغل الإنسان به، فإنه عند العرب يسمى صنعة وحرفة^(٦).

وقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «إني لأرى الرجل فيعجبني، فأقول هل له حرفة؟ فإن قالوا: لا سقط من عيني»^(٧).

وهو قول يدل على أن قيمة الرجل في عمله وإنتاجه، فبقدر العطاء يكون الجزاء، واليد العاملة خير من اليد العاطلة والعليا خير من السفلى.

طبيعة وتنظيم أصحاب المهن

تعتبر الشام من البلاد التي اشتهرت بالحرفيين والصناع حيث طبقة الحرفيين من الطبقات الكبيرة ببلاد الشام، التي ارتبطت بحياة الناس اليومية وقد برز دور أفرادها من خلال توفيرهم لجميع الحاجيات الضرورية اليومية لأفراد المجتمع والتي تبين من خلالها مدى المهارة والإتقان اللذين وصل إليهما الحرفيون في مهنهم المختلفة مما جعل بلاد الشام عموماً ودمشق خاصة مقصداً للتجار، فضلاً عن شهرتها في العديد من

المهن المختلفة.

ولهذا نجد أن الحرفيين والصناع شكلوا شريحة اجتماعية كبيرة في دمشق. وتشير المصادر إلى أن أرباب المهن والصناعات أقاموا في مناطق وحارات خاصة بهم، وكانت كل حارة تسمى باسم مهنة سكانها أو الصنعة التي اشتهرت بها^(٨).

كما عمل بعض الحرفيين على أن تكون متاجرهم قريبة من المنتزهات، حيث الأماكن التي يكثر الناس من زيارتها، وذلك من أجل تسويق صناعاتهم وبيعها للمتزهين^(٩).

وكان لكل مهنة من المهن وصنعة من الصنائع شخص يقوم على مصالحها وقد عرف هذا الشخص في المجتمع الشامي باسم شيخ المهنة أو رئيس المهنة^(١٠) أو عريف المهنة^(١١) أو كبير الطائفة^(١٢) وأياً كان اسمه أو لقبه فقد كان يقع على عاتقه مهمة مراقبة أهل سوقه وأهل مهنته من جهة، ومن جهة أخرى حلقة الوصل ما بين أهل مهنته والسلطة المملوكية، فينقل إليها شكاويهم ويدافع عنها أمامهم بالإضافة إلى تنظيم العمال من أجل المشاركة في المناسبات المختلفة مثل استقبال السلاطين أو تزيين الأسواق عند الاحتفال بالانتصارات العسكرية بمناسبة الزيارات التي كان يقوم بها بعض أصحاب المناصب الرفيعة في المناسبات العامة^(١٣).

وهو الذي يقوم بجمع الضرائب والإشراف على رعاية المرضى والفقراء من أصحاب المهنة، وتحديد أجور العمال، ومواصفات السلع وأسعارها وعقد المجالس الخاصة لبحث مشاكل أهل المهن أو الحرف مع كبار الحرفيين^(١٤).

ولكل مهنة أساليب خاصة في حل المشاكل بين أصحاب المهنة الواحدة حيث يطرد الخائن والسارق ويعاقب من غش بإغلاق دكانه ولا تفتح إلا بموافقة شيخ المهنة أو الحرفة^(١٥). وكان شيخ المهنة ينتخب من معلمي المهنة أو الصناع أو المبتدئين شريطة

أن يكون من ذوي الأخلاق الحسنة والمعرفة بأصول المهنة أو الحرفة^(١٦).

التكسب بالشهادة:

بالنسبة للتكسب بالشهادة هم مجموعة من الكتاب الثقات العارفين بشؤون العقود والكتابة، كانت مهمتهم التأكد من صحة العقود والتوقيع عليها، منعاً من حدوث مشكلات يسببها في المستقبل، وهم أصلاً موظفون عند القاضي، وكانوا ينتقون من أهل العلم والصلاح والعدل، وتشبه مهمتهم مهمة الكتاب العدول^(١٧) في وقتنا الحاضر.

كان الشهود يحضرون إلى الدكان أو محل مخصص لكتابة العقود التجارية في السوق وفي حال إبرام عقد يشهدون عليه ويكتب الكاتب العقد بين البائع والمشتري وللكتاب أمر معلوم وللشهود أيضاً نسبة متفق عليها من قيمة الصفقة التي تمت بين الطرفين^(١٨).

ولا يقوم بهذه المهنة أي شخص حتى تتوفر فيه عدة شروط منها حسن الخط وترتيب اللفظ وبتوسع في العلوم الشرعية ومعرفة النقود والمكايل^(١٩) كما يستعين بهم القاضي في التقديد والتمين ويعتبر قرارهم ملزماً للأطراف المتنازعة^(٢٠).

وكان الشهود يجلسون في باب جيرون^(٢١) في دكاكين، في الدكان الواحد ما بين الخمسة والستة من الشهود^(٢٢) وبالقرب من مركز القاضي^(٢٣). بينما أحياء دمشق الأخرى كان الشهود فيها متوزعين في طلب كسب الشهادة من الناس^(٢٤). وللشاهد أجر على شهادته فقيل الأجر المدفوع دينار، وقيل درهماً^(٢٥).

ومن احترف هذه المهنة من علماء دمشق شمس الدين محمد بن عبدالرزاق بن رزق الله (ت ٦٨٩هـ / ١٢٨٩م) كان من كبار الشهود^(٢٦). وعبدالرحمن بن محفوظ بن هلال (ت ٦٩١هـ / ١٢٨٩م) أحد الشهود عند باب الساعات^(٢٧) كان عادلاً

صالحاً^(٢٨)، وعماد الدين محمد بن علي البالسي برز في علم الحديث وقد خرَّج له الذهبي معجماً (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م) كان محموداً في الشهادات^(٢٩)، وعبد المنعم بن فتوح بن عوض (ت ٧٢٤هـ/ ١٤٢١م) من الشهود في باب الساعات^(٣٠)، وسليمان بن هلال أبو الفضل (ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م)^(٣١) وبهاء الدين عيسى بن عبد الكريم الدمشقي، برز في علم الحديث (ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) كان يرتزق من الشهادة^(٣٢)، وأحمد بن محمد بن عبد الله بن شهاب الدين (ت ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م) يتكسب بالشهادات في حوانيت الشام^(٣٣)، وسعد بن يوسف بن صدر الدين، برز في علم الحديث (ت ٨٠٥هـ/ ١٤٠٣م)^(٣٤)، وعلي بن حسن بن جعفر العلاء (ت ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م) كان جالساً في دكان يتجر بالثياب ثم ترك هذا الدكان وأخذ يعمل في طلب المال بالشهادة في دمشق^(٣٥)، ومحمد بن محمد بن علي بن أبي بكر (ت ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م)^(٣٦)، وإبراهيم بن محمد بن برهان الدين، برز في علم الفقه (ت ٨٦٢هـ/ ١٤٥٨م)^(٣٧)، وممن امتهن هذه الحرفة زين الدين سالم البلقاوي (ت ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م) اشتغل بالعلم وكان شاهداً عند الجامع الأموي^(٣٨)، وشمس الدين محمد الطويل (ت ٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م) بباب الجامع الغربي كان حافظاً للقرآن ملازماً لصلاة الجماعة^(٣٩)، وعبدالرحيم بن حسن بن علي (ت ٨٧٩هـ/ ١٤٧٥م)^(٤٠)، وإبراهيم بن إبراهيم بن محمد النووي (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)^(٤١)، وشمس الدين محمد بن أحمد (ت ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م)^(٤٢)، وعمر بن عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م)^(٤٣)، وأحمد بن خليل بن أحمد بن أبي بكر الشهاب، له باع في علم الحديث (ت ٨٩٦هـ/ ١٤٩١م) كان يتكسب بالشهادة بباب البريد^(٤٤) حتى توفي^(٤٥)، وشهاب الدين الشارعي (ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م) كان شاهد عند أبواب القضاة بدمشق^(٤٦)، وإبراهيم بن علي بن إبراهيم بن برهان الدين (ت بعد ٩٠٢هـ/ ١٢٩٧م)^(٤٧)، وبدر الدين حسن بن التاج (ت ٩٠٤هـ/ ١٤٩٧م) كان شاهداً

بمركز باب السريجه^(٤٨)، وكانت هذه المهنة مصدر رزقه^(٤٩)، وبرهان الدين إبراهيم بن محيي الدين (ت ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م)^(٥٠).

النُّجَارَةُ:

عرفت هذه الصناعة قديماً في بلاد الشام وازدادت أهميتها لحاجة الناس لها ولزيادة متطلباتهم للمصنوعات الضرورية لاسيما أن بلاد الشام كان يتوفر فيها الأخشاب اللازمة وخاصة خشب الجوز والصنوبر والسندبان والبلوط وغيرها^(٥١).

وقد برع النجارون في استعمال مهاراتهم وأساليبهم الفنية في إعداد مصنوعاتهم وإتقانها والبراعة في تجميلها وتزيينها بعدما تعرفوا على خصائص أنواع الأخشاب^(٥٢).

وكان في دمشق العديد من الأسواق (أي أسواق الأثاث المنزلية المصنوعة من الخشب) المختصة بهذه الحرف وكان حرفيو هذه المهنة موزعين داخل مدينة دمشق فقسم منهم بالقرب من الباب الصغير كما وجد سوق أخرى في صالحة دمشق مثل سوق الخشابين وهذا السوق يقع خارج باب الصغير^(٥٣)، وسوق العلبين^(٥٤) وموقعه قرب قنطرة أم حكيم^(٥٥).

وأبرز ما اشتهرت به مدينة دمشق في مجال التجارة هي صناعة الأبواب والكراسي والسقوف الخشبية للبيوت^(٥٦) وصناعة الصناديق الخشبية التي تعمل من خشب الجوز بمئاتها وجمال نقوشها المحفورة عليها، وأيضاً صناعة السفن وآلات الحصار^(٥٧).

وهذا يدل على أن الصناعات الخشبية كانت رائجة وسوقها مزدهرة والحاجة إليها متزايدة والرعية في العمل فيها متنامية لما فيها من الكسب الحلال وزيادة الدخل

وارتقاء المعاش.

وقد برع بعض العلماء في دمشق في هذه الحرفة ومنهم محمد بن محمد بن عمر بن خواجا (ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م) والذي تعلم أيضاً الحدادة وأصبح يجمع ما بين الحرفتين وكانت تدر عليه أموالاً كثيرة^(٥٨) ويمكن القول أن العالم لم يجمع ما بين حرفتين إلا إذا سمح له الوقت بين طلب العلم وكسب الرزق.

النَّشَارَةُ^(٥٩).

يذكر أن في مدينة دمشق سوق يطلق عليه سوق: النشارين^(٦٠) وممن عرف بهذه المهنة محمد بن أبي بكر بن عبدالله بن جلال الدين (ت ٨٦٦هـ / ١٣٦٢م)^(٦١). لم تذكر المصادر التي اطّلت عليها إلا هذه الشخصية.

الوَرَاقَةُ:

تعد مهنة الوراقة وثيقة الصلة بالحركة العلمية تأثراً وتأثيراً فإذا نشطت الحركة العلمية وكثر التأليف ازداد الطلب وكثر الوراقون والنساخون إذ تعد الوراقة عاملاً مساعداً على النشر العلمي وتقديمه^(٦٢).

يقول ابن خلدون عن الوراقة: (وجاءت صناعة الوراقين المعانين للانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتابية)^(٦٣).

والوراقة مهنة من أفضل الصنائع، يقول السبكي (وهي من أجود الصنائع لما فيها من الإعانة على كتابة المصاحف وكتب العلم ووثائق الناس وعهدتهم)^(٦٤). وقد ذكر لصاحب هذه المهنة (الوراق) جملة من الآداب منها: التحري في بيع الورق وطرق النسخ وأساليبه والهيئة التي يكون عليها الناسخ من الدين والأمانة والدقة في النسخ إلى غير ذلك^(٦٥).

وقد أشار بعض المؤرخين بمعامل الورق الجيد الذي اشتهرت به دمشق يقول ابن طولون^(٦٦) (ومن محاسن الصالحية صنع الورق ولا يصنع إلا بهاء ومنها يجلب إلى سائر الدنيا) ويقول أبو البقاء البدرى^(٦٧) (ومنها تعمل صناعة القراطيس بحسن صقالة ونقي وأصالة) ومهر أهل دمشق بفن تجليد الكتب^(٦٨).

وبسبب ازدياد استخدام الورق انتشرت عملية البحث عن الكتب النادرة وشرائها ومن ثم بيعها، وكانت أسواق دمشق تعج ببيع الكتب والوراقين كما امتلأت جوانبها بالنساخين والخطاطين وغدت مصدر رزق لعدد كبير من الناس بما فيهم العلماء^(٦٩).

النساخون والخطاطون:

ارتبطت مهنة الوراقة بمهنة النسخ والخط واشتهر بدمشق عدد من العلماء الذين امتهنوا حرفة النسخ والخط ليتكسبوا منها، فكانت مصدر رزق لهم بعد الله عز وجل منهم أحمد عبدالدايم نعمة الحنبلي (ت ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م) الذي عرف عنه أنه كان يكتب بخط مريح بسرعة لا توصف مقارنة بمن كان يعمل في هذه المهنة في وقته حتى قيل أنه كان في حالة تفرغه يكتب في اليوم كراريس أو أكثر ويكتب الكراسين والثلاثة مع اشتغاله في يوم وليلة ظل ملازماً للنسخ خمسين سنة^(٧٠).

ويوسف بن الحسن بن بدر بن الحسن (ت ٦٧١هـ / ١٢٧٣م) نسخ بنفسه بالأجرة^(٧١) وجمال الدين أبو بركات بن محمد بن عمر (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) الذي كان ناشراً ماهراً^(٧٢) وأبو عمرو عثمان إبراهيم، برع في علم القراءات (ت ٧١٠هـ / ١٣١٠م)^(٧٣) وكذلك يوسف بن محمد بن عثمان السرخسي، برز في علم الحديث (ت ٧٢١هـ / ١٣٢١م) كان ينادي على الكتب بدمشق ونسخ كثير من الكتب وكان يقول قبلت بألف درهم ويبدو أنه كان دلالاً للكتب وفي نفس الوقت ناسخاً يجمع ما

بين المهنتين^(٧٤). وأيضاً أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين (٧٣٢هـ / ١٣٣١م) فقد كان جيد الكتابة قيل كان يبيع كل نسخة من البخاري بخطه بألف درهم، وكان يكتب في كل يوم ثلاث كراريس^(٧٥) وعمر بن محمد بن عثمان الدمشقي (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) كان رئيس في النسخ حتى تخرج على يده جماعة في الكتابة وحصل بذلك مالاً جماً حتى قيل حصل له من التكتيب خمسة آلاف دينار^٧ وكتب بخطه كثيراً من المجلدات^(٧٦). وهذا يدل على حسن خطه وجمال كتابته.

وأيضاً محمد بن عبد الحميد بن سليمان الدمشقي (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) كان له حانوت بالوراقين بالصالحية^(٧٧) وصلاح الدين بن أيك بن عبدالله الصفدي (٧٦٤هـ / ١٣٦٣م) الذي احترف في المتاجرة بالكتب وهو مؤرخ مشهور ومعروف قام بتأليف تاريخه الكبير من عدة أجزاء والذي سماه الوافي بالوفيات^(٧٨).

وعلي بن محمد بن عبدالله بن القرخي (ت ٨١٤هـ / ١٤١١م) كان يتكسب بالنسخ^(٧٩)، وعلي بن عبدالكريم بن نور الدين (ت ٨٤٢هـ / ١٤٤٢م) كان ناسخاً عارفاً بالكتب وأثمانها^(٨٠)، وأحمد بن أحمد بن محمود بن موسى الشهاب، عالماً بالقراءات (ت ٨٦٥هـ / ١٤٦١م) كان يتكسب بكتابة المصاحف كان متفنناً في الخط يقصده الناس من أطراف الشام لحسن وجمال خطه^(٨١).

وشهاب الدين أحمد الصالحي (ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م) كان ناسخاً بارعاً في مهنته^(٨٢) ومحمد بن أحمد بن أحمد الدمشقي، برز في علم القراءات (ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م) كان يتكسب من كتابة المصاحف وقد تعلم هذه المهنة من أبيه الذي هو كان بدوره خطاطاً متميزاً على أقرانه^(٨٣).

يتضح مما أوردناه عن العلماء الذين اشتغلوا بمهنة النسخ واتخذوها مصدراً للتكسب أن منهم من كان ينسخ ومن كان يبيع ومن كان ينادي ومن كان حسن الخط

سريع الكتابة كثير الإنتاج، وأن بعضهم امتهنها لأول مرة حتى مهر فيها، ومنهم من ورثها عن آبائه وأجداده غير أن أهم ما نلاحظه أن هؤلاء العلماء كفوا أنفسهم بالعمل في هذه المهنة التي تعد من المهن العادية في ذلك الوقت، كفوا أنفسهم مشقة الوقوف على أبواب السلاطين، فحفظوا ماء وجوههم وصانوا كرامتهم وارتفع شأنهم بين الناس.

الحياكة والنسج^(٨٤):

الحياكة والنسج حرفتان متكاملتان لا تستغنى الواحدة عن الأخرى من حيث تكاملها فيما بينها أي لا يمكن ممارسة مهنة الحياكة دون أن تتوفر المنسوجات التي بواسطتها يتم للحائكين ممارسة عملهم^(٨٥)، يؤكد على ذلك ابن خلدون بقوله: "هاتان الصناعتان ضروريتان في العمران لما يحتاج إليه البشر في الرقة... وهاتان الصناعتان قديمتان في الخليقة كما أن الدفء ضروري للبشر في العمران"^(٨٦).

وقد عرفت بلاد الشام مهنة الحياكة والنسيج منذ العصور القديمة السابقة للإسلام وتقدمت في هذه الصناعة بعد ذلك صناعة النسيج مدناً شامية عديدة على رأسها مدينة دمشق^(٨٧).

وأهم الأقمشة التي كانت تصنع آنذاك الكتانية، والقطنية والحريرية ويذكر أبو البقاء (ومن محاسن الشام، ما يصنع فيها من القماش والنسيج على تعداد نقوشه وضروبه ورسومه. ومنها عمل القماش الأطلس^(٨٨) بكل أجناسه وأنواعه، ومنها القماش الهرمزي على اختلاف أشكاله وتباين أوصاله. ومنها عمل القماش الأبيض القطني المصور لإحياء القصور، وأموات الثبور وبها أيضاً عمل القماش السابوري^(٨٩) بجميع ألوانه وحسن لمعانه)^(٩٠).

وقد برز عدد من المهنيين في هذه الصناعة منهم أحمد بن موسى أبو العباس

الزرعي، من كبار أصحاب الشيخ ابن تيمية (ت٧٦١هـ / ١٣٦٠م) كان يأكل من عمل يده من صناعة العبي^(٩١) من صوف الأغنام والماعز، فكان إذا باع العباءة أخذ عنها فإن زادت عن قيمتها يترك الزيادة^(٩٢)، أي أنه كان يتق الله في البيع مخافة أن يأخذ من السعر تحريماً للصدق في المعاملة وهو ما يتيقن أن يكون عليه كل تاجر.

والجدير بالذكر هناك سوق يطلق عليه سوق العيين، وكان لهم سوقان في أسفل سوق البزوريين، وعندما يتعطل واحد منهما كان أصحابه ينقلون إلى السوق الآخر^(٩٣).

ومحمد بن أحمد بن تمام، الزاهد العابد برز في علم الحديث (ت٧٤١هـ / ١٣٤١م) خياط ينكسب من عمل يده^(٩٤)، وأحمد بن عبدالله بن أحمد بن معجم (ت٧٨٢هـ / ١٣٨٠م) يتكسب من حانوت يبيع فيه القز^(٩٥) بالصالحية^(٩٦). وإبراهيم بن محمد بن بهادر بن أحمد، كان إماماً بارعاً في علوم كثيرة لا سيما في معرفة الأعشاب والرياضة (ت٨١٦هـ / ١٤١٣م) وامتحن صناعة الخياطة وفنها^(٩٧).

وأحمد بن ناصر بن شهاب الدين، برع في علم الفقه (ت٨١٦هـ / ١٤١٣م) كان حائكاً للملابس فترة من الزمن ثم أخذ يتاجر في البز^(٩٨) في أسواق دمشق^(٩٩) وعلي بن أيوب الماموزي (ت٨٠٣هـ / ١٤٠١م) ينسج بعمل يده ويبيع ما ينسجه بأغلى ثمن فيأكل منه هو وأسرته ويبدو أنه بارعاً في خياطة النسيج بدليل أنه يبيع ما ينجزه من عمل بثمن باهظ^(١٠٠). دون أن يذكر المصدر قيمة هذه الأثمان.

ومحمد بن أحمد بن يوسف (ت٨٢٦هـ / ١٤٢٣م) كان حايكاً ماهراً تمرس في مهنة الخياطة حتى أصبح رئيس الخياطين يعلم الخياطين فن الخياطة في زمانه^(١٠١).

وكذلك علي بن حسين بن عروة الدمشقي، عالماً زاهداً، برز في علم الحديث (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٤م) كان زاهداً في الدنيا لا يزيد عن لبس عباءة ويتكسب من

عمل يده فينسج العبي ويسد حاجته منها^(١٠٢).

وأحمد الشهاب الأقباعي الدمشقي (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) يتكسب من خياطة الأقباع ولذلك نسب اسمه إلى هذه المهنة^(١٠٣) وهناك سوق يطلق عليه سوق الأقباعيين^(١٠٤) تباع فيه أقباع الفلاحيين والبدو^(١٠٥).

الجدير بالذكر أن من أكثر منسوجات بلاد الشام رواجاً العباءات على اختلاف أنواعها ومنها الخشنه التي يلبسها الفلاحون، وحياتها في المتانة وبها ألوف من الأنوال^(١٠٦) وذلك لتوفير مادتها الأولية ولأنها لباس عامة الفلاحين^(١٠٧).

وعبدالرزاق بن احمد بن أحمد بن موسى (ت ٨٩٥هـ / ١٤٩٠م) تكسب من خياطة الحرير^(١٠٨)، وبركة بدر الحلبي (ت ٩٠١هـ / ١٤٩٥م) قدم من حلب في مستهل حياته واستقر به الأمر في دمشق وعمل في دكان له بسوق جقمق في بيع الثياب^(١٠٩) حتى توفي^(١١٠).

الدَّالَّةُ

كان الدلال يعمل في الأماكن التجارية وبخاصة في الأسواق، وغالباً ما كان الباعة يعرضون بضائعهم على الأرصفة في الأسواق، وكان الدلال (أو المنادي) يقوم بالدعاية لمحاسن هذه البضاعة وأثمانها على مسامع الناس، وكان ذلك نوع من أنواع جذب المشتري إلى البضاعة حتى لو لم يبيع أي شيء^(١١١) وهي مهنة لا تزال تُمارس حتى في أيامنا هذه وإن شملها التطور الذي حدث في المجتمع فصار لها أمكنة خاصة بها وجهات متخصصة فيها، وهي من المهن المضمونة الكسب قل أو كثر.

وقد مارس هذه المهنة بعض علماء دمشق مثل أحمد بن سلامة بن إبراهيم أبي الخير (ت ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م)^(١١٢)، وعمر بن علي بن عثمان بن محمد (ت ٧٧١هـ / ١٣٧٠م)^(١١٣).

العطارة^(١١٤) :

وهي من المهن التي اشتهرت بها دمشق وامتعتها بعض علمائها الذين برعوا في صناعة العطور وذلك لكثرة الرياحين والورود، والأزهار، وقد وصف شيخ الربوة طرق تقطيرها في قرية المزه^(١١٥) بقوله: "إن العطر وغيره كان يستخرج في المزه من ضواحي دمشق من زهورها وورودها حتى إن حراقتة تلقى على الطرقات وفي دروبها وأزقتها كالمزابل فلا يكون لرائحته نظير ويكون ألد من المسك إلى مدة انقضاء الورد"^(١١٦). وكان يخصص للعطارين بدمشق سوق بالقرب من الجامع الأموي عرف بسوق العطارين^(١١٧).

ومن عمل في هذه المهن من علماء دمشق خلال فترة الدراسة، أحمد بن شيبان بن حيدرة بدر الدين (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)^(١١٨) وشهاب الدين بن حجي (ت ٧٩١هـ / ١٣٩٢م) وكان له دكان بدمشق يبيع فيه العطر^(١١٩) وكذلك أحمد بن عبدالرحمن بن أحمد بن محمد (ت ٨٧٣هـ / ١٤٦٧م) الذي كان عطاراً يبيع الأعشاب والعطور في سوق العطارين^(١٢٠).

الزراعة :

ارتبط النشاط الزراعي في بلاد الشام بسقوط الأمطار وكانت جودتها وكميتها تعتمد بالدرجة الأولى على مياه الأمطار وقد أدى موقع البلاد وطبيعة التضاريس إلى اختلاف واضح في نماذج المناخ، وكان تعدد المناخات في مساحات قليلة العرض من العوامل المساعدة على وجود مناطق زراعية متنوعة فيها^(١٢١).

وقد امتهن علماء دمشق خلال فترة الدراسة مهنة الزراعة لتحصيل قوته من المحاصيل الزراعية فمنهم، أحمد بن الحسن بن يوسف الكواشي، برز في علم التفسير (ت ٦٨٠هـ / ١٢٨١م) كان يعمل في بساتين له ثم يحصدها وقت الحصاد ويأخذ منه

ما يحتاج له ولأسرته ويعطي الفقراء والمحتاجين الساكنين حوله، فكان يفعل هذا كل سنة حتى كثر زرعه وزاد محصوله الزراعي، وكان لا يقبل من أحد هدية^(١٢٢).

والحسن الكردي ت(٧٠٠هـ / ١٣٠٠م) كان يقيم بالشاغور^(١٢٣) في بستان له يأكل منه ويزرع فيه أنواع المحاصيل الزراعية ويطعم من يزوره أو يمر عليه^(١٢٤).

الصياغة:

هي مهنة الصائغ، وصاغ الشيء أي هياه على مثال مستقيم وسكبة عليه فانصاع^(١٢٥).

وقد اهتم الإنسان منذ أقدم العصور بالزينة وهذا الاهتمام دفعة إلى التفنن في صياغة وصناعة الأدوات الثمينة وحين تفنن الصياغ في صياغة الذهب والفضة وتفننوا في تصويرها ووضع الأحجار الكريمة عليها^(١٢٦) وممن عمل في هذه المهنة أحمد بن عثمان بن شهاب الدين والد الحافظ أبي عبدالله شمس الدين الذهبي(٦٩٧هـ / ١٢٩٧م) الذي عمل في صناعة الذهب فبرع فيه وتميز حتى عرف بالذهبي نسبة إلى مهنته التي عمل فيها^(١٢٧). وكان أبو عبدالله محمد بن يوسف (ت ٧٨٠هـ / ١٣٧٧م) كبير الذهبين في زمانه^(١٢٨).

الحدادة:

وهي من المهن القديمة المهمة المتقدمة في بلاد الشام، وقد ساعد على تقدم هذه الصناعة توفر معدن الحديد في بلاد الشام. ولقد قام الحدادون بصناعة الكثير من الأدوات الحديدية فنجد محمد بن أبي بكر بن أبي القاسم الدمشقي (ت ٧٢١هـ / ١٣١٩م) كان يتكسب في صناعة السكاكين^(١٢٩). هذه كانت من أكثر المهن انتشاراً منذ القدم.

الخاتمة

لقد خلصت الدراسة إلى بعض النتائج التي يمكن حصرها فيما يلي:

أولاً: لقد أدت كثرة الأسواق في دمشق وتنوع أنشطتها إلى كثرة المهنيين والحرفيين بها، ولم يقتصر ذلك على عامة الناس بل شمل أيضاً طبقة العلماء.

ثانياً: أن الدراسة أبرزت ما عُرفت به كل مهنة أو حرفة من تنظيم وآداب ومكان السوق لتلك المهنة وبرز منتجاتها.

ثالثاً: كشفت الدراسة عن الدور الذي ساهم به العلماء في الناحية الاقتصادية وذلك من خلال اشتغالهم بتلك الحرف والمهن التي بلغت إحدى عشرة، ووفرت للناس حاجاتهم اليومية من تلك الصناعات وغيرها.

رابعاً: أوضحت الدراسة الدور الذي ساهم به العلماء في نشر بعض الحرف والمهن وبروزها في تلك الحقبة كالإقباعي والذهبي والكتبي والخياط وغيرهم حتى عرفوا بها، أو عُرفت بهم، بل أصبح البعض منهم رئيس طائفة مهنته.

خامساً: أبرزت الدراسة عدداً من العلماء ممن اشتغل بمهنة لم يُعرف بها العلماء بكثرة ألا وهي مهنة الشهادة، أي التكسب من الشهادة عند إبرام العقود وعند القضاة، ويبدو أنها أسهل المهن.

سادساً: أن مهنة الوراقاة والنسخ تأتي بعد مهنة التكسب بالشهادة من حيث عدد العلماء المشتغلين بها.

سابعاً: أن اشتغال أولئك العلماء بالمهن والحرف وفر لهم مستوى معيشي جيد ضمن لهم بالتالي حياة كريمة، بل إن البعض قد أثرى من مهنته أو حرفته ثراءً كبيراً.

ثامناً: وقد بينت هذه الدراسة بعض الجوانب الحياتية لأولئك العلماء وما برزوا فيه من علوم، ومن أخذ عنهم من علماء وطلاب للعلم، وأبرز إنتاجهم العلمي. وأمل أن تُسهم هذه الدراسة في خدمة الباحثين حول تاريخ مدينة دمشق وما زخرت به من علماء برزوا وساهموا في الجانب العلمي والاقتصادي والاجتماعي على حد سواء.

الهوامش والتعليقات:

- (١) ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م) لسان العرب، ط ٣، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٤م، ج ٤، ص ١٤٥.
- (٢) ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ١٤٥.
- (٣) الأزهرى، محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م) تهذيب اللغة، تحقيق: عبدالله درويش، القاهرة، ج ٥، ص ١٦.
- (٤) الجواهري، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبدالغفور، بيروت، ١٩٨٤م، ج ٤، ص ٣٤٣.
- (٥) ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٩٠.
- (٦) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، (ت ١٢٠٥هـ/ ١٨٠٥م) تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبدالفتاح الحلوة، الكويت، ١٩٨٤م، ج ٢٣، ص ١٢٤ - ١٣٣ - ١٣٤.
- (٧) الزبيدي، تاج العروس، ج ٢٣، ص ١٣٤.
- (٨) فؤاد العادل، المجتمع الشامي، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ص ١٦.
- (٩) أبو البقاء، عبدالله بن محمد البدرى، (ت ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م) نزهة الأنام في محاسن أهل الشام، ط ١، بيروت، دار الرائد العربي، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ٧٨.
- (١٠) فؤاد العادل، المجتمع الشامي، ص ١٧.
- (١١) كيال منير، فنون وصناعات دمشقية، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ص ٢٠٦.
- (١٢) ابن بسام، محمد بن أحمد، (ت بعد ٨٨٤هـ/ ١٤٧٤م) نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: حسم الدين السامرائي، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٦٨م، ص ١٣.
- (١٣) كيال منير، فنون وصناعات دمشقية، ص ٢٢٣.
- (١٤) محمد حسين، محاسنة، تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي، ط ١، دمشق، الأوائل،

٢٠٠١م، ص ١٩٧.

(١٥) محاسنة، تاريخ مدينة دمشق، ص ١٩٨.

(١٦) كيال منير، فنون وصناعات دمشقية، ص ٢٠٦؛ محاسنة، تاريخ مدينة دمشق، ص ١٩٨.

(١٧) البصروي، علاء الدين علي بن يوسف (ت ٩٠٥هـ/١٤٩٩م) صفحات مجهولة من تاريخ دمشق في عصر المماليك (تاريخ البصروي) تحقيق: أكرم حسن العلي، دمشق، دار المأمون للتراث، ص ٥٧ الحاشية رقم ٢.

(١٨) الونشريسي، أحمد بن يحيى (ت ٩١٤هـ/١٥٠٨م) المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بأداب الموثق وأحكام الوثائق، تحقيق: لطيفة الحسني، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ٢٥٨.

(١٩) الونشريسي، المنهج الفائق، ص ٢٥٩؛ متعب بن حسين القشامي، أضواء على الحرف والصناعات بمكة المكرمة من خلال كتاب العقد الثمين للفاسي، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد الحادي والستون، ٢٠١٠، ص ٣٨٨.

(٢٠) حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٦م، ج ٢، ص ٦٢١ - ٦٢٢؛ متعب القشامي، أضواء على الحرف والصناعات، ص ٣٨٨.

(٢١) باب جيرون: هو الباب الشرقي للمسجد الأموي وهو من أكبر أبواب الجامع وله دهليز كبير (المنجد، صلاح الدين، مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالين المسلمين، ط ١، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٦٧م، ص ٢٥٨).

(٢٢) أكرم حسن العلي، دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين، ط ١، دمشق، الشركة المتحدة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ١٦٨.

(٢٣) العلي أكرم، دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين، ص ٢١٢.

(٢٤) العلي أكرم، دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين، ص ١٦٨.

(٢٥) الونشريسي، المنهج الفائق، ص ٢٩١.

- (٢٦) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد السعيد بسيوني، بيروت، دار الكتب العلمية، ج٣، ص٣٧١.
- (٢٧) باب الساعات: هو أحد الأبواب الشرقية لمدينة دمشق ويعرف اليوم بباب توما (ابن المبرد، يوسف بن حسن، (ت٩٠٩هـ/١٥٠٣م) رسائل دمشقية، تحقيق: صلاح محمد الخيمي، ط١، بيروت، دار الكثير، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٤٩ حاشية رقم ٤٩).
- (٢٨) الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٣، ص٣٧٦.
- (٢٩) الذهبي، ذيول العبر، ج٤، ص٢٩.
- (٣٠) ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (٨٥٢هـ/١٤٤٨م) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ضبطه وصححه: عبدالوارث محمد، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج٢، ص٢٥٢.
- (٣١) الكتبي، محمد بن شاعر (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ج٢، ص٨٢.
- (٣٢) الذهبي، ذيول العبر، ج٤، ص١٢٣.
- (٣٣) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت٩٠٢هـ/١٤٩٧م) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ضبطه وصححه: عبداللطيف حسن، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ج١، ص٣٤١.
- (٣٤) ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق: محمد عبدالمعيد خان، ط٢، بدون، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج٥، ص١٠٠ - ١٠١؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٢٢٧.
- (٣٥) السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص١٨٩.
- (٣٦) السخاوي، الضوء اللامع، ج٩، ص١٣٠.
- (٣٧) السخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص١٣٩.

- (٣٨) البصروي، تاريخ البصري، ص ٥٢.
- (٣٩) البصروي، تاريخ البصري، ص ٥٧.
- (٤٠) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٤، ص ١٥١.
- (٤١) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١، ص ٨.
- (٤٢) ابن طولون، شمس الدين محمد (ت ٩٢١هـ/ ١٥١٥م) مفاكهة الخلاف في حوادث الزمان، تحقيق: محمد مصطفى، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م، ج ١، ص ٥١.
- (٤٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٦، ص ٨٦.
- (٤٤) باب البريد: بالقرب من الجامع الأموي ويقع شمال غرب الجامع وفيه عدد من الأسواق التجارية (ابن المبرد، رسائل دمشق، ص ٦٥، حاشية رقم ١).
- (٤٥) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١، ص ٢٤٣.
- (٤٦) البصروي، تاريخ البصري، ص ١٥٧-١٥٨.
- (٤٧) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١، ص ٦٢.
- (٤٨) باب السريجة: من أحياء دمشق التي قامت خارج السور، ويقع إلى الغرب من باب الجابية. انظر: البصروي، تاريخ البصري، حاشية رقم ١، ص ٢٣١.
- (٤٩) البصروي، تاريخ البصري، ص ٢٣٢.
- (٥٠) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١، ص ٣٠٨.
- (٥١) محمد كرد علي، خطط الشام، ط ٢، دمشق، مكتبة النوري، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ج ٤، ص ٢٠٧.
- (٥٢) رنا سعد الحمود، حرف وصناعات بلاد الشام في العصر المملوكي، جامعة اليرموك، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م (رسالة ماجستير) ص ٣٠.
- (٥٣) ابن المبرد، رسائل دمشق، ص ٧٩.

- (٥٤) العليين، جمع علي وهو صانع الأواني الخشبية من علب ومجامع ومخاصر (القاسمي، محمد سعيد، قاموس الصناعات الشامية، تحقيق: ظافر القاسمي، ط ١، دمشق، دار طلاس، ١٩٨٨م، ج ١، ص ٢٤٣).
- (٥٥) ابن المبرد، رسائل دمشقية، ص ٨٨.
- (٥٦) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) المقدمة، تحقيق: حجر عاصي، بيروت، دار مكتبة الهلال، ١٩٨٨م، ص ٧٣٠ - ٧٣١.
- (٥٧) محمد كرد علي، خطط الشام، ٢٠٧-٢١٥.
- (٥٨) ابن حجر العسقلاني، الدر الكامنة، ج ٤، ص ١٢٧.
- (٥٩) النشارة: هم نشاروا الخشب بمختلف أنواعه كالجوز والصفصاف، القاسمي، قاموس الصناعات الشامية، ج ٢، ص ٤٨١.
- (٦٠) ابن المبرد، رسائل دمشقية، ص ٨٧.
- (٦١) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٧، ص ١٥٣.
- (٦٢) ناصر محمد الحازمي، الحياة العلمية في دمشق في العصر الأيوبي، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، ج ١، ص ٢٢٣.
- (٦٣) ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٩٢.
- (٦٤) السبكي، تاج الدين عبدالوهاب (ت ٧٧١هـ / ١٤٦٣م) معيد النعم ومبيد النعم، ضبطه: محمد فتحي النادي، ط ١، القاهرة، مؤسسة العلياء، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ص ١٥٤.
- (٦٥) ابن جماعة، بدر الدين (ت ٧٢٣هـ / ١٣٣٢م)، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، بيروت، دار الكتب العلمية، ص ١٧٤؛ ناصر محمد الحازمي، الحياة العلمية، ص ٢٢٣ - ٢٢٤.
- (٦٦) ابن طولون، القلائد الجوهريّة في تاريخ الصوالحية، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ج ١، ص ٢٢٤.

- (٦٧) أبو البقاء، نزهة الأنام، ص ٢١٤.
- (٦٨) محمد أحمد زيود، حالة بلاد الشام الاقتصادية منذ العصر الطولوني وحتى نهاية العصر لقاطمي، دمشق، دار الفكر، ص ٢٤٠.
- (٦٩) محمد أحمد زيود، حالة بلاد الشام الاقتصادية، ص ٢٤١.
- (٧٠) الذهبي، تاريخ الإسلام، ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ج ١٤، ص ٣١٩؛ الصفدي، صلاح الدائم خليل أيبك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) الوافي بالوفيات / اعتناء إحسان عباس، بيروت، فرانز شتايز شنة تغارت ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ج ٧، ص ٣٤.
- (٧١) الكتبي، فوات الوفيات، ج ٤، ص ٣٤٠.
- (٧٢) الذهبي، العبر في خبر من غير، ج ٣، ص ٣٦٠.
- (٧٣) الذهبي، ذبول العبر في خبر من غير، ج ٤، ص ٢٥.
- (٧٤) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٢٩١.
- (٧٥) بن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين بن يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق: محمد محمد أمين، القاهرة، مركز تحقيق التراث، ١٩٨٤م، ج ١، ص ٣٨١.
- (٧٦) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ١١١.
- (٧٧) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٢٠٠.
- (٧٨) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٤٩-٥٠، ابن العماد الحنبلي، عبدالحفي بن أحمد (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٦٠م)، شذرات الذهب، في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط ١، دمشق، دار ابن كثير، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م، ج ٨، ص ٣٤٣-٣٤٤.
- (٧٩) المقرئزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق: محمد عثمان، ط ١، لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م، ج ٢، ص ٣٥٣، ابن حجر

- العسقلاني، إنباء الغمر، ج٩، ص٨١، السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص٣٣٢.
- (٨٠) ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٩، ص٨١.
- (٨١) السخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص١٨٦.
- (٨٢) ابن طولون، مفاكهة الخلان، د١، ص٢٢.
- (٨٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص٢٦٣.
- (٨٤) النسيج: مأخوذ من نسج الثوب ينسجه نسجاً والمنسج بكسر الميم الأداة التي يمد عليها الثوب ينسج، الجوهرية، الصحاح تاج اللغة، ج١، ص٤٣٣.
- (٨٥) متعب القشامي، أضواء على الحرف والصناعات، ص٣٨٥.
- (٨٦) ابن خلدون، المقدمة، ص٢٧٠.
- (٨٧) محمد أحمد زيود، حالة بلاد الشام الاقتصادية، ص١٩٣.
- (٨٨) الأطلس: نسيج حريري معروف ويسمى بالأطلس أبي الأصلح لأنه لا تحمل له (رنا سعد الحمود، حرف وصناعات بلاد الشام، ص١٣).
- (٨٩) السابوري، نسبة إلى مدينة سابور الواقعة في بلاد فارس (الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله (ت٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) معجم البلدان، تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندي، بيروت، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) دار الكتب العلمية، ص١٥٣).
- (٩٠) أبو البقاء، نزهة الأنام، ص٢١٤.
- (٩١) عَيِّي: هي ملابس واسعة تحتوي على خطوط سود كبار (ابن المبرد، رسائل دمشقية، ص٧٦).
- (٩٢) بن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢، ص٢٣٢؛ ابن مجد العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص١٩٠.
- (٩٣) ابن المبرد، رسائل دمشقية، ص٩٦؛ قتيبة الشهابي، معجم دمشق التاريخي للأماكن والأحياء والمشيدات وموقعها وتاريخها، دمشق، وزارة الثقافة السورية، ١٩٩٩م، ص٤٤.
- (٩٤) الذهبي، ذبول العير، ج٤، ص١٢١-١٢٢.

- (٩٥) القز: اسم عام يطلق على اليرقة المنتجة للحرير واهتم أهل الشام بتربيتها وتفقسيتها وعلفها وقطف الشرائق، الأنطاكي، داود عمر (ت ١٠٠٨هـ / ١٦٠٠م) تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب والعجاب، شرحها: علي شيري، بيروت، مؤسسة عز الدين، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ج ١، ص ٢٥).
- (٩٦) ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج ١، ص ٩٨؛ المقرئ، درر العقود، ج ١، ص ١٩٣.
- (٩٧) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ١، ص ١٦٦.
- (٩٨) البز: الثياب من الكتان أو القطن (ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٢، ص ٢٣٩، الحاشية رقم ١).
- (٩٩) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٢، ص ٢٣٨-٢٣٩.
- (١٠٠) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٥، ص ١٧٥.
- (١٠١) المقرئ، درر العقود، ج ٢، ص ٢٦٩ - ٣٧٠؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج ٥، ص ١٩١.
- (١٠٢) المقرئ، درر العقود، ج ٣، ص ١٠٩؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج ٧، ص ١٣٧.
- (١٠٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٢، ص ٢٢٦.
- (١٠٤) سوق الأقباعيين: نسبة لمن يصنعون الطواقي من الجلد ومركز هذا السوق كان تحت سوق الطواقين، واقتصر على بيع الأقباع (ابن المبرد، رسائل دمشق، ص ٧٦؛ القاسمي، قاموس الصناعات الشامية، ج ٢، ص ٤٦١).
- (١٠٥) ابن المبرد، رسائل دمشق، ص ٧٦.
- (١٠٦) الأنوال: النول خشبة الحائك التي يلف عليها الثوب والجمع أنوال، (ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٦٤٨).
- (١٠٧) محمد كرد علي، خطط الشام، ج ٤، ص ٢٠٤.
- (١٠٨) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٤، ص ١٧٠.
- (١٠٩) سوق جقمق: بناه نائب دمشق جقمق الدوادار سنة (٨٢١ - ٨٢٣هـ / ١٤١٦ - ١٤١٨م)

- ويقع السوق المذكور قرب خان (التكية) أو (الدكة) كما يسمونه في أول سوق مدحت باشا اليوم وكانت تباع فيه الثياب (البصروي، تاريخ البصروي، ص ١٨١ الحاشية رقم ١).
- (١١٠) البصروي، تاريخ البصروي، ص ١٨١.
- (١١١) إبراهيم زعرور، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصر الأيوبي والمملوكي، دمشق، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ١٤٢.
- (١١٢) الذهبي، العبر في خير من غير، ج ٣، ص ٢٤١، المقرئزي، درر العقود، ج ١، ص ٩٨؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ١، ص ٣٠٢.
- (١١٣) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ١٠٦.
- (١١٤) العطارون: هم من يبيعون للناس العطور والنباتات الطبية وبعض ما يتعلق بأغراض التجميل (عبدالعزیز العمري، الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ، ط ١، الدوحة، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، ١٩٨٥م / ص ٢٥٤).
- (١١٥) المزه: قرية قريبة من دمشق، وقد أصبحت اليوم ضاحية من ضواحي المدينة (المقدسي، رسائل دمشقية، ص ٣١، حاشية رقم ٥).
- (١١٦) شيخ الربوة: محمد بن أبي طالب (ت ٧٢٧هـ / ١٢٢٩م) نخبه الدهر في عجائب البر والبحر، بيروت، دار العرب، ٢٠١٣م، ص ١٩٤.
- (١١٧) ابن المبرد، رسائل دمشقية، ص ٨١.
- (١١٨) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ١، ص ٣١٢، ابن العلماء الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٦٨١.
- (١١٩) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٨، ص ٣٢٩.
- (١٢٠) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١، ص ٢٧٢.
- (١٢١) محمد أحمد زيود، حالة بلاد الشام الاقتصادية، ص ٨٦.
- (١٢٢) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ١، ص ٢٧٨.

- (١٢٣) الشاغور: أحد أحياء دمشق القديمة (المقدسي، رسائل دمشقية، ص٤٧، حاشية رقم ٤).
- (١٢٤) ابن كثير: إسماعيل بن علي (ت٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو مسلم ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ج١٤، ص١٨؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٥، ص١٤٦.
- (١٢٥) ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص٤٤٢.
- (١٢٦) رنا سعد حمود، حرف وصناعات بلاد الشام، ص٨٨.
- (١٢٧) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١، ص٣٨٦.
- (١٢٨) السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص٢١٤.
- (١٢٩) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٣، ص٢٤٩.

المصادر

- الأزهري، محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ / ٩٨٠م). تهذيب اللغة، تحقيق: عبدالله درويش، القاهرة.
- الأنطاكي، داود عمر (ت١٠٠٨هـ / ١٦٠٠م). تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب والعجاب، شرحها: علي شيري، بيروت، مؤسسة عز الدين، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- ابن بسام، محمد بن أحمد (ت٨٨٤هـ / ١٤٧٤م). نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: حسام الدين السامرائي، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٦٨م.
- البصروي، علاء الدين بن علي بن يوسف (ت٩٠٥هـ / ١٤٩٩م). صفحات مجهولة من تاريخ دمشق في عصر المماليك (تاريخ البصروي) تحقيق: أكرم حسن الحلبي، دمشق، دار المأمون للتراث.
- أبو البقاء، عبدالله بن محمد البدري (ت٨٨٣هـ / ١٤٨٢م). نزهة الأنام في محاسن أهل الشام، ط١، بيروت، دار الرائد العربي، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين بن يوسف (ت٨٧٤هـ / ١٤٧٠م). المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد محمد أمين، القاهرة، مركز تحقيق التراث، ١٩٨٤م.
- ابن جماعة، بدر الدين (ت٧٢٣هـ / ١٣٣٢م). تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ / ١٠٠٤م). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبدالغفور، بيروت، ١٩٨٤م.
- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ / ١٤٤٨م). إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: محمد عبدالمعيد خان، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- الدر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ضبطه وصححه: عبدالوارث محمد، ط١، بيروت، دار

- الكتب العلمية، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م).
- معجم البلدان، تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
 - ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م).
 - المقدمة، تحقيق: حجر عاصي، بيروت، دار مكتبة الهلال، ١٩٨٨م.
 - الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م).
 - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
 - العبر في خبر من غير، تحقيق: محمد السعيد بسيوني، بيروت، دار الكتب العلمية.
 - الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ / ١٨٠٥م).
 - تاج العروس من جواهر القاموس، عبدالفتاح الحلوة، الكويت، ١٩٨٤م.
 - السبكي، تاج الدين عبدالوهاب (ت ٧٧١هـ / ١٤٦٥م).
 - معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق: محمد فتحي النادي، ط ١، القاهرة، مؤسسة العلياء، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
 - السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م).
 - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ضبطه وصححه: عبداللطيف حسن، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية.
 - شيخ الربوة، محمد بن أبي طالب (٧٢٧هـ / ١٢٢٩م).
 - نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، بيروت، دار العرب، ٢٠١٣م.
 - الصفدي، صلاح الدين خليل أيبك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م).
 - الوافي بالوفيات، اعتناء: إحسان عباس، بيروت، فرانز شتايز شتو تغارت، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
 - بن طولون، شمس الدين محمد (ت ٩٢١هـ / ١٥١٥م).

- القلائد الجوهريّة في تاريخ الصوالحية، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة.
- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق: محمد مصطفى، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م.
- ابن العماد الحنبلي، عبدالحى بن أحمد (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٦٠م).
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمد الأرنؤوط، ط ١، دمشق، دار ابن كثير، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
- القاسمي، محمد سعيد (ت ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م).
- قاموس الصناعات الشامية، تحقيق: ظاهر القاسمي، ط ١، دمشق، دار طلاسي، ١٩٨٨م.
- الكنتي، محمد بن شاکر (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م).
- فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر.
- ابن كثير، إسماعيل بن علي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م).
- البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو مسلم، ط ٢، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ابن المبرد، يوسف بن حسن (ت ٩٠٩هـ / ١٥٠٣م).
- رسائل دمشقية، تحقيق: صلاح محمد الخيمي، ط ١، بيروت، دار الكثير، ١٤٠٨هـ / ١٩٩٨م.
- المقرئزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م).
- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق: محمد عثمان، ط ١، لبنان، دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٩م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ / ١٣١١م).
- لسان العرب، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٤م.
- الونشريسي، أحمد بن يحيى (ت ٩١٤هـ / ١٥٠٨م).
- المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بأداب الموثق وأحكام الوثائق، تحقيق: لطيفة الحسني، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

المراجع

إبراهيم زعرور

- الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصرين الأيوبي، والمملوكي، دمشق، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

أكرم حسن العلي

- دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين، ط١، الشركة المتحدة، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

حسن الباشا

- الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٦م.

صلاح الدين المنجد

- مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالين المسلمين، ط١، بيروت، دار الكتب الجديد، ١٩٦٧م.

عبدالعزیز العمري

- الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ، ط١، الدوحة، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، ١٩٨٥م.

فؤاد العادل

- المجتمع الشامي، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

قتيبة الشهابي

- معجم دمشق التاريخي للأماكن والأحياء والمشدات وموقعها وتاريخها، دمشق، وزارة الثقافة السورية، ١٩٩٩م

محمد أحمد زيود

- حالة بلاد الشام الاقتصادية منذ العصر الطولوني حتى نهاية العصر الفاطمي، دمشق، دار الفكر.

محمد حسين محاسنه

- تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي، دمشق، الأوائل، ٢٠٠١م.

محمد كرد علي

- خطط الشام، ط٢، دمشق، مكتبة النوري، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

مفيد كيال

- فنون وصناعات دمشقية، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

ناصر محمد الحازمي

- الحياة العلمية في دمشق في العصر الأيوبي، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

**التنظيمات الإدارية والقانونية
في عهد المنصور محمد بن أبي عامر وأثرها على
الحكم في بلاد الأندلس**

د. عذاري الشعيبى

التنظيمات الإدارية والقانونية في عهد المنصور محمد بن أبي عامر

وأثرها على الحكم في بلاد الأندلس

د. عذاري الشعيبي

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة موجزة تتناول القوانين السياسية و الجوانب التنظيمية الإدارية لفترة حكم المنصور محمد بن أبي عامر بشيء من الاستقصاء والتحليل بالإضافة إلى موجز مختصر عن نشأته وكيفية انقضاذه على السلطة؛ لكشف وتوضيح الحقائق بما تيسر لنا من روايات بعض المؤرخين ومنقولاتهم خلال تلك الفترة وتمحيص ما تحويه من تحيز أو مبالغة. لكشف أسباب وكيفية توليه الحكم ومن ثم سيطرته وإحكام قبضته عليه وانتزاعه من الخلفاء الأمويين.

ولتحقيق هذا الهدف، قسمت الباحثة البحث إلى خمسة أجزاء حاولت من خلالها الكشف عن أسباب سيطرة المنصور محمد بن أبي عامر على بلاد الأندلس وبقائه في حكمها حتى وفاته بل وتوريث حكمها لأبنائه من بعده. وقد تمثلت هذه الأجزاء في الآتي: الأندلس قبل عهد المنصور، حياته ونشأته، أهم التغييرات التي أحدثها في الأندلس، وفاته، وختمت الدراسة بملخص يبين فيها أهم نتائج البحث التي تم التوصل إليها.

To proceed:

This research aims for a brief study that addresses the political laws and organizational administrative aspects of the reign of al-Mansur Muhammad Ibn Abi Amer with something of investigation and analysis as well as a brief summary about his upbringing and his swooping of power, to uncover and clarify the facts with what can get from the accounts of some historians and their quotations during that period and sifting what they contain of bias or exaggeration. To uncover how and why he came to power and then tighten his control and grip on it and extracting it from the Umayyad caliphs.

To achieve this goal, the researcher divided the research into five parts try through it to disclose the reasons for the control of al-Mansur Muhammad Ibn Abi Amer on Andalusia and his survival in its ruling until his death, and even inheriting the rule for his sons after him. These parts have been represented in the following: Andalusia before the reign of al-Mansur, his life and his upbringing, the most important changes he brought about in Andalusia, and his death, the study concluded with a summary showing the search results that have been reached.

المقدمة :

كانت الأندلس وما زالت تعتبر تجربة تاريخية مختلفة، وذات هوية إسلامية بثقافة عربية في بلاد أعجمية، ولما تم فتحها في عهد الدولة الأموية فقد تعاقب على حكمها العديد من خلفاء بني أمية حتى استطاع المنصور محمد بن أبي عامر أن يستل الحكم منهم ويستحوذ عليه لنفسه ثم يقوم بتوريثه لأبنائه من بعده في سابقة تعد مهمة في التاريخ الأندلسي.

والمطلع على كتب التاريخ المختصة بالأندلس، يجد أن العديد منها يركز على الجوانب العسكرية والفتوحات الإسلامية المزدهرة التي كانت في فترة المنصور محمد بن أبي عامر، دون التركيز على القوانين والأنظمة الإدارية والسياسية التي استحدثها أو قام بإبطلها بالأندلس بالإضافة إلى الأسباب التي ميزت المنصور كشخصية قيادية وكانت سبباً في قدرته على السيطرة على بلاد الأندلس وتولي زمام الأمور فيها.

وهكذا قد تحفي بطولات المنصور ومعاركه الجهادية الكثير من الأمور والقوانين المهمة التي اعتمدها لتثبيت سلطانه في البلاد، ولعلنا في هذا البحث نتناول تلك القوانين السياسية والإدارية محاولين ربط ذلك بمدى سيطرته على بلاد الأندلس حتى أدى إلى توريثها لأبنائه من بعده.

ويركز هذا البحث على تناول القوانين السياسية و الجوانب التنظيمية الإدارية لفترة حكم المنصور بشيء من الاستقصاء والتحليل بالإضافة إلى موجز مختصر عن نشأته وكيفية انقضاذه على السلطة؛ لكشف وتوضيح الحقائق بما تيسر لنا من روايات بعض المؤرخين ومنقولاتهم خلال تلك الفترة وتمحيص ما تحويه من تحيز أو مبالغة. وقد عمدنا لتحقيق هذا الهدف بالرجوع إلى الكتب والمصادر التاريخية التي تناولت سيرة المنصور من حيث نشأته وكيفية تدرجه بالسلطة وأهم الأنظمة والقوانين

التي أقرها واتبعها في إدارته لدولته. ونتيجة لذلك قسمت الباحثة البحث إلى عدة أجزاء رئيسة حاولت من خلالها الكشف عن نشأة المنصور وأهم النظم السياسية والإدارية التي اعتمد عليها في حكمه، وقد جاءت كالتالي: الأندلس قبل عهد المنصور، حياته ونشأته، أهم التغييرات التي أحدثها في الأندلس، وفاته، وختمت الدراسة بملخص يبين فيها أهم نتائج البحث التي تم التوصل إليها.

الأندلس قبل عهد المنصور:

كانت الأندلس ترفل في أثواب العلم والمعرفة زمن الخليفة الحكم المستنصر بالله^(١)، حيث كان الحكم شغوفاً بالعلم والمعرفة يقتني كل كتاب نفيس ويستنسخ كل كتاب ثري ومفيد، تميز حكمه بالعدل والفضل وحسن السيرة مع الناس فكان أهل الأندلس يعيشون في عهده حياة آمنة مطمئنة^(٢)، وعندما أحس الخليفة الحكم بكبر سنة وقرب أجله (سنة ٣٦٩هـ) قرر أن يعين له خليفة من بعده، ولما تحظى به زوجته الأميرة صبح من مكانة عظيمة وتأثير قوي على زوجها، فقد سعت إلى أن يقوم بتعيين ابنها الطفل هشام ذو العشر سنوات خليفة بعد والده بدلا من أعمامه أخوة الخليفة الحكم. وحتى تضمن الأميرة صبح استمرار الخلافة لابنها وعدم نزعها منه، فقد عملت على توثيق اتصالاتها بأحد رجال الدولة والقصر المهمين لمساعدتها في ذلك الأمر وهو محمد بن أبي عامر الذي كان وقتها صاحب السكة والموارث^(٣)، ويبدو أنها أساءت الاختيار فكان اختيارها لأكثر شخص نafسها على حكم ابنها والذي استطاع بعبقريته ودهائه أن يتمكن من السيطرة على الحكم ويصبح هو المتحكم والمسيطر في أمور الأندلس لمدة تزيد عن خمسة وعشرين سنة بل وأن يورث هذه السلطة لأبنائه من بعده.

حياته ونشأته:

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري، ولد ونشأ في جنوب بلاد الأندلس وتحديدا في الجزيرة الخضراء (سنة ٣٢٧هـ)^(٤)، ينتمي إلى أسرة عربية وهي قبيلة المعافر من بني حمير، وقد برز بعض أبنائها حتى أصبحوا من أصحاب الطبقات الراقية، وقد ظهر منهم القضاة والعلماء والساسة. ويعد والده من رجال الدين والعلم، أما والدته فهي بريهة بنت

يحيى بن زكريا التميمي، من قبيلة بني تميم العربية المعروفة في قرطبة التي لا تقل نسبا ومكانة عن قبيلة زوجها^(٥)، لقد عرف عن المنصور محمد بن أبي عامر نظمه للشعر وتمكنه من العلوم الشرعية وخاصة علم تحقيق الأنساب، وكان تعلقه بالعلم والأدب ومجالسته للعلماء دائم لا ينقطع فكان له مجلس يعقد كل أسبوع يجتمع فيه أهل العلم يتناقشون فيما بينهم، بل حتى أنه يأخذ معه أثناء غزواته مجموعة من الشعراء والأدباء لمؤانسته في مجالسه هناك^(٦). و كانت لتربيته الدينية دور في اهتمامه بالمساجد خلال فترة حكمه حيث اهتم بها و بتوسعتها كجامع قرطبة الذي شهد آخر توسعاته التي أحدثها في سنة (٣٧٧هـ - ٩٨٧م)^(٧).

نشأ المنصور وتربى تربية حسنة فكان شاباً يافعاً ذا نباهة و فطنة معتدا بنفسه، ذو نفس طموحة وهمة عالية^(٨)، فكان يرى في نفسه الشيء الكثير. ومما يروى عنه في ذلك ما رواه أحد أصحابه كان ابن أبي عامر يوماً جالساً مع ثلاثة من أصحابه من طلبة العلم، فقال لهم: ليختر كل واحد منكم خطة أوليه إياها إذا أفضى إلي الأمر! فقال أحدهم: توليني قضاء كورة رية، وهي مالقة وأعمالها؛ فإنه يعجبني هذا التين الذي يجيء منها! وقال الآخر: توليني حسبة السوق؛ فإني أحب هذا الإسفنج! وقال الثالث: إذا أفضى إليك الأمر فأمر أن يطاف بي قرطبة كلها على حمار ووجهي إلى الدُّب وأنا مطلي بالعسل ليجتمع علي الذباب والنحل، وافترقوا على هذا؛ فلما أفضى الأمر إليه كما تمنى بلغ كل واحد منهم أمنيته على نحو ما طلب!^(٩)، ولعل في هذا الموقف دلالة واضحة على النفس العالية للمنصور حتى وصل به طموحه إلى تملك بلاد الأندلس.

درس المنصور في جامعة قرطبة حيث طلب العلوم الشرعية من شيوخها واستل من مناهلهم علوم الحديث والأدب والنظم، حتى أصبح بارعاً فيها، ورائداً من رواد الحركة الفكرية ورجاليتها في الأندلس^(١٠). ثم فتح له دكانا ليكتب للناس

حوائبهم وطلباتهم والتماساتهم، وكان مكانه قريباً من قصر الخلافة، وسرعان ما انتشر اسمه وصيته و أعجب الناس بمهارته حتى وصل خبره للأميرة صبح زوجة الحكم، وكانت وقتها في حاجة ماسة لمثل شخصيته ومهارته ليساعدها على إدارة وتنظيم أموالها و أملاكها، فاستدعته حيث وظفته في القصر^(١١). واستطاع بذكائه ودهائه ومهاراته وخلال فترة وجيزة أن يستميلها إليه ويصبح مصدر ثقتها وإعجابها، فكان يهديها الغريب من الهدايا حتى أنه أهدها قصرًا من الفضة، قام بحمله الرجال على رؤوسهم لكبر حجمه^(١٢). وأمام ذلك الإعجاب وتلك الثقة قامت صبح بالتوسط له لدى زوجها الخليفة الحكم لتعيينه بالعديد من مناصب الدولة حيث أصبح يترقى في سلالم الوظائف المهمة فعين في الشرطة والقضاء و السكة والمواريث^(١٣). حتى وصل أن أعطته الأميرة صبح وكالة عامة للتصرف في أموالها وأموال ابنها هشام ولي العهد والنظر في ضياعهم وإدارة أملاكهم ومع بداية حكم الخليفة هشام أصبح بمكانة الوزير وبدأت حكايته كرجل مهم ذو كلمة مسموعة بالدولة^(١٤).

كان بداية السلطة والسيطرة عند المنصور بعد وفاة الحكم و استخلاف ابنه الصغير الخليفة هشام بدلا عنه، وبالرغم أن الطريق أمام المنصور للسيطرة والحكم كان صعبا وشاقا مليئا بالخصوم الأقوياء كرئيس الوزراء الحاجب جعفر المصحفي، و صقالبة القصر، وقائد الجيش و أمير الثغور غالب بن عبد الرحمن الناصري، لكن المنصور استطاع بدهائه وذكائه أن يقضي على جميع منافسيه^(١٥)، حتى أضحت الساحة خالية أمامه يتحكم فيها كيفما شاء.

وهكذا كان لشخصية المنصور القوية والذكية في آن واحد دور مهم في ترقيه في سلم السلطة حتى أضحى الرجل الأول في الأندلس خاصة مع صغر سن الخليفة هشام بن الحكم^(١٦) وعدم قدرته على الحكم، وسيطرته التامة عليه، حتى أصبحت

الأمر تسير لصالح المنصور بشكل سلس، فأصبح بعد وقت قليل قائد البلاد والمتحكم بأمور الحكم.

أهم التغييرات التي أحدثها في الأندلس

١/ الاستبداد التام بالخلافة والتخلص من منافسيه

قبل أن يبدأ المنصور بفرض سيطرته على بلاد الأندلس كان لزاماً عليه أن يثبت مكانه بالسلطة ويقبض بقوة على أمور الحكم من خلال القضاء على كل من يحاول القيام بأي انقلاب أو تغيير في أمور السلطة والحكم، أو حتى من يجد فيه الجراءة على التغيير السياسي. فبدأ بصقالبة^(١٧) القصر الذين حاولوا الانقلاب على حكم الأمير هشام بعد وفاة والده الحكم فصادر المنصور أموالهم و ثروتهم وقتل الكثير من رجالهم ونفى الباقي منهم حتى قضى عليهم عن بكره أبيهم، بل وعمل ذلك بكل من تبعهم واتبع رأيهم ووافق منهمجهم واستبدلهم بمماليك من عنده، عرفوا بالمماليك العامرية^(١٨).

بعد قضاء المنصور ابن أبي عامر على الصقالبة وكسر شوكتهم قرر أن يقضي على كل منافس قوي يتوقع أن يقف بطريق حلمه نحو الحكم والسلطة، وكان أبرز هؤلاء المنافسين هو رئيس الوزارة الحاجب جعفر المصحفي^(١٩)، حيث عمد على إسقاطه، وقد ساعده في ذلك قائد الثغور وفارس الأندلس غالب الناصري، الذي استطاع المنصور بنباهته وفطنته أن يكسب وده بحسن تعامله معه وتودده إليه، فأخذ القائد غالب يدحه عند الخليفة هشام و يقنعه بشجاعته في حروبه ضد النصارى وأن يجعله قائد جيش الأندلس بالعاصمة ويبقى هو قائد جيش الثغور^(٢٠)، بل بالغ الخليفة في تكريمه فقلده الحجابة جنبا إلى جنب مع المصحفي. و قد زادت قوة أبي عامر ومكانته بعد زواجه من أسماء ابنة القائد غالب^(٢١). وهكذا استمر المنصور في

اعتلاء العرش و استلام مقاليد القصر حتى استطاع أن يضرب المصحفي و يناصره العدا، وقام بكشف مساوئه و عيوبه كما نسب إليه بعض التهم، مما أثار موجة من الغضب عليه فأوكل الخليفة للمنصور تولي شأنه، فقرر عزله و مصادرة أمواله (سنة ٣٦٧هـ)، فأصاب الفقر عياله، و بعدها قام بسجنه و ظل بالسجن يستعطف المنصور و يرجوه فلم يرق له أو يهتم لأمره فمات في سجنه^(٢٢).

لقد قرر المنصور بعد قضائه على جعفر المصحفي أن يتغلب على غالب الناصري، الذي امتلك القوة والشجاعة و لما يتميز به غالب من قوة و شجاعة و جيشاً قوياً فقرر المنصور أن يبني جيشاً ينافس فيه جيش الناصري. و لتحقيق ذلك، كان بحاجة للأموال العظيمة، فأوهم الأميرة صبح أنه بحاجة لأموال خزينة الدولة لتجهيز جيش قوي لتثبيت ملك ابنها و سلطانه في داخل الأندلس و خارجها، فكان له ما أراد و استطاع أن يكون له جيشاً قوياً من البربر^(٢٣)، و قد اختار البربر تحديداً لقوتهم و شجاعتهم. فشكل منهم جيشاً قوياً مخلصاً له يرجو رضاه، عندها فطن القائد غالب بنية المنصور و أنه بهذا الجيش البربري يقصد إجلائه عن منصبه كقائد للجيش، و هو الأمر الذي أثار غضبه^(٢٤). و برغم علاقة النسب التي تجمع بين غالب و المنصور إلا أن حب الحكم فاق أي علاقة أسرية أو نسب بين الشخصين، فأضحت العلاقة بينهما فاترة بل تطورت و أصبح العدا و القضاء على الطرف الآخر هو سيد الموقف، و هو ما تجلّى بوضوح حين قرر المنصور أن يكسب المزيد من محبة شعبه و إعجابهم فأخذ جيشه للمشاركة بالحروب ضد النصارى و التقى بجيش غالب عند أحد حصون بلدة أنتيسة في الثغور الشمالية، حيث التقى مع غالب على وليمة طعام فدار بينهما حوار ساخن تحول لسباب و غضب فوصل أن رفع غالب سيفه بوجه المنصور محاولاً قتله، لكن سرعة المنصور بالتحرك ساعدته أن يهرب و ينجو بحياته. لكنه عاد مرة أخرى بجيش كبير للانتقام و محاربة غالب يعاونه أحد أتباعه من زعماء البربر و هو جعفر بن

حمدون^(٢٥)، وفي أثناء المعركة بين الطرفين سقط غالب ميتا لا يعرف سبب موته^(٢٦)، وقيل أن "قربوس سرجه قتله وقيل غير ذلك"^(٢٧)، وبذلك تخلص المنصور من أكبر خصومه ومنافسيه وأقواهم.

وبعد مقتل غالب انقلب المنصور على جعفر بن حمدون أهم معاونيه وأقواهم في حربه ضد القائد غالب وقرر الغدر به لأنه وجد فيه المنافس القوي، فدعا في قصره لليلة منادمة وأسقاها فيها الكثير من الخمر حتى أثقله الشراب وأضعف قوته، فلما خرج من قصر المنصور لمنزله أرسل إليه المنصور في الطريق من يقضي عليه فلم يستطع أن يدافع عن نفسه لشدة سكره، فقتل وقطع رأسه عن جسده وأرسل سرا إلى المنصور الذي أظهر الحزن على مقتله^(٢٨). وقد يكون في إظهاره الحزن ليمنع غضب جيشه البربري منه لو علموا أنه له يدا في مقتل أحد زعمائهم.

وبهذا استطاع المنصور أن يقضي على كل قوة تواجه وتهدد حكمه بالبلاد، و لو كان صاحب قرابة ونسب كالقائد غالب أو كان معاوننا مخلصا له كزعيم البربر جعفر بن حمدون.

وقد ذكر ابن الخطيب أن سياسة المنصور في التخلص من خصومه بقوله "كان (المنصور) آية من آيات الله في الدهاء والمكر والسياسة، عدا بالمصافحة (أي أعوان الحاجب المصحفي) على الصقالبه حتى قتلهم، ثم عدا بغالب على المصافحة فقتلهم، ثم عدا بجعفر الأندلسي على غالب حتى استراح منه، ثم عدا بنفسه على جعفر فأهلكه، ثم انفرد بنفسه ينادي صروف الدهر: هل من مبارز؟ فلما لم يجده، حمل الدهر على حكمه، فانقاد له وساعده، واستقام له أمره منفردا بسابقة لا يشاركه فيها غيره"^(٢٩).

كذلك عمد المنصور بن أبي عامر على رجال الحكم بالدولة وقام بتغييرهم وفقا لمدى إخلاصهم و تفانيهم في خدمته، وحتى يضمن من خلالهم الطاعة والولاء والمساندة، فوضعه الجديد من مجرد حاجب إلى المتصرف بأمور الحكم والمسيطرة على شؤون البلاد كان يستلزم له بطانة مخلصه تساعد على تثبيت سلطته وحكمه وتعاونه على إزالة كل ما يربطه بالحكم السابق. وهو ما عمد على القيام به من تغيير تام وشامل لمعظم طبقات الحكم والبلاد ووضع رجاله المخلصين بدلا عنهم^(٣٠)، فعمد على شراء ولاء رجال البلاط والجيش واستمالتهم إليه بتوزيع الهدايا والأموال إليهم^(٣١)، كما قام بإسقاط كل المواليين للخليفة الحكم المستنصر بالله وابنه هشام من بعده، وأزاحهم من الحكم ومن أي منصب في الدولة مهما بلغ حجمه أو مكانته، و قام بعمل تعيينات جديدة في الدولة لإتباعه ومناصريه ومن يثق في ولائهم له ومناصريهم إياه فسدوا مكان أسلافهم بكل تفان وإخلاص للمنصور^(٣٢)، وقد استطاع أن يسيطر على أمور الدولة ويمنع منافسيه من استبعاده أو مضايقته.

كان المنصور على علم و يقين بغضب بني أمية من تلك التصرفات الاستبدادية بالحكم، وكان يدرك أن سكوتهم لن يطول أمام تلك التجاوزات، فقرر أن يسبقهم في القضاء عليهم، فعمد على قتل كل من يخاف منافسته في الولاية على الخليفة هشام مبرراً عمله خوفاً على الخليفة منهم وهو في حقيقته خوفاً على سيطرته وسلطته. كما أصدر بعض الأوامر التي شلت من حريتهم ونشاطهم وضيقت عليهم حتى انشغلوا بأنفسهم عنه، فمن ذلك إلزامهم بالبقاء بمنازلهم وعدم الخروج منها إلا للضرورة القصوى. وأرسل جواسيسه لمراقبتهم كما أمرهم بعدم استقبال الزائرين في منازلهم إلا من يثق في إخلاصهم له أو بعض الغلمان أو شخصاً بجاجته كالطبيب عند معالجتهم أو معلماً لتعليم صبيانهم، ليشغلهم عن أمور الحكم فقد أمرهم بمرافقته في غزواته ليتعبهم ويدهقهم ولا ينشغلوا بالهم إلا بأنفسهم^(٣٣).

٢/ حرصه على استكمال مظاهر الملوك، بناء مدينة الزاهرة

في (سنة ٣٦٨هـ) عظم شأن المنصور في الدولة فأخذ يبحث عن مظاهرها فيصنعها لنفسه، فقرر أن يبني لنفسه قصراً يليق بمكانته وسلطته، و يسكن فيه مع أهله وغلمانها وخاصته، ليثبت نفسه ويشق طريق الانفراد في السيطرة على أمور الدولة، ويقلل من كثرة تردده على قصر الخلافة (الزهراء)^(٣٤)، وما قد يحتويه ذلك من تعرض سلامته للخطر من قبل بعض أعدائه وحساده. فحدد موقعا واسعا لبني فيه قصره الذي تطور فتحول إلى مدينة اسمها الزاهرة، كما طلب من رجال الدولة وكبرائهم بناء دورهم حول قصره، وأمر أصحاب العمال والدواوين والحرف بالانتقال إليها. وبعد سنتين (سنة ٣٧٠هـ) من انتقاله لقصره في مدينته الجديدة (الزاهرة) أمر بالتوسع في بناء أهم المرافق الهامة للمدينة وأن تكون مكاناً لجباية الأموال و مقصداً لأصحاب الولايات من كل الأقطار فأضحت كثيرة الأبنية، جميلة الحدائق، كثيرة الأسواق متعددة المنافع يتنافس الناس للبناء والسكن فيها^(٣٥).

ولم يكتفي المنصور بن أبي عامر بذلك بل توج مدينته الزاهرة بأن نقل إليها بيت المال من قصر الخلافة، وخاصة عندما وصل إلى مسامعه خبر محاولة السيدة صبح أم هشام بأن تستعين بجيش من المغرب ليساعدها على التخلص من المنصور بن أبي عامر بسبب تسلطه وحجره الشديد على ابنها هشام وذلك من خلال إرسال الأموال والهدايا إليهم^(٣٦)، فقام بنقل الأموال إليه لتكتمل سيطرته على بيت المال ويصبح المتحكم بزمام الأمور فيها.

٣/ تحويل منصب الحاجب لوزير تفويض.

في الفترة التي سبقت تولي المنصور أمور البلاد كان الحاجب^(٣٧) هو بمثابة وزير التنفيذ^(٣٨)، فهو يقوم بتنفيذ ما يطلب منه دون اعتراض أو إبداء للرأي وهو الأمر

الذي يتعارض مع شخصية المنصور القيادية وحبه للتحكم بالأمور والسيطرة عليها. فقام بتغيير سلطة الحاجب بما يتوافق مع هوى نفسه، فلما اطمأن المنصور لقوة سيطرته على أمور القصر عامة والخليفة خاصة، قرر أن يقوم بدور الخليفة نفسه فأصبح يقرر القرارات بنفسه ثم ينفذها دون الرجوع لأحد فكان يعطي أوامره باسم الخليفة هشام، فكان يوحى للناس أنه ينفذ كل ما يأمره به الخليفة، فكان يدخل القصر ويخرج منه ثم يلقي بالأوامر مدعياً أنها من أمير المؤمنين الخليفة هشام. ولما شق عليه كثرة دخوله للقصر وخروجه و أراد أن يصدر قراراته في قصره، زعم أن الخليفة فوضه تفويضاً^(٣٩) تاماً لإدارة شؤون البلاد لرغبته في التفرغ للعبادة^(٤٠). وبعد انتقال المنصور إلى قصره بالزاهرة تعطل قصر الخلافة ولم تصبح له أية أهمية فأصبح القصر ومن فيه بقبضة المنصور، فزاد في التشديد بمراقبة القصر وكل ما يدور حوله وما يكون فيه، فقام ببناء سور ضخمة وخذق عظيم ليصعب الوصول إليه ولعزله عن الناس. أما الخليفة هشام فقام بعزله تماماً عن الجيش والناس، و منعه من أي تواصل بينه وبين مريديه من بني أمية أو من أهل الأندلس، فرتب ثقاته من الحراس والبوابين لمراقبة القصر وحراسته بصورة مستمرة بالليل والنهار لمعرفة ما يدور فيه من حركات أو تنظيمات سرية أو جهرية. كما عين أحد رجاله الثقات للبقاء داخل القصر لتحكيم قبضته عليه من الداخل فأصبح الخليفة هشام تحت سيطرة المنصور وفي قبضة يده^(٤١). بل أنه منعه من الخروج من القصر للتنزه، ولم يسمح له بالخروج إلا بعد أن يلزمه بلبس البرنس^(٤٢)، كما ألبس جواريه مثله فإذا خرج الخليفة هشام معهن لا يفرق بينهن وبينه فلا يعرف أنه الخليفة فإذا انتهت نزهته عاد لقصره دون أن يعرفه أحد أو يجتمع مع أحد^(٤٣). ولم يذكر أنه أخرج للناس لصلاة الجمعة إلا مرة واحدة سنة (٣٨٧هـ)^(٤٤)، ولم يعد للخليفة هشام من وسم الحكم إلا اللقب السلطاني، والدعاء

على المنابر وضرب اسمه على السكة والنقود^(٤٥)، كما أصبح الخليفة هشام خليفة بالاسم فقط ليس له ذكر بين الناس.

كما قام المنصور باستكمال سيطرته على الدواوين وما يدور فيها، فعين فيها من يثق فيه و يخبره بكل ما يدور فيها من أحداث، فكانت له عيون منتشرة بالدواوين توافيه بكل صغيرة وكبيرة وكل شاردة وواردة تحدث فيها^(٤٦)، وبذلك أحكم المنصور بن أبي عامر سيطرته على الدولة فأصبح هو الأعلى سلطة، حتى استطاع أن يجعل من وظيفة الحاجب بمثابة وزير التفويض الذي يقرر وينفذ دون أن يقف في وجهه أحد^(٤٧).

ولعل في تحويله لمهمة منصب الحاجب من تنفيذ إلى تفويض يعكس لنا مدى سيطرة المنصور وقبضته على نظام الحكم بالدولة، في الوقت الذي كانت تشتكي فيه الدولة الأموية من عدم وجود خليفة قوي يرجع للأمويين زمام السيطرة على البلاد.

٤/ تنظيم الجيش في عهده:

تميز المنصور بن أبي عامر بالذكاء الإداري، فرأى أن تقسيمات الجيش بطريقته الحالية هي سبباً للفتن والانقسامات داخل الجهاز العسكري، فكان النظام قبل عهده ينقسم إلى قسمين: القسم الأول جيش عسكري نظامي يتقاضى أفراد راتباً ثابتاً. أما القسم الثاني فهو إقطاعي عسكري تمثله بعض القبائل، وهي لا تستلم راتباً شهرياً بل يباح لها جباية عطاء المدن الأندلسية الموجودة بها مقابل المشاركة مع الجيش النظامي في حروبه ضد النصارى^(٤٨). ولقد كان لهذا التقسيم دوره في إثارة الفتنة والانقسامات بين أفراد الجيش فقرر إلغاء النظام الإقطاعي العسكري وجعل جميع أفراد يتقاضون رواتب شهرية، كما قسم الجيش إلى فرق متعددة تكون خليطاً متمازجاً من عدة عناصر مختلفة وجعل قيادته تحت سيطرته مباشرة^(٤٩).

وليحكم سيطرته التامة على الجيش فقد عمد إلى الاستعانة ببعض القبائل العربية وبعضاً من الصقالبة النصارى، إلا أن اغلب جيشه كان يتكون من البربر حيث استعان بالآلاف من القبائل البربرية، فاستقطب الكثير من فرسانهم وشجعانهم واهتم بشأنهم وأعلى منزلتهم عنده. فكان يسكنهم الدور والقصور ويلبسهم أجمل اللباس ويغدق عليهم الكثير من الأموال فأصبحت الأندلس جنة الدنيا لهم، و أصبحوا يدينون له بالطاعة والولاء وتحت كلمته ويمتنعوا عن أي اتحاد مع العناصر القديمة بالجيش ضده^(٥٠).

وقد حرص المنصور على الجيش الثابت المرابط طوال العام، حيث كانت تصرف لهم جميعاً مرتبات ثابتة بالإضافة إلى تزويدهم بالسلاح والنفقات^(٥١). أما الجيش المرابط من الرجال فلم يكن على وتيرة واحدة بل في الغالب يتضاعف حين ينضم إليه المتطوعين من المسلمين^(٥٢).

وقد أصبح الجيش في عهد المنصور كبير العدد لدرجة أنه في سنة (٣٨٨هـ) استطاع الاستغناء عن مشاركة الشعب وإلزامهم بالالتحاق به، فأصبح له جيش ضخم قوي يدين له بالطاعة والولاء^(٥٣).

و لما يتميز به المنصور بن أبي عامر من قوة وشجاعة ومهارة بالقتال وبما تحمله نفسه المتفائلة بالنصر يشاركه فيها جيش قوي مخلص، فإنه سرعان ما رسم الخطط العسكرية وهياً الجند للقتال واثقاً من فوزه وانتصاره على أعدائه من النصارى، فإذا تواجه معهم انقض عليهم بكل قوة وشجاعة فتفر منه مهزومة ذليلة، يرجع بعدها لبلاده قائداً منتصراً، فكسر قوة النصارى وأذل ملكهم فدانته له معظم بلاد الأندلس وأصبحت تحت رايته فلم تقم في أيامه أي ثورة أو اضطراب لعظم هيئته وحسن تدبيره^(٥٤).

وهكذا أضحي النجاح على الأعداء والنصر على النصارى حليف المنصور بن أبي عامر، كما ذكر أنه لم يهزم في أي معركة أمام أعدائه خلال مدة إمارته الممتدة ٢٦ سنة، وعدد غزواته التي فاقت خمسين غزوة حيث كان يغزو في السنة غزوتين مرة بالصيف وأخرى بالشتاء^(٥٥). فكان كثير الغزوات بل كان يخرج من قصره لبعض شأنه فيعزم على الجهاد ويسير إليه فيلحق به بقية جيشه فما أن يصل للمكان المراد فتحه إلا وبقيّة عساكره قد تجمعت عنده^(٥٦).

لقد ملأ المنصور بن أبي عامر أرض الأندلس من سبايا بنات الروم فرخصت أثمانهن لكثرتهن. بل ذكر أنه في عهده بيعت بنت عظيم من عظماء الروم ذات جمال وحسن بعشرين ديناراً. فأصبحت بنات الروم ينافسن بنات الأندلس بالزواج مما حدا بالناس أن يرغبن ببناتهن للزواج، وذلك بالمبالغة بتجهيزهن من ثياب وحلي ودور^(٥٧)، كما قام عظماء النصارى بطلب مصاهرته وعرض فتياتهم عليه^(٥٨) رغبة في التقرب إليه وكسب وده، وقد يكون ذلك خوفاً منه و اتقاءً لشره.

وبالرغم من أن أحد الباحثين يذكر أن هذا الجيش اكتسب عدم قابلية الناس لهم ونفورهم منهم بل وحقدهم عليهم وكرهيتهم الشديدة خاصة حين بالغ المنصور في الاهتمام بجيشه الجديد والثناء عليه والتقليل من شأن الجيش الأندلسي القديم^(٥٩)، وهو أمر وإن كان موجوداً إلا أنه لم يمنع التحاق العديد من المتطوعين من الناس به في غزواته الجهادية عند حروبه ضد النصارى التي تكللت بالنجاح.

٥ / محاولة إعلان الخلافة

بعد تغيير المنصور لصلاحيات الحاجب وتوسعه فيها، بدأ يفكر بتولي الخلافة بشكل واضح كحاكم لبلاد الأندلس، فقام بمشاوره بعض العلماء والفقهاء في أن يزيع الخليفة الأموي هشام ويتولى حكم البلاد بدلاً عنه، إلا أنهم رفضوا موافقته على

رأيه، وذكروا له عدم تقبل الناس لغير بني أمية في الخلافة، وسلبيات ذلك التغيير وأثره على بلاد الأندلس^(٦٠)، خاصة وأن المنصور يرجع إلى بيت من الطبقة الوسطى من أحد بيوت قبائل اليمن، في وقت كان الاهتمام كبيراً بأصالة الأسر وعراقتها^(٦١). ولهذا أزاح المنصور الفكرة من نفسه ورضخ لرأيهم لعدة أسباب منها: أنه لا يريد إثارة البلاد وزعزعة الأمن فيها، كما أنه لا يريد أن يفقد العلماء والفقهاء، وهم قادة الشعب فرأيهم وموافقتهم له دور عظيم في تقبل الشعب أو رفضه للأمر، كما يبدو أن المنصور لم يجد أي فرق في وضعه الحالي من السيطرة والتحكم بالأمور على كونه خليفة للبلاد فالأمور لم تتغير سوى لفظاً فقط.

٦/ التسمي بالمنصور وتقبيل اليد والرجلين

بعد أن سكن المنصور بن أبي عامر مدينته الزاهرة، ومع قوة سيطرته على أمور البلاد، شعر أن منصبه كحاجب لا يليق مع ما وصل إليه من هيمنة على الحكم، فقرر أن يضيف لنفسه لقباً تشبهاً بالملوك والسلاطين. ففي (سنة ٣٧١هـ) اتخذ لقب " المنصور " فكان يكتب من الحاجب المنصور بن أبي عامر إلى فلان، كما أمر أن يدعى له بعد الدعاء للخليفة في جميع منابر الأندلس. كما أمر بعد ذلك أن ينقش لقبه على السكة والقباب ولم يعد بينه وبين الخليفة هشام فرق يذكر^(٦٢). كما فرض على جميع الناس مخاطبته بمولاي. ولم يكتف بذلك بل أمر جميع الناس بتقبيل يديه وقدميه كعادة الملوك، بالإضافة للوزراء ورجال بني أمية ووجهاء القوم. بل تمادى في ذلك معهم و يروي ابن عذارى أن الناس كانوا: "إذا بدا لأبصارهم طفل من ولده قاموا إليه، فاستبقوا وليده تقبيلاً، وعموا أطرافه لثماً"^(٦٣). ويبدو أن المنصور بن أبي عامر قد عاش حياة الخلفاء بكل ما فيها من مظاهر، بل حاول أن يفرض ذلك على الناس، ولعل في حرصه على اختيار لقب له و السماح بتقبيل يديه وتقبيل صغاره، ليفرض على الناس استشعار قوة سيطرته وسلطانه، وإن كان لم يطلق على نفسه لقب الخليفة.

٧/ إشرافه على جميع شؤون البلاد:

تميز المنصور بن أبي عامر بعدة صفات إدارية ميزته عن غيره من الحكام السابقين. فكان حريصاً على الإشراف على جميع شؤون الدولة صغيرها أو كبيرها بنفسه^(٦٤)، حتى أخذ منه هذا الأمر أغلب وقته، فكان لا ينام إلا سويقات قليلة. ويذكر ابن عذاري أن أحد الخدم وجد المنصور بن أبي عامر يقضاً لم ينام في أحد الليالي فقال له: "قد أفرط مولانا بالسهر، وبدنه يحتاج إلى أكثر من هذا النوم، وهو يعلم ما يجره عدم النوم من علة العصب"، فرد عليه المنصور بن أبي عامر، وقال له: "إن الملك لا ينام إذا نامت الرعية، ولو استوفيت نومي، لما كان في دور هذا البلد العظيم عين نائمة"^(٦٥). وقد يكون هذا الحرص هو خوفه من فقد الحكم فيحرص أن يكون يقضاً دائماً لمتابعة أمور البلاد ومنع أي محاولة للاضطراب أو انتزاع الحكم، خاصة أن سلطانه يقوم على حق مسلوب لغيره.

وفاته:

توفي الحاجب المنصور في ٢٧ رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاث مائة، وهو لم يتجاوز الخامسة والستين من العمر. وقد توفي مبطوناً^(٦٦)، وهو مرابط بأحد الثغور الإسلامية عند مدينة سالم حيث قبره لا زال موجوداً بها^(٦٧). و يبدو أن الحاجب المنصور كان يرجو أن تكون حروبه ضد النصارى سبباً لمغفرة الله له، فكان عند انتهائه من كل غزوة لقتال العدو يقوم بنفض ما التصق على ملابسه من غبار المعركة، حيث يجمعه ويحتفظ به بعناية فائقة، فلما حضرته الوفاة وحس بدنو أجله، عمد إلى ذلك الغبار، وأمر بأن يذر على كفنه حتى يدفن معه^(٦٨).

بعد وفاته تولى الحكم من بعده ابنه الشجاع أبو مروان عبد الملك بن محمد الملقب بالمظفر، حيث سار على طريقة والده بالحكم^(٦٩).

وقد أحدث خبر وفاة المنصور بن أبي عامر ضجة ودويًا كبيراً على جانبيين مختلفين، جانب الفرخ والتباشير في الأوساط النصرانية فرحاً بموته، بدليل أن خبر وفاته كتبها القساوسة والرهبان ضمن الحوليات اللاتينية الخاصة بالكنائس. أما المسلمون فحزنوا على وفاته، وذلك لفقدهم قائداً عظيماً قوياً، كانوا يشعرون بالأمان معه ضد أعدائهم النصارى، وقد وجد نقشاً مكتوباً على قبره مكتوب فيه:

آثاره تنبيك عن أخباره	حتى كأنك بالعيون تراه
تالله ما ملك الجزيرة مثله	حقاً ولا قاد الجيوش سواه ^(٧٠)

الخاتمة وأهم النتائج:

لعلنا نخرج من هذا البحث بمجموعة من النتائج ومن أهمها:

- ١/ كان للتحديثات الجديدة التي استحدثها المنصور دور في تقوية الحكم و السلطنة، سواء كان ذلك باستحداث قوانين جديدة أو إبطال قوانين سابقة.
- ٢/ تعديل المنصور لمنصبه من حاجب إلى وزير تفويض بما يتميز به من صلاحيات مكنه من القبض على زمام أمور الحكم حتى أضحى هو الخليفة المتحكم والمسيطر.
- ٣/ إعادة صياغة الصلاحيات في الدولة لتدور كلها في يد وزير التفويض. وذلك بعمل فصل واضح بين السلطة والخلافة حتى أصبح الخليفة شخصية أسمية فقط.
- ٤/ إعادة تنظيم الجيش وتقسيماته العسكرية لترجع جميعها إليه وتوقف الخلافات فيما بينهم بالوقت نفسه، كالتوسع في إدخال عناصر جديدة في الجيش وفي مؤسسات الدولة بما يضمن تكافؤ القوى وعدم قدرتها على اتحادها ضده ليكون المرجع الأساسي لها جميعا. مما سهل سيطرته وإحكام قبضته عليه، مما ساعده على إحراز الانتصارات المتتالية على أعدائه النصارى
- ٦/ إعادة تنظيم الأمور المالية في الدولة وجعل مرجعيتها إليه.
- ٧/ نقل دار الحكم من قصر الخليفة إلى قصره كوزير مفوض.
- ٨/ إعادة توزيع المناصب الإدارية الرفيعة والمواقع ذات الحساسية العالية في جميع مفاصل الدولة إلى المقربين منه لضمان ولائهم وإخلاصهم له.

٩ / اعتماد منهجية الإدارة المركزية القائمة على توحيد الصلاحيات والمرجعيات إلى شخصه بما يمنع من اتخاذ أي قرارات دون إذنه.

١٠ / اعتماد منهجية إبقاء عدو خارجي دائم تثار الحروب ضده من أجل توحيد الصف الداخلي بما يشغل الناس عن أي مخالفة في تغييراته الإدارية بالإضافة إلى إعجابهم به خاصة مع وجود النزعة الدينية الواضحة في تلك الفترة^(٧١).

١١ / ابتعاد المنصور عن العاطفة واعتماده في قراراته على العقل كان له دور كبير في قوة توطيد قبضته على البلاد، ومن ذلك إزاحته أي شخص قوي يتوقع أن يكون منافس له في يومٍ ما، وهو الأمر الذي بسببه قضى على كل رجل قوي بالدولة حتى لو كان ممن ساعده في تثبيت حكمه أو ارتبط معه بعلاقة نسب أو صداقة.

١٢ / بالرغم من أن العصبية كانت المحرك الأساس لكثير من الأمور في بلاد الأندلس، إلا أن المنصور بن أبي عامر كسر هذه القاعدة واستطاع أن يبسط قوته وسلطانه على الأندلس، فبالرغم من أصول المنصور العربية إلا أنه وجد في البربر القوة الحامية له، وفضلهم على الجيش العربي؛ فاستدعاهم وقربهم ووهبهم الكثير حتى استطاع أن يكسب إخلاصهم له.

١٣ / تعتبر فترة حكم المنصور بن أبي عامر من أقوى فترات الحكم الإسلامي في بلاد الأندلس، حيث أضحت الممالك النصرانية بغاية الضعف والانكسار أمام تلك العظمة بالدولة الإسلامية.

١٤ / بالرغم من كثرة المعارك التي خاضها المنصور وكثرة انشغاله بالفتوحات والمعارك الإسلامية، إلا أنها لم تشغله عن اهتمامه بالعمارة والأدب، فنجد اهتمامه الواضح بمدينته الزاهرة التي بناها لدواعي سياسية، فأصبحت جنة الدنيا

ومقصد الزوار، كما قام بتجديد قنطرة قرطبة وعمل بعض التوسعات في جامع قرطبة^(٧٢). أما الأدب فقد كان مشجعاً لتأليف الكتب وجمعها ويثيهم عليها بألاف الدينانير^(٧٣).

١٥ / قد يكون لعلاقة المودة والانسجام بين المنصور والفقهاء دور في بقائه لفترة طويلة بالحكم، فقد استمد جزءاً من قوته في مصالحته معهم فاستماعه لرأيهم بعدم إعلان نفسه للخلافة كان مثلاً لهذا التآلف.

١٦ / بعد وفاة المنصور وبالرغم من وصول المؤيد هشام لسن يستطيع من خلاله إدارة البلاد، إلا أنه كان قد اعتاد حياة الرضوخ وإطاعة الأوامر منذ الصغر، لذا نجده لا يحرك ساكناً أمام انتقال حكم الأندلس من المنصور إلى ابنه عبد الملك من بعده.

الهوامش والتعليقات:

١. الحكم بن عبد الرحمن الناصر لدين الله بن محمد تولى حكم الأندلس بعد أبيه الناصر وعمره ثمان وأربعين سنة وكان محبا للعلم والعلماء كانت مدة خلافته خمس عشرة سنة وخمسة أشهر، ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت: ٦٥٨هـ): التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام المهراس، دار الفكر للطباعة - لبنان، ١٤١٥هـ، ج ١، ص ٢٢٦-٢٢٧، ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت: ٦٥٨هـ): الحلة السرياء، تحقيق: حسين مؤنس، ط ٢، دار المعارف - القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٢٠٠.
٢. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج ١، ص ٢٢٦، السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط ١، دار الكتاب الجديد المتحدة - بيروت، ٢٠٠٠م، ص ١٩٠.
٣. عبد الواحد المراكشي، علي التميمي محيي الدين (ت: ٦٤٧هـ): المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تحقيق: صلاح الدين الهواري، ط ١، المكتبة العصرية - بيروت، ١٤٢٦هـ، ص ٣١، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ): البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ط ١، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ، ج ١١، ص ٣٢٣، ديورانت، وليم جيمس (ت: ١٩٨١م): قصة الحضارة، تقديم: محيي الدين صابر، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرين، دار الجيل - بيروت، ١٤٠٨هـ، ج ١٣، ص ٢٨٥، مؤنس، حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط ٩، دار الرشاد - القاهرة، ١٤٢٨هـ، ص ٣٨٩.
٤. ابن سعيد المغربي، أبو الحسن على بن موسى الأندلسي (ت: ٦٨٥هـ): المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ط ٣، دار المعارف - القاهرة، ١٩٥٥م، ج ١، ص ١٩٩، الصفدي، صلاح الدين خليل بن عبد الله ابن أبيك (ت: ٧٦٤هـ): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركلي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، ١٤٢٠هـ، ج ٢٧، ص ٢٠٤، الأعلام، الزركلي، ج ٦، ص ٢٢٦، ابن الأبار، الحلة السرياء، ص ٢٦٨، ابن عنان المصري، محمد عبد الله (ت: ١٤٠٦هـ): دولة الإسلام في الأندلس، ط ٤، مكتبة الخانجي - القاهرة، ١٤١٧هـ، ج ١، ص ٧٠٣، ابن الأبار، الحلة السرياء، ص ٢٧٢.

٥. العبادي، أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، بيروت - دار النهضة العربية، ب.ت.ط، ص ٢٢٦، الحميدي، محمد بن فتوح بن عبد الله (ت: ٤٨٨هـ): جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية للتأليف والنشر - القاهرة، ١٩٦٦م، ص ٧٩، ابن عميرة، أحمد بن يحيى بن أحمد أبو جعفر الضبي (ت: ٥٩٩هـ): بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي - القاهرة، ١٩٦٧م، ص ١١٧.
٦. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت: ٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، ط ٣، مؤسسة الرسالة - لبنان، ١٤٠٥ هـ، ج ١٧، ص ١٢٤، ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب ج ١، ص ١٩٩، ابن عميرة، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص ١١٦، ابن عنان المصري، دولة الإسلام في الأندلس، ج ١، ص ٧٠٣.
٧. الخلف، سالم بن عبد الله، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ط ١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ، ج ١، ص ١٤٦.
٨. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ١٢٣، الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، ص ٧٨.
٩. عبد الواحد المراكشي، المعجب في أخبار المغرب، ص ٣١، العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٢٧.
١٠. ابن الأبار، الحلة السراء، ص ٢٦٨، القحطاني، علي أحمد، الدولة العامرية في الأندلس، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة أم القرى، ١٤٠١هـ، ص ٣٢، الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ٢٢٦، ابن عنان المصري، دولة الإسلام في الأندلس، ج ١، ص ٧٠٣.
١١. الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، ص ٧٨، ابن الأبار، الحلة السراء، ص ٢٦٨، الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ) الأعلام، ط ١٥، دار العلم للملايين - لبنان، ٢٠٠٢م، ج ٦، ص ٢٢٦، العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٢٧.

١٢. المقرئ، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت: ١٠٤١هـ): نفتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار صادر- بيروت، ١٩٩٧ م، ج٣، ص٨٨.
١٣. ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتري (ت: ٥٤٢هـ): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، ط١، الدار العربية للكتاب- ليبيا، ج٧، ١٩٧٩ م، ص٦٠.
١٤. الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، ص٧٨، ابن الأبار، الحلة السرياء، ص٢٦٨، العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٢٧، الزركلي، الأعلام، ج٦، ص٢٢٦.
١٥. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٢٠١-٢٠٠، المقرئ، نفتح الطيب، ج٣، ص٨٧.
١٦. ابن الأبار، الحلة السرياء، ص٢٦٩، ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس (ت: ٧٤٩هـ): تاريخ ابن الوردي، ط١، دار الكتب العلمية - لبنان، ١٤١٧هـ، ج١، ص٣١٠.
١٧. الصقالبة يرجعون إلى مدينة بلغار بالضم والغين وهي بلاد شديدة البرد كثيرة الثلوج، مساكنهم من الخشب وحده، قليلة الفواكه والخيرات، أسلم أهلها في أيام المقتدر بالله العباسي، ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي (ت: ٦٢٦هـ): معجم البلدان، ط٢، دار صادر- بيروت، ١٩٩٥ م، ج١، ص٤٨٥-٤٨٦.
١٨. المقرئ، نفتح الطيب، ج٣، ص٨٧، ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج٧، ص٦١، الخلف، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ج١، ص٤٣١.
١٩. هو جعفر بن عثمان بن نصر، كان يعرف بالمصحفي، من أهل الأندلس، كان أديبا من كبار الكتاب، وله شعر كثير جيد. استوزره المستنصر الأموي إلى أن مات.، وقد تولى جزيرة ميورقة في أيام الناصر، كما استوزره الحكم وضم إليه ولاية الشرطة، الزركلي، الأعلام، ج٢، ص١٢٥.
٢٠. ابن عذارى، أبو عبد الله بن محمد بن محمد المراكشي (ت: ٦٩٥هـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، ط٣، دار الثقافة- لبنان، ١٩٨٣ م، ج٢، ص٢٦٥-٢٦٦.
٢١. ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص٢٦٧، العسلي، بسام، الحاجب المنصور، دار النفائس - بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ، ص٤٢.

٢٢. ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ٢٦٧-٢٧٠، المقرئ، نفح الطيب، ج٣، ص ٨٧-٩٠، الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ١٢٥، العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٢٨.
٢٣. عبد الواحد المراكشي، المعجب في أخبار المغرب، ص ٣١، ابن الأبار، الحلة السبراء، ص ٢٦٩، الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ٢٢٦، مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ٤٠٢.
٢٤. ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ٢٧٨-٢٧٩، عنان، محمد عبد الله، الدولة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية، مطبعة مصر - القاهرة، ط ١، ١٣٧٨هـ، ص ٥١.
٢٥. هو جعفر بن علي بن حمدون المعروف بابن الأندلسي عرف عنه شدة بأسه، ونهاة ذكره، كان زعيما لأحد القبائل البربرية، ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ٢٧٨، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد أبو زيد ولي الدين الحضرمي (ت: ٨٠٨هـ): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط ٢، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٨هـ، ج ٧، ص ٧٣.
٢٦. المقرئ، نفح الطيب، ج٣، ص ٩٢، العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٣٠.
٢٧. ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ٢٧٩.
٢٨. ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ٢٧٩-٢٨١، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٧، ص ٧٣، العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٣٠.
٢٩. ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد (ت: ٧٧٦هـ): أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، جزء خاص بتاريخ إسبانيا، نشره ليفي بروفنسال، المغرب-الرباط، ١٩٣٤م، ص ٧٧.
٣٠. ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج٧، ص ٦١، الخلف، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ج١، ص ٤٣٠.
٣١. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص ١٢٣.
٣٢. ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج٧، ص ٦١، الخلف، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ج١، ص ٤٣٠.

٣٣. النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم (ت: ٧٣٣هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، ط ١، دار الكتب والوثائق القومية- القاهرة، ١٤٢٣ هـ، ج ٢٣، ص ٤٠٦، الخلف، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ج ١، ص ٤٣٣.
٣٤. قصر الزهراء تم بنائه في عهد الناصر لدين الله، ذكر انه لم ير أحد من خارج الأندلس أو داخلها أفضل منه ولا أفخم منه حتى أصبح رؤيته مقصد الناس، وقد أسرف الناصر في فخامة بنائها وكبر حجمها حتى قيل أن عدد أبوابها فاقت الخمسة عشر ألف باب، ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد أبو الفلاح (ت: ١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرنؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط، ط ١، دار ابن كثير- دمشق، ١٤٠٦ هـ، ج ٤، ص ٢٦٣، المقري التلمساني، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى (ت: ١٠٤١هـ): أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة، ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م، ج ٢، ص ٢٦٧.
٣٥. ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٧٥-٢٧٦، الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: ٩٠٠هـ): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط ٢، مطابع دار السراج- بيروت، ١٩٨٠ م، ص ٢٨٤، مايك، سيمون، صبح البشكنسية أو الأندلس على عهد الحكم المستنصر والدولة العامرية، ١٩٧٦ م، ص ١٤٥، الخلف، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ج ١، ص ٤٣١، مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ٣٩٥.
٣٦. ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٢، ص ٣٠٢، العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٣٨، القحطاني، الدولة العامرية في الأندلس، ص ٦٧.
٣٧. الحاجب: هو البواب، وهو ما يحجب بين شيئين، الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد بن الهروي (ت: ٣٧٠هـ): تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط ١، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ٢٠٠١ م، ج ٤، ص ٩٧، الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو (ت: ١٧٠هـ): كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ب.ت.ط، ج ٣، ص ٨٦.
٣٨. وزير تنفيذ: ليس له حق في التصرف بأمور الدولة، لذا لا يمنع ان يكون ذميا بعكس وزير التفويض، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت: ٧٧١هـ): طبقات الشافعية الكبرى،

- تحقيق: محمود محمد الطناحي و عبد الفتاح محمد الحلوة، ط٢، هجر للطباعة والنشر والتوزيع - السعودية، ١٤١٣هـ، ج٥، ص ٢٧٤، كما أن وزير التنفيذ دليل لقوة السلطان وسيطرته على البلاد، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٧، ص ٢٩٧.
٣٩. وزير التفويض من الفعل فوض قيل فوض إليه الأمر أي: وكله وأرجعه إليه، ابن النوي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت: ٦٧٦هـ): تهذيب الأسماء واللغات، تصحيح وتعليق: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية-بيروت، ب.ت.ط، ج٤، ص ٧٥، فوزير التفويض يولي ويعزل ويباشر الحكم بنفسه وتسير الجيش بأمره وله أن يتصرف في بيت المال، السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٥، ص ٢٧٤.
٤٠. ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص ٢٧٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص ١٢٤، الخلف، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ج١، ص ٤٣٤.
٤١. ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص ٢٧٨، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٣، ص ٤٠٤، الخلف، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ج١، ص ٤٣٢، مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ٣٩٥.
٤٢. البرنس هو كل ثوب يكون له رأس ملتصق به وأصله من القطن، مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت: ١٢٠٥هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ب.ت.ط، ج١٥، ص ٤٤٨، أبو حبيب، سعدي، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، ط٢، دار الفكر-دمشق، ١٤٠٨ هـ، ص ٣٧.
٤٣. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص ١٢٤، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٣، ص ٤٠٤.
٤٤. الخلف، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ج١، ص ٤٣٩.
٤٥. الحميري، الروض المعطار، ص ٢٨٤.
٤٦. الخلف، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ج١، ص ٤٣٣.
٤٧. ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص ٢٧٨، الخلف، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ج١، ص ١٠.
٤٨. العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٤٢-٢٤٣.

٤٩. الطرطوشي، أبي بكر محمد بن الوليد الفهري (ت: ٥٢٠هـ): سراج الملوك، تحقيق: محمد فنجي، تقديم: شوقي ضيف، ط ١، الدار المصرية اللبنانية- القاهرة، ١٤١٤هـ، ج ١، ص ٢٢٩، السامرائي، تاريخ العرب، ص ٢٠٥، العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٤٣.
٥٠. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٧، ص ٧٣، ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٧٩، العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٤٣، مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ٣٩٣-٣٩٤.
٥١. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد (ت: ٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط ١، دار الكتاب العربي- لبنان، ١٤١٧هـ، ج ٧، ص ٣٤٩.
٥٢. الطرطوشي، سراج الملوك، ج ١، ص ٢٢٩.
٥٣. العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٤٣.
٥٤. عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٣١، ابن الأبار، الحلة السيرة، ص ٢٦٩، الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ٢٢٦.
٥٥. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ١، ص ١٩٩، ابن عميرة، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص ١١٦، الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ٢٢٦.
٥٦. ابن عميرة، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص ١١٦.
٥٧. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ١٢٤، عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٣٧.
٥٨. ابن الأبار، الحلة السيرة، ص ٢٦٩، ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (المتوفى: ٨٥٢هـ): نزهة الألباب في الألقاب، تحقيق: عبد العزيز محمد السديري، ط ١، مكتبة الرشد - الرياض، ١٤٠٩هـ، ج ٢، ص ٢٠٢.
٥٩. مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ٣٩٣-٣٩٤.
٦٠. الخلف، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ج ١، ص ٢٠.
٦١. مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ٣٩٨، السامرائي، في تاريخ العرب، ص ٢٠٨.

٦٢. ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٧٩، الخلف، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ج ١، ص ٤٣٤-٤٣٣، مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ٣٩٥.
٦٣. ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٧٩، الخلف، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ج ١، ص ٤٣٤، ويرى بعض العلماء كالشيخ ابن عثيمين رحمه الله جواز تقبيل اليد لمن هو أهل للاحترام كالوالدين والابناء والعلماء و الامام العادل بل حتى الحاكم ان خاف منه الضرر، فتاوى الباب المفتوح، ١٧٧، ٢، وهناك من يرى ان كان الحاكم من اهل الصلاح فتقبل يده لصلاحه وليس لحكمه، فتاوى الشبكة الاسلامية، رقم ١٣٩٣٠، <http://www.islamweb.net>
٦٤. خريسات، محمد عبد القادر، النهج الاستخباراتي للخليفة المنصور في القضاء على حركة محمد بن عبد الله في المدينة، التاريخ العربي، الرباط- المغرب، العدد ٢٩، شتاء ١٤٢٥هـ، ص ٢٠٠.
٦٥. ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٩٨.
٦٦. فالبطون شهيد لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمُبْطُونُ شَهِيدٌ، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت: ١٧٩هـ): موطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني، تعليق وتحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط ٢، المكتبة العلمية، ص ١٠٨.
٦٧. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ١٢٤، الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ٢٢٦، العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٤٧.
٦٨. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ١٢٤، الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، ص ٧٩، ابن عميرة، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص ١١٦.
٦٩. الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، ص ٧٩، أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه (ت: ٧٣٢هـ): المختصر في أخبار البشر، ط ١، المطبعة الحسينية المصرية، ب.ت.ط، ج ٢، ص ١٣٩، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ١٢٤، الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ٢٢٦، العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٤٧.
٧٠. ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٢، ص ٣٠١، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٢٣، ص ٤٠٦.

٧١. ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد أبو عبد الله (ت: ٧٧٦هـ): الإحاطة في أخبار غرناطة، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤٢٤ هـ، ج٢، ص٦١، السلاوي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري (ت: ١٣١٥هـ): الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب - الدار البيضاء، ب.ت.ط، ج٢، ص٩٤، خطاب، محمود شيت، قادة فتح الأندلس، ط١، مؤسسة علوم القرآن - منار للنشر والتوزيع، ١٤٢٤ هـ، ج٢، ص١٢٨.
٧٢. ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص٢٨٨.
٧٣. ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت: ٥٧٨ هـ): الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني، ط٢، مكتبة الخانجي، ١٣٧٤ هـ، ص٢٣٣.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

١. ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلسني (ت: ٦٥٨هـ): التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام المهراس، دار الفكر للطباعة - لبنان، ١٤١٥هـ.
٢. الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، ط٢، دار المعارف - القاهرة، ١٩٨٥م.
٣. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد (ت: ٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي - لبنان، ١٤١٧هـ، ج٧، ص٣٤٩.
٤. ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد (ت: ٧٧٦هـ): أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، جزء خاص بتاريخ إسبانيا، نشره ليفي بروفنسال، المغرب - الرباط، ١٩٣٤م.
٥. الإحاطة في أخبار غرناطة، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٤هـ.
٦. ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد أبو الفلاح (ت: ١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير - دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ.
٧. ابن النوي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت: ٦٧٦هـ): تهذيب الأسماء واللغات، تصحيح وتعليق: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية - بيروت، ب.ت.ط.
٨. ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس (ت: ٧٤٩هـ): تاريخ ابن الوردي، ط١، دار الكتب العلمية - لبنان، ١٤١٧هـ.
٩. ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتري (ت: ٥٤٢هـ): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب - ليبيا، ج٧، ط١، ١٩٧٩م.
١٠. ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت: ٥٧٨هـ): الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني، ط٢، مكتبة الخانجي، ١٣٧٤هـ.

١١. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت: ٨٥٢هـ): نزهة الألباب في الألقاب، تحقيق: عبد العزيز محمد السديري، ط١، مكتبة الرشد - الرياض، ١٤٠٩هـ.
١٢. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد زيد الحضرمي الإشبيلي (ت: ٨٠٨هـ): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر - بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ.
١٣. ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي (ت: ٦٨٥هـ): المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف - القاهرة، ط٣، ١٩٥٥م.
١٤. ابن عذاري، أبو عبدالله بن محمد بن محمد المراكشي (ت: ٦٩٥هـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٣م.
١٥. ابن عميرة، أحمد بن يحيى بن أحمد أبو جعفر الضبي (ت: ٥٩٩هـ): بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي - القاهرة، ١٩٦٧م.
١٦. ابن عنان المصري، محمد عبد الله (ت: ١٤٠٦هـ): دولة الإسلام في الأندلس، ط٤، مكتبة الخانجي - القاهرة، ١٤١٧هـ.
١٧. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ): البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ط١، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ.
١٨. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه (ت: ٧٣٢هـ): المختصر في أخبار البشر، ط١، المطبعة الحسينية المصرية، ب.ت.ط.
١٩. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد بن الهروي (ت: ٣٧٠هـ): تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٢٠. الحميدي، محمد بن فتوح بن عبد الله (ت: ٤٨٨هـ): جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية للتأليف والنشر - القاهرة، ١٩٦٦م.
٢١. الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: ٩٠٠هـ): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، مطابع دار السراج - بيروت، ١٩٨٠م.

٢٢. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت: ٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، ط ٣، مؤسسة الرسالة- لبنان، ١٤٠٥ هـ.
٢٣. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ): الأعلام، ط ١٥، دار العلم للملايين- لبنان، ٢٠٠٢ م.
٢٤. السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت: ٧٧١هـ): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤١٣هـ.
٢٥. السلاوي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري (ت: ١٣١٥هـ): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب - الدار البيضاء، ب.ت.ط.
٢٦. الصفدي، صلاح الدين خليل بن عبد الله ابن أبيك (ت: ٧٦٤هـ): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، ١٤٢٠هـ.
٢٧. الطرطوشي، أبي بكر محمد بن الوليد الفهري (ت: ٥٢٠هـ): سراج الملوك، تحقيق: محمد فنحي، تقديم: شوقي ضيف، ط ١، الدار المصرية اللبنانية- القاهرة، ١٤١٤هـ.
٢٨. عبد الواحد المراكشي، علي التميمي محيي الدين (ت: ٦٤٧هـ): المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تحقيق: صلاح الدين الهواري، بيروت _ المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ.
٢٩. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو (ت: ١٧٠هـ): كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ب.ت.ط.
٣٠. مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت: ١٧٩هـ): موطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني، تعليق وتحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط ٢، المكتبة العلمية،
٣١. مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت: ١٢٠٥هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ب.ت.ط.

٣٢. المقرئ، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت: ١٠٤١هـ): نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار صادر- بيروت، ١٩٩٧ م،
٣٣. أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة، ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م
٣٤. النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم (ت: ٧٣٣هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣ هـ
٣٥. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي (ت: ٦٢٦هـ): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥ م،

ثانياً: قائمة المراجع العربية.

٣٦. أبو حبيب، سعدي، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، دار الفكر - دمشق، ط٢، ١٤٠٨ هـ.
٣٧. خريسات، محمد عبد القادر، النهج الاستخباراتي للخليفة المنصور في القضاء على حركة محمد بن عبد الله في المدينة، مجلة التاريخ العربي، الرباط - المغرب، العدد ٢٩، شتاء ١٤٢٥ هـ.
٣٨. خطاب، محمود شيت، قادة فتح الأندلس، ط١، مؤسسة علوم القرآن - منار للنشر والتوزيع، ١٤٢٤ هـ.
٣٩. الخلف، سالم بن عبد الله، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ط١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، ١٤٢٤ هـ
٤٠. ديورانت، ويليام جيمس (ت: ١٩٨١ م)، قصة الحضارة، تقديم: محيي الدين صابر، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرين، دار الجليل - بيروت، ١٤٠٨ هـ
٤١. السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة - بيروت، ٢٠٠٠ م.
٤٢. العبادي، أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، بيروت - دار النهضة العربية، ب، ت، ط.
٤٣. العسلي، بسام، الحاجب المنصور، دار النفائس بيروت، ط٢، ١٤٠٣ هـ.
٤٤. عنان، محمد عبد الله، الدولة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية، مطبعة مصر - القاهرة، ط١، ١٣٧٨ هـ

٤٤٠ مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد (٦٤) محرم ١٤٣٦هـ

٤٥. فتاوى الشبكة الاسلامية، <http://www.islamweb.net>

٤٦. القحطاني، علي أحمد، الدولة العامرية في الأندلس، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة أم القرى، ١٤٠١هـ.

٤٧. مايك، سيمون، صبح البشكنسية أو الأندلس على عهد الحكم المستنصر والدولة العامرية، ١٩٧٦م

٤٨. مؤنس، حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد - القاهرة، ط ١٤٢٨، ١٩٩٠هـ.



Supervisory and Editorial

General Supervisor

Dr. Bakry bin Matuq Assas

Rector, Umm Al-Qura University

Vice-General Supervisor

D. Thamir bin Hamdan Al-Harbi

Vice-Rector for Graduate Studies and Scientific Research

Editor in Chief

Prof. Yousef bin Ali Althagafi

Members

Prof. Mohamed bin Omar Bazmool

Prof. Taha Ahmed Abdeen

Prof. Lutf Allah bin Mullah Khojah

Prof. Ahmed bin Qosta, Makhlof

Dr. Saad bin Mousa Al-Mousa

Dr. Mahmoud bin Hamed Osman

Dr. Alaa El Din Hussein Rahal

Dr. Ahmed bin Mohammed Al-Yamani

Dr. Mohammed bin Ibrahim Al-Namlah

**In the Name of Allah
The Most Gracious The Most Beneficent**



Umm Al-Qura University
Journal of Islamic Knowledge (Shari'a)
and Islamic Studies

Volume No. 64

Muharram 1436Ah. October 2014